

ديوان صقر الشيب

جمعه وقدم له

أحمد البشر الرومي

الطبعة الثانية

أعدّها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

2008

الصف والتنفيذ
قسم الكمبيوتر \$ الأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الغلاف
محمد عبد الوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشبيب، صقر .

صقر الشبيب: الديوان / أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط2. - الكويت: مؤسسة جائزة

عبدالعزیز سعود الباطین للإبداع الشعري، 2008

736 ص؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف.

ب. العنوان.

ردمك: 1-54-72-99906-978 ISBN

رقم الإيداع : 2008 / 250 Depository Number

حقوق الطبع محفوظة



هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

كان صقر الشبيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليد من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخران فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشبيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت البررة الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتماماً خاصاً لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكريا الأنصاري، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطل الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشبيب من مظانه ومصادره ليكون بكليته بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشبيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملائم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزاً لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثميناً للفترة التي عاشها الشبيب مبدعاً بين ظهرانينا، ولنا أن نقدر فترة عطائه الأشمل، فشاعرنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدث فيها الحرب الكونية الثانية واكتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمه الله متوقعاً على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويؤكد ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعته ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطوياً على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهما كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبباً آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرقت أحاسيسه وتنوعت، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويأس وأمل وسعد وشقي وآمن، وكره البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجأته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وخرق هدوئهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجابي والغلاء، وتأذى لمشهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عززي القارئ

وإذ نشمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي \$ جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعناية الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشملان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الدين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثمر في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعاً وبيئة وحياة وتطوراً .

والله ولي التوفيق...

عبدالعزیز سعود الباطین

الكويت في 18 رجب 1429هـ

الموافق 21 يوليو 2008م

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبلغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع عليّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتباطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياءه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرأة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتتبع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بصقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨م حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصاً على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محباً لصقر الشبيب مداوماً على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوباً في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيراً في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفاً مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلُّ من جانبه فيما يتعلق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيراً عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ و ٥٦ / ١٩٧٢ مدني): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقرر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لمجهود الجامع لقصائد الديوان وناشره، فإنهما قد أسديا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشرا شعره على الناس وأطلعاهم على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جلى جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناشر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن نبتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تأتى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعراً فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويركض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدران الشاعر، ويعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسباً مادياً أم لم يفيدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

أما عن وفاة صقر الشبيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣م، فكتب أحمد البشر ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفني، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظاً أحاول أن أتسلّى بأي شيء غير أنني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكري وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضراً ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك أن آخر لقاء التقيته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقريب، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداهما قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ١٠/٧/٥٣ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع مقابلة

أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدري متى أسلوه وتتصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تُنسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصدافة من حقوق حتى أبسطها وأدقها، ويتفانى في ذلك تفانيًا يقلق راحته ويكدر صفوه.

إذا بدرت منه كلمة واعتقد أنها ربما فيها إشارة إلى ما يسيء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلقاك فيشرح لك شرحًا طويلاً وافياً ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم ثالثة ثم رابعة حتى تزهد نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكر في وفاة صقر».



حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقدمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء. ولم يترك شيئاً يتعلق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلمني ما سبق أن كتبه الرومي ولكنني استحسنيت الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلي أن يقدمها، كما أنني أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمدني بها بعض الإخوان.

أمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيناها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،،

د. يعقوب يوسف الغنيم



المدخل

الفرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبه:

سألته ذات يومٍ - وكنا نتناول شتى الأحاديث - عن نسبه، وذلك عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتسب إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الربيع ينبث الكلاً في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد.

وكانت حائل قبل خمسين عاماً تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخذ الكويت موطناً له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٦م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقاربه وجيرانه.

الولد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأخته، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتاب الذي كان يُحفظه القرآن الكريم، ولم يكن «الملا» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئاً غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيراً ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغاؤون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قرأء الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرتته إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفادياً لوم والده وتأنيبه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدريس علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتقاضونه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقوفة لهذه الغاية، لكونهم أئمةً في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين زهاباً وإياباً في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما أخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معاً، وسافر الإثنان على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شرعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهور الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبدالعزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحبه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبدالعزيز العلجي فقيه، وله إلمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفل راجعاً زاهداً في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياها وزراعتها وطقسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأنني في بيئة غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم يختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم تختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذاً لا يصح لي - حسب العادة هناك - أن أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعلياً أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيراً ما يقرّر الشيخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضاً عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضاً على الشيخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشيخ ونقمته.

ثم قال: ومما يزهّد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكروه، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهداً من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعدّوا اجتماعاً تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها - وهم فرحون بذلك - إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاء أحد الفقهاء، ممن أودع الله في قلوبهم شيئاً من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نساءه لتخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها إذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الإحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نعموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها والحرب العالمية الأولى على أشدها، وقلت أحياناً لا أذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يوماً فإنني

للأم خلق الله طراً وأجراً



وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريباً، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظاً في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذ على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوه لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إمامة لزيارة أخته والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراستها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهماً جيداً، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يولييه العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويزوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعوه في بعض الأحيان للغداء معه، وأذكر أنه دعاه يوماً على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمساً ولم آت نحوكم
فلا تنتظرنى للغداء فيفسدا
وكله هنيئاً غير معقب تخمة
مريئاً وقم بين الأخلاء منشدا
تعود خُلف الوعد صقراً وإنما
(لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)

وامتدت الصلّات الوثيقة بين الاثنين حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأخته البيت، ذلك البيت الخرب المتداعي، والذي لا يجب من بداخله عن الشارع - إن صح ان تسمى تلك الخربة بيتاً - ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يوم واحد.

كان والده يزاوّل مهنة الغوص في أيام شبابه وقوّته، ثم تقدمت به السن فامتحن صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقيت عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بثمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده - إلى جانب شيخوخته - مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحاً للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنطاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٍ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنطاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزهر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا - وذلك قبل سفره إلى الأحساء - وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايقة للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، كانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بثمنه أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسّر ما تحمله من بيض، فظلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطمُ
وتُعولُ عن عِظْمِ المصابِ وتُرزِمُ

ومنها:

فأخرجت من جيبِي دراهمَ خمسةً
ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتها ما يسرَّ الله قائلًا
خذي واعذري إنني لَمثلك مُعدَم
دعت لي إذ ناولتُها ثم أنشأت
تسبُّ الذي ألقى المياه وتشتم
فقلت أظنُّ الشيخَ لو كان عالمًا
بما منه نشقى في الطريق ونسأَم
لشدَّدَ في نهْيِ الرعايا عن الأذى
وهدَّدَهُم حتى يكفوا ويُحجموا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

فرأى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:
فيا فرحتي إن نلت عندك حاجتي
ويا حسرتي إن لم أنلها ويا خُسْري

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها، فشرح له شاعرنا قضية بيته المتداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتًا كثيرة، في كثير من أحياء المدينة، فاختر لك منها بيتًا صالحًا أسجله باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبني من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلاً بوشر في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبا الشهم عبدالله لو أنهم مشَّوْا
إليه بجدَّ لابتنَّوْهُ وتمَّموا
بعشرة أيام ولكنهم مشَّوْا
إليه كما يمشي إلى السجن مجرم

فاستدعى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثين عاملاً، ووقف معهم أياماً حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمٍ طويل.

فكونت الحادثتان، - حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت - ألفَةً متينةً بين الشيخ سالم، رحمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتب عليه إذا تأخر عن حضور مجلسه عدة أيام، وكان يحثه على الاستزادة من علم اللغة العربية، ولم ينس الشاعر ذلك، فقد ذكره في إحدى قصائده، قال:

جئت للرفد وحده فإذا بي
منك أحظى بمُرفدٍ وبُهاد
منذ حرَّضتني على بذلِ جدي
في تلقِّي الفصحى وبذلِ اجتهادي
كان شغلي جميعه في نهاري
بل وليلي تطلُّباً للضاد
ولقد نقتُ طعمها الحلو حتى
ليس إلا منأئها من مرادي
ولك الفضلُ ليس لي أنْ تَأْتِي
لي ما رمتُ من لُغى الأجداد

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبره في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويسر عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢١م كان جزع الشاعر عليه جزعاً شديداً، وكان يتذكره في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجلس الشاعر ويقدره، فكان يستزيه ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، يناقشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعيّنت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، فكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعراً أو نثراً.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكثرة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحياناً إلى قصر الشعب للاجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطلعها:

لئن لم أُرز في كل يوم محلّ من
عليّ له فضلٌ يجلُّ عن الشكر

ومنها:

فليس لصقرٍ أن يُبارح وكرة
إذا سدّت العينين منه يدُ الضُرِّ
فما طار مكفوفُ الصقور فسالتُ
جناحيه قبل اليوم عاديةً الكسر

إلى أن قال:

لهاتيكم الأسباب قُلتُ زيارتي

وإن كنتُ من شوقي إليكم على جمر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف آنذاك أن تُجري له راتباً دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيداً، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فنثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن تركه المسجد سبيلاً لمعاداته وإيذائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيامة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخلّوا في الديانات افتراقاً

يؤول بكم إلى الحرب العوان

ودينوا من تكاتفكم بدين

لكم يلقي التقدم بالعنان

قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقاً بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكاً في كفره وتدهُّره، أما الآن فقد اتضح لي ذلك.

وقد ضويق مضايقةً شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

اضلّتني بشرقيّ الكويت

خطوبٌ ألزمتني بيع بيتي

وما بيّعك يا بيتي بسهل
ولكن فيك خفت اليوم موتي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسٌ بشرقيّ الكويت تُقيم
فقلت جزاه الله خيراً فهجركم
لنفسى به لو تعلمون نعيم
على راحتى قد حثكم ومراده
شقائي وربى بالضعيف رحيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفة مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي
الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:

وكفاك أنك في بُويّتكِ لأبد
وسناء شعرك في الكويت أضاء

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالمك بن صالح المبيض،
والسيد عبدالرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف،
وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ممن لم
أذكر أسماءهم.

وكنت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان
السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائده التي كان يرتجلها
في ذلك المجلس، فتنتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت رداً قاسياً على أولئك
المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبون بقصائدهم الركيكة، والمضحكة أحياناً، على قصائد
السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمه الله يجيد الهجاء إجابة
منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرؤها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم
إلا عندما أفتى أحمد المعممين بكفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه
الآيات:

إن كان لا ينعم في الجنّة
إلا امرؤ مثلك ذو جنّة
ممن يصبّون عطاياهم
في جيبك الفارغ ذي الفسحة
فليس لي في جنّة مارب
فأعط من شئت بها حصّتي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريباً، انهزم فيها المتعصبون هزيمة
نكراء، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرون به في الخفاء لأتباعهم، فتحول ذلك
المجلس^(١) فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وذلك هو يوم
الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم
عبد الملك يرسل ابنه صالح عبد الملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد
العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديداً، قال لي: ما رأيك لو أخذنا سفينة
وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح
من الأثرياء، فقال اشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن
لهم صلة صداقة بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحباً بها، وفي الحال ذهبنا للبحث
عن سفينة، فوجدنا سفينة صغيرة، وأخذنا نعدّها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض
النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلقتنا بيته،
وحملنا فراشه إلى السفينة، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة،
وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للميناء الصغير

(١) المجلس المذكور ديوان عبدالرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماءً إلى أكثر من نصفها، وابتل كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يوماً، لم نحصل في خلالها على شيء ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبدالمك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريباً على ما أذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكنت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبدالمك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انفضت الجلسة، وخلال المجلس، أخذت استوضح الشاعر عما غمض علي من النقاش، فيوضح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «بمباي» وبعد وصولي بشهر تلقيت من الشاعر كتاباً ينمى إلي فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطايرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألفت المرحوم عبدالمك، ولأنني استفدت منه الكثير، فعبدالمك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبدالمك فوق ذلك، أنه كان عالماً جليلاً كثير الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهاك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزولي من الباخرة للسلام عليه، ولتعزيتته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبدالمك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألوه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتثمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطاءه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشأ القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهون، وأن يتكلم بما يشاؤون، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواء المتقدمون منهم والمتأخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له - وذلك دون مبالغة - إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقسماً من ديوان البحتري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضل على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجاً خاصاً بشعره حيث يجنح فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظةٍ من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً.

كانت حافظته قوية جداً، ويعرف ذلك عنه كل من قرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتاً من الشعر فيتابعك في ترديدها بيتاً بيتاً حتى يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها وردّها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتاً لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عويصها.

إن هذا الشاعر مجهول من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القدرة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهناك شعراء تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تركت الورقة التي دون عليها بيضاء لكان خيراً من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراحاً وعويلاً «فأما الزيد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافق على إثارة هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعاً، وإن كان يدعي أن هناك ما يبرر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباه وفي بدء تمرسه على النظم، ولا بد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، ككل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادة بناء القصيدة دربةً وتمرسٌ وإلمامٌ واسعٌ بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتد بما نظمه في صباه وقد أتلّف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجالات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجلات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأنني نظمته صغيراً، أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح، وحرّموا التعليم، وأثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهم، فأنت من أهل الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك من أجل أن يتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كلما زارنا معممٌ سوءٍ
ردّ منظومَ شملنا منثورا
وثنانا إلى شقاءٍ مبيدٍ
باسم دين الإله مييناً وزورا
ليسوق الشقاق منا إليه
ما رجاه من رقدنا موفورا
مستعيناً بالجهل منا على ما
نحن نلقى عقباه شرّاً كبيراً

في ذكرى المولد:

رفع الله مجد بيت الضاد
وذويها منه بخير عمادٍ

فعلية مع الصلاة سلام
فيه يُمليهما جميل اعتقادي
سيد الرسل كلما رمت مدحاً
لك أرجو به صلاح معادي
صفتني يدا قصوري عنه
فأنا عنه منهما في صِفاء

ومنها:

فإذا ما أذنت لي بالتشكي
من همومٍ عليّ ذات احتشاد
فشكاتي إليك من كلِّ مغوٍ
ومضلاً باغي المقالة عادٍ
قد أضلّوا باسم الديانة ممن
جهلوا كل رائجٍ أو غاد
كم أماتوا لكي يعيشوا نفوساً
لم تزل بعد حياة الأجساد
فادع يا خير منقذينا عليهم
بزوالٍ يعمُّهم ونفاد

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفياً حاد الشعور رقيق الحساسة، يتأثر لأقل شيء، وكان ينفر أشد النفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أننا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمل، فإذا قلت له تم الاتفاق بيني وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمل، ثم ذهب الى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمل مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمل الأجر استدعى الحمل وأخذ يسأله، هل يحس بالأم في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبداً التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفاً، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسوس: هل يا ترى لم يصب الحمال بأذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافى؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفاً من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بئس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقوداً غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقوداً غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفاً من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجرو أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحبتي له لم أسمع أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهواً، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيراً، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصَب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعاً من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئاً طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح عليّ بمراجعة الطبيب، وأذكر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تنصحنى بالذهاب إليه؟ فقال: إنني أعرف بأمراضى وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عاماً، وأذكر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السيجارة لا يتكلم أبداً، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السيجارة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبخ غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليلية وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاءً على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعماً أنها لا تخلو من الأفاويه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلاث غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجبته بكل سرعة، والوجبة دائماً من الأرز وأحياناً يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عاماً، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعاً من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤذيه الأصوات حتى أنه لا يستطيع مواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد الباعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارع أطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيع مواصلة حديثه أيضاً ما دام الراديو مفتوحاً حتى لو كان صوته منخفضاً جداً.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتاً، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمه، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخر عن عادته في زيارته إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيها عن صحته إن كان غائبا، أو عن سبب تأخره إن كان حاضرا.

فمن هؤلاء عبداللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتا أذكر منها:

مغيبك عنا في الليالي يسوؤنا
لأنك يا عبداللطيف بها بدر
يجوب ظلام الهم عنا طلوعه
فأشرق علينا في الدجى ولك الشكر
ولا تعتذر إما تأخرت ليلة
فليس يرى عندي مكانا له العذر

فأجابه عبداللطيف بهذه المقطوعة:

لقد هيح الأشجان شعرك يا صقر
وزدت همومي بالعتاب وهم كثر
فأقسم ما همت بما قد ظننت بي
من الهجر نفسي والحفيظة والصدر
لئن بُعد الجثمان فالقلب لم يزل
لديك أسيرا حبذا ذلك الأسر
فديتك من خل صفا صدق وده
على حين قل الصدق أو كثر الخثر
وشبهتني بالبدر لطفًا وإنني
كذاك وأنت الشمس من نورها البدر

وأنت لوردي إن أمضني الظما
نمير زكا عن أن يمازجه مر
وأنت لروحي إن تمادي ظلامها
سراج أضاعته خلائقه العر
وأنت أخي حقاً وصارمي الذي
أذود به عني إذا نابني أمر
لعمرك إن الشعر حين تصوغه
يدب بأعضائي كما دبت الخمر

ومنهم المرحوم خالد الفرّج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرّج في البحرين، فأملى عليّ الشاعر أبياتاً لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرّج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَعْرِي الكُوَيْتِ وبِشَارِهَا
هَزَزْتَ مِنَ النَفْسِ أوتَارِهَا
وَأَمْسَتْهَا مِنْ دَقِيقِ الخِيَا
لِ مَا كَانَ يُعْجِزُ أَفْكَارِهَا
بِأَيَاتِ سِحْرِ هَتَكَنِ القُلُوبِ
أزْحَنَ عَنِ النَفْسِ أَسْتَارِهَا
وَلَوْ كَانَ (رُبُّتِجْنُ) مِنْ قَبْلِ ذَا
كَ رَأَى هَذِهِ الرُّوحَ لِأَخْتَارِهَا
هِيَ السَّهْلُ لِلسَّمَاعِ الْمُسْتَصِيخِ
وَلَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ إِحْضَارِهَا^(١)
هِيَ الشَّمْسُ تَسْطَعُ فَوْقَ الجِبَا
لِ وَتَرْمِي إِلَى القُوسِ أَنْوَارِهَا

(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أَتَانِي شَعْرُكَ مِثْلَ الْحَيَاةِ
فَجَدَدَ لِلنَّفْسِ تَذَكَرَهَا
وَمَا كُنْتُ سَالٍ وَلَكِنَّمَا
أَلِفْتُ الْخَطُوبَ وَأَكْدَارَهَا

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القطيف، وقد اقتنى له هناك أرضاً زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، فخرس الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهماً القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشتكو القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقة مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانفض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفةً وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلاً دخلنا عليه، فإذا به يبتهت ويتلعثم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملى عليّ هذه القصيدة:

يَا خَالِدَ الْفَضْلِ فِي أَشْعَارِهِ الْغُرَرِ
رَغْمَ الْأَوَاتِي مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغَيْرِ
وَبَاقِي الدُّكْرَةِ الْمِثْلِي بِكُلِّ فَمٍ
إِذَا التَّقَادِمُ أَبْلَى جِدَّةَ الدُّكْرِ

لما سمعت بمنعك الذي كَرَبْتُ
تأتي مرارته مني على العمُر
طفقت بين زفيرٍ لا تنهينهُ
قوى اصطباري ودمعٍ غير منزجر
أصوغ فيك رثاءً كل ضامنةٍ
إشجاء أفئدة الأفراد والزُمُر

ومنها:

وقد لقيتك حيًّا والحياة لما
قد صغته فيك موتٌ غيرٌ منتظر
ففرحتي منك بالمحيا يساورها
حزني لموت اللواتي أنجبت فيكري

ومنها:

مصيبة طاردها نعمة عظمت
ونعمة لو نجت من صولة الكدر
وليس يمكن في العيش اشتراككما
فهل تخلي لشعري ظلمة الحُفر
والرأي عندك فاختر ما يلائمني
وإن تبرقع وجه الحزم فاستشر

ومن أعز أصدقائه أحمد المشاري، وكان في بمباي، وذلك عام ١٣٣٩هـ فأرسل إليه

شاعرنا قصيدة في بمباي يعاتبه فيها، ويشكو جفاه، فأجابه أحمد المشاري:

سلام كوصل الحب للواله الصب
وإلا كرشف من لمى ثغره العذب
تحية مشتاق إلى خير صاحب
خلائقه تذكو على المنديل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في
تباريح شوقٍ أنكت النار في قلبي

فما أنا من يجفو على البعد خله
ويومقه إن كان منه على قرب

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر ببغداد، وكان يرأسه، وقد نشر عدداً من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبدالرحمن البناء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأذكر أن الشاعر حياه بيتين هما:

تفضلُ ببناء القوافي بزورة
عليّ فلن أنسى عليها له الشكرا
أتاني وصدري من سروري مقفراً
وعاد ومنه الأئس قد ملاً الصدرا

فأجابه الشاعر عبدالرحمن البناء:

نعم زرتُ صقر الشعر يوماً بداره
فألفيتُ منه الشعر طال على الشعري
فزاد سروري عند لقياً سروره
فطرنا وأنى لي بأن ألحق الصقرا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفاته:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته ملّ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئاً عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يخيفه أشد الخوف - هذا مع وجود مكيف في غرفته - وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تنفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمة.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الهزال باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلهف على الموت ويتمناه، ويردد دائماً قول المعري:

موت يسير معه رحمة

خير من اليسر وطول البقاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلع إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يا قدرةً سجننت بجسمي روحه

ضاق الخناق على السجين المضطهد

إن لم تفكي الروح من جثمانه

فتداركي منزور صبري بالمدد

أرجوك لا أرجو سواك فأنعمي

عجلى علي بما ترين من الرشد

ثقل الحياة ضعفت عن حملي له

ضعفًا به لي الشيبُ أعدل من شهد

مات ولكن كيف مات؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٤/٧/١٩٦٣ فقرعت عليه الباب فلم يجبني، فعزوت عدم إجابته لي أنني بالأشهر الممنوع زيارته فيها، وفي مساء ٢٤/٧/١٩٦٣ تقرر سفري إلى اليمن، فذهبت صباح ذلك اليوم إلى بيته لوداعه، غير أنه لم يجبني عندما قرعت بابه، وفي المساء سافرت إلى القاهرة ومنها إلى صنعاء عن طريق عدن، وعدت من اليمن إلى القاهرة

يوم الأحد ١٨/٨/١٩٦٣ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالتعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الدهول حتى أنني لم أستطع النوم ثلاث ليال حزناً عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيني، ولما علم أنني غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحداً من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعة واحدة في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ٦/٨/١٩٦٣ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحداً بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ٧/٨/١٩٦٣ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائماً على ظهره، وإحدى رجليه مثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشيعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحمك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يداك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البأس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتموا باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله باري النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلت قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكبرت الله عما يدعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت المحق وهم المبتلون، سماؤهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطوا، واهتديت وشطوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الكويت ٢٣/٣/١٩٦٨

الفرع الثاني

كتبه: الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هذا خيال امرئ قد شب ما اشتملت
على المسرة حتى شاب أضلعه
ما إن تناول من أماله سبباً
إلا رأى مديّة الأيام تقطعه
وأى صادٍ من الأحرار ما وقفت
دنياه عن كل ما يُرويه تدفعه

هذه أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اختزل كل ما مر به من معاناة في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشتمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من أماله قطعت مديّة الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم ديناهم كل ما يرويهم ويبيل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عدة، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شكواه المستمرة لما يلاقي من بؤس في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبيساً لا يرى أحداً ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلاً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتماً جداً بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلته (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيوخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقدم لابن أحمد كأس شاي
وودّي أن أمدّ له خُواننا
يضم من المأكّل كل صنّف
به الطاهي قد افتنّ افتناننا

ومنها:

فأهلاً يا ابن أحمد ثم أهلاً
وسهلاً يا أعزّ أخِ غشانا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالمك الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بصقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالمك الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالمك الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحباً ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارة صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يوم الخميس لبست ثوب خدوع
حتى حسبتك غرة الأسبوع
ما زلت يكسوك التواصل بيننا
ثوب المسرة رائق التوشيع
إذ تلبس الأيام - غيرك - حلة
من نسجها يدُ شملنا المصدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عدة، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرغ اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبالاً باهراً، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة أقيمت فيها الخطب والأشعار ترحيباً بمقدمه، وألقى هو عدداً من الأحاديث وحضر شيئاً من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

بالرغم مني كنت أمس مقصراً

في واجبي نحو الزعيم التونسي

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مبادرته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

أكذا يكون تواضع الكبراء

وتلطف العلماء بالشعراء

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما أشار إليه صقر الشبيب بقوله:

إنني هممت بأن أقبل أنملاً

رُكِّب في يمني الزعيم التونسي

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الثعالبي فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الزعيم التونسي من بلاده.



ألمحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشيبب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبَّهه البعض بالمعريِّ رهين المحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى ألبَّأتته إلى الموضوع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقتات منه. وقد حاول مراراً الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة، ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدةً يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبية شهرياً، وكانت قصيدته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوعَ والعريَ اللذين هما
شرُّ النوائبِ إيلاًماً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباساً وإشباعاً

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
دراً به مُسكة الحوباء إرضاعاً
ومن غلا القوتِ والملبوسِ لم أر لي
فيها لما يمسك الحوباء إقناعاً

وعندما رد على تهنئة الثعالبي بالعيد قال:

أزعيمَ تونسَ والكويتَ فسيحةً
قد ضاق بي منها الفسيحُ الأرحب

إن يُردني بؤسي فلوموا موطني
بَعدي على تفريطه بي واعتَبوا
حاولت إدراك الوظيفة جاهداً
بالقوت من قومي فعز المطلب

٢ - العمى، وصقر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزاً في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

ألا أعمى بمحياه سرورُ
وهل يا صقر فيه له حبورُ
فقلت لهم عمى العميان أسرُ
وهل في الأسر يبتهج الأسير

ثم يستنهض هم العميان قائلاً:

عليكم معشر العميان ألا
يمسَّكم عن العلياً فتور
فقد يبني ضرير القوم مجداً
يقصِّر أن يفوز به البصير

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تخلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزناً، وبخاصة وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطه حسين.

وفي قصيدته «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيده في ذلك شيئاً. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.



لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهاً حديثه إلى أحد لائميته:

فإن تسعدُ بمجتمع البرايا

فإني بانفرادي قد سعدتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العدا، ولا تتيح له شيئاً مما تتيحه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحاً في توجيه حديثه إلى الناس جريئاً في قول الحق، وقد اكتسب شيئاً من عدا بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالي بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أخاف إذا بقيت تذلُّ نفسي

على طمعٍ لذي مالٍ كثير

فتمنحه مدائحها اللواتي

تعز على الفرزدق أو جرير

ولكني - كما سُميتُ - صقراً

وهل أبصرت ذلاً في الصقور

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين.

أسلوبه الشعري

لصقر الشبيب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكاد تعرف قصيدته منذ بداية قراءتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوي بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئاً بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للترود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

وضمن مطالعاته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً».

وكان محباً للغة الفصحى حريصاً عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جداً نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشبيب عن حبه للغة بقوله:

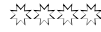
يا أيها اللغة الجميلة إنني

مُغرى الفؤاد بحسبك الفتان

وقوله:

ألقي جَناني حب غيرك مذ رأت
سر الجمال لديك عينُ جَناني
ما كان مني القلب لولا خوفه
من أن تُسائي دائم الخفقان

وهذه الدراية باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقاناً وجودةً وجزالةً،
وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.



وكان يملأ قصائده بالغريب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه
القصائد عدداً كبيراً من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن
طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بك قصيدة إلا وجاء فيها شيئٌ من ذلك. كاستعماله كلمة
(السُّبُّ) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في
التراب، و(الهنايث) للمصائب، و(الروابث) للموانع، و(ماغث) بمعنى يخاصم، و(لحزُ)
بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكفي الاطلاع على إحدى
قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعتذر في قصيدته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه
من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصيدته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي
دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكنه استطرده
كثيراً - بعد ذلك - في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب،
وصعوبة الحصول على قائد يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى
ما يقرب من سبعين بيتاً على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلاً:

لهاتيكم الأسباب قلَّت زيارتي
وإن كنتُ من شوقي إليكم على جمر

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتاً بينما كان الاستطراد كبيراً، ولم يكن
له داعٍ أبداً، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعترضة ما جاء في قوله:

سأبقى - مثل ما أتي قديماً

بحبل الصبر معتصم - حديثاً

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعترضة، حتى لتؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:

فمن حربٍ تبرح - عن فنونٍ

من الإفناء بينهم - الخفاء

ففصل بين قوله تبرح الخفاء بجملة طويلة معترضة وقوله:

قدومك سرُّنا حتى أقلنا

- به مما جنى قبل - الزمانا

يريد أقلنا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملة معترضة، كما يكثر في أبياته التداخل

مثل قوله:

كم قلت إن السيف ليس بغمدِه

بل إنما هو حدهُ والمضربُ

لكن إلى البابهم ما قلته

ما كان من أسماعهم يتسرب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما

قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:

وخصُّ بالتحطيم أقلام الألى

عقولهم حبُّ الصراحات سباً

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:

بني يعرب من فاته أمس سلَّه

حساماً به من قوته يُحسن الذباً

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فأصبحنا نقول وقد رأينا
جَنَى غرسِ المتاعبِ إذ سرَّيتنا
لِوَأْتَا، لِيَتَنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
نقول هوازئًا هيهات هَيْتَا

ومن ذلك قوله:

وكيف تخيِّروا نفرًا تُنافي
سياسَتَهُم لجنسَهُم البقاءَ
رجاءَ زيادةِ الأملِكِ حتَّى
لأُثْبِتَهُ سَائِسِيهِ الْكُلُّ دَاءَ

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.



وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحد قصيدةً في موضوع معيّن، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أرى الشعر نجوى النفسِ والنفسُ حُرَّةٌ
تخيِّرُ ما تهوى من الوقت للنجوى
أناديه أحيانًا فيأبى إجابتي
وما لي من مُعدِّ عليه ولا عدوى



أغراض شعره

المطلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدرته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرّق إليها في شعره ومن إسهابه في عدد كبير من قصائده حتى لنرى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيفاً مثله، وكان في أواخر حياته قابلاً في بيته لا يتعداه. ولأنه كان ضليعاً في اللغة أكثر من شعر الحكمة. ولكنني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، ألا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إن الذي ألْهَثَ الأَفْلاكَ مَقْوَلُهُ
والدهرُ، لا رغباً يَرجو ولا رهَباً
لم ينس أن تشمل الأنعامَ رَحْمَتُهُ
ولا الطيور.. ولا أفراخها الرُّعْباً

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيذاء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتكاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصد الأولاد لها:

كل طفل بكفه عصفورُ
من أذاها يكاد فيها يبور

وفيهما يقول:

أيها الطفل أنت عندي على ما
سُمته الطير من أذى معذور
ما لأمر تمرُّ عقباه أو تح
لو لى ذي طفولة تقدير
لست أنت الذي جنيت على الطير
ر ولكن جنى أبوك الكبير
أنت لولا وليُّ أمرك لم تُف
رُب إلى الطير من يديك سُرور

وتطرق في قصيدة له من الطوال إلى الحديث عن عنزٍ أكلت بعض كتب أحد
أصدقائه، وقد كان في البدايةً شديداً على العنز، ولكنه عاد بحكم طبعه إلى الاعتذار لها
والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فلا تهملوا حق البهائم واسلكوا
بهن سهول السُّبل والمرتع الخصباً

ولا حاجة هنا إلى عرض كافة الأغراض التي تناولها في شعره فهي واضحة في
الديوان ولكننا نشير إلى بعضها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد
الشعراء صياغة أشعارهم حولها، بل سنختار أموراً مثل الذي قدمناه هنا عن لقبه. ومثل
الذي نشير إليه هنا:

كان صقر الشبيب محبا للخير، ولكنه يسير في تعبيره عنه وفي تقديمه للمحتاجين
على طريقته الخاصة، فهو لا يملك من المال ما يمكن أن يدفعه لمحتاج، ولكنه لا يتأخر عن
عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لكم بالذي أخفيه وجهي ينطق
صريحا ووجهي ما ترون فحدقوا

أجیلوا به الأنظار بضع دقائق
لكم ينفتح من سِرِّ نَفْسِي مُغْلَق
فمن كان منكم في التفرُّس حاذقًا
فوجهي له عن طبع نفسي يصدق
فإن كان حب الخير في سجيةً
فقولوا ليسلمَ ذا الضريرُ وصفَّقوا
وإن كان حب الشر في غريزةً
فصبُّوا على وجهي الشتائمَ وابصقوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيذاء الحيوان، كما بيّنًا قبل قليل، وقصيدته التي قدمها إلى بلدية الكويت شاكيًا أصوات باعة الكيروسين الذين يمرون بين البيوت فيزعجون الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراسهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجع الناس في قيلولتهم، فيندُّ عنهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدق بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعيًا إلى الاهتمام بغذاء الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصيدته التي مطلعها:
غلاءً أهلك الفقراء جوعًا
وعُريًا، أهلك الله الغلاء

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين، ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.



يحبس قارئ شعر صقر الشيبب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو - أيضاً - ينصح قومه بالحرص على التكاتف، وينصح أمتة العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيراً بمأساة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه منادياً حاثاً مخبراً بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

الشكوى

أمضى صقر الشبيب حياته شاكياً متذمراً لما مر به من مآسي منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقدته لبصره، والإعلان عما يتحمله من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولو أنني أسطيعُ وحدي ازديارهُ
لكنت إليه الدهرَ متصلَ السير
ولكنني ما سرت وحدي مرةً
فعدت ولم تجرح جبيني يدُ الجدر
كأن لجدران الكويت جميعها
عليّ تراتٌ غير منسيّة الذكر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ربية في الشهر، فقال:

لا يدفع الجوعَ والعريَ اللذين هُما
شرُّ النوائبِ إيلاًماً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكمُ
في ردِّ هذين إلباساً وإشباعاً

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بالمحتاجين الذين يحس هو بحاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغني الألى تأبى غرائزهم
أن يذخروا نفعَ ما أوتوه سبحانا
كأنما استودعوا أموالهم فغدوا
على الودائع حراساً وخزاناً

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته قدم له أبياتاً جاء فيها:

إن الكويت أديبها في شقوةٍ
ممتددةٍ ليست بذاتِ نَفادِ

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:
كأني في الكويت على رواها
سكنتُ مفازةً حُفَّتْ ببيدِ
ولو أني حصلت على بلاغي
لما أعملتُ بالشكوى قصيدي

أما قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، فقد تحدث فيها عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أنى يرى وجهَ المسرَّةِ بارزاً
من لم يزل من أبأسِ البؤساءِ
يشكو طواهُ معلناً لكن إلى
أذنٍ - عن الشاكي الطوى - صمّاءِ
قلب الكويت من الشراسة مفعمٌ
لكن على مثلي من الأدياءِ

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جَهَدْتَنِي صُرُوفٌ دَهْرِي حَتَّى
غَيْرَ شَكْوَى صُرُوفِهِ لَا أَجِيدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فهذا هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو - آنذاك - في البحرين، فيقول له فيها:

فَلَيْسَتْكَ إِذْ رَحَلْتَ إِلَى «أَوَالٍ»
جَذَبَتْ إِلَيْكَ مِنْ صَقْرٍ زِمَامَةٌ
فَمُنِّيَتْهُ التَّرْحُلُ عَنْ بِلَادٍ
بِهَا مَشَقَاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَةٌ

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنه كابد ما فيه الكفاية، لقد عانى الفقر والإهمال، ولقي تهجماً شديداً من كثيرين ناصبوه العداء دون وجه حق، وما كان أمامه إلا أن يعبر عن أحاسيسه بما أنشده من أشعار كانت كلها صورة صادقة لما كان يتحملة من شقاء طوال حياته.

ومن أدلّ أشعاره على رغبته في مغادرة وطنه قوله:

لَمْ يَحُلْ فِي قَوْمِي مَقَامِي سَاعَةً
لَوْ أَنَّنِي أُسْطِيعُ مِنْهُمْ هَرَبًا
فَإِنْ أَقَمْتُ فِي الْكُوَيْتِ مَرْغَمًا
مَضْطَهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مَكْتَنِبًا

وقوله:

فَإِنْ تَضِقَّ الْكُوَيْتُ الْيَوْمَ عَنِّي
وَمَا ضَاقَتْ بِأَمْثَالِي الدِّيَارُ
فَكَمْ بِلَادٍ لِقَوْمِي الْعُرْبِ فِيهِ
سَيَحْلُو لِي مِنَ السَّعَةِ الْقَرَارُ

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشيبب لما يتعرض له المتنورون عادةً، فأولئك الذين نشؤوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تفتتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصة فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشيبب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وخلّوا في الديانات افتراقاً

يؤول بكم إلى الحرب العوان

ومن ثمّ أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ: عبدالعزيز الرشيد «ثم تمالأ هو وأسافلة مثله على قتله، ولكن الشاعر وقد علم بما يبببت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيماً فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكاتف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله ويقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فيا من به أمنت غير مقلدٍ

أدم بك إيماني بعيداً عن الخطر

فكم شبهة دكناء جُبتْ ظلامها

فكدت أضل الخرق فيه إذ اعتكر

ولو لم تنر سُرجُ العناية ليلها
لأفانيتُ فيه العمرَ أسري على غررٍ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصبونه العداة دون سبب جوهري، بل دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

ومما يزيد الحزنَ في القلبِ ضعفةً
ويُلهبُهُ بين الضلوعِ فيلتهبُ
صدود بني قومي إذا قام مرشداً
يذكُرهم بالشعر طوراً وبالخطبِ
وفي الصدا ما يثني عزيمة من غدا
لنصحهم تقريبه الدهر والخببِ
فكيف إذا ما زندقوه وأسبلت
على رأسه من مزن غيظهم سحُبِ

وهذا الذي (يُزندق) على حد قوله هو الذي يقول:

تأملت أديان البرية كلها
فما ركنت إلا لإسلامها نفسي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتفادى الهجاء، أو الإقذاع على الرد على من أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفاً عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويه جبن» تحدث فيها عن الذين يتجهمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إذا ما كاتبٌ أضنناه حقداً
على قُرَنائه بين الأنام
هجاهم ثم سمى الهجو نقداً
ليبقى خافياً سوء المرام

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوي الشريف يشاركهم شعراً غزيراً معبراً، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصيدته «أمع الحياة سعادة؟».

يا رب فاعفُ فليس لي إلا إلى
تأميل عفوك عن ذنوبي من مردِّ
يا من يؤمِّلُ عفوه الجاني وإن
فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَدُ
خوف الحساب على ذنوبي هدني
وعليك في التأمين منه المعتمد

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتبادلها مع الأستاذ عبدالمك الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما يفهمه البعيدون عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها «يوم الخميس» تحدث عن لقائه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبدالمك وقد حضرٌ لصاحبه ما يعتقد أن الشاعر يجب أن يستمع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يُمضيان وقتاً في تدارسها. وقد ضمت هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم الخميس. وفيها نرى تمكن صقر الشبيب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى إليه جميلاً لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه - بالتأكيد - ليس له أثر سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحذ الفكر لا لتغييبه.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدة له بعنوان «نظرة في السر الإلهي» تحدث فيها عن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤون الخلق جميعاً، دون أن يعلموا شيئاً عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في بحار الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنعم في جنان اليسر ومن هو يصطلي بنار العُسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر، ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

وإلا جردوا حسداً وغيظاً
على المثرين للحرب الحساما

فلم يدعوا براحتة غنيًّا
ولم يذروا على أرضٍ سلاما
ولكن جَلَّ من أجرى فأرضى
براياه بحكمته النظاما

هذا النظام الذي عجز الحكماء عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:

يقول بكنهها الحكماء ظنًّا
وعلم الكنه عنهم قد ترامي
إن النظم قد استعصت على الدراية.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيدته «لحكمة أتينا الدنيا» يبدؤها بنعي السعادة قائلاً:

ليس في الأرض من طريقٍ يؤدي
سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسمٌ بين الأنام شهيدٌ
ومسماهُ مستحيلُ الشهاده

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا حريصون على زيادة نسلنا وكأن الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم يكونوا ضدًا له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤهم منه شيء.. إذاً فإن هذا التدفق البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:

أوجدَ الوالدَ القديمَ لأمرٍ
سابعِ الكنمِ يقتضي إيجاده
فأتى الوالدُ القديمُ إلى الدُّنْ
يا اضطراراً كما أنتها الجرادهُ

ثم ينتهي إلى موضوع آخر يبينه على ما تقدم، مؤكداً أن كل إنسان يسير في حياته وفق الطباع المركبة فيه.

وفي قصيدته «يا عقل» نداءً إلى عقله الذي وجد أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عرض عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متتركا
ما لم يكن وفقه من كل منقول
فقلت لو لم يرد هذا مكوئنا
مني ومن كل معروف ومجهول
لما حشا الهام بالألباب قائمة
بالفرق ما بين مسموم ومعسول

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فأين
ما غاب من وجه تحريم وتحليل
وسد أذني عما القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قال ومن قيل

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يمحّص المعقول ويعرضه على المنقول فيأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزاً للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصقر الشبيب الذي لم يكن شاعراً فحسب بل كان عالماً قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدته «ظن جميلا بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد راقته هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأوردها في صدر كتابه «صقر الشبيب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرء لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سرعان ما يطأطئ رأسه عجزاً.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرء ارتيادها مهما أوتي من عقل، وفي مطلع الأبيات:

ولله فيما يفعل الله حكمة
يفوت بها كتمانها العقل والحسب
فمن حكمة فوق العقول سما بها
أطاف بنا حُشْنُ الحوادثِ والمُلسا
يُطيف بنا سَعْدُ الخطوب ونحسها
ويمنعنا تعليلنا السعد والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الأنصاري واسعة، تفي بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتقد» فقد شرحها شرحاً وافياً، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلي دلالاتها دون أي لبس.



هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجرى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأي حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.



هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرح فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقراً قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي

كان يكتهما، فلما جاءت قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:
إن شجاكم مني الأنينُ المديدُ
فَعذابِي بالفقرُ جدًّا شديدُ
كلما قلتُ ذات يومٍ سيمضي
منه عني اشتدادُهُ أو يبيدُ
عَنْ خُطْبٍ يَقُولُ إِنِّي كَفَيْلُ
أَنْ سَتَبْلَى يَا صَقْرُ وَهُوَ جَدِيدُ

والقصيدة طويلة جدا كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصاً عزيزاً عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمة عبّرت أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم والفقر والعزلة في وقت واحد:

أنا ما زلت في الكويت أغني
كل صوتٍ يشجى به الجُلمودُ
وهي تزداد قسوةً فغنائي
لشقائقي تَمَمَّةٌ ومَزِيدُ
فكان الكويت ما دمتُ فيها
قفصٌ فيه بلبلٌ غرَّيدُ

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يتربصون به الدوائر ويريدون تشويه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعاديه قد وصفته بما ليس فيه:

وصمّمتني حتى بجحدٍ إلهٍ
ما تمشَّى له ببالي الجحودُ
ويقيني بأن ربي - مُديلي
من ذوي الظلم - عُدَّتِي والعديد^(١)

وفيما ذكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضح من ذلك يؤكد إيمانه العميق.

(١) مديلي: ناصري.

القسم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعظم المرحوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.
نماذجٌ هذي من قريضي أنفُها
هديةً من لم يقن شيئاً سوى الشعيرِ
ومن لم يجد غير القوافي هديةً
فأهدى القوافي كان من بالغي العُذرِ
إلى روح من لو عاش ما بتُ شاكياً
من العسر ما قد كاد يأتي على عمري
إلى سالم الأخلاق والعذر كاسمه
ومسلم ما تحوي يداه من الوفر
فلم نَشْكُ في أخلاقه قَطُّ عالَةً
سوى فتكه في المال بالنائل الغمُر
فما زال حتى مات يُحيي عُفاته
بإرداء صنفَي ماله البيضِ والصفُر^(١)
فأمواله تشكو تسلط كفه
وسؤاله تقفو الشكِيَّة بالشكر
فما فرقت ما بين جزل نواله
وقُصَّاده شكوى اللُجَيْنِ ولا التُّبْرِ^(٢)
وما كان عن شكوى سوى المال وحده
إذا ما شكا الشاكي إليه بذى وقر^(٣)

(١) العفاة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفير: كناية عن الذهب والفضة.
(٢) اللجين: الفضة، والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.
(٣) الوقر: ثقل في الأذن.

كأن قد حمت سَمَعِيهِ شَكْوَى ثرائهِ
عُفَاةً أَياديهِ بِشُكْرِهِمُ الكُثْر
فذاك الذي لو لم يَغِيْبِهِ قَبْرُهُ
لما عدتُ من بؤسِي أَحِنُّ إلى قَبْرِي
فقد خُبْتُت من داء عَسْرِي بَعْدَهُ
حياتي التي طابت بِأَيامهِ العُزْرِ
ولو لم يَزَلْ حَيًّا لَأَتَّبِعَ عَأْتِي
من العسر يشفيها دواءً من اليُسْرِ

الإيمان عون لتخفيف الأعباء^(١)

عطفتُ عليَّ البصرةُ الفيحاءُ
والساكنون ربوعَها الكُرماءُ
من كلِّ ذي كرمٍ يحلُّ بنفسه
قممَ الثناءِ المجدِّ والعلياءِ
جُبلوا على حبِّ المكارمِ والورى
- لولا المكارمُ - والوحوشُ سواءِ
وجلائلُ الأفعالِ ألسنةُ لها
عن حسنِ ما جُبلوا عليه جلاءِ
تلك التي لولا إبانثها استوت
في قدرها الكُرماءُ واللُّؤماءُ
والدرُّ لولم يبدُ سرُّ جماله
ما كان دون مقامه الحَصباءِ
الكلُّ يهوى أن يكون لِبأسه
مما يحوكُ الحمْدُ والإطراءِ
وببيتٍ يشغلُ مدحهُ السُّمراءُ ما
باتت تُسامرُ بعضها السُّمراءُ
ومن الصعوبةِ في مكانٍ نيلُ ما
مالت إليه بأهلها الأهواءِ

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصره فيه على ما كان يشكو منه.

والصعبُ مهما شاقَ دون مناله
يمنى اللئيم من الورى شلاءً
أنى يفوز به لئيمٌ عرضُهُ
لحطامه من سائلٍ فيه فداء
يهوى اقتناء الحمد ثم يعوقُهُ
عنه من البُخلِ الذميمة إباء
فالمقتنون جمال ما نسجَ الثنا
قومٌ لهم بالمنفسات سخاء^(١)
لهمُ على فقر الفقير إذا غدا
مستعدياً جدواهمُ إعداء^(٢)
يجد الرجاء من المقلِّ حياته
بهمُ إذا ألوت به البخلاء^(٣)
لهمُ إذا سُرَّ الشحيحُ بمنعه
حاجَ الفقير ببذلهم سراء
متسابقى بذل المعونة ما أتت
ترجو المعونة منهم الفقراء
ومتى يضيق ميسورٌ وجدهمُ بما
منها لأملٍ رقدهمُ قد شاءوا^(٤)
عمدوا إلى استخدام جاههمُ له
حتى يرى ما ضاق وهو فضاء
هذا هو الفضل الذي بسلوكة
منهاجُهُ تتنافس النبلاء

(١) المنفسات: الأشياء النفيسة.

(٢) استعداد: استنصره واستعانته، والمستعدى الطالب النصرة، وأعداء أعداء نصره. والجدوى: العطية.

(٣) الوى بالشيء: ذهب به.

(كـ محمد طه) الذي بلغت به
 خير الأنام النسبة الغراء
 من لو شككنا أنه ممن جلا
 من دينه ظلم الخلال ضياء
 عنت تبدل شكنا بيقيننا
 في ذاك منه السيرة الحسنة^(١)
 والسحب توقن أن مصدرها إذا
 غمرتك منها بالحيا الدماء^(٢)
 لله (طه) من طبيب طيب
 للعقل والجثمان فيه شفاء
 إرشاده يشفي النهى ويعرفه
 تلقى شفاء جسمها البؤساء
 داوى بخير النصيح عقلي وانبرى
 منه لجسمي بالجميل دواء
 هذا هو الطب المفيد لمن به
 من فقره أو جهله أدواء
 ما كان للدائين في أهليهما
 - لو شاع - ذاك الفتك والإبلاء
 لكنه طب يعز وجوده
 في بيئة ندرت بها الفضلاء
 ويقل أهل الفضل في الوسط الذي
 للجهل والإمساك فيه ثواء^(٣)

(١) عن لك الشيء: ظهر أمامك.

(٢) الحيا: المطر. والدماء: البحر.

(٣) ثواء: طول إقامة.

فالجَهْلُ والإمساكُ إن عَكُفا على
وسطِ فما للفضل فيه بقاء
وأرى محيطي منها لَمَّا يَزَلُ
ففيه بلاءٌ فإدحُ ووباء
فإذا على قومي جرى من مقلتي
- طوعَ الشجون الجريات - الماء
فلأن ذلك كُلُّ ما أسطِيعه
جهد المقصِّر في الخطوب بكاء
من لي بكالفياض يشهرُ فيهمُ
قلماً جناه حكمةٌ وحِجاءُ^(١)
فعساه يَبْلُغُ منهم الأسماع ما
في العالمين لهم به إحياء
فلَذاك أحرى أن تعود قلوبهمُ
منه لغالي النصح وهي وعاء
حُرٌّ يَخِفُّ عليه من إرشاده
ما لا تُقِلُّ الهُزْبَةُ الشَّمَاءُ^(٢)
وإذا تولى المرء من إيمانه
عونٌ عليه خَفَّتْ الأعباء
ما انفكَّ يُتْبِعُ بالنصيحة مثلاًها
كأجل ما تأتي به النُّصَحَاءُ
إقرأ «صدي الشبان» تعرفُ فضلُهُ
فلفضله إضمامُها إبداء
والزُّهرُ لا تخفى حقيقة طبعه
ما مرَّ بالأناف منه شذاء

(١) الحجا: العقل.

في كل أسبوعٍ تُعيدُ رنينها
بالخير من ذاك الصدى أصداء
إني لأصغي نحوها فيزيدني
مِقَّةً (لطفه) ذلك الإصغاء^(١)
ولحسبنا منه نصائحهُ التي
للخير منها في النفوس نماء
لكن «طه» ما أكتفى حتى انثنى
ولعُرفه مع نصحه إسداء
منه تداركني ومن إخوانه
في الفضل سعيٌ نافع وجِبَاء^(٢)
حين الممضُ من الخصاصة أهدقتُ
بي منه - أو قد كادت - الأسواء^(٣)
فلهم على معروفهم شكري وهل
للعُرف من شكر الشُّكُورِ كِفَاء
كلًّا ولكن من حقوقِ جميلهم
أن لا يكون لشكرهم إغناء
فلذا سَأبقي شاكرًا ما لم يَعُقْ
بالصمت جائلَ مِقُولِي الأرداء

(١) المقة: الحب.

(٢) الجبَاء: العطاء.

(٣) الخصاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبد الله الخلف الدحيان^(١)

ما بعد فقدك للكويت عزاءً
أنتى وأنت بجسمها الحوياء^(٢)
ما مت أنت وإن حوتك حفيرةً
لفظتك فيها الآلة الحدياء
كلاً ولكن الكويت هي التي
ماتت وماتت ضمنها الأحياء
ما كان موتك غير سأم جنةٍ
فيها تدوم لمثلك النعماء
عجبت فمدته ليفضي مسرعاً
بك نحوها من ربك الآلاء
أصبحت للفردوس عنا راحلاً
عجلان مذ منها أتاك نداء
فغدا رحيلك للكويت وأهلها
موتاً زواماً ما به إبقاء
كنت القوام المعنوي لموطنٍ
فدحت عليه ببينك الأرزاء^(٣)
إن فزت بالمحيا المؤبد بعده
فالبعد منك أتاه وهو فناء

(١) كان المرحوم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار غزيرة يوم وفاة الشيخ عبد الله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة.

(٢) الحوياء: النفس.

وإقامة العلماء محيا شعبيهم
وحيما أنه أن ترحل العلماء
فإذا عن الأقوام من علمائهم
غربت بجنات الخلود ذكاء^(١)
فأبسط إلى الأقوام كف مودع
فلقد تنبّه فيهم الإرداء
غادرت أمواه العيون جواريا
أسفا عليك تمدن دماء
فاعجب للأمم أسال دموعهم
حي أتاه من الإله دعاء
ولقد بكتك وقد أحست قبلنا
منك الفراق الديمة الوطفاء
قد غاض ماء جفونها حتى إذا
أزف الترحل منك فاض الماء
أحشاؤها ذابت بنار تنهد
تدعى البروق فسالت الأحشاء
حتى لخفنا أن نعم بسيلها
دور الكويت الهدم والإبلاء
وغدا يرى الغيث الذي هو رحمة
كل من السسكان وهو بلاء
وكذا لفرط مزيدها أو نقصها
عن حالها تتحول الأشياء
لبثت تنوح وتكتم السر الذي
ناحت له من فوقنا الأنواء

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حتى رحلتَ فعادَ سِرُّ نواحيها
يوم الرحيل وما عليه خفاء
فثنى رحيلاً كل مقلّة مسلمٍ
بالدمع وهي سحابة غراء
حتى انتنت طوع الشجون عيوننا
هي والسحاب في البكاء سواء
إن كان وصفي أمس عندك شاعراً
فاليوم وصفي النائح البكاء
أو كنتُ قبل نواك بُلبُلَ معشرٍ
فيهم قريضي سار وهو غناء
فالبعد منك أعادني بنياحتي
وأنا حمامة أيكة ورقاء
لو كان شعبي بالتناسخ مؤمناً
يا (صخر) أيقن أنني (الخنساء)^(١)
ما عن أبي خلفٍ لِنَفْسِي سلوةٌ
ما لم يتح لي من علاه لقاء
ما زلت أخشى من صروف منيَّتي
أيام أدنو منك حين أشاء
واليوم قد أصبحتُ أستشفى الردى
والموت في بعض الظروف شفاء
إن كان داء الخلل نهج لحاقه
بالخل فالداء المميت دواء
شقيت بك الغبراء يوم هجرتها
ولطالما سعدت بك الغبراء

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائمة البكاء على أخيها صخر.

جَنَّتْ عَلَيْهَا بَعْدَ بَعْدِكَ لَيْلَةٌ
مُرْبِدَةٌ أَرْجَاؤَهَا لَيْلَاءٌ^(١)
ضَلَّتْ بِحِنْدِسِهَا سَبِيلَ عَزَائِهَا
إِنْ كَانَ بَعْدَكَ لِلْعِزَاءِ بَقَاءٌ^(٢)
لَمَّا نَعَوَّكَ إِلَيَّ أَحْيَا قَوْلُهُمْ
فِي الشَّجُونِ فَمَاتَتِ الْأَعْضَاءُ
وَإِذَا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دَائِرَةٌ عَلَيَّ
جَسَدِي تَضُمُّ إِطَارَهَا الْأَسَاءُ
فَسَجَدْتُ فَوْقَ التُّرْبِ لَا لِتَعْبُدٍ
لَكِنْ لِأَمْرِ شَاءَهُ الْإِغْمَاءُ
فَلَبِثْتُ فِي الْإِغْمَاءِ بَضْعَ دَقَائِقٍ
فِيهِنَّ مِنْ حَسِيٍّ أُسْتَتَبَّ جَفَاءُ
ثُمَّ انْتَبِهْتُ بِحَالَةٍ مَرْهُوبَةٍ
مِنْهَا غَدَتِ تَرْتِي لِي الْأَعْدَاءُ
مَتَمَنِّيًّا أَنْ لَمْ أُفِقْ مِنْ صَعْقَةٍ
مَرَّتْ وَزَعَزَعَهَا عَلَيَّ رِخَاءٌ^(٣)
نَبَأٌ أَمَاتَ الصَّبْرَ إِذْ أَحْيَا الْأَسَى
فَاعْجَبَ لِمَوْتِ طَيْئِهِ إِحْيَاءُ
فَكَأَنَّهُ دَمْعُ الْغَمَائِمِ إِذْ أَتَتْ
وَلَهَا عَلَيْكَ تَلَهُّفٌ وَبِكَاءُ
شَقَّ الثَّرَى عَنْ كُلِّ رَوْضٍ مَيِّتٍ
مِنْهُ بِجَوْفِ التُّرْبِ طَالَ ثَوَاءُ

(١) جَنَّتْ: أَظْلَمَتْ. مُرْبِدَةٌ: مُظْلِمَةٌ.

(٢) الْحِنْدِسُ: الظِّلْمَةُ.

(٣) رِيحُ زَعَزَعٍ: شَدِيدَةٌ. وَرِيحُ رِخَاءٍ: لَيِّنَةٌ.

وثنى المباني وهي صرعى لم تكد
من جُلّها تَتماسك الأجزاء
حتى كأن قُوى مَشيدِ بنائنا
سأمُ عراها منه أو بغضاء
فتجرّدت منه لسكنى غيره
فإذا النبت يدبُّ فيه ذمّاء^(١)
فأتته أويّةٌ إليه فانثنى
نشأً بسكناها له ونماء^(٢)
فالنبت يعلو والمباني تنحني
بِنَوَاكٍ فهي الخفضُ والإعلاء
فمن المباني في البلاء شكّيّةٌ
ومن المنابت في النماء ثناء
فهما لفقدك ينظمان مراثياً
فالشكو يصحبه الثناء رثاء
ما إن رأينا قبل فقدك عالمًا
ترثيه قط منابتٌ وبناء
وإذا غدت ترثي المنابت والبُنى
عادت كأخرسٍ ما ترى الشُعراء
وإذا عييتُ عن الرثاء ولم تكن
بالعبيّ تَعرِفُ مقولي اللأواء^(٣)
فكذا غريب الفضل يأتي نأيه
وبه لكل غريبيةٍ إدناء

(١) الذمّاء: الحركة وبقية النفس.

(٢) النشأ: الصغير الذي ينشأ.

(٣) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

إيهٍ أعبد الله قل لي هل أتت
عنا تصافح سمعك الأنبياء^(١)
فعلمت أني من نواك بحالة
من مثلها تتمثل الأسواء
ما بين أحزانٍ إذا أخفيتها
أضحى لنا بدموعنا إبداء
تبدو وتخفى بالدموع وبالأسى
هذا لنا سترٌ وتلك جلاء
فكأننا سفنٌ لنا من حالنا
موجٌ مضت بسكونه نكباء^(٢)
جزع تمشئى موعلاً بنفوسنا
وبها تمهدُّ سبيلها البرحاء^(٣)
حتى غدا ولهُ على أعماقها
بوطائها وغطائها استيلاء
مهما أرادت كبتته أو طرده
عنّ الأسى وأعانهنّ حجاج
غضبِ الوفاء عليهما مستبقياً
جزعاً له بصوابنا إلواء^(٤)
إن كان حظك من نواك سعادةً
فنصيب قومك من نواك شقاء
فاهناً أبا خلف بمنزلك الذي
أبدأً يُجلُّ جانبيه صفاء

(١) إيه: كلمة استزادة واستنطاق أي زدني وأخبرني.

(٢) النكباء: كل ريح انحرقت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.

(٣) البرحاء: الشدة والمشقة. وخص بها بعضهم شدة الحمى.

(٤) ألوى بالشيء إلواء: ذهب به.

فهناك لا حسدٌ ولا حقدٌ ولا
 مكرٌ ولا غدرٌ ولا شحناً
 وهناك لا كذبٌ ولا غشٌ ولا
 زورٌ ولا كِبْرٌ ولا خُيلاء
 وهناك لا شحٌ ولا ذو نعمةٍ
 عنها تُذاد بجوعها البؤساء
 وهناك لا تلقى وداً صَحبَةً
 يتلونون فكلهم حِرياء
 وهناك لا كيدٌ ولا ذو حيلةٍ
 بشباكها بُلَّةُ الورى أُسراء^(١)
 وهناك لا جبنٌ ولا ذو صولةٍ
 وجلاً تُحِيا بي رأيه الآراء
 وهناك لا ظلمٌ ولا ذو قوةٍ
 منه تخاف السطوة الضعفاء
 وهناك لا طمعٌ ولا ذو ثروةٍ
 تعنوا لوجه ثرائه البُسطاء
 وهناك لا أغراضَ تمنعُ أهلها
 أن ينصروا حقاً ولا أهواء
 وهناك لا نسبٌ به يعالو الفتى
 إن خانته حسب ولا أزياء
 وهناك لا استهزاء ينسج ثوبه
 الميامُ حادثةٍ ولا إزراء
 وهناك لا بؤسٌ تثير رياحه
 تُهمماً على العافي ولا ضراء^(٢)

(١) البُلَّة: جمع الأبله، وهو الذي لا عقل له.

(٢) العافي: طالب المعروف.

وهناك لا حشرات في صور الورى
منهن يؤذى منطلقُ ورواء^(١)
وهناك لا تقضي الخيانة أن ترى
ذممًا تداس كأنهن حذاء
وهناك لا ملقٌ ولا مذقٌ ولا
أشُرٌ ولا بطرٌ ولا فحشاء^(٢)
تلك التي قد كنت تمقتُّها ومن
مرأى ذويها في الأنعام تُساء
أصبحت تأمن أن تراها مرةً
أخرى فمنهن الخلودُ خلاء
ما ثم من كدرٍ ولا عكرٍ ولا
عيشٍ تمرُّ بصفوه الأقداء^(٣)
فاهدأ وطب نفساً فقد نلت التي
فيها يحفُّ الساكنين هناء
مضت الليالي الأربعون وكلها
منها الدقيقة حجةٌ شهباء^(٤)
طالت فما ندري أضلَّتْ قصدها
فغدت تدور كأنها أرحاء
أم أنها افتقدت علاك فعاقها
عن سيرها في بحثها استقصاء
أم أنها علمت ببيئك فاعتري
أعضاءها من حزنها استرخاء



(١) الرواء: المنظر الحسن.

(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشُر: البطر أو أشد البطر.

(٣) ثم: هناك. والأقداء جمع قذى وهو ما يرعى به.

(٤) الحجة: السنة.

يا من على جزعي أتاني لائمًا
إن شئت بي أن تجدي الأوماء
فمُرِ الشجونَ يدعُنَ قلبي إن يكن
منها إلى قول امرئٍ إصغاء
فلقد غدا ما بينها وكأنه
كُرَّةٌ تناوب قذفها اللُعباء
أو لا فدعني جازعًا متلهفًا
واذهب فما للأوم بي إجداء
فلقلما انتفعت بكحلٍ - ذرَّةُ
فيها الطبيب - المقلَّةُ العمياء
يا من إلى الجنات سارع إننا
مذ سرت في نار الأسي حلفاء
أغرَّت بنا نار الأسي منك النوى
فلها بنا طوع النوى إبراء^(١)
خُطْبًا وأشعارًا يخال كلامنا
في مثل هذي الحفلة الجهلاء
وكلامنا هذا العمرُ فقيدنا
من حرَّ نار شجوننا ضوضاء
يا من بمناه التظت أشجاننا
أيتاح يومًا ما لها إطفاء
أم هكذا نبقى فتبقى تشتكي
لفحاتها الشعراء والخطباء
إني عهدتك لا تجيءُ بغير ما
منه لمثلي في الورى سراء

(١) أورت إبراء: اتقدت.

فعلام جئت من الرحيل بما به
 عمّ القلوب من الغليل عفاء
 ماذا أرابك والقلوب جميعها
 لوداك المحض الصريح وعاء
 فرميت عن قوس الفراق صميمها
 بسهام حزن شأنها الإصماء
 ما كنت أحسب أن تحول لحادث
 فتحول منك الغادة الحسناء
 هذي الكويت بمن بها قد أصبحت
 نشوى تميد وما بها الصهباء^(١)
 عكست بنا العاد الجميل يد النوى
 فمن الدواء بها أتانا الداء^(٢)
 لو لم تُنر شمس الضحى سبل الورى
 لم تُشكهم بأقولها الظلماء^(٣)
 لو لم تك الدماء محيا حوتها
 ما ضارهُ أن تنضب الدماء^(٤)
 فاذهب عليك تحية من راحل
 بكت الكويت رحيله جمعاء
 فبكاك مُصلحها ابن عيسى عالماً
 أن البكاء على علاك وفاء^(٥)
 وبكاك مبيكى يوسف أهل النهى
 فغدت تعيد صداهم الدهماء

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) العاد: جمع العادة.

(٣) لم تشكهم: لم تزل شكواهم ولم تعتبهم.

(٤) الدماء: البحر.

(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فالقوم عن تقليدهم أو علمهم
مما به يبكون حُلَّ وكاء^(١)
فالدمعُ تنثر نظمهُ أجفانهم
والشعرُ تنظم نثرهُ الفصحاء
فكانت استودعت ألسنة الورى
وعيونهم دُرّاً فحان أداء

(١) الوكاء: كل سير أو خيط يشدُّ به فم السقاء أو الوعاء.

الحر من يابى الهوان

أحب أن تلقى الإهانة مَرَّةً
أخرى كما حَقُّدُ المدير يشاءُ
لا خير في رزقٍ تُصَادِفُ دونه
ما لا تطيق من الأذى وتُساء
حتى الحياة إذا خلت من عِزَّةٍ
داءٌ لمثلك والجِمام دواء
ما الحُرُّ إلا من تَأَبَّتْ نَفْسُهُ
سَوَمَ الهوان فهل لديك إباء
ولأَعْذَرَ العِقلَاءِ يوسفهم إذا
وأفاهُ عذرك والتَرَدُّدُ داء^(١)
أتخاف غير قبول عذرك إن قضى
بقبوله منه عليه حِجاء
أيرد عذرك عاتبًا أو لائمًا
وكما علمت تُقاه والآراء

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي^(١)

أكذا يكون تواضع الكُبراءِ
وتلطفُ العلماء بالشعراءِ
كلًّا ولكنَّ التواضعَ شيمَةً
لزعيم تونس نُدرَةَ الزعماءِ
وافيتَ بالتبريك في العيد امرءًا
خلعَ القضاء عليه ثوبَ شقاء
فأريته وجهَ السرورِ وطالما
سَتَرْتُهُ عنه سواترُ اللأواءِ^(٢)
أنى يرى وجهَ المَسْرَةِ بارزًا
من لم يزل من أبأسِ البؤساءِ^(٣)
يشكوطواه معلنًا لكن إلى
أُذُنٍ - عن الشاكي الطوى - صَمَاءِ^(٤)
قلبُ الكويت من الشراسة مفعمٌ
لكن على مثلي من الأدباءِ
الناصحين المخلصين بنصحهم
النايذين خداعها الصُّرَحَاءِ

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي ورأى من تواضعه ما أعجبه.

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٣) أنى يرى: كيف يرى.

(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسلُ الصيحاتِ فيها منذرًا
 من قسوةِ طالت على النُّصحاءِ
 فتعيرُ سمعَها صياحي عأها
 تُلفي بذاك مبررًا إقصائي
 أما الألى اتخذوا الدهانَ شعارهمُ
 فيها فما زالوا من السُّعداءِ^(١)
 تحنوُّ حنوُّ الأمهاتِ عليهمُ
 وهمُ إليها طُرقُ كلِّ بلاءِ
 وترى تقدّمها - وهذا شأنها
 مع أهلها - من ممكن الأشياءِ
 فأظلمُ فيها ضاحكًا من رأيها
 ضحكًا يقطّعه مريّرُ بكائي
 قد عزّني فيها البلاغُ لأنني
 ما شبتُ إخلاصي لها برياءِ^(٢)
 من لي بها بلدًا إذا استوطنته
 أحرزتُ فيه مُسكّةَ الحوباءِ^(٣)
 ما الرأى يا «عبدالعزیز» ففاقتي
 في ليلها عني اختفت أرائي
 أرني طريقًا للتخلص مفضيًا
 من حالةٍ في موطني نكراءِ
 ماذا ترى غيرَ الرّحيلِ فقد أبي
 هذا عليّ ثقیلٌ قييدِ عمائي

(١) الدهان: بمعنى المداينة وقد ورد داهنني مداينة وهي اظهار خلاف ما يضمن، هذا ومصدر فاعل الفاعل والمفاعلة.

(٢) عزني: غلبني وقهرني.

(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحوباء: النفس.

كن لي برأيك منقذاً فالرأي قد
يكفي لتخليص من البرحاء^(١)
أو لا فسَلْ وَعَزْ مني أرملاً
فجَعَلَتْهُ شِقْوَتُهُ بِكُلِّ عِزَاءٍ
فلقد تكونُ التعزياتُ مريحةً
من لم يجدْ في العيشِ غيرَ عناءٍ
لا سيَّما وزعيمٌ تونسَ ناظمٌ
منها النثيرَ بحكمةٍ ودهاءٍ

(١) البرحاء: الشدة والمشقة أو شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجهلُ داءٌ الشُّعْرُ عندي وحده
والعلمُ في رأيي أجلُّ دوائِهِ
فالشعبُ من مالٍ وعقلٍ لم يكن
خُلُوقاً ولا من حزمِهِ وذكائِهِ
لكن من العلمِ الذي هو نوره
في سُبُلِ مَحْيَاهُ إلى عليائه
وإذا البصيرُ عداه نورٌ في الدجى
حاكى البصيرُ العُمِّيَ في ظلمائه
فأهْبُ بشعبك للعلومِ فإنه
يحظى على ما أرتئي بشفائه
الشعبُ عِلَّتُهُ افتراقُ مهلكُ
والإتحادُ لديَّ خيرُ دوائِهِ
لكن إذا بَنَتِ الوئامُ يَدُ الحِجَا
وبنى الحِجَاءُ العِلْمَ من علمائه
فالعلمُ عند اللُّبِّ يزكو والنهى
كلُّ اتِّحادٍ راقٍ من إنشائه^(١)
فالعلمُ أصلُ الخيرِ في أصحابه
والجهلُ أصلُ الشرِّ في أسرائِهِ

(١) النهي: العقول، جمع نهية.

ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

ليأمن لَدَعِ هَجْوِي كُلُّ قَاصٍ
ودانٍ في السورى مهما أساءَ
فإنى قد رأيت أحقَّ شيءٍ
بالغناء من الشعر الهجاء
لعقلي راضٍ طبعي الشيبُ حتى
إلى إذعانهِ رَدَّ الإبياء
فطبعي طوع عقلي منذ أبدأتُ
بظهري بسطة العمر انحناء
وشيبك نعمة إن فيه لبي
لعقلك جامع الطبع النداء
فمنذ كبرتُ داعي الهجو ألقى
سراع قصائدي عنه بطاء
وكان العقل ينهى عنه قبلاً
وليس يرى من الطبع انتهاء
فهل قوَى المشيبُ العقل أم هل
به لبست قوَى الطبع انحناء



وأما ما نطقت به قديماً
لأجزى من تمنى لي الشقاء

فممنه أمتُّ ما مَحْيَاهُ يُثْنِي
 من المهجِّو لِكدر الصِّفَاءِ
 فأبقيت الذي لا بأس فيه
 عليه حَسْبُ مَالِي قد تراءى
 وإن يوجع فأيجاعُ خفيفاً
 كما استذكرتَ بعد البُرءِ داء
 وإتلاف الجميع علي أشهى
 فليت جميعه ولَّى جُفَاءً^(١)
 فلست أحب ذكراه ولكن
 سوى ما شئتُه التاريخ شاء
 ولم أنظِمْه حتى الجؤوني
 إلى نظميهِ ظلماً واعتداء
 وسُقم المرء يُلزمه أنيناً
 على حسب التأذي واشتكاء
 وقد يهذي المريض وأيُّ حُرٍّ
 تراه منكراً منه الهُذَاءِ
 أساءوا في معامليتي إلى أن
 عصيت به ضميري والحجاء
 ولم أنطقه مفترياً ولكن
 هُما كَرِهَاهُ صدقاً وافتراء
 ولم أفحش علي أحدٍ بهجوي
 ولو أدنت يدها لي الـثواء^(٢)
 فهُجْرُ القول ينكره ويولي
 إليه الهَجْرَ طبعي والصفاء

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.

(٢) الثواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أينسج منطقي منه غشاءً
لمهجو الأعادي أو رداء
ونفسي منه تآلم ما أحسّت
لأيسره إلى سمعي ارتقاء
ولم تُولِ التفاتتَها احتقاراً
فتى يهذي بفحشٍ وازدراء
أنطقُ ما أضيق بناطقيه
كمن جمع الجهالة والغباء
يعدُّ سماعه سمعي بغيضاً
لما يلقي إذا سمع الغناء
فلو خيِّرتُ في صممي وفيه
رأيت عليه للصمم اصطفاء
فشعري منذ قلتُ الشعر طفلاً
بريئاً كان من فحشي خلاء
ويوجع من هجوت على اجتنابي
به الإفحاش صوناً واعتلاء
ولم أصدم به يوماً سوى من
أبوا إلا مصادمتي التواء
دفاعاً لا هجوماً كان كي ما
أعيدُ به التواءهم استواء
أبت لي غير قول الهجو فيها
أناسٌ أوسعوا نفسي عناء
ومن تُخرجه تُخرجه ولو لم
يُرْفُه أن يناصر بك العداء
لزمت رجاء كف الشر حتى
تَنوُ مني إلى اليأس الرجاء

فليت الكل منهم من مُثيري
عليه من مساعيه ثناء
فكان الكل منا مستريحاً
مدى الحيا ختاماً وابتداء
بلاءً حياتنا يكفي فما لي
أرى المـؤذنين زادوها بلاء
صوابُ الرأي في أن لا يضيفوا
لنار بلائها إلا انطفاء
وقد خفي الصواب على نُهاهم
فببرِّحْ عنه يا ربي الخفاء
وصيِّرْ عفوك المرجو عنهم
على ماضي أذيتهم جزاء
فأكره ما كرهتُ عذاب غيري
لأجلي ما أتى ضدي وجاء



عجبتُ لعاشقٍ تنغيصَ عيشي
ولم أعشيق له إلا الهناء
فكم رجلٍ - ولم أذنب - أرتني
مساعيه مساءاتي ولاء
كأنهم رأوا في مُسخطاتي
إذا كثُرتْ لأنفسهم رضاء
وأعرف سِرَّ ما يأتيه مؤذٍ
فيأبى عنصري عنه انتماء
فخُلفُ العنصرين اليوم داءً
تخيب إذا طاببت له دواء

وأجهلُ سِرِّ مِقتٍ، عنه كانت
أداة لا أطيق لها لقاء
رمت عن قوسها قلبي بنيلٍ
جروح شبيهها تأبى الشفاء
مساعي معشرٍ والكل منا
بنسبته إلى قحطان فاء
وأقتلُ من رماك أخُ تَمَنَّى
له أنت السعادة والبقاء
فلم أر كالأذية من قريبٍ
رعيت له قرابته وفاء
فمزدوجُ بقلبي كل جرحٍ
به من يعرِّي الأصل بفاء
لأن السهم منه إليّ فيه
له شِرْكٌ فيقتلنا سواء
فإن أبكى أذاه عليّ عيني
رأيت لها عليه معي بكاء

الكويت وبغداد^(١)

حَسَدت بك الزوراءَ غيرَ ملومةٍ
أرضٌ بثثت العلمَ في أبنائها^(٢)
عجّلْ مآبكَ للكويت مبادراً
أن يفتك التحسيدُ في أحشائها
حَسَدت وقد علمت بأنك زائرٌ
دارَ السلامِ اليوم من جرّائها
وتحاسدُ البلدانَ داءً معضلاً
مذ كانت الدنيا على علمائها
يا من به ارتقت الكويتُ إلى العلا
حتّام أنت تكدّ في إعلائها
استبق مهجتك الكريمة إننا
في حاجة كبرى إلى استبقائها
إن كنت تكدح للمعالي فاتئدُ
فلقد سكنت اليوم في حوبائها^(٣)
أبرزت تاريخ الكويت يميني في
حلل الصراحة حالياً بحلائها
لم تخش لومة لأئميك مصرحاً
فظفرت من أحرارها بثنائها
أبديت كل حقيقة فيه كما
كانت وما دأست في إبدائها

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.
(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهنا يراد بها بغداد.

فأُتِبْتُ عَلَى نَشْرِ الْحَقَائِقِ عَالِمًا
أَنَّ الْحَقَائِقَ أَنْتَ مِنْ أَمْنَائِهَا



أَمَا نَوَاكَ فَأَشْعَلْتَ فِي أَضْلَعِي
نَارًا إِلَيْكَ الرَّأْيُ فِي إِطْفَائِهَا
أَشْوَتُ نَجِيثَ الْبَيْنِ أَسْهَمُ سَلْوَةً
لَوْلَا نَوَاكَ عَجِبْتُ مِنْ إِشْوَائِهَا^(١)
مَذْ أَسْهَمُ الْجَزَعِ الْمَمِيتَاتُ أَنْتَنْتِ
مَفْتَرَةً بِحَشَايِ مِنْ إِصْمَائِهَا
إِحْيَاءُ نَفْسِي عَنْ لِقَائِكَ نَاشِيٌّ
قَلَّ لِي أَتَسَلُوَ النَّفْسُ عَنْ إِحْيَائِهَا
تُصِيبِي إِلَيْكَ النَّفْسُ فَيْكَ خَلَائِقُ
لَمْ تَنْجُ حَتَّى الْعَمِيٍّ مِنْ إِصْبَائِهَا
فَالشَّمْسُ تَسْبِيحُ فِي السَّمَاءِ مَضِيئَةً
رَأَدَ الضَّحَى بِالْتَمِّ مِنْ أَضْوَائِهَا^(٢)
كَلًّا وَلَا تَصْفُو قَرِيحَهُ شَاعِرٍ
هَبَّ أَنَّهُ «حَسَانٌ» مِثْلَ صَفَائِهَا^(٣)
عِشْ وَأَبْقَ مَحْمُودَ الْخَلَائِقِ آمِنًا
أَنْ تَنْتَثِرَ الْأَيَّامُ نَظْمَ بَهَائِهَا^(٤)



(١) الشوى: اليدان والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماء فأشواه، إشواء: أصاب شواه ولم يصب مقتله. والنجيث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روي عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يثبتها ولم تات في الديوان.

دنيانا سراب

يَجِدُ خِصَامُهُمْ فِيهَا سَفَاهًا
وتسمع كالذئب لهم عواء
وما أنفكت لياليهم تريهم
مكاره صُنْعِهَا بِهِمْ ولاء
فما جفت جفون الحي منهم
على موتى أحببته بكاء
وينسى أنه لا بُدَّ ماضٍ
على الآثار صبحًا أو مساء
فتلقى صنعه فيها نهارًا
وليلًا صنع من أمن الفناء
يوصل للتكثير من جناها
توارث من نوى فيها التواء
فينعكس المرام عليه حتى
يرى منساع أنعمها شجاء
ويقتل نفسه من حيث يبغي
زيادتها من الحيا عناء
ولم تبحر مطامع كل نفسٍ
تزيد بلاءً محياها بلاء
وهل غير المطامع للبرايا
مناهلُ وِردِها يُردي الظماء

فلو هجروا المطامع لم تُشاهدُ
لبعضهم على البعض اعتداء
ولم يعرف بنو الإنسان هزاً
لرمحٍ أو لصارمٍ انتِضاء
فلا طعنٌ ولا ضربٌ عليهم
يجرّان الإبادة والعفاء
وعاشوا إخوةً لا سعي إلا
إلى محض المبرّةِ أصدقاء
مُجافين الخيانة والتعادي
مُصافين المودة والوفاء
ولو كانوا كذلك لاستطابوا
ضُحى المحيا ولا زَمّوا العِشاء
فلم تُفجّع براحتها نفوسُ
تمنت من متاعبها الثواء
ولا أخذت مأخذها شجونُ
وأكدارُ طوت عنها الصفاء
ولكن لم تدع لهم صواباً
مطامع قد أبت إلا النماء
قويهم على ذي الضعف يرجو
لحيالته المدمرة انطلاء
فإن تمت فذلك ما رجاه
وإن فشلت يكاشفه العداء
فتذكونار حربهم لتلقى
بها أنوار عيشهم انطفاء

يدوس الناس هَامَ الناسِ سعيًّا
وراء فخرول دنياهم غيباء
أحِرْصُهُمْ على الدنيا ليمضوا
به عنها سرعًا لا يبطاء
يخيل حِرْصُهُمْ إن لم يُجَنِّوا
لها حبًّا شديدًا بل قلاء
كأن الناس منها قد أرادوا
تخلُّصَهُمْ ملاً واجتواء
أما علموا بأن الحرص داءٌ
وليس سوى القنوع له دواء
فمالي لا أرى لهم إليه
- وقد وضحت معالمه - اهتداء
ولو قنعوا استراح الكل منهم
وفاتوا ما يسوؤهم وساء
تخاصمهم على الدنيا شديدٌ
مديدٌ لا أظن له انتهاء
إلى أن تُنهي الحيا وغاهم
كما منهم لعين الحرصِ شاء
قد افتتنوا بها إذ لم يشيموا
لها كنهًا كما شاموا الرُّواء^(١)
ولو سألوا الحجا عنها وأجلى
لهم عن كنهها الخافي الغشاء
لعزك أن ترى أحدًا يبالي
لها هدمًا يُتاح ولا بناء

(١) الرواء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصاماً قطُ فيما
يراه العقلُ ألا أو هباءً^(١)
وأصبح زهدُهم فيها بديلاً
لعشقٍ بينهم يُجري الدماء



ترى زيداً كعمروٍ عن غرامٍ
بها يبدي احتفالاً واحتفاءً
يودُّ بها انفراداً عنك حتى
أخوك الشقُّ ناسياً الإخاء
يظل الكل منها مستزيداً
ولو فات الثرى عدداً ثراءً
ويمضي صبُّها عنها ولما
يُصبُّ إلا كسواءً أو غداءً
ويترك كل ما منها تآتى
لديه سواهما قسراً وراء
ولو بهما اكتفى كل لأضحى
وأمسى الكلُّ يحمداً الاكتفاءً
فليس إلى السلام سواه دربٌ
به السُّلُكُ يلقون الإواء^(٢)



جحيم الحرب، لوعمَّ البرايا
قُنوعٌ ما شكَّوا منها التظاء
ونال الكل ما يحتاج مما
عليه تشكر الأرضُ السماء

(١) الأل: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.

(٢) أوى: يأوي، أويًا، وأواءً، عاذ ولجأ.

فخير الأرض يكفيهم ويثني
إذا قنعوا تَعَادِيهِمْ وَوَلَاءِ
ولكن أَغْرَتِ الْأَطْمَاعُ بَعْضًا
تُجَاهَ الْبَعْضِ فَاحْتَكَرُوا الرِّخَاءَ
وكانت منذ أزمانٍ كما قد
علمناه يقينًا لا افتراء
تصيحُ - أن اقنعوا بهم - فهاهم
لتستبِقوا مع الحيا الحياء
فما غير القُنُوعِ به تلاقِي
حروبِكُمْ - إذا عمَّ - انقضَاءِ
وتدعوهم ضمائرهم إليه
فما سمعوا الصياحَ ولا الدعاء
فمن حربٍ تُبْرِحُ - عن فنونٍ
من الإفناء بينهم - الخفاء
إلى أخرى أشدُّ كما اقتضاه
لهم حرصٌ أضلَّهُمُ سِوَاءِ
أمن حيث السقام يُمِيتُ تغدو
مِراضُ الحِرسِ تلتمس الشقاء
هُمُ من دهرهم أبدأً بحربٍ
تعذر أن يروا منها احتماء
فَلِمَ زادوا عليها كلَّ مفنٍ
نفوسهم اختياراً واشتهاء
تأملُ ساسة الدنيا أَرْضَتْ
سياستهم ضميراً أو حياء
وغيرَ النفي لا يُلقي جواباً
لسانك حسب ما لي قد تراءى

فَمِلْ عَنْهُمْ وَخَبِّرْ عَنْ شُعُوبٍ
أَنَالُوا السَّاسَةَ الحُمُقَ احْتِفَاءً
وَكَيْفَ تَخَيَّرُوا نَفَرًا تَنَافِي
سِيَّاسَتِهِمْ لَجَنَسِهِمُ البِقَاءُ
رَجَاءُ زِيَادَةِ الأَمْلَاقِ حَتَّى
لَأَشْبَهَ سَائِسِيهِ الكُلُّ دَاءُ
وَهَلْ يَسْوَى ازْدِيَادُ المَلِكِ بِشَرِي
بِصَرَعي تَمَلُّ الأَرْضِ الفِضَاءُ
أَعْنِهِمْ تَفْتِدِي الأَسْلَابُ مَهْمَا
عَلَّتْ ثَمَنًا لِسَالِبِهَا عِزَاءُ
وَتَطْمَعُ نَفْسُهُ فِي أَنْ تَلَاقِي
- وَقَدْ ذَهَبَتْ أَعِزَّتُهُ - هِنَاءُ
تَسْوَمُهُمُ المَطَامِعُ كُلُّ شَرِّ
وَلَمْ يَرِ مَطْمَعٌ مِنْهُمْ إِبَاءُ
بَنِي الدُّنْيَا القِنَاعَةُ لِأَسْوَاهَا
لَعِينِ حَيَاتِكُمْ تَغْدُو جَلَاءُ
وَأَقْدَارُ المَطَامِعِ مَعْمِيَّاتُ
وَكَمْ مِنْهُمْ قَدْ لَقِيَتْ قَذَاءُ
وَإِنْ لَمْ تَقْنَعُوا طُرًّا أَعْدْتُمْ
عَلَيْكُمْ ظَلَمَةً مِنْهَا الضِّيَاءُ



سَرَابٌ مَا عَلَيْهِ غَدَا التَّفَانِي
يَزِيدُ سَيُوفَهُ فِيكُمْ مَضَاءُ
كَذَلِكَ رَأَتْ حَقِيقَتَهَا أَنَاسُ
لَهُمْ عَنْهَا الحِجَا كَشَفَ الغِطَاءُ

أجل والله دنيانا سرابٌ
ومخدعون من حسبوه ماء
محالٌ أن تَرى منه الصوادي
- وإن خالته يُرويهها - ارتواء
سواءً من به غاصوا ومن هم
على أطرافه وقفوا اجتزاء

إنها الدنيا^(١)

أبا عيسى أراك أجلاً من أن
يسوقَ إليك أمثالي العزاءَ
وكيف أسوقُ تعزيتي إلى من
لأدواءِ العقولِ غداً شفاءً
يُرِينَا أَوْجُهُ الحِكَمِ اللّوَاتِي
سَنَاهَا قَدْ هَدَى القَوْمَ السَّنَاءِ
مَتَى اسْتَعْرَضْتُ سَيْرَتَهُ أَجْدَهَا
كِتَابًا يَجْمَعُ الحِكَمَ الوِضَاءِ
وَلَمْ أَبْرَحْ أَرَاهُ خَيْرَ حُرٍّ
يَرَى الدنْيَا وَزِيْرَجَهَا هِبَاءِ
لِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مُجِيدًا
لِمَا لَلَّهُ فِيهِ يَرَى رِضَاءِ
وَهَلْ يَغْتَرُّ شَرَوَاهُ بِدُنْيَا
أَبْتَ إِامَعَ الكِدْرَ الصَّفَاءِ^(٢)
وَلَمْ تُضْحِكْ بِنِيهَا قَطُّ إِلَّا
أَعَادَتْ بَعْدَ ضَحْكَهُمْ اليكَاءِ
يَفْتُشُّ عَنْ سَعَادَتِهَا ذَووَهَا
وَقَدْ خَبَأَتْ لَهُمْ فِيهَا الشَّقَاءِ
كَمَا خَبَأَتْ لِلَامْسِهَا الأَفَاعِي
خِلَالَ لِيَانِهَا الدَاءِ العِيَاءِ

(١) قالها معزياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.

(٢) شروى الشيء: مقله.

نُهِرُولُ خَلْفَ رَاحَتِهَا وَنَجْرِي
وَرَا حَتُّهَا لَنَا تَلِيدُ الْعِنَاءِ
وَمَنْ يَنْظُرُ بِعَيْنِ الْعَقْلِ مِنَّا
حَقِيقَتَهَا وَيَجْتَنِبُ الْإِطْلَاءَ
فِي بَصَرٍ مَا طَلَّتْهُ لَهُ جَلِيًّا
بِهَا يَرُدُّ إِلَى الرَّخْصِ الْغَلَاءِ
وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا عَمَلًا سِوَى مَا
بِهِ يَرْجُو لَدَى اللَّهِ الْجَزَاءَ
فَإِنْ يَكُ أَحْمَدُ الْمُحْمُودِ أَوْ دَى
فَمُودٍ كُلُّ مَنْ فِيهَا سَوَاءٌ
فِي رَحْمَاتِ خَالِقِنَا سَعِيهِ
وَزَيْدِي يَوْسُفًا فَيُنَا بَقَاءَ
فَإِنْ بَقَاءَهُ فَيُنَا بَقَاءَ
لَمَّا يُرْضِي الْمَهِيْمْنَ وَالْحِجَاءَ
مِثَالُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَيُنَا
وَهَادِينَا إِلَيْهِنَّ احْتِذَاءَ
مُؤَسَّسُ كُلِّ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ
مَعَارِفُنَا وَرَافِعُهُ بِنَاءَ
وَعَارِسُ كُلِّ مَا يَجْنِي نُهَانَا
مِنَ الثَّمَرَاتِ أَنْفَعَهَا غِذَاءَ
وَرَبِّ خَصُومَةٍ خَشْنَتْ مَجْسَأَ
ثَنَا هَالِطُ حِكْمَتِهِ إِخَاءَ
مِزَايَا بَعْضُهَا تَلِكُ اللَّوَاتِي
تَحُلُّ بِذَاتِ صَاحِبِهَا السَّمَاءَ
إِذَا ذُكِرَتْ عَلَيْهِ الْكُلُّ أَثْنَى
وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرِدْ مِنَّا الثَّنَاءَ



أَيُوسُفُ إِنَّهَا الدُّنْيَا وَإِنِّي
كَغَيْرِي قَدْ شَغِفْتُ بِهَا ابْتِدَاءً
فَلَمَّا أَنْ سَبَرْتُ الْغُورَ مِنْهَا
وَبَرَّحَ لِي تَأْمُمُهَا الْخَفَاءُ^(١)
رَجَعْتُ وَكُلَّ مَا شَاهَدْتُ يُثْنِي
إِلَى النِّقْصَانِ مِنْ شَغْفِي النَّمَاءِ
إِلَى أَنْ مَحَّ فِي قَلْبِي هَوَاهَا
وَلَاقْتُ نَارَ فِتْنَتِهَا انْطَفَاءً^(٢)
وَصِرْتُ كَكُلِّ حُرٍّ لَا يَبَالِي
تَقَلُّبَهَا صَدُوداً أَوْ لِقَاءَ
وَلَمْ يُفْرِحْهُ أَوْ يُحْزِنْهُ فِيهَا
مُلِمُّ الْخَطْبِ أَحْسَنَ أَوْ أَسَاءَ
وَأَنْتَ بِكُنْهِ مَا أَخْفَتْ وَأَبْدَتْ
أَتَمُّ الْقُومِ حُبُّرًا وَاجْتِلَاءً
لِذَا فِي وَصْفِهَا أُوجِزْتُ قَوْلًا
إِلَى سَمْعَيْكَ قَدْ رَامَ ارْتِقَاءَ
وَلَوْلَا جَارِيَاتُ الْعَادِ عُدَّتْ
مَخَاطِبَتِي لَشَرَّوَاكَ اجْتِرَاءَ
وَكَيفَ يَزِيدُ شَمْسَ الظَّهْرِ مِثْلِي
ضِيَاءً أَوْ يَزِيدُ الْبَحْرَ مَاءً

(١) سبره: استخرج كنهه: وسبر الجرح نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
(٢) مح: أخلق وبلي. وفي أحد الدفاتر روي صدر البيت (إلى أن مات في قلبي هواها).

غلاء وعلاجه^(١)

غَلَاءُ أَهْلِكَ الْفُقَرَاءَ جَوْعًا
وَعُرْيًا، أَهْلَكَ اللَّهُ الْغَلَاءَ
وزاد الأغنياءُ غِنًى وَيُبْسًا
كما زدتِ الحصى المنقوعَ ماءً
فلستَ ترى غنيًّا عن فقيرٍ
يخفُّ محسنًا هذا البلاءُ
وكان الحظُّ للمُثرين في أن
يُواسوا اليوم من حُرِّموا الثَّراءُ
ولكن الطباعَ دَعَتْ فَأَصْغَوْا
إليها مستجيبين الدعاءُ
وطبِعُ المرءِ يدعوه إلى ما
يزيد عماءهُ المُردِي عماءُ
ونادتهم إلى ما الخير فيه
عقولهمُ فما لبَّؤا نداءً
ولو لبَّؤا عقولهمُ لفازوا
وحازوا - كل ما يجني - الهناءُ
أبؤا إلا اقتفاءً الطبع حَبًّا
لفاني المال واجتنبوا الحِجاءُ
وقلبُ المرءِ إن يتبعَ هواهُ
يصيرُهُ الهوى قلبًا هواءُ

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

ولو تَبِعُوا الْعَقُولَ أَرْزَلْنَ عَمَّنْ
لَوَاهُ هَوَاهُ ذَاكَ الْاِلْتِوَاءُ
فَمَا خَلَقَ الْعَقُولَ اللَّهُ إِلَّا
لِيَهْدِيَنَّ الْأَلْيَ شَاءُوا اهْتِدَاءُ
فَمَنْ جَعَلَ الْحِجَاءَ لَهُ دَلِيلًا
فَذَاكَ هُوَ الَّذِي فَاتَ الشَّقَاءُ
فَقُلْ لِلْأَغْنِيَاءِ إِلَى نُهَاكُم
عَنِ الْأَهْوَاءِ وَادْكُرُوا التَّوَاءُ
فَكُلُّكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ
سَيَتْرِكُ مَالَهُ مَيِّتًا وِرَاءُ
وَلَيْسَ بِمَفْلَحٍ مَنْ لَمْ يَتَّقِ
مِنَ الْأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جِزَاءُ
وَمَا كَالْبِرِّ مِنْ عَمَلٍ فَطَوْبِي
لِمَنْ لَمْ يَصْبِحُوا عَنْهُ بِطَاءُ
وَهَلْ غَرَسَ الْفَتَى أَجْدَى وَأَزْكَى
وَأَطْيَبَ مِنْ مَبْرَّتِهِ اجْتِنَاءُ
جَمَالَ الْبِرِّ إِنْ أَخْفَاهُ طَبْعُ
فَعَنْهُ بَرَحَ الْعَقْلُ الْخَفَاءُ
فَمَالَهُمْ بِشَحٍّ قَدْ تَوَاصَوْا
وَقَدْ مَدَحَتْ عَقُولُهُمُ السِّخَاءُ
وَأَبْدَيْنَ الْمَزَايَا مِنْهُ حَتَّى
لَفَاتَ جَمَالُهَا الْبَادِي الْمِرَاءُ
أَيَقْضِي الْبَائِسُونَ طَوِيَّ وَعَرِيًّا
وَيَأْبَى الْبِرُّ مُثْرُوهُمْ إِبَاءُ^(١)

(١) الطوى: الجوع.

وَلَمْ يَتَّفَشْ دَاءُ الْبُؤْسِ لَوْ لَمْ
يَكُ الْمُثْرُونَ قَدْ مَنَعُوا الدَّوَاءَ
وَلَمْ يَصْعُبْ شِفَاءُ الدَّاءِ لَكِنْ
أَرَى الْمُثْرِينَ قَدْ كَرِهُوا الشِّفَاءَ
وَلَيْسَ بِنِقَاصِ الْأَمْوَالِ لَا بَلْ
يَجْرُ لَهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ
وَكَمْ أَقْصَى الْأَسَى عَنِ بَأْذَلِيهِ
وَأَدْنَى مِنْ قَلْبِهِمْ الصِّفَاءُ
فَيُؤْمِنُ الْبِرَّ مُحْسوسٌ جَلِيٌّ
لِعَيْنِي مُتَبِعُ الْبِرِّ اجْتِلَاءُ
وَإِنْ تَصْعَبُ نَوَافِلُهُ عَلَيْهِمْ
فَبِذَلِكَ الْفَرَضِ يَكْفِيهِمْ حِبَاءُ
زَكَاةِ الْمَالِ كَافِيَةٌ فَهَلَاءُ
رَأَى الْمُتَمَوِّلُونَ لَهَا أَدَاءُ
فَمَا فُرضتْ عَلَى ذِي الْمَالِ إِلَّا
لِتُلْحِقَ بؤْسَ ذِي الْبؤْسِ انْتِفَاءُ
وَتُنِّيَ مِنْ مَعِيشَتِهِ سَهولاً
مَصَاعِبَهَا، وَزَعَزَعَهَا رُخَاءُ
فَفَارِضُهَا أَرَادَ بِكُلِّ شَخْصٍ
مِنَ الْفُقَرَاءِ رَفَقاً وَاحْتِفَاءً
فَلَوْ بُذِلَتْ لِمَا أَلْفَيْتَ فِينَا
مَطِيلاً مِنْ خِصَاصَتِهِ اشْتِكَاءُ
وَأَصْبَحَ كُلُّ عَارِي الْجِسْمِ طَاوٍ
يُنَالُ بِهَا الْمَلَابِسُ وَالغِذَاءُ
وَكَانَ أَنْيُنُ بَائِسِنَا دَعَاءُ
لِمُثْرِينَا وَشَكْوَاهُ تَنْوَاءُ

كَمَا مَنَعُ الزَّكَاةَ أَعَادَ كُلًّا
مِنَ الْبُؤْسَاءِ فَائْخُذَا اسْتِيَاءَ
فَأَشْجَانَا صَبُورُهُمْ زَفِيرًا
وَأَوْجَعَنَا جَزوعُهُمْ بَكَاءَ
فَمَنْ لِي بِالْفِرَارِ الْيَوْمَ مِنْ لِي
فَإِنَّ الْأَرْضَ أَسْخَطَتِ السَّمَاءَ
فَصَبِرًا أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ صَبِرًا
فَإِنَّ الْأَمْرَ حَائِلٌ أَنْتَهَاءَ
فَغِبُّ الْأَمْرَ حَسْبَ الظَّنِّ يَأْتِي
مُغَايِرَ مَا أَتَى مِنْهُ ابْتِدَاءَ
أُظُنُّ اللَّهَ عَكْسَ الْحَالِ عَمَّا
قَلِيلٍ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ شَاءَ
فَمَمْتَلِئِ الْيَمِينَ الْيَوْمَ مَالًا
غَدًا مِنْ مَالِهِ يَشْكُو الْجَفَاءَ
وَيُثْرِي بَعْدُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلًا
تُرَاءُ الْمَالِ عَنْ يَدِهِ تَنَاءِي
وَإِنْ تَضِيقِ الدُّنْيَا عَنْ كَوْنِ هَذَا
لِسُرْعَةِ رَدِّهَا الْمَحْيَا فَنَاءَ
فَمَا الْآخِرَى بِضَيِّقَةٍ لَأَنَا
مَتَى مَا نَأْتِيهَا نَنْزِلُ الْبِقَاءَ
فَلَا يَسْتَبْطِيءُ الْبُؤْسَاءُ يَوْمًا
يَرُونَ بِهِ انْعِكَاسَ الْحَالِ جَاءَ
فَعَدَلُ اللَّهِ يَبْقَى بَعْدَ هَذَا
وَيَكْفِيهِمْ تَوْفِيقُهُ عَزَاءَ

صن قوافي القريض^(١)

كسَوْتُ أَخَاكَ ثِيَابَ التُّنُنَا
فَجَازَ فَخَارًا بِهِنَّ السَّمَا
وَأَصْبَحَ يَسْحَبُ أَذْيَالَهِنَّ
عَلَى ذِرْوَتِي نَسْرَهَا وَالسُّهَا^(٢)
وَلَكِنْ أَطَلْتُ ذِيوَلَ الْمَدِيحِ
وَأَلْبَسْتَهُنَّ فَتَى ذَا عَمَى
وَطَوَّلُ الذِّيْوَلِ عِثَارُ لَهُ
وَأَنْتَ بِسَطَطَ لَهُ فِي الْكِسَا
فَإِنْ لَمْ يَصِلْ لِلْمَدَى فِي الْجَزَاءِ
فَأَوْضَحْ عِذْرَهُ قَدْ بَدَا
نَظَّمْتَ الْقَوَافِي بِمَدْحِ امْرِئٍ
كَسَاهَ الزَّمَانَ كَسَاءِي هَجَا
فَلَيْتَكَ جَارِيَتَ فِيهِ الزَّمَانَ
فَإِنْ الزَّمَانَ عَلَيْهِ افْتَرَى
وَنَهَجُ سَبِيلِ الْهَجَا وَاضِحٌ
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عِنكَ اخْتَفَى
فَحَبُّ الْفَتَى لِلْفَتَى مَسْبِلٌ
عَلَى مَا بِهِ مِنْ عَيْوَبٍ غَطَا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جواباً لقصيدته بعث بها إليه.

(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تَنْسِجَنَّ مِنْ خِيوطِ التُّنُنَا
كَسَاءً لِمِثْلِي فِي ذَا الْوَرَى
وَصُنُّ مَا اسْتَطَعْتَ قِوَافِي الْقَرِيضِ
فَفِي صَوْنِهِنَّ لِهِنَّ اِعْتِلَا

لا راحة بلا تعب^(١)

يقولون لي يا «صقر» مالك عاطلاً
وقد وظَّفُوا من لم يقارِبَكَ في الأدبِ
فقلتُ لهم في رِيَّةِ الثوبِ مانعٌ
رُقِيِّي إلى تلكِ المناصبِ والرُّتبِ
يُولى هنا المرءُ الوظيفةَ جاهلاً
على شرطٍ أن تُلفى ملابسةً قُشِبِ^(٢)
ويُحرَمُ منها المرءُ والمرءُ عالمٌ
إذا لم تكن منه الملابسُ بالنُّخبِ^(٣)
ولو عَقَلُوا كان التقدُّمُ عندهم
على حَسَبِ ما تقضي الفضيلةُ والحَسَبُ
فما كل ما راق العيونُ بَرِيْقُهُ
وأعجبها منه ملاحظتهُ ذَهَبُ
فإن تنتبهُ من ذا السباتِ معاشري
تَنَلُ خَيْرَ دَارِيهَا وتَسَلِّمُ من العطبِ
وإن طال في ليلِ الجهالةِ نومُهم
فما شئتُ فيهم فافعلي أيُّها النوبِ
فما نام في ليلِ الجهالةِ معشرٌ
فأيقظهم منها قديماً سوى الشَّجَبِ

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.

(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشيب.

(٣) النخب: الخيال.

ومما يزيدُ الحزنَ في القلبِ ضعفُهُ
ويُلهبُهُ بينَ الضلوعِ فيلتهبُ
صدودُ بني قومي إذا قام مرشدُ
يذكُرُهُم بالشَّعرِ طوراً وبالخطبِ
وفي الصَّدِّ ما يثني عزيمةً من غدا
لنصحهم تقريبهُ الدهرَ والخَبَبِ^(١)
فكيف إذا ما زُنْدَقُوهُ وَأَسَبَلَتْ
على رأسه من مُزْنٍ غيظهم سُحْبُ
تَسَنَّمَتِ العلياً معاشراً لم تَزَلْ
تَجِدُ لها والجِدُّ من سُبُلِ الغَلَبِ
وحالوا من المجدِ المؤثَّلِ في نُرى
تكاد سواميها تنوف على الشُّهَبِ^(٢)
ونحن قعدنا قانعين بجهلنا
وجهل الورى فيه لهم شرٌّ منقلبِ
ففي صَعَدِ ظَلُّوا بفضل نشاطهم
وقد حَطَّنَا مُردي التكَاسُلِ في صَبَبِ^(٣)
وتمَّ بفضل العلم فيهم وئامهم
ونحن كما شاءت جهالتنا شُعبِ
ومن غرست يماناه يوماً فسيلاً
فبشُّرُهُ من بعد المشقَّةِ بالرُّطَبِ
فما لذَّةُ نيلت بغير مشقَّةِ
ولا راحةٌ يوماً تَأَنَّتْ بلا تعبِ

(١) التقريب والخبب: نوعان من السير.

(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعاليها.

(٣) الصبب: الطريق يكون في حدور.

وهل وهب الله الوهوب لأمة
 رقيياً ولم تَمُدُّ إلى ذاك من سبب
 وهل سبب كالعالم يوصل أمة
 من المجد ما حبت فوق الذي يحب
 فإن سرركم أن تبلغوا أوج مجدكم
 وتعلوا ذرى العلياء فالأهب الأهب
 ألا وانزعوا ثوب التكاسل عنكم
 فما فاز كسلان البرية بالأرب
 ولا تجمدوا يا قوم إن جمودكم
 مؤديكم للويل إن دام والحرب^(١)
 ودونكم أهل الجمود وضدكم
 ويكفي بهذين اعتباراً لمن أرب
 نهوضاً إلى المجد الأثيل إلى العلاء
 كما نهضت من قبل أبائنا العرب
 فهم نهضوا بالعلم والعلم سلم
 يؤدي إلى إدراك مستصعب الطلب
 فأشرق في أفق التقدم بدرهم
 منيراً ولما لم نسير سيرهم غرب
 وأثمر في أرض الأمان غرسهم
 وعاد إلينا بعد إثماره حطب
 وكان منال الحق بالسيف وحده
 فصار منال الحق بالسيف والكُتب
 وفي وسعنا أن ننشر العلم بيننا
 إذا لم يكن في الوسع أن نُصلت القُضب^(٢)

(١) الحرب: فقدان الملك والحرب أيضاً الغضب وكلاهما بفتح الراء.

(٢) نُصلت القُضب: نجرد السيوف.

فما بالننا عن نشره في تكاسلٍ
على أنه أمرٌ على الكلِّ قد وجب
أنكسلُ في عصر النشاط ونشتكي
إذا أنشبت فينا مخالباها الكُرب
ونبرح في ليلٍ من الجهل دامسٍ
وقد عمَّ صبحُ العلم من شطِّ أو قُرب^(١)
فوا عجيبي يا قوم إن نَبَقَ هكذا
ولم نُرمَ بالموت الزؤام ولم نُصب
ومن يرم في غاب الهزير بنفسه
في فرسه فيه الهزير فلا عجب^(٢)

(١) دامس شديد الظلام. وشطُّ: بعد.
(٢) الهزير: من أسماء الأسد. وفرسه: افترسه.

لِحَظِّي لَا لِحَظِّكَ (١)

أراك لحبل الوصل أصبحت قاطعاً
بلا موجب يدعو إلى القطع أو سبب
وغادرتني من قطعه في تألم
فهل لك في تأليم خيلك من أرب
أبا صالح إن لم تسرك زورتي
ففيها سرور النفس مني والطرب
فزرتني لحظي لا لحظك حسبة
فبعض زيارات الأحبّة تحتسب
وحافظ على ما بيننا من مودة
فإني أعدُّ الود ما بيننا نسب
وأنقذ بوصل منك معتلّ عهدا
فطول النوى يرمي المودة بالشجب (٢)
ولا شيء يخلو من سقام يبيده
وللود طول البين من أقتل الوصب (٣)
فإن تك عن هلك المودة راضياً
فإني من مرضاك ممتليء الغضب (٤)
وإن تك مثلوج الجوانح بالذي
أتيت فمنه اليوم في أضلعي لهب

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك.

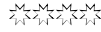
(٣) الوصب: الوجع والمرض.

(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وإن ترَ عني وجهَ سلوأك سافراً
فوجهٌ سُؤي عن لقاك قد احتجب
وهذي ليالي الصوم إن لم تزرُ بها
فقل لي متى منك الزيارة تُرتقب

شفاؤك يشفيني^(١)

قالوا سقامك كاد يذهب أو ذهب
فشعرتُ باستخذاء ما بي من وصَبٍ
ألأنُّ بُرئي أن وقتٌ مجيئه
أم جاعني قبل الأوان من الطُّرَبِ
لم أدر إلا أن شَكُّـوِي راعه
قولُ البشير فكاد عَنِّي ينسجِبِ
وإذا شفى سَقَمَ السَّقِيمِ سُورُهُ
بشفاء شِقِّ النفس منه فلا عَجَبِ
ما زلتُ مذكراً زايلاً تَنِي ذا عِلَّةٍ
كان اشتكاؤك في زيادتها السببِ
وأنت تُجِدُ مزيدها منك النوى
حتى أرتني عِلَّتِي وَجَهَ العَطَبِ
حتى إذا بُشِّرْتُ أنكَ أَخَذُ
تدنو إلى خير الشفاء وتقتربِ
عادت تَلأشى عِائَةً قَدِ أذَنْتُ
نفسي بما نفسي تخاف من الشَّجَبِ^(٢)



يا نجلَ صالحِ الذي لولاه لم
أعلم بأنَّ الوُدَّ يَرْجَحُ بالنُّسَبِ

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبد الملك الصالح.

(٢) الشَّجَب: الهلاك أو الحزن.

لا يحرم الله الكويت وعلمها
من شخصك المحبوب، حُسن المُنقلب
فالعالمُ فيها لم يزل وفؤاده
منذ اشتكيتَ عليك خوفاً يضطرب
وأحقُّ من يخشى عليه علمها
من غيرهِ لم يكفِ عنه أو ينُب

قيمة الكلام

رُبَّ بَيْتٍ وَحَدَّةٍ فِي أُمَّةٍ
قَلَبَ الْحَالَةَ رَأْسًا لِعَقِبِ
وَلَكُمْ مِنْ خُطْبَةٍ قَدْ أَبَدَلَتْ
شَعْبًا مُلْقِيهَا حَيَاةً بِشَجَبٍ^(١)

(١) الشجيب: الهلاك.

على العلم عولوا^(١)

أَسِئْتَهُ أَعْوَامٌ تَدُومِينَ يَا حَرْبُ
وَأَكَلُكَ أَجْسَادُ الْبَرِيَّةِ وَالشُّرْبُ
وَفِي بَعْضِ عَامٍ مِنْكَ مَا يورثُ الْفِتَى
سَامَتْهُ مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ لُبُ
وَلَسْتُ أَرَى أَنْ الِوَرَى كَلَّهُمْ غَدَوًا
مَجَانِينَ لَكِنْ شَاءَ بَسْطَتِكَ الرَّبُّ
أَتَوْا مِنْ شَنِيعِ الظُّلْمِ مَا مَدَّ بَيْنَهُمْ
مِنَ الْحَرْبِ مَا يَلْقَى بِهِ وَفَقَّهُ الذَّنْبِ
إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ
تَوَقَّعْ جَزَاءً سَيْفُهُ عَنْكَ لَا يَنْبُو
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الظُّلْمِ سَاءَ مَغِيبَةً
فَحَرَبُهُمْ هَذَا لِظُلْمِهِمْ غِيبًا^(٢)
بَنُو آدَمَ إِخْوَانُهُمْ، وَبِنَاتُهُ
لَهُمْ أَخَوَاتٌ يَشْهَدُ الْمَاءُ وَالتُّرْبُ
فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا بِكَوْنِ جَمِيعِنَا
مَمَالِيكَ إِنْ يَدْعُوا إِلَى خِدْمَةِ لِبَّوَا^(٣)
وَكَلِّ ثَرَاءٍ عِنْدَنَا وَهُوَ حَسْبَمَا
يَشَاءُ تَعَدِّيهِمْ لِأَيْدِيهِمْ نَهَبُ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) المغيبة: العاقبة. والغيب: العقب.

(٣) تصريحها لبَّوَا: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبَّوَا.

ولا ذنب إلا الضَّعْفُ والشَّاةُ لم تكن
ليأكلها لو خاف سطوتها الذئب
تسننى لهم من قوَّةٍ ما بمثله
يُلمُّ بغير المؤمن التيهُ والعُجْبُ
فأطغتهم قوَّاتهم فانثنت على
طغاتهم منها جهنم تنصبُ
طغت حربهم طغيانهم فرمتهم
بنارٍ أبادت جأهم وهي لا تخبو
وأودت بما قد أثلوا من ثرائهم
فلم يبق منه يابسٌ لا ولا رطبٌ^(١)
كذلك يلقي من من الناس قصده
بقوته استعباده الناس والسلب
ويُسفر عدلُ الله في مثل هذه
لذي اللبِّ أو عنه تشفى له الحُجْبُ
مصائبُ هذي الحربِ للغربِ عبرةٌ
سماويةٌ إن كان يعتبر الغُربُ
لإحيائكم جننا يقول كذوبهم
وليس له إلا إماتتنا إرب
فأفعالهم فينا يُنافين قولهم
كما يتنافى البغضُ للشيء والحُبُ
عذابٌ لنا ما يصنعون وإن غدا
يُموه ذلك الصنع قولهم العذب
لنا قولهم يُبدي الودادَ وفعلهم
يُنبيُّ أن القولَ أجمعه كذب

(١) اثلوا: بنوا، واطلوا وهياوا.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّهُمْ
 أَصَادِقُ مَا إِنْ فِي صِدَاقَتِهِمْ رَيْبٌ
 يَجُوزُ عَلَيْنَا الْخَبُّ فِي ظَنِّكُمْ فَهَلْ
 يَجُوزُ عَلَيَّ عَلَامُ سِرِّكُمْ الْخَبُّ
 وَهِيهَاتَ أَنْ يَخْفَى عَلَيَّ اللَّهُ مَبْتَلِي
 سِرَائِرِكُمْ شَخْتُ الْمَقَاصِدِ وَالْجَابِ (١)
 وَهِيَ هِيَ وَيَجْزِيكُمْ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي
 لِمَا سُمَّتْ مَوْهَا مِنْ أَدَى عَزَّهَا الدَّابُّ (٢)
 فَإِنْ تَجَزَعُوا أَوْ تَصَبَرُوا فَعَقَابُكُمْ
 شَهَدْنَا فِي الْأُولَى وَأَخْرَأَكُمْ غَيْبٌ
 وَإِنْ تَرْمِكُمْ أَخْرَأَكُمْ بِمِثْلِهِ
 فَمَا كُلُّ صَدْعٍ عَنْهُ لَا يَبْعُدُ الرَّأبُ (٣)
 عَلَى الظَّالِمَاتِ الْجَائِرَاتِ نَفُوسِكُمْ
 إِذَا كَانَ عَتَبٌ فَلْيَقَعْ ذَلِكَ الْعَتَبُ
 فَلَمْ يَدْهَكُمْ إِلَّا نِتَاجُ صَنِيْعِكُمْ
 فَهَذَا لِمَا أَلْقَحْتُمْ مَوْهُهُ هُوَ الْعَقَبُ
 وَمَنْ أَسْعَرُوا نَارًا لِتُحْرِقَ غَيْرَهُمْ
 بِهَا أَحْرَقَ اللَّهُ الَّذِينَ لَهَا شَبُّوا
 وَثَبِتُمْ عَلَيْنَا ظَالِمِينَ لَضَعُفْنَا
 فَمَاذَا عَلَيْكُمْ جَرَّهُ ذَلِكَ الْوَتْبُ
 لِمَنْ بَعْدَكُمْ يَأْتِي سَتْبَقُونَ عِبْرَةً
 تُجَدِّدُ ذِكْرَهَا الْأَحَادِيثُ وَالْكَتُبُ

(١) الشخنة: الدقيق النحيف. والجاب: الغليظ.

(٢) عزها: غلبها.

(٣) الرأب: الإصلاح.

لئلاً يناموا في ليالي غرورهم
كما نمتُم حتى رداكُم دعا: هُبُّوا
فقمتم ولكن بعدما أهدقت بكم
متالفٌ ما منها إلى موئلٍ درب



بني يعرب الغر الميامين دهرُكم
لجُهَّاله سهلُ الأمور به صعب
وكم مَسَّكم كربٌ فكاد يُميتُكم
ولولا فُشُوُ الجهلِ ما مَسَّكم كرب
لقد طال في ليل الجهالة نومُكم
ونومٌ هذا الليل أجمعُهم تَبَّوا^(١)
فلا تُلهكم أحلامُكم في منامكم
فتأويلها موتٌ يعمُّ به خطب
وهبُّوا سراعاً من عميق منامكم
فحسبُكم ما مرَّ منه بكم حسب
فقد أخذت عن شُهْبِ علمٍ بليلكم
تَشْفُ لمستهدي طريقِ العُلا السُّحب
فقد طال ما كانت دليلاً لحائرٍ
إلى قصده في ليله المظلم الشُّهب
وأفضلُ شيءٍ تقصدون هو الذي
لمظلم هذا الجهلِ عنكم به جَوْب^(٢)
فميلوا إلى إطلاع فجر معارفٍ
تَعْمُكم أنوارٌ طلعتِه واصبُّوا^(٣)

(١) تبوا: خسروا وهلكوا.

(٢) الجوب: القطع والخرق.

(٣) صبا: مال شوقاً.

ولا تبخلوا بالمال عند شرائكم
من العلم ما خصباً يعودُ به الجدُّ
فإنفاق هذا المال في السُّبُل التي
تؤدِّي إلى نشر العلوم هو الكسب
على نشر أنوار المعارف بينكم
وفي النَّشءِ منكم فليكن ذلك الدَّابُّ
لتَحْيَوا حياةً صَفُوهَا ما به قذَى
ويصبح أمنًا من أعاديكم الرُّعب
على العلم يا قومي على العلم عَوَّلُوا
فذاك هو الدَّرْعُ الحَصِينَةُ والعَضْبُ^(١)
فلو صنتم بالعلم حوزةً مجدكم
لَكَفَّ أَكْفًا نحوها امتدَّتِ الرَّهْبُ^(٢)
ولكنكم فرطتُم زمنًا به
ومن لم يحد عن نهج تفريطه يَكْبُ
فإن عَوَّقَ استعدادكم ضيقُ ما مضى
فمستقبل الأيام متَّسعٌ رَحْبٌ
خذوا العُدَّةَ المثلى من العلم تُصبحوا
وَبُعْدُ العُلَا عنكم بها منكم قُرْبٌ
وظننوا جميلاً بالعلوم وإن جَنَّتْ
على الغرب ما منه به انقصم الصُّلْبُ
فلم تَنكَبِ الغَرْبَ العلومُ وإنما
نَوَاكِبُهُ الطغيان والتُّيَّةُ والشَّغْبُ^(٣)

(١) سيف عضب: قاطع.

(٢) الرهب: الخوف.

(٣) الشغب: التهيج.

حياةً له كانت فصارت بظلمه
له حيةً منها عليه قضى اللسب^(١)
ولا خيرَ إلا وهو مُدرِكُهُ إذا
طغى أهله العكسُ السماويُّ والقلبُ
فإن بالمني فُزتم فلا تظلموا الوري
كما ظلمَ الغربُ الوري أيها العُربُ
فلا قيد مثلُ العدلِ للنعَمِ التي
يُواتين من شابوا من الناس أو شَبَّوا
وهل لبست أثوابَ نعماءِ أمَّةٍ
فدام لها منها إذا ظلمتْ تُوبُ
وما نزعها أخشى فحسبُ وإنما
أخاف انقلاباً كلُّ أسيفه قُضِبُ^(٢)
كما نعمة الغرب انثنت وهي نعمةٌ
بها منه هيل اللبُّ وانخلع القلبُ

(١) اللسب: اللدغ.

(٢) قُضِب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيوفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لقد طال مني المَكُثُ في مظلمِ الأسي
إذا انجاب عني غيهُبُ جاء غيهُبُ
وما زالت الأيامُ ترمي صرُوفُها
فؤادي بما منه أخاف وأرهبُ
إلى كم وقلبي للشوائبِ مسرُحُ
إلى كم وقلبي للنوائبِ ملعبُ
إلى كم سروري وجهه متجهُ
إلى كم مُحَيَّا راحتي متقطبُ^(١)
إلى كم جهامُ من رجائي سحابه
وحتى متى برقُ الأمانِ خُلبُ^(٢)
لماذا يعاديني الزمان ويعتدي
عليَّ بما منه التصبُّرُ يسلبُ
كأنَّ زماني عاشقٌ وكانني
له عاذلٌ والعدلُ للصبِّ مُغضبُ
أقاسي من الأحزان ما لو أقلُّه
يمسُّ نجومَ الأفقِ ما لاح كوكبُ

(١) المحيا: الوجه.

(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولو حَلَّ بِالْبَحْرِ المَحِيطِ أَقْلُ مَا
يعانيه قلبي ما جرى فيه مَرْكَبُ
أَبِيتُ إِذَا مَا بَتُّ مِمَّا أَجِنُّهُ
على مثل مشبوبِ الغَضَى أَتَقَلَّبُ^(١)
وَتُصْبِحُ إِن أَصْبَحْتُ نَشْوَى محاجري
وليس لها إلا من السُّهْدِ مَشْرَبُ
أما ليليالي الصائلاتِ بهدنةٍ
فقد أوشكت نفسي النفيسةُ تَعْطِبُ
تحاربني حتى كَأَنِّي مجرمٌ
إليهن جرماً أو كَأَنِّي مُذنبٌ
ولم أجتزم جرماً سوى أنني فتى
أريد الذي تَزْوِيهِ عني وأَطْلُبُ^(٢)
تريد الليالي الجري مني كما جرتُ
وذلك ما عنه أحييدٌ وأهْرَبُ
تَجَنَّبْتُ ما ترضى الليالي وتشتهي
ومثلي لما ترضاه قد يتجنَّبُ
ظمئتُ وحاولت الورود فلم أجد
من الورود ما يصفو فمن أين أشرب
ألا ليت صَدَرَ الغيب ما زال كاتمي
كما يكتم الأسرار حُرٌّ مُهَدَّبُ
فما لي إلا الله في الدهر مطمَعٌ
ولا لي إلا الله في الدهر مَأْرَبُ

(١) أجنه: ستره. والغضا: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزويه: تقبضه وتطويه.

هو الدهرُ أمَّا يومُهُ فهو أرقمُ
يصول وأما ليله فهو عَقْرَبُ
وإني وإن ضاق الزمانُ بِوُسْعِهِ
عَلَيَّ فلي في الصبر ما هو أرحبُ

للحق عاقبة الأمور^(١)

ما دمت في أبناء يعرب سألًا
مما عليك من الحوادث نرهبُ
فالدهرُ أعيادُ لهم أيامه
طُراً وجَدِّي جَدُّهم إذا أنسبُ
فلِذاك لَمَّا أن بعثت مهزناً
بالفطر طرسك ظلتُ منه أعجبُ^(٢)
الدهرُ عيدي كلُّه ما لم يزلُ
يفترُّ عن محياك فوه الأشنبُ^(٣)
الفطرُ والأضحى كلا عيديهما
إن عُدي عيديك ليس شيئاً يحسبُ
إني لأصدقُ والقريضُ أجلهُ
ما كان من أخلاف صدقٍ يحلبُ^(٤)
هذي مساعيك النفيسة شهدُ
إن قام لي فيما أقولُ مكذبُ
حسبي بهن مصدقاً وبكل من
ينميه في هذي البرية يعربُ
ما زلتَ تمحض كلَّ قومٍ منهم
نصحاً يردُّ إلى الهدى من نكبوا^(٥)

(١) قالها رداً على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) يفتن: يضحك ضحكاً حسناً.

(٤) الأخلاف: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

تُغري بتَطلابِ المعالي زاهداً
فيها فيُضحى وهو فيها أشعْبُ^(١)
وإلى أثيلِ المجد تُدني نائياً
عنه فيغدو طَوْعَ نُصْحِكَ يَقْرُبُ
وَلَكُمْ حَوِيَتْ فُضَائِلًا لَوْ جُسِّمَتْ
ألفيتَ شمسَ الظهرِ فيها تغربُ
ومناقبًا أوتيتَها عن حصرها
بالعدِّ يَرْجِعُ خَائِبًا من يَطْلُبُ
وخلائقًا كالروضِ إلا أنه
بسوى شهرِ ربيعِهِ لا يُخْصِبُ
يزهو بأذارٍ وخذنيهِ فإن
وَلَيْنَ جَفَّ وَهَذِهِ لا تَشْسَبُ^(٢)



أزعيمَ توئسَ والكويتُ فسيحةً
قد ضاقَ بي منها الفسيحُ الأرحبُ
إن يُردني بؤسي فلوموا موطني
بعدي على تفريطه بي واعتبوا
حاولتُ إدراكَ الوظيفةِ جاهداً
بالقوتِ من قومي فعزَّ المطلبُ
منحوا الوظائفَ كل من ضاقت بهم
ذرعاً لجهلهم فباتتَ تَنْدُبُ
وأنا وشكلي في بلادي معوزُ
أبدًا بكلِ وظيفةٍ مُتَجَنَّبُ

(١) أشعب بن جبیر اشتهر بالطمع وله في ذلك أخبار.

(٢) تشسب: تهزل وتخف.

ما كنت لو أني ارتديتُ ملابسًا
حسُنْتُ على نَيْلِ الوظيفَةِ أُغْلَبُ
يَرْقى بِبِزَّتِهِ الفَتَى لا عِلْمَهُ
أسمى الوظائفِ في الكويتِ وَيَكْسِبُ
وأجلُّ أثوابي الحسانِ يَفوْتُهُ
ثمناً لعسري ما يحوكُ العَنَكِبُ
كم قلتُ إن السيفَ ليس بغمده
بل إنما هو حدهُ والمَضْرِبُ
لكنْ إلى الباطنِهم ما قلتُهُ
ما كان من أسماعهم يتسَرَّبُ
شَحَّوا عليَّ بِنَزْرِهِمْ وطفيفِهم
حتى وفاتي من حياتي أَطْيَبُ
لا تتركوا بعدي مَلامَ معاشرِي
فعسى الملامُ يُقيمُهم ويُهَدِّبُ
ودعوا مقال: السيفُ أضحى سابقًا
للعدْلِ إذ جدّثي لشخصي يحجبُ^(١)
إن فاتني تَمَرُ الملامِ فلم يَفُتْ
من قد يجيء به القضاةُ الأغلِبُ
فلربما يَنْشأ أديبٌ بئسُ
فيهم فيُعَوِّزُه البَلاغُ فيُعْطِبُ
وكذا إلى أن لا يظل بموطني
أدبٌ به يسمو ولا متأدبٌ
فَيَشُقُّ مَشَقَّاهُ على نفسي وإن
رَفَتَتْ عظامي في الترابِ وَيَصْعَبُ

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العدل».

قلبي يهيم بكلِّ وادٍ من هوى
وطني وفيه نارٌ بؤسى تَلْهَبُ
من لي بماء الِيسر يطفئ ما ذكا
منها ففيها ما برحتُ أَعْدَبُ
إن كان تخليدي بنارِ مَفَاقِري
عدلاً فأين الفضلُ عني يَذهب
أمنت بالقاضي عليٍّ بما به
مني التبصُّرُ بعد صبري يُسَلِّبُ
عن حكمةٍ لله فينا حكمه
يمضي وعنا وجهها مُتَغَيِّبُ
ليت اعتقادي أنها موجودةٌ
لسُفورِ صفحتها الجميلةِ مُوجِبُ
فلعل رؤيةَ ذي المَفَاقِرِ وجهها
لعزائِهِ من حيثُ ولى تَجْلُبُ
عبدَ العزيزِ وأنتَ أعلمُ عالمِ
وأجلُّ من خَبَرُوا الأمورَ وجَرَّبُوا
هل لالقُنُوطِ إذا تمكَّنَ دأؤهُ
فغدا بصاحبه يعيثُ ويلعبُ
غَيْرُ المنييةِ من دواءِ نَاجِعِ
فأشَمُّ الأذيالِ عنه أنقَبُ
أم أن داءَ الِيساسِ لم يُخَلِّقْ له
طبُّ به يُلوي ولا متَطَبِّبُ
إن يَدُو نَبْتُ قريحتي فالأثَّةُ
من ماءِ دمعي وهو مِلْحٌ يشربُ

مَنْ ذَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَيْنِي وَالْبُكَاءِ
وَصَدُوقِ مَحْمَصَاتِي يَقُولُ سَتَشْجَبُ^(١)
يَا مَنْ بِهِ غَصَّتْ مَطَامِعُ مَنْ نَمَتْ
بَارِيسُ إِذْ جَاءَتْ لَتُونُسَ تَغْصِبُ
إِنْ غَرَّبُوكَ فَسَعِدُ مِصْرٍ أَسْوَةٌ
فِيهِ لِمَجْدِكَ وَالْمَهْيَبُ مُغْرَبٌ^(٢)
وَالْحَقُّ مَهْمَا تَخْطِطْ هِدَى قُوَّةٌ
يَخْطِهُرُ وَفِي يَمْنَاكَ مِنْهُ مُشْطَبٌ^(٣)
فَاهْدَأْ فَحَقُّكَ غَالِبٌ قُوَاتِهِمْ
إِنْ عَاجَلَا أَوْ أَجَلَا يُتْرَقَّبُ
لِلْحَقِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ أَبَوَا
وَبَسِيفِهِ سَبَبُ الْقُوَى مُتَقَضَّبُ

(١) تشجب: تهلك.

(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيماً مجاهداً ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.

(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لقد كان الحليب لنا إليه
طريقاً واضحاً سهل رحيباً
ومذ أصبحت لا فلَسُ ولا ما
دُوِينَ الفلَسِ ناكِرني الحليب
فلستُ أرى إليه اليوم درباً
وكانت حسب ميسرتي الدروب
وأبي اليسر في شروى بلادي
رأى استمرارهُ حُرُّ أديب
فيا نفسي عن اللبن اصطباراً
وإن أصبأك منه إليه طيباً^(١)
فإن أضحي ومَدعاهُ بعيداً
فكم أضحي ومَدعاهُ قريب
وهاتا عادة الأيام فينا
تُرَدُّها الحوادثُ والخطوب
ولا تنسى زماناً كان فيه
يواتيك الحُويلُ والحَلوب
فكم لبِنِ مزجنا الشاي منه
وباقية تركناه يروب
فأصبح بين إبريقي وبينني
يسير مسارعاً كوبٌ رَغيب

(١) أصباك: شاكك.

وإذ شمسُ الضحى أذكتُ لظاهها
وصارُ لعابُها فوقِي يذوب
أهَبْتُ بِرَائِبِ مَا هَالِ إِلَّا
وهان لَدَى تَحَسُّيهِ الْهَيْبِ
فَكَانَتْ شَرِبَتَانِ بِكُلِّ يَوْمٍ
أُصِيبُهُمَا يَلْذُهُمَا الشَّرُوبِ



لَعَلَّ مَصِيبَةَ الْحَرْمَانِ وَعَظُّ
بِهِ وَافَتْ تُنَبِّهُنَا الذُّنُوبِ
فَكَمْ شَاةٍ حَلَبْنَاهَا وَعَنْزِ
وَلَمْ تُشْبِعِ صِغَارَهُمَا الشُّخُوبِ
حَلِيبِ الْأُمِّ لِلْمَوْلُودِ قَوْتُ
وَأُخْذِي مِنْهُ غَيْرَ الْفَضْلِ حُوبِ
وَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْ مَاضِي صَنِيعِي
إِلَى رَبِّي لِيُغْفِرَهُ أَتُوبِ



لَوْ أَنْعَكْتَ أُمُورَ الْخَلْقِ حِينًا
وَزَحَزَحَ نَائِبَ الْعَكْسِ الْمُنْيِبِ
لَرَقَّتْ لِلْبِهَائِمِ مِنْ ذَوِيهَا
وَلَانَتْ بَعْدَ قَسْوَتِهَا الْقُلُوبِ
وَطَالَ مِنَ الْقُسَاةِ مَا جَنَوُهُ
عَلَى الْحَيَوَانِ مِنْ قَبْلِ النَحِيبِ
وَلَمْ نَسْمَعْ خَوَارًا أَوْ ثَغَاءً
يُرَدُّدُهُ كَمَا تَقْضِي الْكَرُوبِ^(١)

(١) الخوار للبقر. والثغاء للغنم.

فليس صياحهُ إلا دعاءً
به يمضي التَّألمُ أو يثوب^(١)
على من قلبه منا عليه
كما لا يشتهي قاسٍ صليب
فما الحيوانُ للإنسان إلا
شبيههُ في مشاعره ضريب^(٢)
نُحسُّ كما تُحسُّ الأمرُ يأتي
به العيش البغيضُ أو الحبيب
حقوقك أيها الحيوانُ عنها
أطال منامي المرعى الخصيب
وإذ زال انتبهتُ فنال شكري
على التنبيه مرعائي الجديب
وهاتا نعمةٌ كبرى يراها
منافرها لو انجلت الغيوب
إحالةً لين عيش المرء يُبَسًّا
إذا وعظته حياها اللبيب
ففيضُ معينٍ يُسرُّ المرءَ مهما
به نُسيَّ الحقوقُ هو النُّضوب
لأن عليه من أعطاه يسرًّا
رقيبٌ ليس يُهمُّه حسيب
تذكر يا أبا النسيان ربًّا
كما تأتي يُعاقبُ أو يُثيب
وطالعٌ عدله في كلِّ شيءٍ
به تلقاك سِلمٌ أو حُروب

(١) يثوب: يرجع.

(٢) الضريب: النظير والمثل.

بِعَيْنٍ مِنْ حِجَائِكَ فَهِيَ عَيْنٌ
إِذَا انْفَتَحَتْ تَكشَفُ مَا يُرِيبُ
فَإِنْ تَنْظُرُ بِهَا يَظْهَرُ جَلِيًّا
لَكَ الْمَأْمُولُ مِنْهُ وَالرَّهِيْبُ
فَلَمْ نُعْطِ الْحِجَا إِلَّا دَلِيْلًا
إِلَى مَا الْخَيْرُ فِيهِ بِنَا يُهَيِّبُ
فَإِنْ تَسْتَهْدِرِ عَقْلَكَ فُزْتَ أَوْ لَا
فَأَنْتِ بِتَرْكِهِ مِمَّنْ يَخِيبُ
عَلَى حَسْبِ اتِّبَاعِ الْعَقْلِ كُلِّ
غَدَا فِي الْأَمْرِ يَخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ

الخطب هو الخطيب^(١)

يعاني الغَرْبُ ما تنبؤ الجنوبُ
به ووليدُهُ منه يَشيبُ
حروبُ خاضها فسأوه ماذا
به تركت من الأثر الحروب
ولم يُفحَّحْ مَحِيَّا الغَرْبِ لو لمْ
يجي من نار هيجاءٍ لهيب
فجور الغَرْبِ جرَّ عليه ما قد
أبادت قلبه منه الندوب
ذووه اليوم بين مميت عري
وجوع ما شكوا شرواه ذيب^(٢)
وكانت أنعم الدنيا عليهم
كما شاءوا سحائبها تصوب^(٣)
فصارت كلُّها نِقَمًا شجاها
له بحلوقهم طرأ نُشوب^(٤)
تحول فيهم مَشَقِي وضنكاً
لبغيهم نعيمهم الرغيب
فأصبح مصدر البسمات فيهم
وصادره عويل أو نحيب

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواه: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

ومن لم يُوسِعِ النُّعْمَاءَ شُكْرًا
 فبِشُّرِّهِ بِنَائِبَةٍ تَنْوِبُ
 إِذَا نِعَمَ الْمَعَاشِرِ أَبْطَرْتَهُمْ
 ففَيْضٌ مَعِينِهِنَّ هُوَ النُّضُوبُ
 أَسْأَلُوا أَمْسِ أَدْمَعُنَا اعْتِدَاءً
 فَسَالِ الْيَوْمَ دَمْعُهُمُ الصَّبِيبُ
 وَمَهْمَا جِئْتَ مِنْ عَدَلٍ وَشَرٍّ
 إِلَيْكَ يَرُدُّهُ الْعَدْلُ الْحَسِيبُ
 أَتَاهُمْ وَاعْظَمًا مَا حَلَّ فِيهِمْ
 وَهَلْ عِظَّةٌ كَمَا تُمْلِي الْخُطُوبُ
 خَطِيبُ النَّاسِ خَطْبُهُمْ فَمَهْمَا
 تَكَلَّمَ بَيْنَهُمْ سَكَتَ الْخَطِيبُ
 فَهَلْ مِنْ سَكْرَةِ الْبَطْرِ الْمَعْفَى
 صَحَّتْ مِنْهُمْ عَلَى الْوَعْظِ الْقُلُوبُ^(١)
 فَتَابُوا خَوْفَ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِمْ
 عَوَاقِبُ ظَلَمِهِمْ أَمْ لَمْ يَتَوَبُّوا
 فَثَالِثَةُ الْأَتَافِي - إِنْ أَصْرُوا
 عَلَى مَاضِي صَنِيعِهِمْ - قَرِيبُ^(٢)
 فَإِنْ حَرَبَاهُمَا رَمَتَا مَضِيغًا
 أَدَقَّتُهُ النَّوَاجِدُ وَالنُّيُوبُ^(٣)
 فَمَا رَمَتَاهُ مَمْضُوعًا فَمِنْهُ
 دَنَّتْ لِلْبَلْعِ أَكْلَةُ شَرُوبِ

(١) المعفي: المزيل للآثار.

(٢) الأتافية: ما يوضع عليها القدر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأتافي أي بالشر كله. كأنهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأتافي.

(٣) المضيفة: كل لحم على عظم والجمع مضيف ومضائف. والمضيف أيضاً الممضوغ فعيل بمعنى مفعول.

طويلاً أمهلاً وا حتى تأذت
من المستضعفين بهم شعوب
وأطفاهم نعيم العيش حتى
دهتتنا من شرورهم ضروب
وخبنا أنهم جنوا وأن لم
يظل بهم ليرقاهم أريب
إهمالاً بدا الإمهال فيما
أراهم - من ظنوناهم - الكذوب^(١)
فجاروا حسب ما ظنوا إلى أن
دهاهم غب جورهم العاصيب^(٢)
هو الإمهال لا الإهمال جاءت
لتشرح متنه لهم الكروب
ذنوب أكثرها منها فوافت
تريهم كيف عقبها الذنوب
وما تفعله تلق الله يجزي
به وفقا يعاقب أو يثيب
عجبت لكل من في الله مننا
يخامر قلبه شك مريب
ومن آثاره في كل أمر
لمعمل فكره عجب عجيب
عظمت بالغات كل يوم
توافي لا تغيب ولا تغيب^(٣)

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.

(٢) غب جورهم: عقبى ظلمهم.

(٣) لا تغيب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بأفئدة الألى ارتابوا وشكوا
 إلى الإيمان داعيها يهيب^(١)
 فطالعها بعين حجاج تُصيح
 وداجي الشك عنك بها مَجوب^(٢)
 فؤاد المرء إن يُمرضه شكُّ
 فمن هذي العظمت له طيب
 تامل ما ترى في كل خطب
 به الأيام تذهب أو تؤوب
 فإن خطوبها حلوا ومرأ
 بهن لربه يصل الألباب
 وهل وهب الحجى الإنسان إلا
 ليعرفه به الله الوهوب
 أرى من يقتفي منا حجاه
 إلى الإيمان منهجة لَحوب^(٣)
 ولم أر ما خلا الإيمان شيئاً
 به للناس عيشهم يطيب
 فهذا العيش راحته - لمن لم
 يعشه مؤمناً أبداً - لُغوب^(٤)
 متى أمنت لا يحزنك أمر
 به دنياك تخطئ أو تصيب
 فلم يَجزع ولم يهلع فؤاد
 من الإيمان ثم له نصيب

(١) يهيب: يدعو.

(٢) مجوب: مكتسوف مأخوذ من جاب الشيء قطعه كما يجاب الجيب.

(٣) اللحوب: اللوح. لحب الطريق لِحوباً وضح، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.

(٤) لغوب: تعب وإعياء.

وما قَلَّتْ لمن يقفوجِجاءُ
إلى إيمانه مننا الدُّرُوبُ
إليه كلُّها الأشياءُ طُرُقًا
لعين العقل إن نظرتْ تثوب
فما شيءٌ إذا فكَّرتَ فيه
لخالقه بفكرك لا يُنيب
غَضارةٌ كل شيءٍ إن تَسألُها
به تُخبرُ ويخبرُكَ الشُّحُوبُ^(١)
فسل ما رمت من شيءٍ تَجِدُهُ
إليه هاديًا لك إذ يُجيب

(١) الغضارة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع^(١)

ستبقى على الأحقاب حُقبًا إلى حُقبِ
خيالاً على رِغمِ المنى وحدة العُربِ
وأبيُّ أمورِ الناسِ وحدٌ بينهم
إذا لم توحّد بينهم شِدَّةُ الخُطبِ
ولا خُطْبُ يُبلي صبرَ كلِّ أخِي نُهيِّ
كريمٍ ويطوي القلبَ منه على نُدبِ
كهذا الذي يُضحى ويمسي محوّلًا
فلسطينَ من كربٍ شديدٍ إلى كُربِ
وها نحن شتّى لم يحوّل مصابُها
تباعُدَ ذاتِ البينِ منا إلى قُربِ
ولو ألفتَ ما بيننا يدُ خُطْبِها
كتأليفِ كَفِّ مثلهُ الشعبِ ذو الإربِ
ورحنا جميعًا أو غدونا لنصرها
لما طال منها المكثُ في الحادثِ الصُّعبِ
ولو تمَّ من قبلُ اتحادُ بني أبي
أخافَ العدا منها الحيّا الذي يُصبي
ولا حائلها أو حلَّ أرضًا سَواءها
لنا كاشحٌ مستشعرٌ نيّةَ الغصبِ
ونلنا احترام (الإنكليز) وغيرهم
على يدِ صِدقِ الخوفِ أو كَذِبِ الحُبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فليس لنا منهم صحيحٌ مودةٍ
 يكفكفُ عنا سَيْلُ شَرِّهِمُ المُرَبِّي (١)
 ولكننا رغمَ الحوادثِ لم تكن
 لتُدركَ صدعَ الشملِ منا يدُ الرَّأبِ (٢)
 على علمنا أن ليس غيرَ اتحادنا
 لنا مَعْقِلٌ يَخْسي عيونَ بني الغَرْبِ (٣)
 وقد ندَّعي قرب الوئامِ فينبيري
 علينا لسانُ الحالِ يشهدُ بالكِذْبِ
 فلولم يكن منا بعيداً لأبصرتُ
 له آيةً عينا فلسطين في الذَّبِّ (٤)
 إذا لم يَلُحْ في الذَّبِّ عنها فإنه
 سيبقى على الأيامِ في حُجْبِ الغيبي
 عجبتُ لنا هل يلتقي عامٌ سلِّمنا
 إذا لم توحِّد بيننا سنَّةُ الحربِ
 وليس لأشتات القوي من مؤلَّفِ
 كموجعةٍ من صاحبها كلُّ ذي قلبٍ
 فيا أمة العُربِ التي طال نومُّها
 على كل ما يُفضي إلى موتها هُبي
 فإن تَجِدِي أُولَى المنامِ لذيذةً
 فيأني أرى عقباه قاصمة الصُّلبِ
 أَظَلَّكَ إِبَّانُ الهُبوبِ وأنتِ من
 أضاليلِ أحلامِ الكرى بعدُ في لَعْبِ

(١) المرابي: الزائد.

(٢) الصدع: الشق. والرأب: الإصلاح.

(٣) خساء، يخسئه: طرده وجعله يرتد، ويخسي مخففة من يخسي.

(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فقومي انظري شرق البلاد وغربها
 وما أدركاه اليوم من مرتعِ خِصْبٍ
 فقد أخصباً حسبَ التيقُّظِ منهما
 وألقاك بعد الخِصْبِ نومك في الجدبِ
 وما بعد جدبِ الشعبِ غيرُ حمامه
 إذا لم تُزلْ مكرهه يُقْطِئُ الشعبِ
 وإن لم تشمِ منها تباشيرَ فجرها
 فلسطينُ في التخليصِ من خطبها الصُّلبِ^(١)
 فيقْطِئُ أقوامي ستبقى دفينه
 بتربِ الكرى حتى يعودوا إلى التُّربِ
 ومن لم ينبِّههم أنينُ ذويهم
 لدمعِ يتامى بينهم دائمِ السُّكْبِ
 ونوحِ نكالي الأمهاتِ يمدّه
 على شجوهٍ ما للأيامي من النَّدْبِ^(٢)
 فليس لهم حتى المماتِ تنبّه
 وإن لم تصدقني فسل كلَّ ذي لبٍ
 وهل قيمةٌ عندي لجسمي إذا اعترى
 يدي مرضٌ إن لم أكافحه بالطِبِّ
 وهبنا انتبهننا بعدما تنتهي العدا
 وتفرغ من قتلِ هناك ومن سلِّبِ
 فماذا يُفيدُ الإنتباه سوى البُكا
 لإهمالنا في وقتها نجدة الصَّحْبِ
 لعمراً أبي ما (الإنكليز) بمنته
 لهم مطمعٌ إلا بناه من الرهبِ

(١) شام: نظر.

فإن تصدّموهم كفكفوا من شرورهم
وإلا أتوا منكم على الشخّخ والجأب
فليست فلسطين بأخِرِ حَسَوَة
تَبَلُّ صدى الأعداء بل أول الشُّرْب
وإن لم تُغصِّوهم بها وتُروهم
مرارة ما ظننوا من السائغ العذب
ليلفظ منها ما أراد ازدراده
فم عادّه بلع اللذيذ من النَّهب
تَحَسَّوكم حتى يروا أنهم رُؤوا
ولا ريّ ما شاموا التُّمالة في القعب^(١)



وددتُ بجَدعِ الأنفِ لو كنتُ مبصرًا
قديراً على حمل القنائة أو العَضْب
لأشركَ من باتت فلسطين همهم
من القوم في طعن الطغاة أو الضرب
فلست أرى القولَ المجرّدَ مقنعاً
وإن كان عذري غيرَ خافٍ على ربّي
فليس الفتى من يُغمدُ الجينُ سيفه
وينكصُ إن عنّ الجهادُ على العقب^(٢)
ولكن فتى الفتيان عندي هو الذي
يُعدُّ من الإقدام في الأسدِ الغلب
تطايّرُ عنه في النزالِ عُداتُه
تطايّرُ ريشٍ في زعازعه النُّكْب

(١) شاموا: أبصروا. التُّمالة: البقية من الطعام والشراب. والقعب: القدر الضخم.

(٢) عن: ظهر.

كما جاء «فوزي» العلا و«سعيدُها»
من العملِ المعطيهِما رفعةَ الشُّهْبِ^(١)
وكلُّ كَمِيٍّ ضَمَّهُ عُلْمَاهُما
لإعلاء صوت الحق رغماً على الشُّغْبِ^(٢)
فقد أعربوا في جُرأةٍ عربيّةٍ
إلى اليوم لم تُخَلِ الطغاةَ من الرُّعبِ

(١) إشارة إلى رجلين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.
(٢) الكمي: الشجاع ولابس السلاح.

حَقَّقُوا بِثَوْرَتِهِمُ الْأَمَالَ (١)

لَقَدْ أَنْعَشْتُ مِصْرَ رِجَاءِ بَنِي الْعُرْبِ
فَأَثْنَى عَلَيْهَا مِنْهُمْ كُلُّ ذِي لُبٍّ
غَدْتُ مِنْ بَنِي الْعُرْبِ الْكِرَامِ جَمِيعِهِمْ
مَنَاطُ عُرَى الْأَمَالَ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ
رَأَوْا مِنْذُ ثَارَتْ كُلُّ أَمْرٍ أَتَتْ بِهِ
لِيَعْرَبَ فِيهِ وَجْهُ مَنْفَعَةٍ يُصِيبِي
فَمِنْ كُلِّ مَنْ نَامِيهِ يَعْزُبُ مَا لَهَا
مَحَلٌّ لِعُرْبٍ مِنْذُ ثَارَتْ سِوَى الْقَلْبِ
كَمَا عَنْ قُلُوبِ الْكُلِّ أَفْوَاهُهُمْ غَدْتُ
مَتَرَجِمَةً صَدَقَ الْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ
عَتَبْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ ثَوْرَتِهَا لَمَّا
رَأَيْتُ لَهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ مَوْجِبِ الْعَتَبِ
وَهَلْ يَرْتَضِي الْمَحْبُوبُ حُبَّ مُحِبِّهِ
إِذَا لَمْ يِعَاتِبْهُ الْمُحِبُّ عَلَى الذَّنْبِ
فَرَدَّتْ إِلَى حَمْدِ عِتَابِي كُلَّهُ
لِمِصْرٍ مَسَاعِي أُسْدِ ثَوْرَتِهَا الْعُجْبِ
مَسَاعٍ أَقْرَّتْ أَعْيْنَ الْعُرْبِ كُلَّهُمْ
فَذُو الْبَعْدِ مِنْهُمْ فِي اغْتِبَاطِ وَذُو الْقُرْبِ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَجْتَلِي مُنِيَّةً لَنَا
بِسَعْيِ لِهِمْ عَنْ طَيْبِ عُنُصْرِهِمْ يُنْبِي

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحدث ما سرّوا النفوسَ بكونه
وإعلانه الدستورُ ذو الدفعِ والجلبِ
فلا برحتُ مصرُ بهم وهي مصدرُ
لفرحة أسلاف العروبة والعقبِ
فأيُّ كرامِ العربِ ما سرَّ قلبه
ودستورها الشعبيُّ يُعلنُ للشعبِ
وما الشعبُ إلا بعضُ أمةٍ يعرُبُ
على حالتَي رهبِ الحوادثِ والرغبِ
تبسمَ عنهم ثائرينَ فحقَّقوا
بثورتهم آمالنا مبسمُ الغيبِ
وكم كَنَّ صدرُ الغيبِ رفعاً بمثلهم
لمن كان مثلَ العربِ يشكو من النَّصبِ
وعند اشتدادِ الحاجِ ترفعُ عنهم
يد الله ما يضيفو عليهم من الحجبِ
فعدلٌ وخصبٌ واتحادٌ بديلةُ
من الفرقةِ النكداءِ والظلمِ والجذبِ
وإننا لنرجو أن يتوجَّ سعْيهم
بنزعهم من جنبنا شوكةَ الجنبِ
فقد كُربتُ منا القلوبُ ولم يكن
سوى نزعها يشفي القلوبَ من الكربِ
تأدَّى بنو قومي فسرَّ أذاهمُ
أناساً أقاموها طريقاً إلى السُّلبِ
ولو لم يسرَّ الكلبُ بالعقرِ ربّه
لما زفَّ بعد العقرِ خيراً إلى الكلبِ
وها هي حتى اليوم موضعُ عيْنهم
بما تشتهي من جزلِ مالٍ ومن ذبِّ

جرائمها اللاتي نَمَتَ وتعددتُ
 يَراهنُ أهلُ الغربِ بالعكسِ والقلبِ
 فما نشتكى من صنعها يشكرونها
 لها بلسانٍ من معونتهم رطبٍ
 ولو لم يريدوا رميَ قومي بكلِّ ما
 يُطيبون من شَخْتِ الأذيةِ والجأبِ^(١)
 لما أسكنوا يوماً فلسطينَ عُصبةً
 على القتلِ غدراً قد رَبَّتْ وعلى النُهْبِ
 وشدوا القوي منها بتسليحهم لها
 إلى أن غدت تحكي به ذنْبَ الضبِّ
 وسدوا علينا طُرُقَ تسليحنا فلم
 ننلَ برضاهم من سِنانٍ ولا عَضْبِ
 سماؤهم كانت صواعقَ فوقنا
 وفوق بني صهيون ممطرةُ السُّحْبِ
 لهم أبعدوا عن أرضنا أهلَ أرضنا
 بأيدي قوى تَنِيْنُها دائبُ اللُّسْبِ^(٢)
 لتبقى رحي استعمارهم في ديارنا
 تدور من الغُدْرِ اليهودِ على قُطْبِ
 فكلُّ فؤادٍ يعرَبِيٌّ قد انطوى
 لصنعِهم الوحشيِّ هذا على نَدْبِ^(٣)
 على ظلمنا من ساسةِ الغربِ لا أرى
 سوى مُقَدِّمِ طوعِ الهوى بطلٍ نَدْبِ^(٤)

(١) الشخت: الدقيق والنعيف. والجأب: الغليظ.

(٢) اللسب: اللدغ.

(٣) الندب بفتح النون والذال: الجرح وسكنها للشعر.

(٤) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّهُمْ
 لَنَا أَصْدِقَاءُ مَخْلُصُونَ بِلَا رَيْبٍ
 بِمَا أَسْمَعُونَنا مِنْ كَلَامٍ مُودِعٍ
 تُكذِّبُهُ الْأَفْعَالُ فِي الْوَهْدِ وَالْهَضْبِ^(١)
 لِيَأْنِ مَقَالٍ قَدْ يَغُرُّ لَوْ أَنَّهُ
 يَجِيءُ بِلَا لَدَغٍ مِنَ الْعَمَلِ الصُّلْبِ
 نِفَاقٌ أَتَى اسْتَعْمَارَهُمْ دَارِعًا بِهِ
 وَخَبٌّ فَبَعْدًا لِلنِّفَاقِ وَلِلْخَبِّ^(٢)
 أَبَالْسَهْمِ مَسْمُومًا تَرِيدُ إِصَابَةً
 لِمَا بَيْنَ أَضْلَاعِي مِنَ الْكِبِدِ وَالْخَلْبِ^(٣)
 وَتَزْعَمُ لِي مِنْ بَعْدُ أَنَّكَ وَامِيقِي
 وَهَلْ مِقَّةٌ تَدْنِي إِلَى مَنْقُضِي النُّحْبِ^(٤)
 بَنُو يَعْرَبٍ يَا غَرْبُ لَيْسُوا كَمَا تَرَى
 مَجَانِينَ حَتَّى يَأْخُذُوا مِنْكَ بِالْكَذْبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ فِي فِلَسْطِينَ مَا جَنَنْتَ
 يَدَاكَ بَرْدَ الصَّدْعِ مِنْهَا إِلَى رَأْبٍ
 فَغَيْرُ مُحَالٍ أَنْ تَرَى مِنْ حَسَابِنَا
 عَسِيرًا مَتَى وَافِي تَقْلٍ مَشْفَقًا حَسْبِي
 وَإِنْ تَرَهُ صَعْبًا عَلَيْنَا فَكَمْ ثَنِي
 إِلَى السَّهْلِ صَنَعُ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ صَعْبٍ



(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهضب: الجبل المنبسط.
 (٢) الخب: الخداع.
 (٣) الخلب: حجاب القلب.
 (٤) وامق: محب، والمقّة: الحب. منقضي النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَتْنَا مِنَ الْغَرْبِ الرُّمَاءُ بِشَرِّ مَا
به يَنْتَنِي الْأَمْنُ الْعَمِيمُ إِلَى رَهْبٍ
بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ كُلِّ مَنْ نَبَذَتْهُمْ
ديارُ الْوَرَى نَبَذَ الشُّبَاعُ نَوَى الْقَسْبِ^(١)
لَكَيْمَا يَرَوْا مِنْهَا أَدَاءَ خَبِيثَةً
مِلَازِمَةً نَشَرَ الْمَفَاسِدَ وَالرُّعْبَ
فَمَا مَرَّ يَوْمٌ لَمْ تَثِبْ فِيهِ حَسْبَ مَا
يَشَاءُ لَهَا الطَّبَعُ الْغَدُورُ مِنَ الْوَتْبِ
وَقَدْ أَمِنْتَ مِنَّا لَطُولِ احْتِمَالِنَا
عَوَاقِبَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلِ الذُّنْبِ
وَيَا طَالَمَا غَرَّ التَّفَاضِي مَشَاغِبًا
فَأَوْغَلَ حُمُقًا فِي التَّحْرُشِ وَالشُّغْبِ
إِلَى أَنْ تَلْقَاهُ الْخَصِيمُ مَجَازِيًا
بِمِرْغَمَةٍ مِنْهُ الْمُعِيطَسُ فِي التُّرْبِ^(٢)
وَفِي حُمُقِ إِسْرَائِيلَ لَمْ أَرْ مَعْشَرًا
تَكشَفَ عَنْهُ الْعَصْرُ أَوْ وَرِقُ الْكُتْبِ
عَصَا السُّبُلِ أَلْقَتْهَا مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ لَا
أَمَانَ لِعَادٍ مِنْ زَعَاذِعِهَا النُّكْبِ
ووظننتُ جَوَازَ الْعَيْشِ بَيْنَ ضِيَاغِمِ
صَحَاحِ لِدُؤْيَانٍ مَحْرُشَةٍ جُرْبِ
كَأَنَّ أَسْوَدَ الْغَابِ تُدْرِكُ مِثْلَهَا
مِنَ الْغَابِ فِي سَهْلِ الْمَرَابِضِ وَالرُّحْبِ

(١) القسب: الثمر اليابس.

(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الأنفوس. وارغمه جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

أطاعت من المغوين كلَّ مغررٍ
بها يبتغي منها وسائلَ للكسبِ
ولم يَعْنِه من شأنها مثلُ ما بهِ
يظلُّ من الشرقيين في المرتعِ الخصبِ
ولو فُكِّرتْ خافتَ تَبَوُّاً منزلِ
مميتٍ لها مما غدا حُسْنُهُ يَسْبِي
ولم يَغْوِها مغولُها بنزولهِ
ولو جاءها الإغراء من ساحرٍ طَبِّ
ولكن عسى استئصالُ شأفتِها دُنا
فكم من عذابٍ قد تولَّدَ من عَذْبِ
وما طيران النملِ إلا علامةٌ
على أنه منه دنا قاسمُ الصُّلبِ
وأكبَّرُ ظنِّي أنه حُمٌّ موثُّها
بأيدٍ شدادِ الطعنِ في الحربِ والضربِ
طوالِ متيناتِ القوى يعربيةِ
عليها يتوبُّ الغاصبون عن الغصبِ
بهنَّ سيرميهنَّ جمالٌ وصحبُهُ
فقل في جمالٍ ما تشاء وفي الصُّحْبِ
بنا سلكوا درباً إلى كلِّ ما بهِ
يعود لنا المجدُّ المنيفُ على الشَّهْبِ
وغايةُ هذا الدربِ غيرُ بعيدةٍ
فأمثالُهم تدنو بهم غايةُ الدربِ
فَزِدْ من حياتي في حياةِ جمالِنا
وأصحابه الغُرُّ الميامين يا ربِّي
فمحياتهمُ محياً لآمالِ يعربِ
وأبنائه في الشرقِ كانوا أو الغُربِ

أُحْيِيهِمْ طُرّاً وَأَرْجُو بَقَاءَهُمْ
نجوم هدى للعرب في مظلم الخطب
أطلت عتابي قبل واليوم أشتهي
من الحمد ما يحكيه في الطول أو يُربي^(١)
فيعتاقني عن ذاك ضعفُ به رمى
قوى جسدي رامٍ مميتٌ من الشَّيب
وهل ضعفُ جسم المرء يترك عزمه
قويّاً يواتي للحصول على الإرب^(٢)

(١) يربي: يزيد.

(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني^(١)

يُخَيِّلُ لي أني ثَقِيلٌ على الألى
أزور من الصَّيِّدِ الألى وَدَهْمُ قَلْبِي^(٢)
لذلك من شاقوا فَوَادِي يَرُونَنِي
قليلَ اللقا بالرغم من كثرةِ الحُبِّ
ومن يتخَيَّلُ ثِقَلَ زورته يكن
لمنزله حِلْسًا حِذَارَ أذَى الصَّحْبِ^(٣)
وما لي في دفع التَخَيَّلِ من يَدِ
فأغدو منهم طوعَ ودي على قُرْبِ
إذا عَنَّتِ العاداتُ يوجِبْنَ وصلهم
أبى أن أراه تاركًا نحوهم دَرَبِي
فلم ألقَ من صحبي الكرامِ مهنئًا
بذا العيدِ من مَلْقَاهُ لي شائقٌ مُصْبِي
قعدتُ وحُبِّي أن أقوم مؤديًا
حقوق صحابي الغُرِّ يشتدُّ في جَدْبِي
فلم يَسْتَحِلْ كَوْنُ التَخَيَّلِ صادقًا
كما جاز منه أن يوافي بالكِذْبِ
فلن كان ذا صدقٍ أرحتُ أحبَّتي
وإن كان ذا كذبٍ فيا حَسْبَهُ رَبِّي

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً ويراد بهم هنا الكبار العظماء.

(٣) يقال فلان جلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المتاع وما يوضع تحت لبد الدابة.

فهل في قعودي عن أدائي واجباً
 عليّ به العادات يحكّمُن من عَتَبِ
 أجِبْنِي يا فخرَ الكويت ومن به
 حوت رغم تصغير اسمها أعظمَ الشُّهْبِ
 فما أنا عن فتوى ابن عيسى بمائلٍ
 ولو جشمتني السيرَ في مسلكِ صَعْبِ
 أرى طاعتي إياه مفخرةً على
 مفاخريّ اللائي أدلّ بها تَرْبِي^(١)
 فيوسفُ هادينا وهادي هُداتنا
 إلى غايَتِي شَخْتِ المكارمِ والجَابِ^(٢)
 فلولاه لم أعرف طريقِي إلى العُلا
 ولم أقضِ حتى اليوم من وصلها إرْبِي
 سجاياه أعجبن النفوسَ نفاسَةً
 ولم نَلَقَهُ يوماً بهنَّ أخا عَجْبِ
 كأن لم يكن يدري محاسنَ نفسه
 وقد راح مسحوراً بها كلُّ ذي لُبِّ
 ولو كان شعري كفاءَ وصفِ خِلالِهِ
 لما كان إلا وصفَهُنَّ به دأبي
 فَحَسْبِي فخرًا أن أكون مواظبًا
 بشعري على وصفِي خلائقَهُ حَسْبِي
 ولكنَّ شعري لم يكن كفاءَ وصفِها
 ولو كان منظومًا من اللؤلؤ الرُّطْبِ

(١) أدل على أقرانه: تعاضم عليهم واجترأ. الترب: النديد الذي سنه مثل سنك.

(٢) الشخت: النحيف الدقيق. والجاب: الغليظ.

المرء حسب السجايا (١)

أثنى عليك مُحِقّاً مَقُولُ الأَدَبِ
يا من نماه لخيرِ الرُّسُلِ خَيْرُ أبِ
فكم نظرتَ إلى الآدابِ تنعشُها
وأهلِها نظراتِ المشفقِ الحَدِيبِ
وكم عطفتَ إلى الآدابِ منحرفاً
عنهنَّ عطفَ سديدِ الرأيِ ذي الدَّرَبِ (٢)
فصار يسكنُ لآدابِ منجذباً
لها انجذابَ أخي الأطماعِ للذَّهَبِ
وكان قبلُ عن الآدابِ مبيتعداً
ولا ابتعادَ صحيحِ الجِدِّ عن جَرِبِ
فلو حَبَّتْكَ الكويْتُ الشكرِ منصفَةً
صاغتهُ مُحْكِمَةً من جَوْهَرِ الشُّهْبِ
فأنت أنت إذا آدابُها نَبَسَتْ
أفواههُنَّ بشكوى نازلِ النُّوبِ (٣)
عنايةً منك بالآدابِ دائِبةً
ولا سامةً والإسامةُ في الدَّابِ
سجِيَّةً فيك حبِ العلمِ راسخةً
رسوخَ حبِّ ذويه منك في العَصَبِ

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بك بن السيد خلف باشا النقيب.

(٢) الدرب: التجارب.

(٣) نبست: نطقت.

أجبت في رفَعِكَ الآدابَ دعوتها
ومن سوى طبعه ناداهُ لم يُجِبِ
والمرءُ حَسَبَ السَّجَايا فيه تنعتهُ
بالحمدِ أو ذمَّها النُّعَاتِ في العُصَبِ
ما الطبعُ للجِدِّ مِيالاً بصاحبه
كالطبعِ في المرءِ مِيالاً إلى اللُّعِبِ
فطبعُ ذي الجِدِّ يُولِيهِ وَيُتَحَفُّهُ
من حمدِ كلِّ ألي الألبابِ بالنُّخَبِ
وطبعُ ذي اللُّعِبِ الممقوتُ مرتسمٌ
في عِرضِهِ نُدْبٌ منه على نُدْبِ
كلِّ يُريدُ معالي المجدِ يَكْسِبُهَا
والطبعُ يَغْلِبُهُ منه على الأربِ
وإن تَكُنْ سُبُلُ أهلِ الجهلِ متعَبَةً
وليس في سُبُلِ الأُعبابِ من تَعَبِ
فالنَّبِيعُ ما نال إلا من صلابتهِ
في كلِّ غاشيةٍ فضلاً على الغَرَبِ^(١)
هل حاز قَطُّ أثيلَ المجدِ غيرُ فتَى
لم يكثرث في طريقِ المجدِ بالنُّصَبِ
من خاف من خطرِ الرِّجَافِ يَهْلِكُهُ
فكيف قُلِّ لي لهُ باللؤلؤِ الرُّطِبِ^(٢)
ومن يَخَفُ من عوادي النحلِ عاديةً
فغيرُ ظافرةٍ كَفَّاهُ بالضَّرَبِ^(٣)

(١) النبع والغرب: نوعان من الأشجار.

(٢) الرجاف: البحر.

(٣) الضرب: العسل الأبيض.

يا من بحبّة قلبي اليوم قد سكنتُ
له المحبّة سُكنى غير مُنْقَلِبِ
لو لم تكن لأبْر الرُّسُلِ منتمياً
لكنت من بركِ الموصولِ في عَجَبِ
لكن فرعَكَ من أركى الجذور بدا
والطيب في الجذر يُبقي الطيبَ في الشُعَبِ
والفَرْعُ كالأصل في طيب الثمار أما
يأتي الفسيل كمثل النَّخْلِ بالرُّطَبِ
وأصلُكَ الأصلُ إذ أضحت وشيجتُهُ
موصولة السببِ الأقوى بخيرِ نبي^(١)
بخيرٍ من بهُدى إرشاده رَشَدَتْ
هذي البريةُ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ
بخيرٍ من هتكت أنوار بعثته
من كل ديجورٍ جهلٍ أكثَفَ الحُجُبِ^(٢)
بخيرٍ من مدحتي علياءهُ قُرْبُ
تعتدُّها مهجتي من أفضلِ القُرْبِ
وكيف أمدحُ من جاءت مدائحه
من بارئ الخلق في الأسمى من الكتُبِ
ما قَدْرُ مدحك يا «صقر» الذي وردت
في مدحه معجزاتُ المِقْوَلِ الذَّرْبِ^(٣)
أي من الحق ما جال البصير بها
بلحظٍ نُهَيْتِهِ يوماً فلم يُنِبِ^(٤)

(١) الوشيجة: ما يشد به ويوصل.

(٢) الديجور: الظلمة.

(٣) المقول الذرب: اللسان الفصيح.

(٤) النهية: العقل.

أتيتني يا أبا «نوري» بعارفةٍ
فقلت لا بدع غيثُ جاء من سُحُبٍ
لكن بلوغُ مدى ما تقتضيه لكم
من واجب الشكرِ عنه العَجْزُ يَقْعُدُ بي

العلم العلم

نشء الكويت صلوا بالجد والدأب
ما يستجد من الأيام والحقب
لا شيء كالعلم يُدني نفس صاحبه
من الحياة ويُقصيها عن الشَّجَب^(١)
وليس كالعلم للعلياء من درج
وليس كالعلم للنعماء من سبب
لم يُبدل الجدب خصبًا غير مُمطره
للناس من هذه الأفراد والعُصَب
ولا يمين اجتنت إلا ببسطته
ثمار نازحة الخيرات عن كئب
الشرق والغرب قد نالا به رتبًا
جلت عن الوصف بالأشعار والخطب
لولا العلوم لما أبصرتم أحدًا
يرقى إلى الرتبة العلياء في الرتب
ولم ترؤا أمة في الناس ساحة
كما تريد ذيول المجد والذهب
وليس للطلب المطلوب أونة
كهذه فابذلوا الجهود في الطلب
وثابروا واستحسوا كل من فترت
منكم عزيمته أو مال لالعيب

(١) الشجَب: الهلاك.

حتى نرى الوطن المحبوبَ مشتملاً
 من مجدكم بثيابِ المفخرِ القُشْبِ
 يا أيها النَّشءُ ما كانتِ جدودكمُ
 يَرْضَوْنَ إلا بسبقِ الناسِ والغَلْبِ
 ولا سبيلِ إلى سبقٍ ولا غلبِ
 لعادلٍ عن سبيلِ العلمِ مجتنبِ
 فأتعبوا في التماسِ العلمِ أنفُسكمُ
 تُتُّنوا إذا انجلتِ العُقبي على التَّعبِ
 لولا متاعبُ غُرَّاسِ النخيلِ لَمَا
 جَنَّتْ أَكْفُهُمْ شَيْئاً من الرُّطْبِ
 من يعرفُ الغايةَ المثلى تَطَأَبَّهَا
 مهما رأى سُبُلَهَا ترميه بالنَّصَبِ^(١)
 ما كان حبلُ عَلَا من نحنُ نَسألُهُمْ
 - لو لم نكن نحنُ جُهَّالاً - بمنقضبِ
 ولا اتَّصَالَ له إلا بعلمكمُ
 فعن سوى أخذه كونوا ذَوِي نَكَبِ^(٢)
 تعلّموا تُرجِعوا ما انبتَّ متّصلاً
 فمن يَرْمُ مطلباً بالعلمِ لم يَخِبِ^(٣)
 فليس بالعلمِ كسرٌ غيرٌ منجبرِ
 وليس بالعلمِ ناءٌ غيرٌ مقتربِ
 ما لي أبتُّ مزياءهُ وليس على
 وجوهها الفاتناتِ الحسنِ من حُجْبِ

(١) النصب: التعب والإعياء.

(٢) النكب: العدول والنكوص.

مَا كُنَّ قَطُّ إِلَى الْإِبْرَازِ فِي عَوَزٍ
فَقَدْ بَرَزْنَ بِوَجْهِ غَيْرِ مُنْتَقِبِ
وَصَفْحَةِ الشَّمْسِ تَغْنِي كُلَّ ذِي نَظَرٍ
عَنْ وَصْفِهَا بِلِسَانِ الْقَائِلِ الذُّرْبِ
لَكِنْ تَغْنِي الْفَتَى بِالْحَسَنِ يُطْرَبُهُ
وَقَدْ تَغْنَيْتُ أَبْغِي لَذَّةَ الطُّرْبِ

بين العري والسغب

ذكرتُم كلَّ شيءٍ كان مقتضياً
إصلاحكم ونسيتمَّ خادمَ الأدبِ
وقد ألوذُ بركنِ الصبرِ منتظراً
نحوي التفاتكم المرجوَّ عن كُثْبِ^(١)
لو كان سالفُ عهدينا لحاضرنا
أبقى من الصبرِ ركنًا غيرَ مضطرب
ما زلتُ من فاقتي في من قضى ومضى
أشكو الإقامة بين العريِّ والسَّغْبِ^(٢)
فهل من العدل أن أبقى تُناوبني
أيدي النوائبِ إعساري وتلعبُ بي^(٣)
أليس من واجبِ الآدابِ أخذكم
بكفِّ خادمها المُشفي على العَطْبِ

(١) عن كُثْبِ: عن قرب.

(٢) السَّغْبِ: الجوع.

(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللعب به.

اتحاد مصر وسوريا^(١)

بين (شكري) و(جمال) العَرَبِ
خَيْرُ حِافٍ مَوْصِلٍ لِلأَرَبِ
أَتَبَعَاهُ بِاتِّحَادٍ صَارِفٍ
- مِثْلَ مَا نَهَوَى - صُرُوفَ النُّوبِ
أَتَّحَادُ سَرٌّ جِدًّا كُلُّ مَنْ
قَدْ نَمَاهُمْ يَعْرِبُ الحُرَّ أَبِي
اتِّحَادُ مَجْدٌ أَقْوَامِي رَأَى
لِرَحَاهُ مِنْهُ أَزْكَى قُطْبِ
اتِّحَادٌ حِينَ بُشِّرْتُ بِهِ
قَلْتُ لِلْقَلْبِ الحَزِينِ الحَرْبِ
يَا حَزِينًا لِلتَّنَائِي بَيْنَنَا
قَدْ تَدَانِينَا فَصَفَّقْ وَاطْرَبْ
اتِّحَادُ مَا لِحَضَادِي إِلَى
مَعْقَلِ إِيَّاهُ مِنْ مَنَقَلِ
فَلَعَدْنَانِ إِلَيْهِ كَأُهَا
كُلُّ شَوْقٍ مِثْلَهُ مِنْ يَعْرُبِ
فَهُوَ المَنْجِي لَهُمْ فِي عَالَمِ
مُسْبِعِ الأَرْجَاءِ طُرًّا مُذْتَبِ
فِيهِ لَا يَنْجُو مِنَ الفَرَسِ سَوَى
بَارِزِ النَّابِ حديدِ المِخْلَبِ

(١) قالها في ١٩٥٨/٢/٢٢.

واتحادُ القومِ أقوى ما تُنى
لهمُ أمنًا شديدِ الرهبِ
كالذي الحُرَّانِ جاءنا به
مُذنيًا منا جميلَ المطبِ
نأملُ الأجلَ منه كلُّما
قد تَنَمَّى فهو اليومَ صَبِي
فَلِشكري خَيْرُ شكرٍ مثله
لجمالِ مُعتلي القدرِ الأبي
استضيئي بهما يا أنفَسًا
تُهَنِّ في ظلماءِ ظُلمِ الأجنبي
فَكِلا الحُرَّينِ بدرُ طالعُ
في بني الضادِ لكشفِ الغيبِ^(١)
وظلامِ الظلمِ منجابُ بما
أرسلاه من سنًا مالتهبِ
بعضُنَا اليومِ يهتِي بعضُنَا
بك يا عيدُ وما من عَجَبِ
خيرُ عيدٍ أنتِ عنه ارتفعتِ
لعيونِ العُربِ حُجُبُ الحِقَبِ
أيُّ عيدٍ مشبهُ ما ضمَّنَا
بعدِ تشتيتِ الزمانِ المذنبِ
أنتِ عيدُ طولِ محيانا لنا
وإذا متنا فعيدُ العَقَبِ^(٢)
بك أرضانا زمانُ طالما
قد رمانا بالمُشْتِ المغضبِ

(١) الغيب: الظلمة.

(٢) العقب: العاقبة، وهنا يريد من يعقبنا ويأتي بعدنا.

يا رُئِيسَينَا مُرانا نَأْتَمِرُ
بَعْدَ هَذَا وَاذْعُوانا نُجِيبُ
لِكُما الوَحِدَةُ لَمْ تَتْرَكَ سِوَى
كُلِّ مَصْغٍ مِنْ فَتَى أَوْ أَشْيَبِ
وَيَقُولُ الكُلُّ عَمَّنْ عِنْدَكُما
ثَقُلْتَ مِنْهُ الخَطِيءُ لَمْ يُصِيبِ
جَنَّتِمانَا - بَعْدَ عِيشِ يَشْتَكِي
خَبِئَةُ الكُلِّ - بَعِيشِ طَيِّبِ
بِكُما اليَوْمِ تَأْتَتْ وَحِدَةٌ
قَوِيلَتْ مِنا بِأَلْفِي مَرْحَبِ
قَدْ لَمَسْنَا الكُفَّةَ مِنْها صَادِقًا
لَا خِيارَ إِلاَّ تِرايَ يَكْذِبِ
وَحِدَةٌ فِيها رَأينا بِرَدِي
نَيْلَ مَصْرٍ وَهِيَ شَطْرًا حَلَبِ
لَمْ نُعَوِّلْ قَطُّ فِي المَحيا عَلَيِ
شَبَّهَها حَصْنًا وَلَمْ نَنْجِذِ
وَحِدَةٌ لَأَنْتَمَتِي فَوْقَها
غَيْرَ أَنْ تَبْقِيَ بِقاءَ الشَّهَبِ
مَشْرِقيُّ العُربِ يَلْقَى مَسْهَلًا
مِثْلَهُ فِيها أَخاهِ المَغْرِبِي
أَمْطَرْتِنا سُحْبٌ مُلْبِسَةٌ
يَابَسَ المَحيا اخْضَرَّ العُشْبُ
وَإِذا شِمْنا رَأينا مَدَدًا
قَافِيًا أَثارَ تِلْكَ السُّحْبِ

فإذا السُّحْبُ تَلَاقتُ فَالْمُنَى
 ثُمَّ مَا مِنْهَا اطَّيَّبِي أَوْ يَطَّيَّبِي (١)
 وَحِدَّةٌ لَيْسَ سِوَاهَا دَافِعًا
 عَنْكُمْ الطَّمَاعَ جَمَّ الشَّعْبُ
 إِنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَبْرَحْ كَمَا
 كَانَ مِنْ قَبْلُ مَخُوفَ الْكَلْبِ
 مَا رَأَى شَعْبًا ضَعِيفًا مَرَّةً
 وَعَلَيْهِ لَمْ يُغِرُّ أَوْ يَثِيبُ
 وَهِيَ فِي السُّدُودِ أَرَاهَا إِنْ عَدَا
 أَهْبَابَةً تَفْضُلُ كُلَّ الْأَهَبِ
 كَمَا لَنَا شَعْبٌ حَبِيبٌ يَشْتَكِي
 مِنْهُ شَرًّا بِاللِّسَانِ الْمُعَرَّبِ
 اذْكُرُوا شَعْبَ عُومَانَ وَالَّذِي
 يَتَلَقَى مِنْ مَبِيدِ الشَّجَبِ
 وَفَلَسْطِينَ الَّتِي مَا تَرَكْتَ
 دَمْعَةً مِنْ أَدْمُعِي لَمْ تُسْكَبْ
 وَفَرَنْسَا وَالَّذِي تَطْرَحُهُ
 فَوْقَ إِخْوَانِ لَنَا مِنْ عَطَبِ
 دُونَ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَطْمَعِهِ
 الْمُرِينَاهُ بِثَوْبِي أَشْعَبُ (٢)
 لَيْسَ الْاسْتِعْمَارُ عَنْكُمْ يَرْعَوِي
 مَا رَأَى صَدْعًا بِكُمْ لَمْ يُرَأَبْ (٣)
 إِنَّهُ الذَّنْبُ الَّذِي إِنْ سَنَحْتَ
 فَرِصَةً يَظْهَرُ وَإِلَّا يَخْتَبِي

(١) أطباء طبيه: استماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطمع. والمريناة: الذي يرينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لورأى الوحده هذي ما رمى
أحدًا منَّا بإحدى الكُربِ
فإلى الوحده يا قومي لكي
تأمنوا شرَّ كثيرِ الرِّيبِ
لم يَنلنا من بعيدِ شرُّه
قبل أن نُشئتَ أو عن كُتب^(١)
أمتي الدهرَ عليها اعتمدي
وعلى صونِ نواحيها أدبي
نقمةٌ كبرى على استعمارهم
إن رآها تتلطَّى يذب
وعالينا نعمةً في دعوتي
نحوها سابقِ شعري خُطبي
طالما رحتُ أغنيكم بها
قبلَ شيبِ لي تني لم أشبِ
كِبَري عن أن أغني مُوهنُ
بأسأه قوتِّي والوصبِ
لكن الوحده سرتني كما
سُرَّ بالغيثِ فؤادُ المجدبِ
وشفت مني القوى فاتجهت
كأها خلف القوافي الغُيبِ
ولكم قوتٌ ضعيفًا فرحةً
فرأى الراحة بعد التَّعبِ

(١) عن كُتب: عن قرب.

شهرآب^(١)

أَعْبَدَ المحسنِ القاضي بعدلٍ
وفصلٍ في القضيَّةِ والخِطابِ
إلى عليائك الأشواقُ تدعو
فأنهضُ للإجابةِ جدَّ صابي^(٢)!
فيَقْعُدُ بي اشتدادُ الحرِّ عن أنْ
تكونَ زيارتي لك من جوابي
فأَقْعُدُ قائلًا حسبي جوابًا
لصوتِ الشَّوقِ دمعي واكتئابي
ويكفي بعضُ أجوبتي إذا ما
شَّمَسُ جميعها عَزَّ اقتصابي^(٣)
فإن نامتْ عيونُ الحرِّ يومًا
أرَّتكَ إليك أشواقِي انجذابي
وما بيني وبينك ألفُ ميلٍ
فأقنعُ منك في ذاك الجواب
وهل أرضى بذلك وأنتَ مِمَّنْ
يحاولُ هِمَّةً مسَّ السَّحاب

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.

(٢) الصابي: المشتاق.

(٣) الشَّمَسُ: الجموح. عز: غلب. واقتصاب: الاختصار.

وأما اليومَ تجذبُني فيأبى
من الحرِّ انجذابي شرَّ أب^(١)
وكننتُ إذا نويتُ وجَدتُ عزمي
لِما أنوي من الصِّمِّ الصُّلابِ
وذلكَ في شهورِ العمامِ طُرّاً
إذا استثنيتُ منها شهرَ «أب»
يُذيبُ الحرَّ عزمي فيه حتى
يَهْمُ الذُّوبُ منه بأنصِبابِ

□

(١) أب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى الممتنع من أبى يابى وذلك منعاً لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبدالمحسن الباطين بهذه القصيدة:

أصقرُ من حوى العليا فأضحى
فريداً في الشيوخ وفي الشباب
أتاني منك نظمٌ كاللآلي
فزال به من الأحزان ما بي
أتى فقرأته فثملتُ منه
فياالله ذلك من كتاب
لعمرك ما سمعنا قبل هذا
بأن اللفظ يُسكر كالشُّراب
وقالوا أنتَ في الشعراء فردُ
ولكن في الكويت بلا ارتياب
لقد بخسوك حقك يا أديباً
وما كانوا بذاك على صواب
فإنك شاعرُ الدنيا جميعاً
وما ذا صاح بالشئي العُجاب
فكم معنى أتيت به غريباً
وكم أعجبت قومًا في خطاب
وكم أنهضت شعباً من خمولٍ
فهم لولاه كانوا في تباب
ألا يا سيِّد الشعراء عطفًا
على صبٍّ مشوقٍ ذي اكتئاب
قطعتُ إلى اللقا تسعين ميلاً
وفيها نقتُ أنواع العذاب

وقد أعياك عني قطع ميل
وبالتحقيق يقصر عن حسابي
وما زرت الكويت لأجل شيء
سوى أنني إلى الأحباب صاب
ومن عجب جعلت الحرر عذراً
وما حرير يرد عن الصحاب
إذا لم تأتني وأنا قريب
فسيان بعادي واقترابي
وما لي عنك من عذر مبين
وكيف وأنت في شرخ الشباب
وحاشا أن تهب عليك مني
- وإن حصل الجفا - ربح العتاب
أتينناكم بتمؤز وفيه
لكم عزم من الصم الصلاب
فكيف قد انثنى يا خل عني
وهلاً عاد صلباً في غيابي
ألا رفقا بعزمكم لكيلا
يهم من الحرارة بانصباب
وقال الناس ما للشيخ صقر
أعد الوصل بركان انقلاب؟
لقد ساءت ظنون القوم فينا
وقالوا الزور يا عالي الجناب
فقمتم أغالط الأعداء كيلا
تزيد شماتة الأعداء مصابي

أما والله لو يا صقرُ تدري
بما في القلب من فرط اضطرابي
لطرتَ إلى اللقا بجناح عزمٍ
ولم تستثنِ عنا شهر أب
وما أنا عندكم في شهر أبٍ
ولكن جاء أبٌ في إيابي
فهذا ما جرى فاحكمُ بعدلٍ
فإنك في القضيَّة لا تحابي

نُبُّ يَا شَعْرَ عَنِّي^(١)

لَعْبِدِ الْمَحْسَنِ الْحُرِّ الْبَابِ
تَحْمَلُ مَا تُطِيقُ مِنَ الْعِتَابِ
وَأَفْصِحْ فِي الْعِتَابِ وَلَا تَلْجَلِجْ
كَدَأْبِكَ فِي مَعَاتِبَةِ الصُّحَابِ
وَنُبُّ يَا شَعْرُ عِنْدَ الشَّيْخِ عَنِّي
مِنَابِكَ فِي نَوَائِبِي الصُّعَابِ
فَعَنْ قَوْسِ التَّهَكُّمِ قَدْ رَمَانِي
بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِي حِسَابِي

...

بَعَثَتْ لَنَا بِهَا صَهْبَاءٌ فَاقَتْ
فَلَيْسَ لَهَا ضَرِيبٌ فِي الشُّرَابِ
لَهَا حَبَبٌ بِدُرِّ الْبَحْرِ يُزْرِي
وَلَكِنْ تَحْتَهُ سَمُّ الْحُبَابِ^(٢)
مِنَ الْهَزْءِ السُّمَامِ دَسَسَتْ فِيمَا
لَنَا أَهْدِيَتْ مِنْ رَاحِ الْجَوَابِ
فَلَوْ أَنَّا عَلَى غَفْلٍ عَبَبْنَا
بِهَا لَمْ نَصْحُ مِنْ سُكْرِ الْمُصَابِ^(٣)

(١) ولما وقف الشاعر على جواب القاضي عبدالمحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، رد عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.

(٢) الحباب: الحية.

(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبل أن نحسُّ وأطلُّنا
 تأمُّلنا بمنظرها العُجاب
 فأنبأنا تأمُّلنا رواها
 بما فيها لنا قد كنت خابي^(١)
 فيا ابن سَمِيٍّ خَلَّ الله كُنَّا
 نظنُّكَ غيرَ مرهوبِ الخلاب^(٢)
 فقل لي ما دعاك إلى صنيعِ
 مثيرِ فيك شكِّي وارتياحي
 لعلك قد جهلتَ أمِنُ نُضارِ
 صديقُكَ صيغُ أم هو من تُراب
 فجئتَ عن الحقيقة منه تجلو
 بذاك الصنعِ مَسْدولِ النُّقاب
 لتصبحَ منه - تُرَبًّا - في ابتعادِ
 وتصبحَ منه - تَبْرًا - في اقتراب
 وذلك عند أهلِ الحزمِ معَ مَنْ
 غدا مثلي يُعدُّ من الصُّواب
 فإنَّ حقيقتي عن كلِّ مَنْ لَمْ
 يُجالِسني طويلاً في احتجاب
 ومَعذورٌ على فحصي ولكن
 وددتُ بأنَّه صافي الخِصاب
 ليسبُرَ غَوْرَ كُنْهي دونِ علمي
 بشيءٍ من مثيراتِ اضطرابي
 فعلمي بابتلائك كُنْهه نفسي
 يؤلِّفُ بين قلبي واكتئابي

(١) الخابي: المخفي مخففة من الخابي. والرواء: حسن المظهر.

(٢) الخلاب والمخالبة: الخداع والمخادعة بلطيف الكلام.

لأنني بعد فحصك لست أدري
أحظي الوصل منك أم اجتنابي
وما بي حين أفحص من هناة
فلم تشدد على عيب عيابي^(١)
فأخشى عن معيب الكنه مني
يكون على يد الفحص انجياي
ولكني أخاف الفحص يخطي
فيبدي الأسد في صور الذئاب
وكم أبدي من المبلو كنها
ضلال المبتلين على انقلاب
وما بك حين تبالو من غباء
فأخشى أن تجور ولا تغابي
وكيف وأنت أذكانا فوآدا
وأبعد من قضي من أن يحابي
ولكنني أحاذر سوء حظ
إلى تشويه كنهه جي صابي
وذلك من ظنوني ما عليه
بما قد جنته وقع انتخابي
فإن قرطست من هدفي كلاه
بسهم الظن فالإقصاد دابي^(٢)
وما فوقت من ظني سهاماً
إلى غرض فكن من النوابي^(٣)

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنه فلم يخطئه والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوق السهم: جعل له فوقاً. والفوق: مشق رأس السهم.

وَإِنْ أَشْوَى الْحَقِيقَةَ سَهْمٌ ظَنِّي
 فَمَا كُلُّ السَّهَامِ مِنَ الصَّيَّابِ^(١)
 وَلَوْلَا مَا انْطَوَى قَلْبِي عَلَيْهِ
 لَجَدْتُكَ مِنْ وَدَادٍ مَسْتَطَابِ
 لِأَهْمَلْتُ الْعَتَابَ وَلَمْ أَحَاوِلْ
 بِهِ إِنْعَاشَ طَرْفِكَ وَهُوَ كَابِي^(٢)
 يِعَاتِبُ إِنْ كَبَّوْتَ صَاحِيحٌ وَدٌّ
 وَيَغْضِي عَنْكَ ذُو الْوُدِّ الْكَذَابِ
 وَمَأْمُولٌ لَدَيْكَ الْعَفْوُ إِمَّا
 تَجِدُ مِنِّي اشْتِدَادًا فِي خَطَابِي
 فَإِنَّ شِدَائِدَ الْأَيَّامِ أَعْدَتُ
 مِقَالِي الْيُبْسَ وَهُوَ مِنَ الرُّطَابِ
 تَرْوِحَ عَلَيَّ أَيَّامِي وَتَغْدُو
 بِمَا مِنْ دُونِهِ وَخُزُّ الْحِرَابِ
 يَحْمُؤُنِي رِزَايَاهُ زَمَانٌ
 عَلَى أَحْرَارِهِ جَمُّ الضُّبَابِ^(٣)
 فَأَرْزَحُ كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَ رِزْيٍ
 جَدِيدٍ حَمَلُهُ مُعْيِي الْهَضَابِ
 فَمَنْ رِزْيٍ شَدِيدِ الْوَقْعِ مَاضٍ
 يَرِيكَ الشَّيْبَ فِي فَوْدِ الْغُرَابِ^(٤)

(١) أشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلا.

(٢) الكابي: الذي يكبو أي ينكب على وجهه.

(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.

(٤) الفود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إلى رزءٍ أشدَّ عليَّ وقوعاً
 وأحرقَ للنفؤاد من الشُّهاب
 كإني كنتُ للأرزاءِ ظهراً
 وطيبناً فهي منه على اعتقاب^(١)
 فما أنفكُ من عظمى لعظمى
 من النكبات مشدودَ الحِقاب
 أمن حَجَرٍ عليَّ فؤادُ دهري
 فكم أشكو وما يرثي لما بي
 فلا تعجبُ إذا ما اجتزتُ همماً
 لشَيْبي قبلَ مَرِّي بالشُّباب
 كما تجتازُ أسهُمهُ لقلبي
 فتُصميه وما خرقتُ إهابي^(٢)
 فما سَيرُ افتنانِ الهمِّ بدعاً
 إلى عمرانِ قلبي بالخراب
 وحسبكَ أنني أعمى مقلُّ
 مضاعٍ في الكويت بلا طلاب
 وما استعذبتُ لي فيها مقاماً
 وكيف وقد أقيمتُ على عذاب
 وكم عنها وددتُ إلى سواها
 بجَدعِ الأنفِ أن تسعى ركابي
 ولكن حال ما بيني قضاءً
 أصمُّ وبين مودودِ الهباب^(٣)

(١) هي على اعتقاب: يتلو بعضها بعضاً.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

يَكُرُّ عَلَيَّ «أَيْلُولٌ» مُغِيئًا
فِيُخْمَدُ بَرْدَهُ نَيْرَانُ «أَب»
ولكن ما لأيلولٍ سبيلٌ
إلى ما في الضلوع من التهاب
فيمضي مثلما يأتي حميداً
وجمرٌ أسي فوادي غيرُ خابي
فمما كان يُوهي الصبرَ حتى
تداعى حبلُ صبري بانقضاب
مقامي صِفَرَ كَفٌّ في أناسٍ
تَعُدُّ المعسرِينَ مِنَ الكلابِ
يُقَوِّمُ بِالثيابِ المرءَ فيهم
وإن زُرْتُ عَلَيَّ لَوَمِّ وَعَابِ^(١)
فموصولٌ قشيبُ الثوبِ مهما
تغلغلَ من خَنَاهُ في شِعَابِ
ومهما كان من جهلٍ مُبِيرٍ
عميمِ الضُرِّ مَلَانِ الوِطَابِ
ومهما كان عن غدرٍ ومكرٍ
بمن أخاه مُنْجَابِ الضُّبَابِ
وأما طاهرُ الأذيالِ يَبْدُو
بأَطْمَارٍ فمُجْتَنِبِ الجَنَابِ
وهَبُّهُ كان من أدبٍ وعلمٍ
غزيرِ البحرِ جِيَّاشِ العُبابِ

(١) زرت: ضمت وجمعت. والعباب: العيب.

وَهَبَهُ لِسَجَايَا رَائِقَاتٍ
 زواهرَ فائِقَاتٍ ذَا احْتِقَابٍ^(١)
 فليس السيفُ عند القوم سيفاً
 بشفرته ولكن بالقِراب^(٢)
 وَيَفْضُلُ حِينَ يُكْسَى البِغْلُ جُلًّا
 لديهم عاري الخيلِ العِراب^(٣)
 فلو أني استطعتُ لبِعتُ فيهمُ
 حُلَى أدبي الكريمةَ بالثياب
 لأسمعَ مقبلاً أهلاً وسهلاً
 من النائي وذي النسبِ القُراب^(٤)
 وتَفْقِدُ مدبراً أذنايَ منهمُ
 سماعَهما مقال: إلى الذَّهاب^(٥)
 هنالك تطبيني لاجتماعي
 بشعبي - لاعتزاليه - الطوابي^(٦)
 لما بي قد ذهلتُ فمن ذهولي
 مزجتُ الصَّابَ بالنُّطْفِ العِذاب^(٧)
 أردتُ الشَّهْدَ من قولي عتاباً
 بلا مزجٍ من الشكوى بصاب
 ولكن قد أبى ما شئتُ ممَّا
 أكابدهُ من الأحزانِ أبي

(١) احتقبه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السالمة من الهجنة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث ألت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

فإن أخط وأخطب فاعفُ واعدُرْ
على خلطي وخبطي في كتابي
فليس يلوم من يشقى شقائي
لبيبٌ حين ينطقُ بآتشاب^(١)

(١) الأفتشاب: الاختلاط، أي حين ينطق بالقول المشوب بالكدر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أشـمـسُ أشـرقتُ أم ذي لآلي
بحُسنِ النظم صيغتُ في كتاب
نعم هذا كتابٌ من خليلٍ
تحاملٌ فيه في ردِّ الجواب
توهمَ أنني أدمجتُ فيما
أتاه ما يؤولُ إلى انقلاب
فما كان التَّهكُّمُ قطُّ دأبي
ولا سيِّما التَّهكُّمُ بالصُّحاب
وما من موجبٍ للهزءٍ حتى
أوجَّههُ لمثلك في خطابي
لقد شوشتَ نفسك في ظنونٍ
وساوسَ صرتَ منها في اضطراب
فهبْ بعضَ الظنونِ تصيبُ لكنْ
بعيدٌ ما ظننتَ من الصُّواب
شَننتَ الغارةَ الشَّعواءَ حتى
أتيتَ من القريضِ بألفِ باب
فما بيني وبينك قطُّ شيءٌ
من الأحقادِ يا سامي الجناب
لعمُرُ الله أني عنك راضٍ
وراضٍ بابتعادِ واقتراب
فما أحلى عتابك في فؤادي
وإن عدوهُ من قِطعِ العذاب
تقولُ وكيف عيشي في أناسٍ
(يَرونَ المُمْلَقينَ من الكلاب)

نعم إنَّ السُّمُّ قِلٌّ بِكُلِّ دَارٍ
وإن حاز المعالي باكتئاب
وأكثر مَنْ تراه من البرايا
وإن قُربوا ذئاب في ثياب
فدو الآداب كالمجذوم فيهم
فيجتنبونه شرَّ اجتناب
وهل أبصرتَ ذا أدبٍ بعيشٍ
هنيءٍ من شيوخٍ أو شبابٍ
فإنَّ جميعَ من تلقاه منهم
يعيشُ بقومه عيشَ اغتراب
وإن تنظرُ إلى مُتقدِّمِيهم
تَرَ التاريخَ يقضي بالعُجاب
فطبَّ نفساً فنحنُ قد استوينَا
بما نشكوه من هذا المُصاب
ألا تعسَّاً لدهرٍ من قديمٍ
إلى الأوباش والجُهَّال صابي
يحاربُ ذا الكمالِ بكلِّ أرضٍ
فيصمى اللبُّ في وَخزِ الحرابِ
عدوُّ لا يهادنُ في حروبٍ
ولا يصغي لعذلٍ أو عتابِ
فمالك يا غضنفرُ في عرينٍ
أطلتَ به المقامَ عن اكتسابِ
فَنُتِرَ وجِبِ الدُّنَا بثباتِ جأشٍ
فأرضُ الله واسعةُ الرُّحَابِ
وكن كالبدرِ أو كالماءِ يحلو
ويلطفُ بالمجيءِ وبالذهابِ

ريح من عتاب^(١)

عليك أثرتُ ريحًا من عتابي
لتمري منك أخلافَ السَّحابِ^(٢)
لعلمي أنَّ مُرْزَنَكَ ليس يسقي
إذا استُسْقِيتَ غيرَ المُسْتَطابِ
وها هو ذا هَمَى فوقِي إلى أنْ
أزالَ من الصَّدَا كُلَّ التَّهابِ
وأنبَتَ في وهَادِ النفسِ منِّي
كَلَا السَّلْوَى الحميدةِ والروابي
ولولا تَلَكُمُ الأرواحُ ثارتُ
لما جادتُ سَمَاوُكَ بانسكابِ
ولم أسمعَ لرعْدِكَ من دويِّ
بأفْقِ الشَّعْرِ منك ولا اصطخَابِ
ولا شِمْتِ القَوَافِي مُبْرِقَاتِ
يُضِئْنَ إلى صَوَابِي لي شِعَابِي^(٣)
ولا أصبَحْتُ من غَرْقِي لخوفي
إذا لم يصحُّ أفقُكَ في اضطرابِ
فإنك فِضْتِ حتَّى صرتُ أخشى
رجوعَ الأمرِ فيه إلى انقلابِ

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعتذر فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.

(٢) مرى الناقة يمرىها: مسح ضرعها لتدر. والخلف: الضرع وجمعه أخلاف.

(٣) شامه: نظر إليه.

فإن العَذْبَ إمَّا زادَ يُرْجَعُ
عُذوبَتَه المَزِيدُ إلى عَذَابِ
فحسبي من حَيًّا إن دَامَ يَغْرِقُ
صديقُكَ منه في الأُجْحِ العَذَابِ
فيا ابنَ سَمِيٍّ خِلِّ اللّه أَمْسِكُ
فإني من مُفِيضِكَ في عُبابِ
وليس لسيِّ في غَرَقِي - إذا لم
تُكْفُ ما أَفْضتَ - من ارتيابِ

عذرك يكفيني

أحاولُ أن يكون على الكتابِ
من المنثور مُشبهَةٌ جوابي
فيقعدُ بي خمودُ الذهنِ عمًّا
أريدُ من النثرِ المستطابِ
فإن تَعذُرُ فحسبي ذاك أولاً
فأحمدُ كان محمودَ العتابِ

كن لي هكذا

أبوحُ بعيب محبوبي ولكن
إليه حين أخلو بالحبيبِ
لينفِي عيبه عنه ويُضحِي
بعيداً ما استطاع من المعيب
وأُبْرِزُ ما له فيه اعتلاءً
وفخرٌ للبعيد وللقريب
فكن لي هكذا أبداً وإلا
فما أنا إن صحبتك باللبيبِ

صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب

بني يعربٍ من فاتة أمس سلُّه
حسامًا به عن قومه يُحسِنُ الذِّبَا
فما فاتة أن تمنح اليومَ كفه
فلسطينَ ما يحويه ذلك الذَّنْبَا
فجودوا بكُثْرِ المالِ والقُلِّ واذكروا
هنالك أرحامَ العروبة والقُرْبَى
فلو نابكم ما نابهم وتَّبوا على
ذوي الظلم من أعدائكم أُسْدًا غُلْبَا
وخاضوا غمار الحرب خوضكم لها
ولم يَعدَموا في عونكم ما لهم حربا
وسَحَّوا على مشبوبِ نارِ خطوبكم
كما يقتضي محمودُ أخلاقهم سُحْبَا
فهم من علمتم بالوفاء لقومهم
وإخوانهم مهما شكوا حادئًا صعبا
فلا تُعدِموا أهل الوفاء وفاءكم
وراعوا يتاماهم وأرعوهم الخصبَا
أقاربكم بالأمس أرضوا ببذلهم
نفوسهم مجدَ العروبة والرِّبَا
فأرضوهم ما عنكم ببذل رغائب
بها ينتثني مُرُّ الحياة لهم عذبا

فطوبى لمن قد أَلْحَقَ اليومَ ما لَهُ
من الخطبِ ما يُنسى به قومَهُ الخَطْبُبا
بني يعربٍ ما زلتمَ كلِّما دَجَا
من الأمرِ ليلٌ تَطْلُعونَ به شُهْبَا
فلوحوا كما كنتمَ تلوحونَ أنجَمًا
يَجْبُنَ ظلامَ الكربِ أجمَعِ والكَرْبِبا
عَنَّتْكُمْ جميعًا ألسُنُ الحالِ عندهم
بقولِ مؤداهِ صلوا الأهلَ والصَّحْبِبا
فلبَّوا سراعًا بالمعونَةِ وابدلوا
جهودكمَ فالفوزُ منكمَ لمن لَبَّى
أعينوهمُ بل أثروهمَ لتُشَبِّهوا
بإيثاركمُ أجدادكمَ في العُلا العُربِبا
فكمَ أثروا بالوَجْدِ محتاجِ وُجْدِهِمُ
وأذكُرُ منهم حاتمَ الجودِ أو كعبا
ولمَ أُنسَ في الإيثارِ أصحابَ خيرٍ منَ
إلى خلقِهِ من ربهم حَمَلوا الكُتُبِبا
فإن تَقْتدوا في فعلكم بفعالهم
تَطِبُّ لَكُمْ أُولَى الحياتينِ والعُقَبِبا
وإياكمُ والشُّحُّ فهو بِخِذْنِهِ
إلى كلِّ ما يَخشى النُّهى سالِكُ دَرَبِبا
فإن ماتَ فالإثمُ العَظيمُ وإن يَعيشُ
فليس له من غَمزِ أقرانِهِ مَخْبِبا
هو الشُّحُّ في الدارينِ ليس بجالبِ
إلى أهله إلا النَّدامةَ والعَيْبِبا

فكونوا على بُعدٍ من الشُّحِّ واحذروا
أوائل ما يأتي به الشح والغبا



ألم ينظرِ المُثْرِي الشَّحِيحُ إلى الألى
قضوا قبله - من كل ذي ثروةٍ - نَحْبًا
أساروا إلى بطن الثرى بثرائهم
أم استصحبوا منه سوى كفنٍ تُوبًا



بني يعربٍ هَبُّوا إلى بذلٍ وسِعِكمُ
فأجدرُ يومٍ تبذلون به هَبًّا
وشنُّوا على المثري البخيلِ مَغَارِكُم
بكلِّ مقالٍ واملؤوا قلبه رُعْبًا
فمن لم يكن في فعله الخيرَ راغِبًا
فلا بأس أن تلقاه يفعلُه رَهْبًا
وما نفعُ مالٍ عاقه عن قضائه
حقوق العُلا ذو جِنَّةٍ ظنَّها لُبًّا
أفي مثل هذا اليوم يمنعُ عَوْنَهُ
فلسطين من تحوي جوانبهُ قَلْبًا
فلسطين من لم يعترف طائِعًا بما
علينا لها من منةٍ يعترفُ غَصْبًا
فقد أثبتت أن العروبة لم تزلْ
تُطبق على الأعداء - مهما قووا - وتبًا
وإن لَهيبَ العُربِ ضمن رمادهم
يهولُ نفوسَ الظالمين إذا شَبَّبا
وضمَّتْ إلى فخر العروبة مثلهُ
بكلِّ دمٍ زاكٍ على أرضها انصبَّبا

فمرحى «لفوزي» العُلا و«سعيدها»
وصحبهما المُعلمين أعلامها القُشبا
فقد رفعوا شأنَ العروبة فاعتلى
بهم وجلّوا عن شمس عليائها الحُجبا
وألقوا عليها خيرَ درسٍ مفادهُ
إذا شئتَ أن تحيا فلا تُغمِدِ العَضبا

الله يآبى

يريد الذي في الغرب أن يفني العربا
جميعاً ولكن الذي في السما يآبى
فلو أمكن الإفناء أفنى ولم يدع
من العرب لا فرداً يعيش ولا شعبا
وهذا عمان والجزائر شاهد
جهادهما الميمون أن لم أقل كذبا
وما برحت من فعله النكر تشتكي
فلسطين ما أغرى بها الكرب فالكربا
فهل عربي بعد هذا مؤمل
من الغرب إنصافاً إذا استرشد اللبا

بين الجد والهزل^(١) عنز تاكل الكتب

كُلُوا عَنزُكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْنِيَ الْكُتُبَا
وَتُحَدِّثَ أَمْرًا ثَانِيًا يُسَخِّطُ الصَّحْبَا
وَأَرْضُوهُمْ مِنْهَا بِنَاضِجِ لَحْمِهَا
عَلَى أُرْزٍ يَغْدُو لَهُ (حَشْوُهُ) حَجْبَا
وَلَا يَمْسَحُوا الرِّاحَاتِ إِلَّا بِشَعْرِهَا
إِذَا مَا قَضَوْا مِنْ أَكْلِ مَطْبُوخِهَا الْإِرْبَا
وَلَا تَتَّخِذْ مِنْ جِلْدِهَا غَيْرَ جُورٍ
وَنَعْلٍ كَمَا يَقْضِي الْهَوَانُ إِذَا أَرَبَى
فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ بِهَا مَا ذَكَرْتَهُ
تَعَفُّ كُلُّ عَنزٍ مِثْلَ فَعَلْتَهَا رَهْبَا
وَلَا تَخْشَ فِيهَا يَا حَسِينُ مَلَامَةً
فَلَا لَوْمَ فِي أُمِّ التُّوَيْسِ وَلَا عَتْبَا
وَسَائِلُ بَطُونِ الْقَوْمِ عَمَّا أَقْوَلُهُ
يُجِيبُنَاكَ إِنَّ الْحَقَّ هَذَا وَلَا رَيْبَا
وَمَا خَيْرُ عَنزٍ تَجْعَلُ الْكُتُبَ مَرْتَعَا

(١) كانت للوجيه الفاضل المرجوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها لملا حسين بن عبدالله.

ولم تقطعوا عنها الشعير ولا العُشْبَا
يُعِيضُكَ عَنْهَا - إنْ أَبَحْتَ لَصَحْبِنَا
حَمِي لِحْمِهَا وَالشَّحْمَ - مَعْطِيكُمَا سِرْبَا
فَلَا تَدْكُرْ مِنْهَا الْحَلِيْبَ وَطِيْبَهُ
إِذَا مَزَجُوا بِالشَّايِ مِنْهُ لِكَ الْقَعْبَا
وَلَا مَا يَسُرُّ الْقَلْبَ مِنْ حَرَكَاتِهَا
زَمَانَ تُجِيدُ الْقَفْزَ وَالطَّمْرَ وَالْوَيْبَا
فَكُلُّ قَرِيْبٍ الْعَهْدِ بِالْعَيْشِ مِثْلِهَا
لَهُ حَرَكَاتٌ كُلُّهَا يُطْرِبُ الْقَلْبَا
فَقَدْ مَلَأَ اللّٰهُ الصَّغَارَ مِلَاحَةً
لِنَبِذَلْ عَنْ حُبِّ لَهَا الرِّفْقَ وَالْحَدْبَا
فَحُبُّ صَغَارِ النِّسْلِ جِدًّا مَخْفُفٌ
- عَلَى مَنْ يَرِيْبِيهَا - مِنْ الْمَهْنَةِ الْأَعْبَا
وَلَمْ يَرِ لَوْلَا الْحَسْنَ حُبًّا وَلَمْ يَجِدْ
سِوَى الْحُبِّ يَشْفِي دَاءَ أَتْعَايِهِ طِبًّا
وَمَا خَصَّ هَذَا الْأَمْرُ بِلِ عَمَّ كُلِّ مَنْ
يُرِيْبِي صَغَارًا فِي الْخَلَائِقِ أَوْ رَبِّي
وَلَوْلَا افْتِتَانُ الْأَمْهَاتِ بِحَسْنِهِمْ
تَمَنِّيْنَ مِنْ أَحْضَانِهِنَّ لَهُمْ سَحْبَا
فَلَا طِفْلَ إِلَّا وَهُوَ فِي عَيْنِ أُمَّهُ
يَفُوقُ جَمَالًا دَائِرَ الشُّهْبِ وَالْقُطْبَا
وَسِيَّانِ أُمَّ مَا ابْتَغَتْ قَطُّ مَلْبَسًا

(١) السبب: شقة كتان رقيقة.

ومن تبتغي ما عاشت الثوب والسببا^(١)
وقلب وليد الإنس كان كغيره
بحسن الذي تأتي به أبداً يسبى
كذلك لطف الله في الخلق لم يدع
من الخفض من توليه حرفة نصبا
وهذي صغار المعز تملأ كثرة
فنزّه بها الطرف (المطبة) والدربا
لتنسى بها تلك التي كلما جرت
ببالي ذكراها صورتها ذنبا
وما الفرق بين الذنب والعنز إن غدت
وراحت - سوى إفسادها مثله - تأتي
ولم يقس إنسان على الذنب مرة
لو الذنب لم يتلف صيحا ولا جربا
فمن ضرنا كنا عليه - ولم نكن
بمعتبري نوع ولا غيره - ألبا
فنحن لأهل النفع حزب بطبعنا
وبالطبع ما زلنا على ضدّهم حزبا
فإن أعقبت تيسا لكم أو عنيزة
فأتبع بتلك الأم ذياك العقبا
فما خبثت إلا ليخبث نسلها
فهل كلبة جاءت بما يفضل الكلبا
فيا ربما تعاض أغزر درة
وأخفض صوتا عندما تبصر الأبا
وأكثر للكتب الكرام تجلّة

وأيسرَ تنقيبًا عن القَتِّ إذ يُحَبِّبَا
وأسكَنَ للحَلَابِ مِنْهَا قَوَائِمًا
إِذَا مَا دَنَا مِنْ ضَرَعِهَا يَبْتَغِي الحَلْبَا
فَلَا رُكْلَهَا يَخْشَى وَلَا كَسْرَهَا الإِنَا
وَلَا نَبْشَهَا - مَا دَامَ يَحْلِبُهَا - التُّرْبَا



أَلَا مَا لَهْجَوِي مَارِحًا دَبَّ عَقْرِبًا
إِلَى العَنْزِ حَتَّى حَازَتْ مَوْتَهَا لَسْبَا^(١)
لِي الوَيْلُ مِمَّا قَلْتُ فَلَاظُوكِلِّ مَا
نَشَرْتُ مِنَ المَهْجَا وَإِنْ قَلْتُهُ لِعُبَا
وَمَا لِي أَلْهَوُ بِالْمَهْجَاءِ إِذَا اتَّقَى
شَبِيهَ فَوَادِ العَنْزِ مِنْ وَقَعِهِ نَدْبَا
أَتُوبُ إِلَى أُمِّ التُّوَيْسِ مِنَ الَّذِي
تَظَنَّتْ بِهِ إِنْ دَامَ أَنْ تَقْضِي النُّحْبَا
فإِنِّي قَدْ أَحْسَسْتُ مُشْجِي تُغَائِهَا
تُصَعَّدُ فِيهِ الشُّكُومَ مَحْزُونَةً غَضْبَى
فَأَصْغُوا إِلَيْهَا تَفْهَمُوا مَا تَقُولُهُ
فَفَهْمُ الَّذِي تَعْنِيهِ لَا يُعْجِزُ اللُّبَا
وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ البِهَائِمَ لَمْ تَكُنْ
لِتُحْسِنَ صَدْعًا بِالمَقَالِ وَلَا رَأْبَا
فَكَمْ أَوْضَحَتْ ذِي العَنْزِ غَامِضَ قَصْدِهَا
بِمَنْطِقِهَا المَعْهُودِ (أَمْبَاعُ أَوْ أَمْبَا)
وَهَلْ لُغَةُ الإِنْسَانِ تَسْمُو إِبَانَةً

(١) اللسب: اللدغ.

على لغة الحيوان ساءل أو أنبا
ومن يتأمل صوته في ارتفاعه
وفي الخفض يعلم أنني لم أقل كذبا
وسل - إن شككت - البعض منه فإنه
مجيب بما لا شك فيه ولا ريبا
وليس سؤال المرء حيوانه سوى
دراسته محياه إن نام أو هببا
فمن زاووه أخبروا أنه يعي
من العين ما توحى رضى كان أو عتبا
ومن يدري حتى وحي عينيك لم يكن
ليجهل سهلا خصه لا ولا صعبا
فهت عن العنز المقال الذي به
تذب الأذى عنها وعن نوعها ذبا
وهاكم مؤدى ما أبان خطابها
ورب خطاب عن أخيه ثنى خطبا
ألا خفت فينا الله من نظم كلمة
تضمن منها كل بيت لنا كريا
فوالله لو كنا أناسا وكنتم
بهائم كنا فيكم نتقي الربا
ولم نجزكم مهما أتيتم إساءة
إلينا عليها مثل قولك أو ضربا
وقمنا لكم بالعدر عن كل هفوة
على مثلها تجزوننا الضرب والسبا
وكيف نجازيكم على السوء مثله
ولم تُررَقوا فهمًا يميز ولا إربا
ولم نُرعِكم إلا مراعي خصبه

ولم نَرْضَ إِلَّا بِالنَّمِيرِ لَكُمْ شُرْبًا
ولم نَتَّخِذْ مِنْ أَرْضِنَا لِجُنُوبِكُمْ
مَرَابِضَ إِلَّا سَهْلَهَا النَّاعِمَ الرَّحْبَا
ونحسُنُ صنْعًا ما استطعنا ولم نَرُحْ
نَجْرُ بِهِ الْأَذْيَالَ فَخِرًا وَلَا عُجْبًا
ولكن نرى الإحسان من شكر واهب
لنا منكم شَخْتِ الْمَنَافِعِ وَالْجَابِ
ومن لم يَصُنْ بالشكر نعمة ربه
عليه فلا يأمن على النعمة السُّلْبَا



على أن إكرام البهائم زائد
لنا كل رزقٍ من فوائدها يُجْبَى
فإكسابنا الصُّنْعَ الْجَمِيلَ بهائمًا
ملكنا نواصيها يعودُ لنا كَسْبًا
ولم نستسخ لحم البهيمة سيِّمًا
إذا أظهرت منها لنا الألفَةَ الْحَبَّا
فكيف بهاتيك التي من تُدِيها
رشفنا - ولو في عمرنا مرةً - شُحْبًا
فهاتيك مثلُ الأمِ تبقى وكُلْنَا
يحوك لها من كل مكرمة تُؤبَا



ولكن حُبُّ الذاتِ أبْنَاءِ آدَمِ
عليكم أبي وصلَ العدالةِ والقُرْبَى
وهل نرتجي أن تبصروا خلف حُبِّكُمْ
ذواتكم شمسًا من العدلِ أو شُهْبًا
ومن يَمْتَلِكُهُ مثلكم حُبُّ ذاته

يُغَادِرُ جَمَالَ الْعَدْلِ عَيْنَهُ غَيْبًا
فلولا غيابُ العدلِ يا «صقر» عنكم
لما قلتَ فينا اليومَ ما يقصمُ الصُّلْبَا
كأنَّا بناتِ التَّيْسِ نمنعُ فوزكم
بمرجوكم أُولَى الحياتينِ والعُقْبَى
ونحنُ لديكم إن مكثنا لياليًا
ثنى المكثُ منا كلَّ قلبٍ بكم صَبًّا
لأنَّ دواني ألفتُ والهوى لها
وليدٌ وتلك الأم لا تلدُ الشُّوبَا^(١)
فنوليكُم صَفْوَ الْوَدَادِ وَوُدُّكُمْ
نشاهده حتى لجنسكم خَبًّا^(٢)
فأيُّكم يُبدي الودادَ لغيره
إذا لم يجد رهبًا لديه ولا رَغْبَا
ولو بعضكم للبعض أخلص وُدَّه
لما استشعرت يوماً قلوبكم رُعبًا
فما الرُّعبُ إلا ابنُ الخصام الذي أتى
نتيجة بغضٍ لم يزل لكم دأبًا
ولا بُغْضَ لولا قلبٌ كلُّ أخٍ غدا
به من أخيه الجورُ مستحدثًا تُقْبَا
ولا جورَ إلا أصلُّه الطمعُ الذي
حياؤكم فيه على وجهه كُبَّا
كأن لم تروا في أخذه الموتَ منكم

(١) الشوب: الخلط.

(٢) الخب: الخداع.

حكى الطائر العجلان في لقطه الحبا
 ومن عجب تصديقكم أن كلكم
 سيلقى من العيش الهناء الذي أصبى
 ولن تبالغوه والقناعة لم تُضَيَّ
 دُجى الطمَعِ المُردى مشاةً ولا رُكبا
 فلا تأملوا دون القُنوع تساويا
 يعمُّ بخيراتِ الدُّنا العُجمَ والعُربا
 فأنفُسُكم تأبى القنوع كأنما
 على قالبِ الأطماع سائرُها صبا
 وكم قد زعمتم أنكم فوقنا نُهى
 وما كلُّ ذي زعمٍ بتحقيقه يُحِبى
 فإن كان فحلاً ذلك الزعمُ عندكم
 فبالطمعِ المُزري بكم عندنا جُبا
 ولو صحَّتِ الدعوى تساوت ثيابُكم
 ولم تُلحِقوا المأكولَ فرَقاً ولا الشُرْبَا
 وكنتم كأن الرزق رمحٌ لديكم
 وكلُّ يُريه القَسْمُ فيه له كعبا
 وعشتم وكلُّ الأرض دارٌ وأنتم
 بها أسرةٌ تأبى تفاوتها القُربى
 فلو لم يكن هذا التفاوتُ بينكم
 لما جال فيكم ماردُ الشرِّ أو خبأ^(١)
 وغيرُ صحيحِ العقلِ خَلقٌ بعقله
 ولما يُفدُهُ الخيرُ يفخرُ أو يعبا
 ويحزنني ذو الفقير يُكبرُ ذا الغنى

(١) خب: عدا نوعاً من العدو.

ولو لم يَجِدْ يوماً بما يُشبعُ الضُّبَّ
 فأُضمِرُ كرهًا للغنيِّ وماله
 وإن مات فاكسِرْ خلفه الكوزَ والحُبَّ^(١)
 وأكثرُ للثاني احتقاري وأنثني
 وجاحمٌ سُخْطِي صُنْعُهُ فِي الحشا شَبَّ
 تُرخي أمام الأَغنياء تَأدُّبًا
 على ما ترى من بخلهم عينه الهدبُ
 ولو لم يكن أمثالهم سَلَمًا لهم
 لما وطئوا تلاً من اليُسْر أو هَضْبًا
 فلو حَرَّمَ الناسُ احترامَ ذوي الغنى
 إذا لم يُواسوا الناسَ بذلاً ولا وهبًا
 وأبطلَ مَنْ ملبوسُهُ الخيشُ شِرْعَةً
 بها يسرقُ الأرزاقَ من يلبسُ العَصْبًا^(٢)
 رأوا من رُخاءِ العيشِ فيهم مناهلاً
 يَفِضْنَ كُلُّ إن تحسَّى وإن عَبَّ
 ولم ينفرد بالخفضِ شعبٌ وعينه
 ترى الموت في جيشِ الطَّوى غانِبًا شعبًا
 وهيئات. فالإنسان لو قلبُ خِدْنِهِ
 يذوبُ، حَسًا منه - ولم يخجلِ - الذُّوبًا
 لينقضُّ صقرًا خاطفًا رزقَ غيره
 تعلمُ حتى أتقن الحوْمَ واللُّوبًا^(٣)
 ولم يكفه أن يخطِفَ الرزقَ وحده

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لَاب لوبًا: حامٌ حول الماء وهو لا يصل إليه.

(٤) الحوباء: النفس وهنا قصرها للقافية.

فيخطفَ قبل الرزقِ من جسمه الحَوْبَا^(٤)
فتبكي اليتامى والأيتامى ولم يكن
يبالي على الصرعى لأدمعها سَكْبَا
ولله سَيِّبٌ فيهمُ لو تناصفوا
كفاهم معاً أن يطلبوا غيره سَيِّبَا^(١)



فلا سَعِدتِ عنزُ تَمَنَّتْ أبَاكُمْ
لها والداً يوماً وتَبَّأ لها تَبَّأ
لأن أباكم آدمًا كان نسله
ولمَّا يزل فيه نرى العيب فالعَيْبَا
فما مَرَّ حينٌ لم يُبِنُ من عيوبه
لمن عاصروه من أوائلنا ضَرْبَا
كأن امتدادَ الدهرِ أعدى عُدَاتِكُمْ
لإبداءِ ما أدناه يغمركم تَأْبَا
فها هي تنمو ما تمادى زمانُكم
وتكثرُ حتى شانتِ الشرقَ والغربَا
ومن شَرَّ هَاتِيكَ العيوبِ شِراسَةً
تشقون عن كبدِ الضعيفِ بها الخُبَا
ولو لم تكن منهم لما كنتِ رامياً
بنبل الأذى شرواي لا الأسدَ الغُلْبَا
وما زلتِ كالصخرِ الأصمِّ صلابَةً
علينا ولولا ضعفُنا لم تكن صُلْبَا
وأقبحُ من الطفلِ الصغيرِ بقسوةِ

(١) السيب: العطاء.

فكيف بها من مكّس رأسه شَيْبَا
تُكَبِّرُ ظُلْمًا هَفُوتِي عِنْدَ صَاحِبِي
ليجعلَ لحمي بعد ذبحي لكم نَهْبَا
وما هَفُوتِي عِنْدَ القِيَاسِ بَبَعْضِ مَا
أَتَيْتَ إِلَيَّ اليَوْمَ مَعْدُودَةٌ ذَنْبَا
لتجعلَ حقًا باطلَ الأمرِ جَاهِدًا
مُجِدًّا أرى في شَخْصِكَ البَطْلَ الذُّبَا
وما زال عكسُ الحقِّ دأبكمُ فَمِنْ
دَبَى شَرُّكُمْ أَيُّ المِرَاتِعِ مَا أَدْبَى
فلا حُذْيِ الأُظْلَافِ مِثْلَكَ شَاعِرُ
تقيه أذى شوكِ الطريقِ أو الحَصْبَا
ولا نَبَتِ القَرْنَانِ مِنْهُ بِهَامَةٍ
يُخَيِّفَانِ مِنْ يَأْتِي لَهُ نَآوِيًا حَرْبَا
ولا صَارَتِ الأذنانِ مِنْهُ مَذْبَبَةٌ
يَذُبُّ بِهَا مَا طَارَ يُوْذِيهِ أَوْ دَبَّا
ولا سَرَبَلَ الضَافِي مِنَ الشَّعْرِ جِسْمَهُ
ليأمنَ في المَشْتَى أذى رِيحِ النُّكْبَا
ولا اجْتَرَّ مَسْرُورًا بِجِرَّتِهِ إِذَا
أرادَ التَّذَادًا أَوْ أَحَسَّ بِهِ سَغْبَا
ولا اكَتَنَفَتْهُ المَعزُّ يَوْمًا بِرُوضَةٍ
على ما أَتتَ مِنْ رِيِّهَا تَشْكُرُ السُّحْبَا
مَنوْرَةَ الأَعْشَابِ تحسبُهَا سَمًّا
وتحسبُ فِيهَا أَنجَمًا زَهْرَهَا الرُّطْبَا
إِذَا شَبِعْتَ مِنْ عَشْبِهَا العَنْزُ واحْتَوَى

لها مَرِيضٌ فِي سَفْحِ رَبْوَتِهَا الْجَنْبَا
وداعِبَ عَطْرِي النِّسِيمِ أُتَيْفَهَا
وناداتِ فلبَّأها من المعز من لَبِي
أحسَّتْ كما تهوَاهُ ثُمَّ سَعَادَةً
تفوتُ يَدَيَّ من شاب منكم ومن شابًا
لكي ما تنالوا مثلها سلَّ بعضُكم
على بعضِكُم من حَيْفِهِ سَيْفُهُ العَضْبَا
كأن الفتى يغدو سعيداً إذا انثنى
إلى جيبه ما في جيوب السُّوَى غصباً^(١)
وهيهاتَ ما نفسُ امرئٍ بكنوزِهِ
تصادف يوماً من سعادتها جَلْبَا
على حَسْبِ ما يزدادُ مالُكَ وجَهُّها
يزيدُ ليُخفي عنك مشهدهُ النَّقْبَا
سكينةُ نفسِ الحيِّ منا ومنكمُ
سعادتهُ لا ما به يملأُ الجَيْبَا
ولم نَرِ منكم ساكنَ النفسِ هادئاً
سواءً رعى خصبَ المراعي أو الجَدْبَا
وحرمانُكم أن تهدأوا أوَّلُ الجَزَا
على ظلمكم دُهْمَ الحياوين والشُّهْبَا
وما تَخْبَأُ الأخرى أمرٌ مذاقَةٌ
لكل امرئٍ من ظلمه تركَ التَّوْبَا
فإن لم تخافوا الله فينا وترفُّقوا

(١) السُّوَى: الغير.

فلا تَأْمَنُوا من سوء ما جِئْتُمُ الْغَيْبَا
فإنَّ الَّذِي وِلَاكُمُ الْيَوْمَ أَمْرَنَا
وَأَجْرِي لَكُمْ أَقْوَاتَنَا لَبَنًا عَذْبًا
سَيَجْزِيكُمْ عَنَا غَدًا مِثْلَ فَعْلِكُمْ
فلا تَأْمَنُوا عكسَ الْجَزَاءِ وَلَا الْقَلْبَا
كذا خَاطَبْتَنِي الْعَنْزُ وَهِيَ مُحِقَّةٌ
وَذَكَرَى حَقوقَ الْعَنْزِ أَنْسَانِي الشُّغْبَا
فلا تُهْمَلُوا حَقَّ الْبِهَائِمِ وَاسْلُكُوا
بِهَنَّ سَهولَ السُّبُلِ وَالْمَرْتَعَ الْخِصْبَا

يا أشقائي العرب^(١)

دَعُوا الْجَزَائِرَ تَلْقَى الْوَيْلَ وَالْحَرَبَا
ثُمَّ ادْعُوا أَنْكُمْ مَا زَلْتُمْ عَرَبَا
لَوْ لَمْ نَزَلْ عَرَبِيًّا لَمْ تَلْقَ إِخْوَتَنَا
مِنْ دُونِنَا كُلِّ مَا قَدْ آدَ أَوْ كَرَبَا^(٢)
وَلَمْ نَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ عَنِ مَعُونَتِهِمْ
بِالْنَفْسِ وَالْمَالِ لَا بِالْقَوْلِ قَدْ هَرَبَا
وَأَصْبَحَ الْكُلُّ مِنَّا جَهْدَ طَاقَتِهِ
مُخْفِقًا عَنْهُمْ الْأَشْجَانُ وَالْتَّعَبَا
مِشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَسْتَبْذِلُ الْجُهْدَ مِنْهُ صَالٍ أَوْ وَهَبَا
أَمَا وَيَعْرَبُ لَوْ ظَلَمْنَا بَنِيهِ رَأَتْ
مِنَّا فَرَنْسَا شَجًّا فِي حَلْقِهَا نَشَبَا
وَمَا أَحْسَتْ وَقَدْ جَاءَتْ بِفَعْلَتِهَا
فِينَا فَتَى ضِدَّهَا لَمْ يَسْتَحِلْ لَهَا
أَيَعْرَبِيُّونَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ بَعُدَتْ
عَنْ فَعْلِ يَعْرَبُ فِيمَا جَلَّ أَوْ حَزَبَا
ظَنَنْتُمْ ظَنًّا شَجَانِي أَنْ رَابَطْنَا
بِيعْرَبِ الْمَعْتَلِي قَدْرًا قَدْ انْقَضَبَا

(١) قيلت في ١٩٦٢/١/٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

أَوْ أَنَّ مَوْصُولَهُ الْمُحْضَ الرَّفِيعَ دَنَا
مِنْهُ الْوَضِيعُ مِنَ الْأَنْسَابِ فَانْتَشَبَا^(١)
لَوْلَمْ يَكُنْ ذَاكَ ظَلَمْنَا مُشْبِهِينَ لَهُ
- مَهْمًا تَقَلَّبَتِ الدُّنْيَا بِنَا - حَسَبَا
ظَنَّ شُجَانِي وَأَبْكَانِي عَلَى نَسْبِ
زَهَتْ بِرَفْعَتِهِ أَجْدَادُنَا حَقْبَا
لَا صَدَقَ اللَّهُ مُشْجِي ظَنَّتِي لِأَرَى
مَا أَوْجَعَ الْقَلْبَ مِنْهَا بَاطِلًا زَهَبَا
فَإِنْ تَكْذِيبَهَا أَشْهَى الْأُمُورِ إِلَى
قَلْبٍ عَلَيْهِ بِهَا مُدْمِي الْأَسَى جَابَا



لَمْ لَا تِرَانِي هَذَا الْوَقْتَ مَنْطُويًا
عَلَى شُجُونٍ يُبِدِّنُ الصَّبْرَ مَكْتَنَّبَا
وَالْأَذْنَ تَسْمَعُ مَا عَنِ نَفْعِ مَعْشَرِهَا
يُلْهِي وَيَشْغَلُ، فَاسْمَعِ تَحْزَنَ الصَّخْبَا
مَا لِلْإِذَاعَاتِ بَيْنَ الْعُرْبِ دَائِبَةً
تَبَتْ مَلَأَ الشَّرُوقِ اللَّهْوَ وَالطَّرْبَا
كَأَنَّهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الْجَزَائِرِ فِي
مَا يَقْتَضِي طَوْلَ بَثِّ اللَّهْوِ وَالِدَّابَا
إِنْ لَمْ يَكُ الْكُلُّ مَنَّا وَقْتَ مَحْنَتِهِمْ
لَطِيبِ لِدَاتِهِ جَمْعَاءَ مَحْتَسِبَا
مُوجَّهًا مِنْ قَوَاهِ الْكُلِّ يُنْجِدُهُمْ
حَتَّى يَرَى كُلَّ صَدَعٍ عِنْدَهُمْ رُئْبَا

(١) انتشِب: اختلط.

فأئى وقت نُواسي منهم أسراً
تكايدُ الآن ضنك العيش والشجبا
أكان يعربُ يرضى اللهو وهو يرى
من قومه أحداً قد سيء أو نُكبا
عن الجزائر يُشجي القلب منبؤه
حتى يغادره أسوان مضطربا
فما الذي أيها اللاهون أطربكم
أعندكم غير ما يُشجي القلوب نبا
حتى متى لا يكون اللهو مُطرحاً
ما بين كلكم لا البعض مجتنباً
وفي الجزائر من يرجو بنجدتكم
ردّ الذي ضاق من أمرٍ وقد رُحبا
خلّوا إلى المجد هذا الهزل وادكروا
دم الكرام الذي ما انفك منسكبا
حيال دمع اليتامى والأرامل من
قوم هم أنتم إن تذكروا النسبا
شنّوا مغازكم من كل ناحية
على (دويكيل) حتى يرعوي رهبا
لا تحسبوا القضب للموتور أسلحة
فحسب، إن جدّ في أوتاره طلّبا
بل السلاح كثير غيرهنّ وكم
ببعضه قلّ موتور الورى القُضبا
فأعملوا كل ما فيه أذيتّه
فكل مؤذ سلاح للذي غَضبا

كيما يُصدِّقُ مِنَّا كلُّ مفتخرٍ
 إذا عَزَا نَفْسَهُ يَوْمًا إِلَى ابْنِ سَبَا
 أَخْلَاقُ يَعْرُبُ مَا كَانَتْ بِفَائِتَةٍ
 يَوْمًا دَرَايَتُهَا الْأَفْرَادَ وَالْعُصَبَا
 لَوْ فَاتَهُ الْعِزُّ لَمْ يَقْبَلْ بِهِ بَدَلًا
 لَهُ وَلِلْقَوْمِ طَرًّا مَا عَدَا الْعَطْبَا
 فَإِنْ نَكُنْ مِثْلَهُ فِي طَبْعِهِ صَدَقَتْ
 مِنَّا ادْعَاءُ تُنَا إِذْ نَدَّعِيهِ أَبَا
 إِذَا انْتَمَى لِأَبٍ نَجَلٌ فَشِيْمَتُهُ
 تُقَرَّرُ الْأَمْرَ إِنْ صِدَقْنَا وَإِنْ كَذِبَا
 يَا مَنْ جُدُودُهُمْ كَانُوا الشَّمُوسَ - إِذَا
 دَجَّتْ حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ - وَالشُّهُبَا
 وَالنُّبُوعُ مِنْ جُرَاةٍ تَثْنِي صَلَابَتَهُ
 أَمَامَهُمْ فِي الْوَعْيِ أَبْطَالُهَا قَصَبَا
 شَبَّتْ مَطَامِعُ (دِيكُول) جَهَنَّمُهَا
 وَقَدْ أَرَادَ لَهَا مِنْ بَعْضِنَا حَطْبَا
 فَجَاهِدُوهُ - وَإِنْ شَقَّ الْجِهَادُ - إِلَى
 يَوْمٍ يُرِيهِ بِهَا أَعْوَانَهُ حَصَبَا
 أَرَاحَةَ تَطْبِيئِكُمْ وَالْجِزَائِرُ لَمْ
 تَبْرَحْ تُكَابِدُ مِنْ جَوْرِ الْعِدَا نَصَبَا
 وَتَسْتَطِيبُونَ خِصْبَ الْعَيْشِ فِي زَمَنِ
 يَلْقَى الْأَشْقَاءُ فِيهِ الْمَوْتَ وَالسُّغْبَا
 قَدْ أَمَلَّ الْكُلُّ مِنْهُمْ صِدْقَ نُصْرَتِكُمْ
 إِيَاهُمْ فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِي كَلْبَا

ولو نهضتُم كما رجَّوْا لما حبستُ
 عنهم ذنابُ فرنسا النصر والغلبا
 لو أنسوا صدقَ فعلِ العربِ ضدَّهم
 لم تلق منهم لحقَّ العربِ مغتصبا
 ما كان بالصَّفْرِ «ديكول» تُجاهكم
 بل كان - لولا تراخي بعضكم - خرباً^(١)
 فطهروا كل أرضٍ من دياركم
 من كلِّ من لم يكن ضدَّ العدا صلباً
 تروا (دويكيل) عن ظلمِ يواصله
 إلى العدالة مضطراً قد انقلباً
 وينثني الكلُّ من قصاد ظلمكم
 برغمه منصفاً عن قصده رغباً
 لم يتخذ دريه في بحر نعمتكم
 حوت المطامع - لولم يوجدوا - سرباً
 من لي بيعرب أشكو المنتمين له
 وكل طبع لهم عن طبعه غريباً
 كيما يُعلم منهم كلُّ منتحلٍ
 - إذ ينتمي نسباً قد فاته - الأدبا
 سلوا بيعرب من عشاق سيرته
 رواتها الصادقين القول والكُتبا
 هل جاء يعرب إن مكروهه صعبت
 بما سوى الجد في تسهيل ما صعبا
 حتى يرد إلى سهل صعوبتها
 لكل من قد أتاه يشتكى النوبا

(١) الخرب: ذكر الحباري.

يستوعبُ الجِدُّ منه الجهدُ عن كرمٍ
في الذَّبِّ عمَّن عليه ظالمٌ وثبًا
وفي إغائِثَةٍ من رَجَى إغائِثَتَهُ
ممن مُحَيَّا الحَيَا عنهم قد احتجبا
ما جاء في أحدِ الأمرين من عملٍ
إلا وجَهْدُ القوى فيه قد انتصبا
والجِدُّ إن لم يمتلُ جُهْدَ صاحبه
فيما عليه من الإنجاد قد وجبا
فما هو الجِدُّ إن تُولِيهِ تسميةً
فَسَمَهُ أَيْنَمَا أبصرته لِعِبا
خيرُ النفوس التي تهتمُّ مصلحةً
لقومها كلُّ شيءٍ عندهم حَزَبًا
فَيُبْصِرُ الخِصْبَ بعد الجَدْبِ قاصدُها
كما اشتهى عندها والأمنَ من رُعبا
تأبى مُروءَتُها إلا تَقْدُمُها
بالجهدِ مهما لها داعي العُلا نَدَبًا
تظلُّ من باهراتِ الجِدِّ فاعلةً
ما غيرها منه مبهورُ الحِجَا عَجَبًا
سدت أذني فلا الأشعارَ أسمعُها
تعني الجزائرُ منذ حينٍ ولا الخُطْبَا
فإن ما قيل في إخلاصِ قائله
قد كاد يبعثُ في الشكِّ والرَّيبَا
فصادقُ القول ما يدنو به أملٌ
نَاءٍ وَيُنْئِي من الآلامِ ما اقتربا

ونحن لم نَرَ حتى الآن ضجَّتَنَا
كانت لتحقيقها أمالنا سَبَبًا
ما خُلِبُ البرقِ مَرَجُوكِ صَادِقِهِ
مهما استثار من الإعجاب أو خَلَبَا
والسُّحْبُ مُمَطَّرُهُ - ليس الجَهَامُ - به
لنا الثرى يُخْرِجُ الأشجارَ والعُشْبَا
مجردُ القبول أو شِبْهُ المجرِّدِ لا
تلقى الجزائر فيه القصد والأربا
فأسعفوها بأفعالٍ يُعِدْنَ لها
ما من مَعِينِ رِخَاءِ العيشِ قد نَضَبَا

لن يراني القوم إلا مذنباً

ما زلتُ أشكو من زمانِي نُوباً
تُغادر الطفلَ الرضيعَ أشيباً
لكلِّ من يحكي الصِّفا فؤادُهُ
صلايةً أو كان منه أصاباً
وأسرع القوم عتاباً لو سرتُ
رِقَّتُهُ بِجامدٍ لأعتباً^(١)
فلم أجد لي مُشكياً أو مُعتبياً
ولم أجد عليّ منهم حَدباً
كأنني أصبحتُ لينا كاشراً
عن عُصْلٍ مجتمِعاً كِي يثبأ
وكان لا لومٌ عليّ من قد نأى
بنفسه يخافُ لينا أغلباً
والكلُّ يهوى أن يكونَ بادئاً
إيذاءً ذاك الليثِ أو معقّباً
فما ترى في القوم عن إيذائه
من أمكنته فرصةً مُنكّباً
فليتَّهم إذ منعوني خيرهم
لم يُركبوني من أذاهم مُركّباً

(١) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لم يَحُلْ في قومي مقامي ساعةً
لو أنني أسطيعُ منهم هَرَبًا
فإن أقمْتُ في الكويت مرغمًا
مضطهدًا من أهلها مكتئبًا
أشكو ولا مُشكِيّ منهم فالقضا
عليّ أن أهربَ منهم قد أبى
وكيف يسطيعُ فرارًا من غدا
يشكو الوثاقين العَمَى والوصبَا
حَقِّي منهم أن ألقَى راحةً
فما لقومي الحَقوني نصبًا
إن كان ذنبي عندهم صراحتي
فلن يراني القومُ إلا مُذنبًا
وكيف عنها أنثني ولم تكن
تخلُّقًا بل خُلُقًا بي رُكبا
مَع أنها لو لم تكن سجيّتي
لم ألُ في تخليصِها تَسبُّبا
فإن قلبي حسنُها استماله
فمال كلِّ المَيلِ قلبي وصبَا
فليعملِ القومُ على أذيتي
إن كان إيذائي عليها وجبَا
فلن يروني عن صراحتي ولو
رأيتُ فيها مصرعي مُنقلبا
وكيف يا قومُ أقولُ عن فتى
أعرف عنه كذبُه: ما كذبَا

أم كيف قولي عن فتى يصدقني
 شب على الكذب فلان وربا
 وعن فتى حرب: ذا ممر
 وعن فتى عم: هذا حربا
 وعن فتى أطنب: هذا موجز
 وعن فتى أوجز: هذا أطنبا
 وعن فتى غرب: ذا مشرق
 وعن فتى شرق: هذا غربا
 إن كان ذا يرضيكم فإنني
 أبقى لما يرضيكم مجتنباً
 فليس في استطاعتي إرضاؤكم
 فأطروني من أذاكم صيباً
 فإن لي صبراً عليكم مسعداً
 ما لم تجردوا علي القضا^(١)
 فإن لي في أن أعيش رغبتاً
 ولو كما ترونني معذباً
 ولتعلموا أن الأذى ما لم يصل
 للموت بي أعدده مدرباً
 له در معشري ما بينهم
 لا يشتكي إلا الصريح الكربا
 أما الذي نافق فهو عندهم
 مقدم مسموع قول مجتبي
 ولم أزل أمل منهم نهضة
 حتى خللتني غدوت أشعبا^(٢)

(١) مسعد: معين ومساعد.

فَلْيَضْحَكُنَّ مِنْ رَجَائِي كُلُّ مَنْ
أُوتِيَ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ مِنْ غَبَا
فَمَا رَجَائِي مَعْشَرِي أَنْ يَنْهَضُوا
وَأَنْ يَمْدُوا لِلْمَعَالِي سَبَبَا
إِلَّا كَمَا أَرْجُو لِعَيْنِي أَنْ تَرَى
عَلَى عَمَاهَا فِي سَمَاهَا الشُّهُبَا
وَأَيُّ خَيْرٍ يُرْتَجَى لِأُمَّةٍ
مَا بَيْنَهُمْ نُورُ الصَّرَاحَاتِ خَبَا



أَقُولُ لِلْعِلْمِ الَّذِي قَدْ جَاءَنَا
فَلَمْ نَقْلُ أَهْلًا لَهُ أَوْ مَرْحَبَا
يَا أَيُّهَا الْعِلْمُ ارْتَحِلْ عَنْ بِلَدَةٍ
قَدْ ضَاقَ عَنْكَ رَحْبُهَا وَقَدْ نَبَا
وَاسْتَصْحَبِ الشُّعْرَ فَمَا نَحْتَاجُهُ
وَلَا تَذَرِ يَا عِلْمُ فِينَا الْأَدْبَا
وَحُصَّ بِالْتَحْطِيمِ أَقْلَامَ الْأُلَى
عَقُولَهُمْ حُبُّ الصَّرَاحَاتِ سَبَى
وَأَوْسِعَنَّ أَسْفَارَهُمْ مَحْوًا إِلَى
أَنْ لَا أَرَى مِنْ تِلْكَ فِينَا كُتُبَا^(١)
فَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ لَا تُعْجِبُنَا
وَلَا تَرَى مِنْهَا هَاتَا مَعْجَبَا
وَأَنْتَ يَا جَهْلُ أَقَمْ مَكْرَمًا
وَاتَّخِذِ الْأَلْبَابَ مِنْهَا مَلْعَبَا

(١) الأسفار: الكتب.

أَفْسِدُ وَعِثْ خَرِبٌ وَدَمْرٌ لَنْ تَرَى
تَقَطِيبَ شَعْبٍ لِلْعُلُومِ قَطْبًا
وَلَا تَخْفُ مِنَ الْعُلُومِ صَوْلَةً
فَقَدْ فَلَّأْنَا نَابَهَا وَالْمِخَابَا
وَأَصْبَحْتُ عَنَّا إِلَى حَيْثُ الْأَلَى
تُعْجِبُهُمْ مِنَ الْأَنَامِ مَهْرَبَا
وَعَيْرُ بَدْعٍ إِنْ قَلَوْنَاهَا وَإِنْ
أَقَمْتَ أَنْتَ بَيْنَنَا مَحَبَّيَا
فَأَنْتَ قَدْ رَضِيَتْ عَنِ نِفَاقِنَا
وَالْعِلْمُ أَبَدِيٌّ لِلنَّفَاقِ الْغَضَبَا
وَالْعِلْمُ يَقْضِي بِالسَّوَابِ الَّتِي
تَنْفِي عَنِ الْجَائِعِ مَنَا الْعَطْبَا
وَأَنْتَ بِالْأَثَرَةِ تَقْضِي هَانُنَا
بِكُلِّ شَاكٍ مِنْ طَوَاهِ الْحَرَبَا^(١)
وَنَحْنُ لَا نَرْضَى لِمَنْ مَثْرَبَةً
يَشْكُو الطَّوَى مِنْ مَالِنَا أَنْ يَنْصَبَا
سَيِّئَانِ مَنْ عَاشَ وَمَنْ مَاتَ طَوَى
إِذَا غَدَوْنَا وَافْرَيْنِ النَّشْبَا^(٢)

~~*~*

وَإِنْ نُخَصِّصُكَ بِكُلِّ مَعْهَدٍ
أَرْخَصَ فِيهِ شَائِدُوهُ الذُّهْبَا

(١) الأثرة بفتح الثاء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء هنا للشعر. والحرب: الضيق.

(٢) الطوى: الجوع. والنشب: المال الأصيل.

ولم نَدَعِ للعلمِ في أرجائه
 فرعاً تخاف بطشه أو منصباً
 فالعلمُ قد يرضى بِطَمْرٍ ملبساً
 وأنت لا تلبسُ إلا القَشِيباً^(١)
 ونحن لا يروقُننا إلا الذي
 يختارُ للظاهر منه السَّلْباً^(٢)
 فلورأينا نُصباً مرتدياً
 حُلَّةَ ديباجِ عبدنا النُّصبِ^(٣)
 وقلتُ والجهلُ يَشْبُ نارُهُ
 ويجعلُ الألبابَ فيها حطباً
 أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُوقِداً
 أحسنتَ يا جهلُ لعمري مُلهباً
 إن أنت أتبعْتَ النهى عواطفاً
 منا وأخلاقاً نراها نُخباً
 فقالَ لا تعجلُ فذا من أربي
 وإنني منكم ساقِضي الأربا
 فصفُّقوا يا قومُ للجهلِ معي
 أحَدٌ تصفيقٍ وميسُوا طرباً
 فكأما الجهلُ غداً مُحَرَّقاً
 منا لنا غيرَ العنا ما جَلَباً
 فليس يشكو غيرُ ذي عواطفٍ
 سليمُ لبِّ في الحياة التَّعبِ

(١) الطمر: الثوب البالي، والقشيب: الجديد.

(٢) السلب: الثياب السود.

(٣) النصب: الأصنام.

والجهل - والحمد لله - مريحنا
من كل ما نُضمرُ منه الرَّهبا
والشَّعبُ طوعُ للهوى والهزُّ إن
بكلُّ شعبٍ لم يكن منشعبا
وكلُّ من موطنهم ما بينهم
ألقي إخاءً جلَّ أن ينقضببا
فأصبحوا يرونه أمَّا لهم
جديرةً بالبِرِّ منهم وأبا
وكلُّ من واصل - طوعَ عقله
وعلمه لكي يعيش - الدَّابا
وكلُّ من لم يَخش - في تطلابه
معارفًا يعلوبهن - اللُّغبا^(١)
فالهزُّ منا بهم متمم
لجهلنا رضا علينا لزيبا^(٢)
وإن يلمنا لائمٌ فلنحئون
في وجهه حتى يكفَّ التُّربا
ولنرفع الأصواتَ منَّا قحَّةً
نقولُ عنه: احتاج أن يؤدبا
فذاك ممَّا يُحزِنُ العلمَ الذي
خفنا على الراحة منه الشَّجبا
وحقُّه يا قومُ أن نُحزِنه
حتى ولو عَنَّا تولى خببا

(١) اللغب: التعب والإعياء الشديد.

كي لا نراه أبداً عن أرضنا
إلا بعيداً شاحطاً مغترباً
فإننا غير أميين - إذا
عاد - على راحتنا أن تُسَلِّبنا

لنمسي في الوطن أحبابا

وشرُّ أغربة التفريق من جعلوا
للارتزاق من العمات أسبابا
باسم الديانة ردوا جمعكم فرقا
والدين جاء لصدع الشمل رءابا
سَعَوْا يَبْتُونُ رُوحَ الخُلفِ بينكم
ليُدركوا منكم بالخُلفِ أرابا
قد أَعْرَبَتْ لَكُمْ عن سوءِ نِيَّتِهِمْ
لو تَفْطَنونَ مَساعي القومِ إعرابا
إن يُعْجِبِ السعيُ منهم بينكم نَفْرا
رماكم بهم «التاميز» إعجابا^(١)
فإن سعيَهُمُ المشؤومَ أَعْضَبَ من
أبناءِ عدنانَ كلِّ الصَّيدِ إغضابا
قد حاولوا فيكم تنفيذَ مَكْرِهِمْ
باسمِ الديانةِ خَداعينَ خُلابا
إن انطَلَتْ يا لقومي منهم حِيْلُ
عليكم فالبثوا في الذلِّ أحقابا
يا أحبطُ اللهُ مسعىَ معشرٍ فتحو
عليكم من مميتِ الخُلفِ أبوابا

(١) التاميز: نهر في بلاد الإنجليز.

وأوهَموكم بأنَّ الدينَ يُلزمُكم
أنَّ تَدْخُلوهنَّ أحاداً وأسراباً
حتَّى يَضْحِكُ منا الخُلُفُ من شَحَذوا
لأَكَلِنَا من بني «التاميين» أنياباً
بنا سَيُنْشِبُ أنيابَ العدوِّ - كما
نخشى - تَفَرُّقُنَا إن دام إنشايها
فلتنفِ وحدثنَا المثلَى تَفَرُّقُنَا
ولنُؤمِسِ في الوطنِ المحبُوبِ أحبَّاباً
ولنتبَّعْ ما به الدينُ الصحيحُ قضي
ولنعترزل من ذوي العِمَّاتِ أنصاباً^(١)

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين^(١)

أرضى وأغضبَ تصریحُ المقال كما
تقضي الصراحةُ إرضاءً وإغضاباً
أما المُحقِّقونَ عمّا قد حوى فَرَضُوا
وأوسعوا ربهُ حمداً وإعجاباً
والآخرون عليه أنزلوا سخطاً
هذا لأنَّ أخاهُ فيه ما حابي
نافقٌ وداهينٌ وإلا لم تلج أبداً
إلى السلامة من إيذائهم باباً
خلَّ الصراحةُ أو لا فانصب هدفاً
لنبلهم لا يرى في الرمي إغياباً^(٢)
ويلمها أمةٌ تلقاك مُعْرِيةً
عن بُغضِها الوطنيِّ الحرِّ إعراباً
ما ذنبه عندها إلا صراحتُهُ
فيما يقول وإن لم يغد كذاباً
أوقفتموه على جمر الأذى سفاهاً
لما انبرى لانصداع الشعبِ رءاباً^(٣)

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تقصيرهم في حق صقر الشبيب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.

(٢) أغب: جاء يوماً وترك يوماً.

شَنَّ الْمَغَارَ عَلَى الْعَادَاتِ فَاسِدَةً
 وَاجْتَثَّ مِنْهِنَّ أَوْتَادًا وَأَطْنَابَا
 بِئْسَ الْجَزَاءُ تَلْقَى مِنْكُمْ رَجُلٌ
 فِي نَصْحِكُمْ لَمْ يَزَلْ إِنْ غَابَ أَوْ أَبَا
 جَدَّدْتُمْ مَا «سَنِمَّارٌ» جَنَّتْ يَدُهُ
 إِذْ أَغْرَبْتُمْ فِي ابْتِنَاءِ الْقَصْرِ إِغْرَابَا^(١)
 أَرَأَيْتُمْ مَا جَزَى «النُّعْمَانُ» عَامِلُهُ
 إِنِّي أَرَى صُنْعَهُ أَضْحَى لَكُمْ دَابَا^(٢)
 أَصْنَعُ «نُّعْمَانُ» أَحْبَبْتُمْ مَغَبَّتَهُ
 حَتَّى انْتَنِيتُمْ لَهُ فِي الصَّنْعِ أَضْرَابَا
 نَقَمْتُمْ مِنْ أَخِي الْإِصْلَاحِ صِيحْتَهُ
 بِكُمْ لِيُوقِظَ أَفْكَارًا وَأَلْبَابَا
 طَابَ الْمَنَامُ لَكُمْ عَنْ كُلِّ مُوَصَّلَةٍ
 إِلَى الْعُلَا وَلَهُ الْإِيقَاطُ قَدْ طَابَا
 فَجَاءَ يُوقِظُكُمْ مِنْهُ مَخَافَةٌ أَنْ
 يُنْسِيَكُمْ النَّوْمَ أَخْلَاقًا وَأَدَابَا
 فَقَمْتُمْ وَالْكَرَى غَاشٍ عَقُولَكُمْ
 لَهُ تُحَدِّدُونَ أَظْفَارًا وَأَنْيَابَا
 تَمَهَّلُوا رِيثَمَا تَسْتَيْقِظُوا تَضَعُوا
 مَكَانَ سُخْطِكُمْ حُبًّا وَإِعْتَابَا
 أَقُولُ وَالْحَزْنَ يُذَكِّي النَّارَ فِي كَبْدِي
 لِلْحَاسِمِينَ مِنَ الْأَدَابِ أَسْبَابَا

(١) سنمار: الذي بنى قصرًا لأحد الملوك وهو النعمان بن المنذر فكافاه بأن ألقاه من فوقه فقتله.

(٢) دابا: دأبا، عادة.

لِتُكَبِّرُوا عِلْمَهُ أَنْ تُلْحِقُوا أَدَى
أَوْ تُكْسِبُوهُ فَظِيْعَ السَّبِّ إِكْسَابَا
رُدُّوهُ إِنْ زَلَّ بِالْحَسَنِ فَذَاكَ فَتَى
مَذْكَانَ نَعْرِفُهُ لَلْحَقِّ طَلَابَا
هَلَّا نَقَلْتُمْ إِلَى النِّقْدِ الشَّرِيفِ خُطَى
نَزِيهَةً وَوَلَجْتُمْ مِنْهُ أَبْوَابَا
فَذَاكَ أَدْنَى إِلَى النِّفْعِ الْمُؤْمَلِ مِنْ
أَنْ تَرْكَبُوا السَّبَّ أَكْوَارًا وَأَقْتَابَا
إِنَّ السُّبَابَ سِلَاحُ الْعَاجِزِينَ فَمَنْ
يَسْتَلُّ مِنْهُ حَسَامًا فِي الْوَعَى خَابَا
سَلُّوا الْجَبَانَ إِذَا مَا رَاحَ يَحْمَلُهُ
هَلْ اقْتَنَى مِنْهُ إِلَّا الذَّمَّ وَالْعَابَا^(١)

(١) العَاب: العَيْب.

خير من تخيرت^(١)

على غير صافي الهوى ما انطويتُ
وطوعَ سوى أمره ما جرّيتُ
وأنتَ ولا شكَّ عندي كذا
ك وإن كنتَ أوهمتَ أنّي جنيتُ
وإن غيّبَ الوهمُ عنك الصواب
فعمّا قليلٍ أراك ارعويتُ
فما للودادِ غداً بائنًا
على أسِّ شكوى عليه بنيتُ
توهمٌ ما يتّقي فاشتكى
إليّ كما اليوم مني اشتكيتُ
وقال أرى أحمدًا قد أتى
سوى كلِّ ما كنتُ منه اشتهيتُ
فقلتُ التسرعُ ضدَّ الصواب
فخلَّ التسرعُ فيما رأيتُ
ظننتُ فخفتُ وكم أخطأتُ
ظنونٌ جنى غرسها كان لبيتُ
لعمراً أخي أحمدٍ ما نوى
من الأمر ما تتّقي أو نويتُ

(١) كان الأستاذ أحمد البشر من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر

فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وإني مُرِيكَ وشيْكَاً جَلِيَّ
حَقِيْقَةً مَا كُنْتُ فِيْهِ امْتَرِيْتُ
سَأَطْلِعُ فَجَرَ عِتَابِ يُزِيلُ
دُجَى لَيْلِ ظَنْنٍ بِهِ قَدْ سَرِيْتُ
فَقَالَ الْعِتَابُ إِذَا سِيُعِيدُ
بِهِ الْيَوْمَ حَيَّ شَكْوَكِي كَمَيْتُ
فَقُلْتُ أَجَلٌ فَالْعِتَابِ الْمَحْكُ
لِمَنْ أَبْتَلِي فِي السُّورَى وَابْتَلَيْتُ
فَقَالَ الْعِتَابُ يَسِيرُ فُسْمُهُ
صَدِيقَكَ حَتَّى أَقُولَ اكْتَفَيْتُ
فَقُلْتُ سَأَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ
صَدَقْتَ وَنَعَمْ الصَّفِيَّ اصْطَفَيْتُ
فإِنِّي مِنْ قَلْبِهِ نَازِلُ
بِحَيْثُ أَرَدْتُ وَحَيْثُ ارْتَضَيْتُ
فَعَاتَبْتُ لَا أَبْتَغِي غَيْرَ ذَلِكَ
فَأَوْهَمْتُ أَمْرًا سَوَى مَا ابْتَغَيْتُ
أَهْجُوا أَسْوَمُ أَخَا بَسْوَى
سُلَافَةَ أَخْلَاقِهِ مَا انْتَشَيْتُ
وَإِنْ شِئْتُ رَاحَةَ نَفْسِي عَمَدْتُ
إِلَى رَاحِ أَدَابِهِ فَاحْتَسَيْتُ
أَسْمَاءَ ظَنَنْتُ كَوُوسَ الْعِتَابِ
وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُ إِلَّا الْكُمَيْتُ
أَسَاءَ الظَّنُونِ إِلَى أَنْ نَسَبْتُ
لِلْفِظِي مَعْنَى لَهُ مَا عَنَيْتُ

وما كنتُ أحسبُ أنْ تَسْتَرِيبَ
 ولو بمريبِ المِقَالِ أَتَيْتِ
 لأنك تَعْلَمُ أَنِّي امْرُؤٌ
 لصحبي وإنْ غَدروا بي وَفَيْتِ
 وأنتِ لعمري منْ خَيْرِ مَنْ
 تَخَيَّرْتُ منْ معشري وانتَقَيْتِ
 لي السَّوِيلُ منْ سِوَى حَطِّ قَضَى
 عليّ بَذَنْبٍ لِهَ مَا جَانَيْتِ
 إذا سَاءَ بي الظَّنُّ منْ صَفْوَتِي
 فَهَلْ يَحْسُنُ الظَّنُّ مِمَّنْ قَلَيْتِ
 وَهَبْنِي عَثْرَتُ بَعْضِ طَرِيقِ
 عليه إلى خَيْرِ شَأٍ سَعَيْتِ
 أليس إذاً واجبي أنْ تَقُولِ
 لَعَّا لَكَ حَتَّى تَرَانِي اسْتَوَيْتِ^(١)
 ومنْ ذَا إذا مَا عَثْرْتُ يُقِيلُ
 عِثَارِي وَيُنْهَضُنِي فِي الْكُوَيْتِ
 سِوَى مَنْ بِهِمْ يَعْتَلِي وَاعْتَلَى
 مِنْ الشَّعْرِ أَوْ طِينِهَا كُلُّ بَيْتِ
 إذا عَزَّنِي غَيْرُ حَوْضِ اللَّئَامِ
 فلا كُنْتُ إنْ كُنْتُ مِنْهُ اسْتَقَيْتِ
 وَكَيْفَ اغْتَبَطِي بِرِيٍّ إِذَا
 تَذَكَّرْتُ أَنِّي مِنْهُ ارْتَوَيْتِ
 أَلَمْ تَرْنِي حِينَ غَاضَ الْكَرَامُ
 وَفَاضَ اللَّئَامُ بَبَيْتِي انزَوَيْتِ

(١) لَعَّا لَكَ: دعاء يقصد منه طلب إزالة آثار العثار.

فبعداً ل طول حياة بها
أراني بهم من حمامي احتميت
فليس تساوي الحياة امتنان
لئام بلاد إليها انتميت
فلم أر أشنع من لؤمهم
وألذع من ناره ما اصطأيت
إذا قلت ذا يستحق الندى
وبرهنت كي لا يقولوا افتريت
أجابوا ألم تدري من أمره
بما هو كيت - اعتلالاً - وكيت
وقالوا كما يقتضي لؤمهم
به عكس ما كنت منه دريت
لكيما يجيز لهم شحهم
على من لحالته قد رئت
فمن رفدهم زورهم نائب
ودعني وجرب تجد ما ادعيت
وهل بسوى الشوك من عوسج
تؤوب إذا جئته واجتنتيت
فحال مساكينهم بينهم
فويق مناياهم أو تحيت
فالوعجل الله عدل الجزاء
أحيطوا بنار وجيدوا بزيت
ولكنهم أمهلوا فاستطابوا
خبيث غوايتهم، لا غويت
ولم يفرقوا بين إمهالهم
وإمهالهم فابكهم إن بكيت

أَهَبْتُ إِلَى الرَّشْدِ جَهْرًا بِهِمْ
فَلَمْ يَسْمَعُونِي حَتَّى وَهَيْتُ
فَغَادَرْتُهُمْ وَأَقْفَيْنِ عَلَى
شَفَا هُوَّةٍ تَلْتِظِي وَإِنِّي نَيْتُ
فَلَوْ كُنْتَ شَاهِدَتْهُمْ وَأَقْفَيْنِ
هِنَاكَ هَزَأَتْ بِهِمْ وَأَزْدَرَيْتُ
فَأَصْبَحْتَ مِنْ فَرْطِ تَغْرِيرِهِمْ
بِأَنْفُسِهِمْ عَجَبًا قَدْ قَضَيْتُ
وَصِيحْتَ بِمَا شَارَفُوا قَائِلًا
عَنِ الْقَوْمِ يَا هَوْلُ كَيْفَ اخْتَفَيْتُ
وَمَنْ سَدَّ عَيْنِي حِجَاهُ الْهُوَى
فَهِيهَاتَ أَنْ يَجْتَلِي مَا اجْتَلَيْتُ
فِيَا يُسْرُ إِن كُنْتَ بِي صَانِعًا
كَذَا، فإِلَى مَنْزِلِي لَا اهْتَدَيْتُ
فَمَا خَيْرُ يُسْرٍ أَرَانِي بِهِ
ظَلَمْتُ كَمَا ظَلَمُوا وَاعْتَدَيْتُ
تَبَارَكْتَ مُمَهِّلَ أُمَّثَالِهِمْ
عَلَى سَوْءِ أَعْمَالِهِمْ وَاعْتَدَيْتُ
شِكْوَتُ إِلَى بَعْضِهِمْ غِرَّةً
زَمَانًا حَدَا بِي إِلَى مَا اجْتَوَيْتُ
فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ لَهُمْ رُحْتُ مِنْ
شَكَاتِي لَهُمْ شَاكِيًّا وَاعْتَدَيْتُ
وَلَوْلَا اغْتِرَارِي بِهِمْ لَمْ أَكُنْ
إِلَيْهِمْ بِشَكْوَى الزَّمَانِ انْبَرَيْتُ

العزلة

عَرَّتَنِي وَحَشَشَهُ مِنْ كُلِّ حُرٍّ
وَعَبِدٍ فِي الْبَرِيَّةِ فَاَنْفَرْتُ
فَخَالَطُ مِنْ تَشَاءُ وَلَا تَأْمَنِي
فإِنِّي عَنْ مَلَامَتِكَ ابْتَعَدْتُ
فإِنْ تَسْعَدُ بِمَجْتَمَعِ الْبَرَايَا
فإِنِّي بَانْفِرَادِي قَدْ سَعِدْتُ

إلى محتكر الجنة

إن كان لا يظفر بالجنة
إلا امرؤ مثلك ذو جنة
ممن يصّبون عطاياهم
بجيبك الفارغ ذي الفسحة
والنار يصلى جمرها من غدا
به انحراف عنك بالمنحة
فليس في الجنة لي رغبة
فأعط من شئت بها حصتي
وما سوى النار التي تلتظي
- إن لم تكن فيها معي - منيتي

****□

ذكري كريم^(١)

ما تذكرتُ سالمًا قطُّ إلا
وتجارتُ لذكره عَبراتي
عاصياتٍ تجلدي طائعاتٍ
لي شجونًا كالنار ملتهبات
ذاك ما تقتضيه ذكري كريمٍ
قد أطابت حياتهُ لي حياتي
شئتُ أو لم أشأُ كذاك سَأبقي
حَسَبَ ظَنِّي المصيبِ حتى مماتي
ما عجيبٌ عليه طولُ بُكائي
واشتعالي بِمُلْتَظِي الزُّفَرَاتِ
بل عجيبٌ أن لا تُذيبَ وتُبلي
مهجتي بعد سالمٍ حَسَراتي
كنتُ في موطني الكويتِ بنارٍ
أصطليها في سائر الأوقات
فاستحالت بِبِرِّهِ المتوالي
مثل ما أشتهي إلى جَنَاتِ

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محباً للشاعر وينعم عليه كثيراً. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثم لما قضى استحالته شجوناً
كاويات حشاي بل محرقات
فعليه أذى التحية مني
ومن الله أوفر الرحمات

***□

الحريثني على تاريخ الكويت^(١)

كَسَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمُ أَضْفَى
ثِيَابَ الْفَخْرِ مَوْطِنَهُ الْكُوَيْتَا
بَبَتْ نَفِيسِ رُوحِ الْعِلْمِ فِيهَا
وَإِحْيَاءِ الْحِجَاءِ وَكَانَ مَيْتَا
فَمَرَحَى لِابْنِ أَحْمَدَ إِذَا أَعَادَتْ
مَسَاعِيهِ مُجَانِينَا سُكَيْتَا^(٢)
فَحَلَبَةُ كُلِّ فَضْلٍ مِنْ تُجَارِي
بَهَا يَا نَجْلَ أَحْمَدَ قَدْ شَأَيْتَا^(٣)
سَرَيْتَ وَنَحْنُ فِي لَيْلِ التَّوَانِي
نِيَامٌ لِلْعُلُومِ وَمَا وَنَيْتَا
فَأَجْنَاكَ السُّرَى أَحْلَى جَنَاهُ
وَأَطْيَبَهُ كَمَا مِنْهُ اشْتَهَيْتَا
فَأَصْبَحْنَا نَقُولُ وَقَدْ رَأَيْنَا
جَنَى غَرَسِ الْمَتَاعِبِ إِذَا سَرَيْتَا
لَوْ أَنَّا، لَيْتِنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
تَقُولُ هَوَانًا هَيْهَاتَ هَيْتَا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

(٢) السكيت: آخر خيل الحلبة، والمجلي: أولها.

(٣) شأي: سبق

لِكُلِّ مَوْرَخٍ فَخِضْلٌ إِذَا مَا
سَعَى يَا ابْنَ الرَّشِيدِ كَمَا سَعَيْتَا
أَلَمْ تَجْلُ الْحَقَائِقَ نَاصِعَاتٍ
سَوَافِرَ مُنْسِيًّا لَوًّا وَلَيْتَا
وإِبْدَاءَ الْحَقَائِقِ كُلِّ حُرٍّ
بِهِ شَوْقٌ إِلَيْهِ كَمَا رَأَيْتَا
فَتَارِيخُ الْكُوَيْتِ الْحُرِّيِّ ثَنِي
بِهِ خَيْرًا عَلَيْكَ وَإِنْ أَبَيْتَا
بَنَيْتَ عَلَى الْحَقَائِقِ مِنْهُ أُسًّا
فَمَا نَخَشَى تَدَاعِي مَا بَنَيْتَا
وَأَجْنَبَيْتَ الْأَلَى نَظَرُوا إِلَيْهِ
بِإِنْعَامٍ أَطَايِبَ مَا جَنَيْتَا
وَأَجْرِيَتِ الصَّرَاحَةَ فِيهِ صِرْفًا
وَلَمْ تَمزِجْ سُلَافَتَهَا الْكُمَيْتَا
كَأَنِّي بِالَّذِي يَتَلَوُّهُ جَهْرًا
يَقُولُ لِمَنْ وَعَاهُ هَلِ انْتَشَيْتَا
لِيَسْئَلُ كُلُّ تَارِيخٍ إِذَا لَمْ
يَكُنْ مَجْرَى ذَوِيهِ كَمَا جَرَيْتَا
فَلَا شُلَّتْ يَمِينُ مَنْكَ خَطَّتْ
نَفَائِسَ مَا جَمَعْتَ وَمَا وَعَيْتَا
وَلَا حَطَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا يِرَاعًا
بِهِ عَنِ كُلِّ سَفْسَفَةٍ نَأَيْتَا
وَلَا تُلَّتْ مِنَ الْعُلِيَاءِ عَرْشًا
عَلَيْهِ مَذْهَبَاتُكَ اسْتَوَيْتَا

فأنت أَجَلُّنا نُصْحًا ونفْعًا
لمن لا تجتبي ومن اجتَبَيْتَا
وأطوؤنا وأصفانا إذا ما
دَجَا خطبُ ذبالاتٍ وزَيْتَا
على القِدْحِ المُعَلَّى في المعالي
وكلُّ مؤثِّلِ المجدِ احتويتَا
فأَيُّ سِنَامٍ مكرمةٍ تعالتُ
وأنتِ على ذُراهُ ما اعتلَيْتَا؟
كُمِلتَ فلستُ أسألُ فيك رَبِّي
سوى إِسهابِ عمرك لا رَدَيْتَا
فإن حَيَاتَكَ المُمْتَلَى حَيَاةً
لأوطانٍ رَقَّتْ بكِ إِذ رَقَيْتَا

من عاداتي وشيمي

أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً
يكون بها حولي صديقٌ أحادثُهُ
يَبِيتُ كلانا سِرُّهُ لصديقه
بغير احتشامٍ أو حبيبٍ أعابته
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسفرٌ جليلُ النفعِ تشفي مباحته
فذلك رِيحاني وراحي وراحتي
وداعي سروري حين آسى وباعته
فيا قاصدي بالخُبثِ ما أنا بالذي
يُخابِثُ فاقصِدْ في الورى من تُخابِثُهُ
فوقتي بكُتبي والحبيبِ وإخوتي
له شُغْلٌ عن رَدِّ ما أنت نافية
من الجهلِ إنفاقي من الوقتِ لحظةً
بِنَبْثي تُرى أمثالِ ما أنت نافية
على أنني والحمدُ لله لم يَلُثُ
قميصي على غيرِ الفضيلةِ لائته^(١)
وبرهانُ فضلي أنني عنك معرضٌ
وقلبُك في أمري به عاثَ عاثته

(١) لائته: لفته وعصبيه.

أخذتُ على نفسي أكيدَ عهدِها
لصفحي عن الجاني وما أنا ناكثُهُ
وأقسمتُ أني لا أكافيءُ حاسدًا
على حسدِ والحلفُ غيري حانثُهُ
وما راتُ في عَوْنِي على دفعِ محزنٍ
إذا اسطعتُ عن قلبِ امرئٍ قَطُّ رائثُهُ
وما زلتُ مسطيعًا لحصدي ما به
من الشوكِ ما يؤذي الذي هو حارثُهُ
ولم أستطعُ صرفَ الأذى عن حشا امرئٍ
تولتُ حشاه في سكوتي فوارثُهُ^(١)
فلا ينتظرُ مني الإجابةَ شاتمٌ
ولو أنه كالدهرِ جَمَّتْ حوادثُهُ
بشيءٍ سوى حُسنِ المقالِ وإنه
لطبعُ أبي قبلي وإني لوارثُهُ
وإن لم أجدهُ شافيًا قلبَ كاشحي
فإنني طويلُ الصمتِ راعيه ما كَثُرَتْهُ
وهل يُتجفُ المسكُ الأنوفَ بغيرِ ما
يطيبُ إذا ما ثنتُهُ يومًا موائثُهُ^(٢)
إذا استوعَرَ الإنسانُ أخلاقَ صاحبٍ
تولتُ خليلي في خَلَاقِي دمائثُهُ^(٣)
وما حُلْتُ عن خِذَنِ أَمالَتِ يسارَهُ
إلى فاقدٍ من ذا الزمانِ كوارثُهُ

(١) فرث كبده: ضربها وهو حي.
(٢) مات الشيء في الماء يميته: أذابه.

فقد علم الأخذان أني وفيهم
وأن ودادي دائم العهد لابنته
وأنني لا يخشى العدو بوادري
إذا انحص عن ريش العدو أثائته^(١)
فمن سوء قمعي للعدو أمانه
ومن حسن صنعي للصديق مفاوته
وإني على ما بي من اللين لا الذي
تصب على رأس الظلوم هنايته^(٢)
وإني في ذبي عن الحق تنثني
أجادل ظلم عنه وهي أباغته^(٣)
ومن لم يفرق بين حق وغاصب
فلا لم في الدارين منه مشاعته
ويا ناقدي إن لم أخف بطش ظالم
بفيك على النقد النقيد كثاكته^(٤)
أحجم عن فكي لذي الضعف حقه
إذا قيده من ظلم روابته^(٥)
إذا لا تمادت بي من العيش فسحة
ولا أمهلتنني في حمامي حثاكته^(٦)
وإني على بؤسي متى ألق بئساً

(١) انحص الشعر: سقط. والأثاثة: جمع أثيث وهو الملتف الكثير.

(٢) الهنايت: الدواهي.

(٣) الأبعث: جمعه أباغث طائر من طيور الماء، وهنا يريد طيراً أصفر من الرخم بطيء الطيران.

(٤) الكثكث: التراب، وجمعه كثاكت.

(٥) الروابث: الموانع.

(٦) الحثاكت: السراع.

- فَفَأُوسِي لِكَيْسِي كَالْعَدُوِّ يُمَاغِتُهُ^(٧)
 وَيُطْرِبُنِي شُكْرُ الضَّعِيفِ أُعَيْنُهُ
 عَلَى أَمْرِهِ لَا مِزْهَرَ وَمَثَالَتُهُ^(١)
 وَمَا طَابَ لِي يَوْمًا مِنَ الزَّادِ طَعْمُهُ
 وَذُو رَحْمٍ لِي ضَامِرُ الْبَطْنِ غَارَتُهُ^(٢)
 فِيهَا طَاعِمًا وَالْجُوعَ يَشْكُو قَرِيبُهُ
 أُمَاتَكَ مِنْ دَاءِ السَّرَاحِينِ ضَابِتُهُ^(٣)
 وَمَا خَيْرٌ مَحْيَا مُسْهَلٍ وَحَمِيمُهُ
 تَهَادَاهُ مِنْ نَهْجِ الْحَيَاةِ أَوَاعِتُهُ^(٤)
 وَلَا رَوَيْتُ نَفْسُ الْمَاءِ عِنْدَهُ
 إِذَا لَمْ يَرِدْهُ جَاهِدُ الْوُجُوحَ لَاهِتُهُ^(٥)
 وَإِنِّي لَذُو عِرْضٍ بَعِيدٍ مِنَ الَّذِي
 يَسْبُ صِلَالِ السَّبِّ وَهِيَ بَرَاغِتُهُ^(٦)
 وَيَا رَبِّمَا أَذَاهُ فِي مَقَالُهُ
 مُدَى التَّيْسِ فِي التُّرْبِ الَّذِي هُوَ بَاحِتُهُ^(٧)

****□

- (١) المزهر: آلة من آلات الطرب. والمخالط: مفردھا المثلث وهو ثالث أوتار العود.
 (٢) غارت: جائع.
 (٣) السراحين: الذئاب. والضابث: القابض قبضاً شديداً.
 (٤) الأواعث: الطرق العسرة.
 (٥) لاحه العطش أو السفر لوحا: غيره.
 (٦) الصلال: الحيات. السبُّ الثوب، وقد شبه براغيثه بالحيات، كناية عن شدة لسعها.
 (٧) يشير إلى المثل كالباحث عن حتفه بظلفه، وذلك أن شاة أو ثوراً كان يراد ذبحه، وحفر بظلفه فظهرت مديّة.

لن يعيث^(١)

لكلّ سهامٍ موجعةٍ فؤادي
أراهُ في الكويتِ غداً نَجِيثًا
إلى كمٍ أستجِيرُ ولا مجيرُ
وكمِ ذَا أُستغِيثُ ولا مُغِيثًا
كأنّي بينكم ذئبٌ خبيثُ
وكلُّ يكرهُ الذئبَ الخبيثًا
فإن يُغضبِكمُ نُصحي فإني
بِسَيِّري في النصيحةِ لن أريثًا
سأبقى مثلَ ما أتّي قديمًا
بحبلِ الصبرِ معتصمٌ، حديثًا
حثيئًا سَيِّرُ نُصَحِكُمْ إِلَيْكُمْ
فسيروا بالأذيةِ لي حثيثًا
فإني أرتجي لكمُ انتباهًا
ولو حبلُ الرِّجاءِ أمسى رثيثًا
ثِقُوا أن الأذى منكمُ بصبري
عليكم حين أنصحُ لن يعيثًا
إلى أن أطمئنُّ بنُجْحِ سعيي
وأجنيكمُ جَنَى غرسي أثيثًا^(٢)

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

سَأَنْزِلُ فِي قُلُوبِكُمْ مَكَانًا
إِذَا أَنْجَابَ الْكُرَى عَنْكُمْ دَمِيثًا^(١)
وَلَوْ أَسْمَعْتُمُونِي الْيَوْمَ قَوْلًا
جَرِيرًا قَبْلُ أَسْمَعُهُ الْبَعِيثًا^(٢)
فَرُبَّ نَصِيحٍ أَقْوَامٍ شَتِيمٍ
أَصَارُوهُ لِحَمْدِهِمْ وَرِيثًا^(٣)

(١) دميث: لين.
(٢) البعيث: شاعر كان بينه وبين جرير هجاء.
(٣) الشتيم: الشديد الخلق مع قبح الوجه.

حالههم أدهى وأبرح

دَعْتَنِي حَاجَاتِي إِلَى مَدْحِ مَعْشَرٍ
فَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَوْعَ حَاجِي أَمْدَحُ
فَكُنْتُ كَأَنِّي مِنْ عَبُوسِ وَجُوهِهِمْ
تُجَاهَ مَدِيحِي جِئْتُ أَهْجُو وَأَقْدَحُ
يَخَافُونَ إِرْفَادِي لِأَنَّ نَفُوسَهُمْ
بِهِنَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا الطَّبَعُ يَجْنَحُ
وَإِنْ خَيْبُونِي أَشْفَقُوا مِنْ قِصَائِدِ
تُثِيرُ كَمِينَاتِ الْعُيُوبِ وَتَفْضَحُ
فَمَا بَيْنَ إِرْفَادِي وَمَنْعِي حَالَهُمْ
مَنْ الْمَنْعُ وَالْإِرْفَادُ أَدهَى وَأَبْرَحُ
عَلَى أَنِّي مَا زِلْتُ - مَذْكَرْتُ - قَالِيًا
مَنْ الشَّعْرُ مَا الْأَعْرَاضُ تَخْشَاهُ يَجْرَحُ
وَلَكِنْ مَرِيبُ الْقَوْمِ يُرِيدُهُ خَيْفَةً
تَظُنُّنِيهِ حَيْثُ الْأَمْنُ يُمَسِي وَيُصِحُ
فِيَا لَيْتَ أَنْ اللَّهَ مَا كَانَ مُحْجُوجِي
إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَشُحُّ وَيَسْمَحُ

****□

أمع الحياة سعادة؟

ما كنتُ أغبِطُ مذُ أربُتُ سوى الذي
ما كان قَطُّ ولن يكون مدى الأبدِ
أما الألى كانوا فلستُ بغابِطِ
منهم على شيءٍ يفوزُ به أحدُ
من كان ليس بمستحقٍّ غبطةً
حتى وإن قال الورى عنه سُعدِ
أمع الحياة سعادة؟ لا والذي
جعل الحياة لأهلها أمَّ النَّكْدِ
ولدت حياتي مع شقائي كلُّ ما
أبلى عليها الصَّبْرَ مني والجددِ
فإذا جزعتُ فكلُّ نفسٍ لم تكن
إلا لتَجْزَعُ حين تُفَرَّنُ بالجسدِ
ما إن تَرِثُ مصائبِي في محبِسِي
إلا أتت أخرى لتخلفها جَدَدًا^(١)
يا قدرةً سَجَنَتْ بجسْمِي روحَهُ
ضاق الخناقُ على السجين المضطهدِ
إن لم تَفُكِّي الروحَ من جُثمانيه
فتداركي منزورَ صبري بالممددِ
أرجوكِ لا أرجو سواكِ فأنعمي
عجلى عليَّ بما ترين من الرشدِ

(١) الجدد، بفتحتين: القاسية الصلبة.

ثَقُلُ الحَيَاةُ ضَعْفَتْ عَن حَمَلِي لَهُ
ضَعْفًا بِهِ لِي الشَّيْبُ أَعْدَلُ مِنْ شَهْدِ
قَدْ أَدْنَى عِبِّهِ الحَيَاةُ وَمَنْ رَأَى
عِبَّ الحَيَاةِ لِذِي مَشْيِبٍ لَمْ يَوُدَّ^(١)
وَ رَحِمْنَا لِلشَّيْبِ مِنَّا إِنَّهُمْ
مَنْ حَمَلَ أَعْبَاءَ الحَيَاةِ لَفِي كَمَدِ
طَوْبِي لِمَنْ حَاطَتْهُ عَنْهُ يَدُ الرَّدَى
إِنْ لَمْ يُرَدَّ إِلَيْهِ أُخْرَى أَوْ يَأْعُدْ
فَضْلُ المَنْيَةِ غَيْرُ مَنْكُورٍ عَلَيَّ
ذِي شَيْبَةٍ وَجَدَ الحَيَاةَ كَمَا أَجِدُ
مُدَّ شِخْتُ لَمْ أَحْمَدِ حَيَاتِي سَاعَةً
فَسَلُّوا سِوَايَ مِنَ المَشَايخِ هَلْ حَمَدَ
لَوْ كُنْتُ أَحْسَدُ مَا رَمَيْتُ - سِوَى أَمْرِي
قَدْ شَابَ شَيْبِي يَوْمَ يَرْدِي - بِالحَسَدِ
هَذَا عَلَيَّ جَهْلِي بِمَا نَلَقَاهُ مِنْ
بَعْدِ الرَّدَى مِمَّا هُنَاكَ لَنَا يُعَدُّ
يَصْبُو إِلَى مَجْهُولِ أَمْرِيهِ الَّذِي
مَعْلُومُ أَمْرِيهِ لَهُ جِدًّا جَهْدُ
والمَرءُ ذُو أَمَلٍ يَبْشُرُهُ إِذَا
سَاعَتُهُ حَالَتُهُ بِأُخْرَى تَسْتَجِدُّ
وَكَذَا مَدَى المَحْيَا إِلَى اليَوْمِ الَّذِي
مَا كَانَ مِنْ مَحْيَاهُ مَشْفُوعًا بِغَدِ
فَإِذَا انْتَهَتْ دُنْيَاهُ بِشَّرِّهِ بِمَا
تُخْفِيهِ أُخْرَاهُ لَهُ مِمَّا يَوُدُّ

(١) أدنى: أنقلني.

فتراه من أماله مهما قست
حال عليه يحس أنه مطرد
ما إن أتى ألم لقلب جارح
إلا أتى أمل فداوى أو ضممد
فلذا أرى أمالنا معدودة
من رحمة الله التي ليست تُحد
وكذا أرى الآلام في إيقاظها
من عن تعرف لطف خالق رقد
فجميع أمالي وآلامي إذا
نعم تشابه خيرها حتى اتحد
ولعل مشقاي الملح أتى جزا
فعلي وقولي الحائدين عن السدد^(١)
كم مرة قارفت نيبا قاصدا
وجزاء نيب المرء مُشوق إن قُصد
وعسى المعجل من جزائي مُنقذي
مما يؤجله لي العدل الصمد
أخشى عدالته وأما فضله
فإلى سوى تأميله لا أستنيد
لولم أوئل فضله لتطايرت
لمخافتي من عدله نفسي بدد^(٢)
يا أيها العمر الذي أنفقت
فيما تبين زيفه لما نُقد

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

لم يبق لي إلا تذكُّرُ ما مضى
متندماً فسيرِ الهوينى وأتئد
فعسى طويلَ ندامتي يقضي على
سودِ الذنوبِ وجمعِهِنَّ المحتشِدِ
يا ليت أني كنتُ أنقُذُ كلَّ ما
قد كنتُ أتبه وعمرى ما نَفِدَ
أو حينَ أذنَ بالنَّفادِ أخذتُ في
إصلاحِ ما أسلفته مما فسَدَ
يا ربِّ فاعفُ فليس لي إلا إلى
تأميلِ عفوك عن ذنوبي من مَرَدٍ
يا مَنْ يؤمِّلُ عفوه الجاني وإن
فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَدَ
خوفُ الحسابِ على ذنوبي هَدَنِي
وعليك في التأمينِ منه المعتمَدِ
وَحَزُّ الضميرِ - ولستُ من يقوى على
وَحَزَاتِهِ - أوهى القوى مني وهَدِ
قاسيتُ في محياي منه شِدَّةً
وأخافُ بعدَ الموتِ أن ألقى أشَدَّ
يا أيها القبرُ الذي أنا وافدُ
حتمًا عليه ككلِّ مَنْ قبلي وفَدِ
ماذا أعدته القبورُ؟ أراحَةً
أم ضِدَّها أم بَيْنَ بَيْنَ لمن وردَ
قل لي وأفصحْ إنني مستخبرُ
عن ذي الأمورِ مُذِ اكتهلتُ فلم أُفدِ

فَعَسَى جَوَابَكَ أَنْ يُبَرِّدَ عُثَّةً
كَانَتْ وَلَمْ تَبْرَحْ بِقَلْبِي تَتَّقِدُ
هِيَهِاتَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَكُلُّ ذِي
مَحْيَا، جُمُودَكَ عَنْ جَوَابِي قَدْ جَمَدَ
وَلَأَنْتَ أَعْدَرُ مِنْ سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِرْ
يَوْمًا جَوَابًا مَقْنَعًا فِي ذَا الصَّدَدِ
مَنْ قَامَ يَطْلُبُ مَا اسْتَحَالَ مَنَالُهُ
شَرُورِي قِيَامِي يَأْتِسًا مِنْهُ قَعَدُ
لَمْ أَدْرُ مَا تَحْوِي الْقُبُورُ لَنَا إِذَا
مَا صَخَرُهَا يَوْمًا عَلَيْنَا قَدْ نُضِدُ
أَمَّا ظَوَاهِرُهَا فَهُنَّ مَظَاهِرُ
مَا مِزْنَ مِنَّا مَهْمَلًا مِنْ مُسْتَعِدِّ
وَوَرَاءَهَا مَا لَيْسَ يَعْلَمُ كُنْهَهُ
مَنْ جَدَّ فِي التَّنْقِيبِ عَنْهَا وَاجْتَهَدَ
سُبْحَانَ مَنْ حَجَبَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
عَنْ عِلْمِهِ وَبِهِ تَوْحِيدًا وَانْفِرَدَ

يا فهد القوافي^(١)

لو كنتُ مِمَّنْ في طبيعته الحَسَدُ
لحَسَدتُ دون الناس شاعرنا فَهَدُ
فقريضة السامي المحلُّ منبهُ
ما كان من حَسَدٍ بنفسٍ قد رَقَدُ
لكن براني الله خِلُو القلب من
حسدٍ به مَحِيَا ذُوِيهٍ قد فَسَدُ
فلذاك أَغْبِطُهُ ولم أَحْسِدُ وَمَنْ
غَبَطَ المَبْرُزُ ليس يَعْدِلُهُ أَحَدُ
جَرَتِ القوافي منه في خَلْدِي كما
يجري لذيذُ البرءِ في مُضْنِي الجَسَدُ
أو مثلَ ما يجري زلالٌ باردُ
متداركًا أحشاء حَرَّانِ الكَبِيدُ
زاملتُهُ ظلمًا بدعواي التي
إن يرضها أُصْبِحُ بها مِمَّنْ سَعِدُ
متخيلًا أَنِي له في نَظْمِهِ
ما راقني من محكماتِ الشُّعْرِ نِدُ
ولَكَمْ حَسِبْتُ الزورَ يأتيني بهِ
مُلْهي التَخْيِيلِ أَنَّهُ حَقٌّ وَجِدُ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فإذا انتبهتُ ثنى انتباهي كلَّ ما
 نَحَمَّتُهُ من خَيْرِ يَدَاهُ لِي بَدَدَ (١)
 وأعودُ بعدُ مُصَدِّقًا من وحيه
 أن سر نفسي كلُّ زورٍ يَسْتَجِدُ
 ولقأما كَشَفْتُ خِيَالِي الْكَرَى
 لي يقظةٌ فكَرَّيَ هَذَا مُطَّرِدُ
 فإذا ادَّعَيْتُ حَقوقَ غَيْرِي فِي السُّورَى
 فعلى تَخَيُّلِي انتقادُ المُنْتَقِدِ
 فتخيُّلي ما زال يَدْفَعُنِي إِلَى
 دعوى أمورٍ ليس لي فِيهِنَّ يَدُ
 وعلى ادَّعائي قد أرى لي عاذرًا
 شَرَّوَاهُ إِنْ جَارَ ادَّعَائِي أَوْ قَصَدُ
 فلقد يَلْذُّ لِي ادَّعَائِي رَتْبَةً
 غَيْرِي بِهَا قد حُصَّ دُونِي وَانْفَرَدُ
 وَإِذَا تُخَيَّلَ جَرُّ دَعْوَى لَامِرِي
 فِيهَا مَسْرَّتُهُ فَعَنَاهَا لَمْ يَحِدُ
 إِنِّي أَعُدُّ خِيَالَ كُنْهٍ سَرَّنِي
 من نعمة الله التي ليست تُحَدُ
 وتخيُّلي نَيْلِي نَفِيسَ الْأَمْرِ إِنْ
 أَخْطَأْتُ مِنْهُ الْكُنْهَ لِي حَظٌّ يُعَدُ
 ولطالما أدنى تَخَيُّلُ نِعْمَةٍ
 من غِبْطَةٍ قَلْبُ امْرِي عَنْهَا ابْتَعَدُ
 وحقائقُ الدنْيَا خِيَالَاتٌ إِذَا
 ما جال فِيهَا الْفِكْرُ عَفْوًا أَوْ جَهْدُ

(١) البدد: الفرق.

هَنَاتُكَ يَا فَهْدُ الْقَوَافِي وَاثِبًا
مَنْ مَقُولٍ لَكَ مَا تَخْطَأُ السَّدَدَ
فِيهِنَّ تَفْتَخِرُ الْكُوَيْتُ مَقْلَةً
مِنْهُمْ تَاجًا فَوْقَ هَامَتِهَا انْعَقَدَ
فَبِغْرٍ آدَابِ ابْنِهِ إِنْ لَمْ يَنْلُ
فَخِرًّا فَمَاذَا يُكْسِبُ الْفَخْرَ الْبِلْدَ
مَا رَمَتْ أَنْ أَوْفِيكَ حَقًّا مُطْرِيًّا
إِلَّا وَعَمَّا رَمَتْ بِي عَجْزِي قَعْدَ
فَالِيكَ جُهْدَ مَقْصَرٍ لَمْ يَرْضَهُ
لَكَ لَوْ لِأَنْفَسٍ مِنْهُ حُسْنًا قَدْ وَجَدَ
وَكَفَى عَلَى صِدْقِ الْوَدَادِ وَصَفْوِهِ
جُهْدُ الْمَقْصَرِ شَاهِدًا مَهْمَا شَهِدَ

عليك بإحدى الحسنين

أتركني ما بين يأسِي والرَّجَا
ومن أحدِ الضدِّينِ عندك لي بُدُ
وكلُّ بناءٍ شادَهُ لي معقلاً
جميلُ اصطباري بين هذينِ يَنْهَدُ
عليك بإحدى الحُسْنَيْنِ مبادراً
كما تقتضي منك النجابةُ والمجدُ
فإن تعذِرْ فالعذرُ يلقي قَبولَهُ
لديَّ وإن تُسَعِفْ فمِتي لك الحمْدُ

****□

زحام

ما في الصِّفَاةِ لذي عَمَى
مثلي أمورٌ تُحْمَدُ
كم مرةٍ قد ضَمَّني
فيها زحامٌ أنكدُ
كادت به عن جُنَّتِي
نفسي العزيرة تُفْقَدُ

***[]

لا تؤذوا الصريح

إِذَا نَجَمَ الصَّرِيحُ بِأَرْضِ قَوْمِي
فَإِنْ جَزَاءَهُ مِنْهُمْ نَادٍ^(١)
أَرُونِي فِي الْكُوَيْتِ فَتَى تَجَلَّتْ
نِصَائِحُهُ كَمَا يُوحِي الْفَوَادُ
فَلَمْ نُحِقِّقْهُ جِهلاً مَا يُخَلِّي
مَحَاجِرَهُ يُحَالِفُهَا السُّهَادُ

(١) النّاد والنّادي: الداهية. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال^(١)

أُرفِعُ رَأْسَهُ الْعَرَبِيُّ يَوْمًا
إِذَا امْتَلَكْتَ فِلَسْطِينَ الْيَهُودُ
وَهَلْ عُنْدُكَ لَهُ إِنْ لَمْ تَجِدْهُ
بِأَعْلَى مَا لَدَيْهِ لَهَا يَجُودُ
وَرَاءَ الْخَطْبِ هَذَا أَيُّ خَطْبٍ
تُصَانُ لَهُ النُّفُوسُ أَوْ النُّقُودُ
أَبْعَدَ الْيَوْمِ يَوْمٌ فِيهِ تَزْكُو
لِبِأَذْلِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْجُودُ
بَنِي الْعَرَبِ الْأَلَى مَا عُدَّ مِنْهُمْ
فَتَى عَنْ نَصْرِ مَعْشَرِهِ يَحِيدُ
أَمَا كَانُوا وَيَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
إِذَا حُمَّ الْعِيدُ رُكْنٌ شَدِيدُ
أَمَا أَدَى تَعَاوُنُهُمْ إِلَى مَا
يَعْمُرُهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الرَّغِيدُ
وَلَوْ لَمْ نَفْتَرِقْ مِنْ بَعْدِ جِهَالًا
لَمَا عُدْنَا وَسَائِدُنَا مَسُودُ
نُجِدُّ مَدْحَهُمُ وَالْمَدْحُ عَارُ
عَلَيْنَا - لَو تَأْمَنَّا - عَتِيدُ

(١) نشرت في السجل الأغر ١٧ شوال ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الأول ١٩٣٧ العدد ٧٧ وتكتملتها في العدد

فَلِمَ نُطْرِي الْجُدودَ عَلَى عُلَاهِم
ولم نفعَلْ كما فعَلَ الْجُدود
فإِمَّا أَنْ نَكُون قد افترينا
إِذَا رَحْنَا بِذِكْرِهِمْ نُشِيد
فلم يَخْضِرْ من شرفٍ ومجدٍ
لهم ما بين أهلِ الأَرْضِ عُدود
ولا كانوا وقائدُ كلِّ شعبٍ
جَنِيبٌ خَافَ قَائِدَهُمْ مَقُود
ولا خَافَقَتْ لَهُم في كلِّ أَرْضٍ
بغيرِ مَجْرَدِ الدَعْوَى بُنُود^(١)
ولا كانوا من الإقْدَامِ قِدمًا
بِحَيْثُ تَهَابُهُمْ حَتَّى الأَسُود
ولا كادت عُدَاتُهُمْ - إِذَا مَا
أَتَاهَا أَنَّهُمْ غَضِبُوا - تَبِيد
ولا كانوا زَمَانَ الجَدْبِ سَحْبًا
على العَافِي بما يُغْنِي تَعُود
وإِمَّا أَنْ نَكُون بَنِي سِوَاهِم
وَحَدُّو الجَدَّ يَحْذُوهُ الحَافِيد
إِذَا انْتَسَبَتْ إِلَى أَصْلِ فِرْعَوْنِ
فأَخْلَاقُ الفِرْعَوْنِ هِيَ الشُّهُود
أَمِنْ أَخْلَاقِ يَعْزُبُ - إِنْ دَعَتْهُ
إِلَى الجُلِيِّ مَعاشِرُهُ - الصُّدُود^(٢)

(١) البنود: الأعلام.

(٢) الجلي: الأمر الشديد والخطب العظيم.

ومن أخلاقه شحٌ عليهم
بما يحويه أم ذبٌ وجود
فلو كنا بنيه أبصرتنا
فلسطين نواسي أو نذود
أيعرب من بنيه عرب يومي
لعمر أبك ذا شيء بعيد
وظنني أنه لوشق عنه
ليشهد ما أتيناها - الصعيد
لقال إليكم عني إليكم
فليس لكم إلى نسبي صعود
وزاد فقال ما فيكم - وهذا
- صنيعكم - لإنسان وليد
فإن نمت القُرود شكول ناس
فعرب اليوم ناموها القُرود
أقول مقالتي هذي وإنني
لعرب اليوم في الدعوى نديد
فلو صدق ادعائي مت مما
روى لي عن فلسطين البريد
أحاديث لها تنشق ميم
لهم رويت قلوب أو كُبود
فمن إخواننا فيها قتيل
ومن إخواننا عنها طريد
وأخر منهم في السجن كادت
على ساقيه أن تأتي القيود

وما جَبُنْتُ فِلَسْطِينَ وَلَكِنْ
عَلَيْهَا لِلْعِدَا كَثْرَ الْجُنُودِ
«تَكَاثَرَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ
فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ»
وَهَا هِيَ تَسْتَعِينُ بِنَا فَحَتَّى
مَتَى عَنْ أَنْ نُعِينَ بِنَا جُمُودِ
إِذَا مَا نَحْنُ لَمْ نُسَعِفْ ذَوِينَا
وَيُوفِ عَدِيدَهُمْ مَنَا عَدِيدُ
فَنَعْضُدُ صَيْدَهُمْ مَنَا بِصِيدِ
تُدِيلُ مِنَ الطُّغَاةِ وَتَسْتَقِيدُ
فَلَيْسَ الْعُجْمُ تُعْذَلُ إِنْ تَرَاحَتْ
بِنَجْدَتِهَا وَلَا تُلْحَى الْهُنُودِ
فَإِنْ مَاتُوا بِدِينِهِمْ إِلَيْهِمْ
وَنِعَمَ الرَّابِطُ الدِّينُ الْفَرِيدِ
فَفِي مَا بَيْنَنَا لُغَةٌ وَدِينُ
وَفِي مَا بَيْنَنَا النَّسَبُ الْأَكِيدِ
وَهَلْ أَسُّ لَجَامِعَةِ الْبِرَايَا
سَوَى هَاتَا وَسَقْفُ أَوْ عَمُودِ^(١)
مَلُوكِ الْعُرَبِ إِنْ الْأَمْرَ جِدُّ
وَإِنَّ اللَّهَ مَطَّلِعٌ شَهِيدِ
سَيَسْأَلُ - وَهُوَ أَعْلَمُ - مَا صَنَعْتُمْ
لَمَنْ شَيْطَانِ ظَالِمِهِمْ مَرِيدِ

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أس ما جمع البرايا وألف والسقيفة والعمود

ولكن وجدته في كراساتة مضروباً عليه ومغيراً إلى ما أثبتته (الرومي).

فِهْلَ لِيْهِ عِنْدَكُمْ جَوَابٌ
 لِّصَّرْفِ عَذَابِهِ كَافٍ مَّفِيدٌ
 أَفَكَّرْتُمْ مَلُوكَ الْعُرْبِ فَيِمَا
 يَخْفَفُ عَنْ ذَوِيكُمْ مَا يَأْوُدُ^(١)
 أَقَارِبُكُمْ يُعَاتُ بِهِمْ فَسَادًا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَعُونَتِهِمْ قُوعِدُوا
 فَكَمْ عَانَتْ فِلَسْطِينَ خَطُوبًا
 يَشِيْبُ مِنَ الصَّبِيِّ لَهْنٌ فُودٌ
 وَلَيْسَ لِدَائِهَا هَذَا دَوَاءً
 إِذَا مَا طَاشَ رَأْيُكُمْ السَّيِّدِ
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَقْوَمُوا
 فَإِنْ قَمْتُمْ فَأَمْرُكُمْ رَشِيدٌ
 فَلَمْ يُعْوِزْكُمْ مَالٌ وَجُنْدٌ
 بِمِثْلِهِمَا لَكُمْ تُورِي الزَّنُودُ
 فَإِنْ شَعُوبَكُمْ أَجْنَادُ صِدْقٍ
 وَظِلُّ الْمَالِ فَوْقَكُمْ مَدِيدٌ
 وَإِنْ عَاقَتْ قِيَامَكُمْ أُمُورٌ
 فَمَصْدَرُ كَأَنَّهَا أَنْ لَا تُرِيدُوا
 وَأَمَا صَّرْفٌ قَوْلَكُمْ فَمِنْهُ
 عَلَى الْإِخْفَاقِ أَضَجَرْنَا الرَّيْدِ
 فَكَمْ كَلِمٍ بَذَرْتُمْ مِنْهُ بَذْرًا
 فَمَا أَحْلَوْلَى لَنَا مِنْهُ الْحَصِيدُ
 فَاعْدُوا عَنْ مَجْرَدِ كُلِّ قَوْلٍ
 فَمَا سَعِدَتْ لِلْإِزْمَةِ الْجُدُودُ^(٢)

(١) يَأْوُدُ: يَنْقَلُ.

أُمْنُبَتْ مِنْ الطَّغْيَانِ يَوْمًا
بِحَدِّ مَجْرَدِ الْقَوْلِ الْوَرِيدِ
أَجْبُنَّا عَنْ مَصَادِمَةِ الْأَعَادِي
وَمَا بَرِحَتْ مَظَالِمَهُمْ تَزِيدُ
أَلَمْ يَدْرِ الَّذِي يَخْشَى الْمَنَايَا
مِنَ الْجُبْنَاءِ أَنْ عَزَّ الْخُلُودُ
وَأَنَّ بِيوتَ مَنْ ذَلُّوا وَهَانُوا
بِرِغْمِ أَنْيَقِ مَحْيَاهُمْ لُحُودُ
وَأَنَّ الْمَوْتَ فِي طُرُقٍ تَوْدِي
إِلَى قَمْعِ الطُّغَاةِ وَمَا تَكِيدُ
هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي اكْتَنَفَتْ ذَوِيهِ
جِنَانُ الْخُلْدِ وَالذُّكْرُ الْحَمِيدُ
أَنْجَبُنْ عَنْ جِهَادِ خِصُومِ سَوْءٍ
مُجَاهِدُهُمْ شَهِيدٌ أَوْ سَاعِيدُ
وَقَدْ أَجْرُوا فِظَائِعَ لَوْدَرْتِهَا
دِرَايَتِنَا الْجِبَالَ غَدَتِ تَمِيدُ
نُحَوِّقُ كُلَّمَا قَالُوا ذُووَكُمُ
تَفَشَى فِيهِمُ الْجَهْدُ الْجَهِيدُ^(١)
وَنَابِي أَنْ نَقُومَ لَهُمْ بِأَمْرٍ
يَقُومُ بِمِثْلِهِ الْبَشَرُ الْمَجِيدُ
لَمَّاذَا أَطْلَقَ الْأَفْوَاهَ مِنَّنَا
وَلَمْ يُطْلَقِ سِوَا عِدْنَا الرُّكُودُ
أَفِي يَوْمِ الْوَعَى تُغْنِي سَيُوفُ
تَصِلُ وَلَا تُزَايِلُهَا الْغُمُودُ

(١) نحوقل: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إِذَا دَوَّتِ الرَّعُودُ بِغَيْرِ قُطْرٍ
 فَهَلْ تُجْدِي ذَوِي الْمَحَلِّ الرَّعُودُ
 إِذَا مَا الْفَعْلُ لَمْ يَعْضُدْ مَقَالاً
 فَلَا كَانَ النَّثِيرُ وَلَا النَّخِيدُ
 أَقُولُ لِمُدَّعِي وُدِّي إِذَا مَا
 أَرَادَ مَسَاءَتِي الْخِصْمُ الْعَنِيدُ
 مُطِيقَ مَعُونَتِي: إِنْ لَمْ تُعِينِي
 فَأَنْتَ لِكَاشِحِي لِأِي وَدُودٍ
 وَيَا مَنْ ذَادَنَا عَنْ مَنْهَلَيْهِ
 وَلِي أَمَلٌ بِوَرْدِهِمَا وَطَيْدٍ
 وَبِي ظِمًا لِفَرْطِ الْبُخْلِ مِنْهُ
 وَقَدْ طَابَتْ لَهُ مَنِي الْعُهُودِ
 أَتَبْكِي إِنْ أُمْتُ عَطَشًا وَلَوْ لَمْ
 تُحَالِّئْنِي لِأَحْيَانِي الْوُرُودِ^(١)



وَأَنْتُمْ يَا بَنِي «التَّامِينِ» قُولُوا
 أَمَا لَشَنِيعِ ظَلْمِكُمْ حُدُودُ
 نَعَيْتُمْ ظُلْمَ غَيْرِكُمْ عَلَيْهِ
 أَأَظْلَمَ مِنْكُمْ يَحْوِي الْوُجُودُ
 وَعِيبَتُّمْ كُلَّ غَدْرٍ تَمَّ جَيْتُّمْ
 بَغْدَرٍ لَمْ يَجِيءْ شَرَوَاهُ سَيْدُ^(٢)
 صَنِيعُكُمْ تَكْشَفُ عَنْ وَحُوشٍ
 لَهَا صُورُ الْإِنْسَانِي وَالْجُلُودِ

(١) حلاؤه: دفعه عن ورود الماء.

(٢) شرواه: مثله، والسيد: الذئب.

أَتَّخِذُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مِنْكُمْ
مُوثِقًا تَوْكِّدُ أَوْ وَعُودَ
وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النُّوَابُ عَمَّنْ
أَرَادُوا السَّلَامَ فِي الدُّنْيَا يَسُودُ
عَلَامَ «الْإِنْكَلَابِ» بَغَوْا وَجَارُوا
وَأَنْتُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ رُقُودُ
أَطَبَّقْتُمْ مَبَادِيَكُمْ عَلَيْهِمْ
وَصَحَّ الْوَعْدُ مِنْكُمْ وَالْوَعِيدُ
وَإِلَّا فَمَبَادِي مَا دَهَاها
أَأَبْطَأَهَا لَكُمْ وَضَعُ جَدِيدِ
أَعْصَبَةَ هَذِهِ الْأُمَّمِ انْتِبَاهًا
فَمَثَلِكِ لَا يَنْسَابُ الْهَجُودُ
أَنْوَمًا وَالطُّغَاةُ تَحْشُ نَارًا
لَهَا مَنْ سَامَهُمْ عَدْلًا وَقُودًا^(١)
أَلَمْ تَتَأَلَّفِي قَبْلَ اخْتِيَارًا
وَقَمَعَ الْبَغِيَّ مَقْصِدِكَ الْوَحِيدِ
لِيَفْنِي الْبَغِيَّ أَجْمَعَ لَا عُمُورُ
تُقِيمُ لَهُ الْحُرُوبُ وَلَا زُبُودُ
وَقُولِي لِي أَحْرُ كُلُّ عُنُودِ
عَلَيْهِ انْضَمَّ مَبْنَاكِ الْمَشِيدِ
أَمِ الْأَعْضَاءُ فَيْكِ - كَمَا اقْتَضَاهُ
مُشَاعُ الظُّلْمِ - لِلأَقْوَى عَبِيدِ

****□

(١) حش النار: أوقدها.

أفي الصحيفة دُر؟^(١)

إن شَجاكم منِّي الأنيْنُ المَديدُ
فَعذابِي بالفقرِ جِداً شَديدُ
كَلما قَلتُ ذاتَ يَومٍ سِيميضي
مَنه عَنِي اشْتِدادُهُ أَو يَبِيدُ
عَن خَطْبٍ يَقولُ إِنِّي كَفيلُ
أَن سَتَبلي يا «صَقْرُ» وَهو جَديدُ
بَعَدَ خَطبِ لِنَاجِذِيهِ جُروحُ
فِي فِؤادِي انْدِمَالَهُنَّ بَعِيدُ
فَالخَطوبُ الجِوارِحُ القَلبَ عَندي
كَلَّ يَومٍ عَديدُهُنَّ يَزيدُ
فَكأنَّ الخَطوبَ كَن نَعاما
ضِمنَ قَلبِي بَدَا لَهِنَّ هَبِيدُ^(٢)
وَلو أنَّ الخَطوبَ أَبَقَيْنَ صَبِراً
لِي إِلَيهِ مَن جَورِهِنَّ أَعوَدُ
ما شَكوتُ الزَمانَ ما بَينَ مَن هُمُ
لِزَمانِي طَراً عَلَيَّ جُنودُ
أنا أَدري أنَّ الشَّكِيَّةَ مَنها
لَسْتُ إِلَّا شَماتَهُمُ أَسْتَفِيدُ

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالعزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

غَيْرَ أَنَّ الْخَطُوبَ أَفْنَيْنِ صَبْرِي
أَكَلَاتِ وَالصَّبْرُ نُخْرِي الْوَحِيدُ
وَإِذَا بَزَّتِ الْخَطُوبُ جَلِيدًا
نُخْرُهُ اضْطُرَّ لِشُّكَاةِ الْجَلِيدِ
زَفَرَاتُ الْحَزِينِ مَا تَمَّ مِنْهُ
نَّ اخْتِيَارًا مِنَ الْحَزِينِ الصَّعُودِ
جَهَدْتَنِي صُرُوفُ دَهْرِي حَتَّى
غَيْرَ شَكْوَى صُرُوفِهِ لِأَجِيدِ
كُلُّ صَوْتٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِأَنْيْنِ
لَمْ يُجِدْهُ ذُو الْعِلَّةِ الْمَجْهُودُ
مَا مَقَالِي الْمَرْكُ الشُّجُوفِي نَفِ
سَكِّ مَنِي انْبِعَاثُهُ مَقْصُودِ
بَلْ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَهْوَاهُ يَأْتِي
يُطْرِبُ السَّامِعِينَ مَنِّي النَشِيدِ
بِيدِ أَنْ الَّذِي يَزِفُّ مِنَ الشُّعِ
رِ سُرُورًا يَا أَبَاهُ حُزْنِي الْمَدِيدِ
وَمَنْ الصَّعْبِ أَنْ يَفُوهَ بِمَا يَبِ
عَتْ غَيْرَ الْكَابَةِ الْمَفُؤُودِ
مَا شَجَّتْكَ الْخَنَسَاءُ لَوْلَمْ يُصِيبْهَا
فِي أُخْيَاهَا عَادِي الزَّمَانِ الْعَنِيدِ
بَلْ حَبَا بِالسَّرُورِ - مِنْكَ فَوْادًا
أَحْزَنْتُهُ أَنْتَاهَا - التَّغْرِيدِ
وَبِنَاتُ الْهَدِيلِ لَوْلَمْ يُذِيبْهُ
نَّ حَنْيْنٍ إِلَى الْهَدِيلِ تَلِيدِ

ما رأيت الغصونَ - مهما يُرجعُ
 من نواحا على الغصون - تميدُ
 لا تُؤملُ لديّ مطربَ شعيرِ
 فإلساني عن قصده مَصْدُودُ
 لم أحاول سوى الشُّكَاةِ فَعَدَى
 عن سبيلي شيطانُ بؤسي المريدِ
 فتراه عن غاييتي دون علمي
 لي نحو الشُّكَاةِ منه يذودُ
 فتراني أشكو وقصدي أني
 لالتهانني إلى صديقٍ أقودُ
 فتجيءُ الصديقَ مني القوافي
 حاملاتِ شكواي واليوم عيدُ
 فيريني منه التطيرُ صدأً
 خافياً فيه بشره المعهودُ
 فتراني أشكو وقصدي وعدُ
 للموالي أو للمُعادي وعيدُ
 وكذا لا يزالُ عَوْضُ يُلاقي
 غيرَ ما رامَ أو نوى المَحْدود^(١)
 فالتمس لي سعادةً من إلهي
 حين يحويك لئله السُّجودُ
 فاعلِّ الدعاءَ منك يُنافيدُ
 به تمامًا دعائي المَرْدودُ

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبداً. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول: ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فِيَأْتِي الدُّعَاءُ مِنْكَ قَبُولاً
فَتَرَانِي وَنَحْسُ جَدِّي سَعُود
فَبِحَسْبِي سَوْأَلُ رَبِّي خَيْرًا
لِي مِمَّنْ سَوْأَلُهُ الْمَجْهُود
فَلَقَدْ يَفْضُلُ الصَّلَاةَ دَعَاءً
كُلَّ حِينٍ لِرَفْعِهِ تَجْدِيد
فِي صَلَاةٍ يَنْزِلُ فِيهَا وَيَعْنُو
- لِلَّذِي صَاغَ شَخْصَهُ - الصَّنْدِيد
فَارَمَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِالسُّؤْلِ فَقَرِي
فَسَوْأَلُ التَّقِيِّ سَهْمٌ سَدِيد



رُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ تَحْتَ دُجَاهُ
أَبْدَأُ الْفِكْرَ تَارَةً وَأَعِيد
بِاحْتِنَا فِيهِ عَنِ طَرِيقِ خِلَاصٍ
مَنْ هَمُومٍ يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيد
قَدْ هَدَاهَا إِلَى فَوَادِي احْتِيَاجِي
كُلُّ مَا دُونَهُ الْحَيَاةُ تَوُود
فِيُؤَلِّي الدُّجَى وَكُلُّ طَرِيقٍ
خَلْتُ فِيهِ الْخِلَاصَ لِي مَسْدُود
فَأُقْضِي النَّهَارَ مَا بَيْنَ كُتُبٍ
أَنَا صَبٌّ بِمَا وَعَتُّهُ عَمِيد
فَإِذَا اللَّيْلُ عَادَ عُدْتُ إِلَى مَا
كَنْتُ فِيهِ وَالنَّاسُ حَوْلِي رُقُود
وَأَخِيرًا رَأَيْتُ أَنْ رَكُوبَ الدِّ
بِحَرْفِهِ لِفَاقَتِي تَشْرِيد

فإذا البَحْرُ مَوْتٌ مِّنْ نُّورِ عَيْنَيْهِ
هـ - شبيهي من الورى - مَفْقود
فأنا اليوم في الكويت أقاسي
من شقاء ما لا يطيق الحديد
بين مثيريرى السماحة عاراً
فهو طَوْعَ الإمساك عنه يحيد
ليس يُصغي إلى شَكَاتِي مهما
زارَ سَمْعِيهِ بِالشُّكَاةِ القصيد
لا يُلِينُ المُقَلُّ منه بشكوا
هـ فَوَاداً به استبَدَّ الجُمود
ومُقَلُّ يَوَدُّ إِسْعَادَ مثلي
في البرايا لو ساعدته الجدود
فلكل من الفريقين من بُحْ
لِ وِبؤُسٍ أَن يُسْعِدَانِي قُيود



لست أدري أفي الصَّحيفةُ درٌ
رَفَّهَ لي عبدُالعزیزِ الرُّشيدُ
مستنثيراً تعجُّبي إذ أتاني
وهو عقدٌ - ولم يُنْقَبْ - نخيد
أم أمانٍ قضى عليهنَّ يأسِي
من يساري وفُرشهنَّ مُهود
قد تَبَدَّلْنَ بِالمماتِ حياءً
فازدهاني منهنَّ عُمُرٌ رديدُ
أم زُهورٌ يَرْقَنَ حُسْنًا ورياً
كلُّ أنفٍ وكلُّ طَـرْفٍ يَـرُود

بل ثناءً أجاد نسجَ قَوافٍ
- ضُمَّنْتَهُ - ذاك الصَّنَاعُ الْمُجِيدُ
وبِحَسَبِي مَعَزِيًّا عَنْ حِظْوِظٍ
شَفَّ نَفْسِي مِنْهُنَّ عَنِي الصَّدُودُ
إِنْ شَرَوَى عَبْدَ الْعَزِيزِ مِنَ الصِّدِّ
بِذِكْرِي بَيْنَ الْأَنْعَامِ يُشِيدُ
أَيُّهَذَا الْمَذِيعُ بَيْنَ الْبَرَايَا
ذَكَرَ مَنْ مِلَّءَ عَيْشِهِ التَّنْكِيدُ
كَيْفَ لَانَ الْفُؤَادُ مِنْكَ بِأَرْضٍ
أَنْجَبَتْكَ الْأَيَّانُ فِيهَا فَكَيْدُ
وَلَعَدَوَى الْبِلَادِ بِالْيُبْسِ وَاللِّ
بَيْنَ بَنِيهَا تَغْلُبُ مَشْهُودُ



أَنَا مَا زِلْتُ فِي الْكُوَيْتِ أُغْنِي
كُلَّ صَوْتٍ يَشْجِي بِهِ الْجُلُودُ
وَهِيَ تَزْدَادُ قَسْوَةً فِغْنَائِي
لِشِقَائِي تَتَمَّةٌ وَمَزِيدُ
فَكَأَنَّ الْكُوَيْتَ مَا دَمْتُ فِيهَا
قَفْصٌ فِيهِ بِالْبَلِّ غَرِيدُ
أَيَّاسْتَنِي مَنْ أَنْ تَرِقَّ لِحَالِ
شَابَ مِنْهَا عَلَى شَبَابِي الْفُؤَادُ^(١)
جَهَلْتُ حَقِّي الْكُوَيْتُ فَلَمْ يُو
لِ التَّفَاتَا مِنْهَا إِلَيْهِ الْجِيدُ

(١) الفؤود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الفاء لضرورة القافية.

وعلى جَهْلها المَخيرُ بحَقِّي
تتلظَّى عليَّ فيها الحُقودُ
فكأنِّي عمَّا لَهَا من حَقوقِ
طارِدُ طَووعَ مَطمعي لا طَريدُ
فبها اليوم بين كَيدٍ وأيدٍ
تلتقيني ثَعالبُ وأُسودُ^(١)
فنصيبني منها التوقُّعُ للإيدِ
ذاء يومي وليلي التسهيدِ
وصَمَّتْني حتى بِجَحَدِ إلهِ
ما تمشَّى له ببالي الجُودِ
ويقيني - بأن ربي مُديلي
من ذوي الظلم - عُدَّتِي والعديد^(٢)
فرجائي عَوْنُ الإلهِ عَتادي
إذ عَتَادُ القومِ القُوى والنُّقودِ
ومفازي في عاجلي إن تواني
فهو وفِي أجلي لَديَّ أكيدِ
أنا لولا الإيمانُ باللهِ وأفى
نارَ مَحيايَ من هُبُوبي الخُمودِ
فانتحاري - لولا يقيني - خيراً
من حياةٍ لا ترتضيها القُرودِ
كيف يحيا لولا اليقينُ ضعيفُ
نابذتهُ عُمورها والزُّيودِ

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكرة له عليهم.

لستُ أدري لِمَ الكُوَيْتُ نَبَتُ بِي
وَقَرِيضِي تَاجُ لَهَا وَعُقُود
ومن البِدْعِ أَنَّنِي لستُ أهوى
صَرْمَهَا وهي لِلأديبِ تَكِيد
فكأن الأديبَ فِيهَا مَقِيمٌ
حَشَوُ أَطْمَارِهِ النَزِيهَةَ سِيد
ربما سَوَّلَتْ لِي النَفْسُ مَنًّا
ها إِلَى ما تُقِيمُ فِيهِ الصَّيْدُ^(١)
فثَنانِي عن أن أَعَادِرَ أَرْضِي
عَهْدُ حُبِّ لَهَا لَدِي عَهِيد
لا تَسْأَلْنِي أَنَا أَحِبُّ بِلادًا
أُسُّ تَعْسِي مُذْ كُنْتُ فِيهَا وَطِيد
فجوابي على سؤالك لا المَنْدُ
قعودٌ عِنْدِي ولا هو الموعود
إن سِرَّ الغرامِ بِالشَّيْءِ ما كا
نَ لَشَمْلِ الأَسَى بِهِ تَبْدِيد
وَعَدَا فِيهِ لِلسَّرورِ حِياةُ
وسروري فِي مِوطِنِي مَوْعود
فإِذا بَانَ سِرُّ حُبِّ مُحِبِّ
تَيَمَّنْتُهُ تَهائمٌ أو نُجود
فغرامي بِمِوطِنِي دونَ فَهَمِي
سِرَّهُ حَالِ من شِقائِي سَدود

(١) الصَّيْدُ: جمعُ أُصَيْدٍ، وهو من يرفعُ رأسه كَبْرًا، وهنا يريدُ بِالصَّيْدِ العِظَماءَ.

با بلاداً فيها الفقيرُ يعاني
ما يعاني في ناره نَمْرود
ليتَ فيكِ الجُدودُ أسْعَدُنْ أُوِيَّا
ليتها فيك ما نَمَتْنِي الجُدود
فالأساسُ الذي عليه شقائي
قام أني بفاقتي مَصْفود
فيكِ والفقيرُ عند أهليكِ ذَنْبٌ
ما لسُبلِ اغتفاره تمهيد
فلفقري ظَلَمْتُ فيكِ كَأني
دون جُرْمِ طريدٍ جُرْمِ شَرِيدِ

تَسَلَّى يَا نَفْسُ

كنتُ لو لم أَعَلَّلِ النَّفْسَ مِمَّنْ
غَيَّبَتْ مِنْهُمْ الْجِسْمَ الْأُحْدُ
غيرَ أَنِّي أَقُولُ لِلنَّفْسِ مَا ضَا
قَ عَلَيْهَا خَنَاقُهَا الْمَشْدُودُ
إِن هَذَا الْوُجُودَ يَا نَفْسُ يَمْحُو
هُ سِوَاهُ عَمَّا قَلِيلٍ وَجُودُ
وَزَمَانُ الْوُجُودِ هَذَا إِلَى جَنْدُ
عِبِ زَمَانِ الْوُجُودِ ذَاكَ زَهِيدُ
فَلَعَلَّ الَّذِي يُلَاقِي شِقَاءً
مُسْتَمِرًّا هُنَا، هُنَاكَ سَعِيدُ
فَلَمَّا كُنْتَ فِي دُنَاكَ قَعُودًا
مَثْقَلًا بِالشَّقَاءِ مِنْهُ الْقُتُودُ
طَاوِيًّا مِنْ دُنَاهُ بِالْعِيبِ مَا لَمْ
تَنَأْ مِنْهُ عَلَى الطَّوَاةِ الْحُدُودُ
فَمِنَ الْعَدْلِ بِعَدِ طِيٍّ مَدَاهُ
يَحْمَلُ التُّقْلَ أَنْ يُرَاحَ الْقَعُودُ
وَعَلَى عَدْلِ مَنْ كَمَا شَاءَ كُنَّا
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا عَلِمْتَ شَهِيدُ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ مَقْصُودَ نَعْمَا
تَوَالِي عَلَيْهِ مِنْهَا وَفُودُ

ثم أبصرتَ حَولَ ذاكِ مُقلَباً
قد عَداهُ في الدَهرِ عيشُ رَغيدِ
فَشَبَّ بِبِيهَانِ بَائِسٌ وَغَنِيٌّ
في وَجودِ بهِ اسْتِحْمالِ الخُلودِ
ثم لم يَعْلَمِ المَقِيمونَ فيهِ
أَقْصِيرُ مَقَامُهُمْ أَمْ مَدِيدِ
وَهَبِيهِ يَطوُلُ فَالطَوولُ مِنْه
عَنْ ثَمَانينَ غَالِباً لا يَزِيدِ
وهي تَمْضِي كَمَا اسْتَمَرَّتْ أَوْ اسْتَحْدِ
لَتَ خَيالاً تَخَيَّلَتْه الرُّقودِ
فإِذَا ما انْقَضَتْ تَساوَى النَقِيضَا
نِ سَعِيدُ الحِظوظِ وَالْمَنكودِ
بَل تَرينَ الفَقِيرَ أَحْسَنَ حَالاً
حِينَ يَغْدُو بِالنَّفْسِ كُلُّ يَجودِ
ذاكِ أَنَّ الفَقِيرَ يَنْحَلُّ عَنْه
قَيِّدُ حَزْنٍ بِقَلْبِهِ مَعقودِ
وَحَلِيفِ الثَّرَاءِ يَنْجَابُ عَنْه
ظَلُّ أُنْسٍ مِنْ فِـوَقِهِ مَمْدودِ
وَهَبِي أَنْ ذاكِ الرِّأْيَ مَنِّي
في التَسَلِّيِ يَنالُهُ التَفْنيدِ
أَيْنَالُ التَفْنيدُ أَنْ يَتَساوَى
في التَّرابِ المَحْدودِ وَالْمَجْدودِ
إِنَّ هَذِي القُبورَ فِيها مَلوكُ
سَبَقونا إِلى البِلَى وَعَبِيدِ
فَتَسَلِّيْ يا نَفْسُ أَوْ فَأرِينِي
ما بِهِ فِاتِ عَبدُهُ المَعْبودِ

واسألِي الدودَ والبلي ما استباحا
منهم، يخبرِ البلي والدودُ
استباحا تفاوتَ القومِ حتى
لا سِماتٍ لهم ولا تحديد
فالورى في قبورهم ليس فيهم
حاسدٌ مِيَزَةٌ ولا محسود
لو تَقَرَّرِ الماضين فكرةً مُنْزِرِ
يزدهيه ثراؤه المحشود
فهو طوع الغرور يملك عَطْفِي
به اختيالاً - إذا مشى - التَّأويد
فكأنَّ الفتى لفرطِ التَّباهي
في حُلَاهَا اختالت فتاةٌ رُودُ
لأدبِ التواضعِ الدهرَ من كِبِ
سر لوجه الغنى به تَسويد
إنَّ كلَّ الذين بالمال غُرُوا
غافلٌ عن ماله أو بليد
كيف يمشي فوق الصعيد اختيالاً
مشيةً يجتويه منها الصَّعيد
من درى أن جسمه من طعامِ
للصعيد المُقْبِلِ (١) مَعدود
أي هذا المُدِلُّ بالمال مهلاً
إنَّ أمَّ المَنونِ بَعْدُ وَكود
وهي حبلى يكاد يحبوا إليها

(١) المُقْبِلُ: الذي يقبله، أي يحمّله.

فِي ذَرَاكَ الْمَخَاضُ وَالْتَوْلِيدُ
فَإِذَا مَا أَتَتْ وَحْتَمًا سَتَأْتِي
بِوَلِيدٍ بِهِ الْبِشَائِرُ سُودٌ
مِنْ نَعِيِّ بِهِ يُسَرُّ الْمُعَادِي
وَتُؤَاجِ بِهِ يُسَسَاءُ الْوُدُودُ
بَزْمَنِكَ الْبِشِيرُ بِشِرَاهُ قَسْرًا
وَهِيَ مِمَّا أَتَاهَكَ التَّجْرِيدُ
لَا تُعَالِجُ بِالْمَالِ كَسْرَ فَوَادٍ
مِنْ فُقَيْرٍ فَمَا لِمَالِ عَهُودٍ
وَهَبِ الْمَوْتَ قَدْ تَأْتَاكَ حِينًا
حَاصِدًا أَيُّهَا الْهَشِيمُ الْحَصِيدُ
فَلِيَا لِيكَ شِيمَتَاهَا قِيَامٌ
بِالْفَتَى تَارَةً وَأُخْرَى قُعُودُ
وَتَأْمَلُ فَإِنْ أَحْوَالَ مِنْ حَوُ
لَكَ طُرًّا لِقَوْلَتِي تَأْيِيدُ
فَلَنْ كَانَ وَرِدَكَ الْيَوْمَ رِفْهًا
كُلَّ حَوْضٍ عَنْهُ الْفُقَيْرُ مَذُودُ
فَلَقَدْ تَطَرَّقُ الْعَوَادِي بِمَا يَنْدُ
سَبَتْ فِيهِ مِمَّا تَرُوحُ الْوَرِيدُ
فَإِذَا بِالْحِيَاضِ مِنْهَا يُوَاتِي
مَاضِي الْفَقْرِ كَيْفَ شَاءَ الْوُرُودُ
وَإِذَا بِالصَّدِي الْأَمْلِحِ تَلَطَّى
مِنْ حَدِيثِ الْإِمْلَاقِ مِنْهُ وَقُودُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ بَيْتِ يُسْرِ مَنِيْعٍ
ظَلَّ مَا ظَلَّ وَهُوَ عَالٍ مَشِيدُ
سَاكِنُوهُ لَمْ يَشْكُوهُمْ مِنْذُ حَانُوا

جانِبَ بَيْهِ مِنْ رِيحِ أَنْسِ رُكُودِ
كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يُجِئُ سُرُورًا
وَارْتِيَا حَافِي سَاحَتَيْهِ عَتِيدِ
ثُمَّ لَمَّا طَغَى ذَوُوهُ وَتَاهُوا
خَرَّ مِنْهُ الذُّرَى وَخَانَ الْعَمُودِ
فَإِذَا الْبَيْتُ عَبْرَةَ الدَّهْرِ يَشْفِي
وَاعْظَمًا مِنْهُ رَكْنُهُ الْمَهْدُودِ
وَكَأَنِّي مِنْ صِفْرِ كَفِّ تَأْتِي
عَنْهُ حِينَ مَا يَشْتَهِي وَيُرِيدِ
مَرَحَمِينَ لَهُ وَلَمْ تَرَ فِي كَفِّ
فَقِيهِ مِمَّا بِهِ يُعَاشُ زُنُودِ
كُلِّ زَنْدٍ يُورِي بِكَفِّ سِوَاهُ
هُوَ فِي رَاحَتَيْهِ كَابِ صَلُودِ
كَابِدَ الْعُرَى وَالْمَجَاعَةَ حَتَّى
مُنْيَتَاهُ عِبَاءٌ وَتُرِيدِ
كَلِمَا اللَّيْلِ جَنَّ جَنَّ طَوَاهِ
صَائِحًا مَا لَمْ صَاحِبَتْ هُجُودِ
وَإِذَا مَا غَدَا غَدَا يُسْمِعُ الصُّ
مَّ قَلُوبًا قَمِيصُهُ الْمَقْدُودِ
ثُمَّ لَمَّا أَنْ أَوْشَكَ الْيَأْسُ يَمْضِي
حَكْمُهُ فِي رَجَائِهِ وَيَسُودِ
أَدْرَكَتَهُ مَغِيثَةٌ رَحْمَةٌ أَلِدِ
لَهُ فَأَضْحَى يَخْضَرُّ مِنْهُ الْعُودِ
فَرَأَى يَأْسَ الْمَعِيشَةِ رَطْبًا
وَذَمِيمَ الْحَيَاةِ وَهُوَ حَمِيدِ

****□

(۱) ظاهره: عاونه.

(۲) قد: قطع.

(۳) عز: قل حتی لا یکاد یوجد.

أوحد الضياء

يَرُوعُ فَوَادِي بِالْجَفَا مِنْ أُوْدُهُ
إِذَا لَمْ يَرُعْ مِنْهُ فَوَادِي بَعْدَهُ
وَيُعِدُّ حَبِيبَ النَّفْسِ يَقْتُلُ وَحْدَهُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا ظَاهَرَ الْبُعْدَ صَدَّهُ (١)
فَمَا سَلَّ سَيْفًا صَارِمًا مِنْ صَدُودِهِ
فَكَانَ سِوَى قَلْبِي الْمَعْدَبِ غِمْدُهُ
وَلَا شَحَذَتْ أَيْدِي تَنَائِيهِ صَارِمًا
فَقَدَّ سِوَى أَحْشَاءِ صَبْرِي حُدَّهُ (٢)
وَمَنْ كَانَ بِالطَّبِيبِ النَّفُورِ غَرَامُهُ
فَاتَّعَسُ جَدًّا فِي الْبَرِيَّةِ جَدَّهُ
تَلَوْتُ بَعَيْنِي مَسْمَعِي صُورَةَ الْبَهَا
بَلْ فَظَلَّ لَهُ مِنْهُ تَكْوَنٌ عِقْدُهُ
فَأَمَّنَ قَلْبِي أَنَّهُ أَوْحَدُ الطُّبَا
جَمَالًا وَأَنْ قَدْ عَزَّ فِيهِنَّ نِدَّهُ (٣)
غَزَالَ صَرِيمٍ فِي الْكُوَيْتِ كِنَاسُهُ
وَقَيَّصُومُهُ بَيْنَ الضَّلُوعِ وَرَنْدِهِ
فَمَنْ رَوْضِ حُسْنِ الصَّبْرِ فِي الْقَلْبِ رَعِيَّهُ
وَمِنْ مَا عَزَائِي فِي الْجَوَانِحِ وَرْدُهُ (٤)
تَوَاصَلَ مِنْهُ الْوَصْلُ لِي قَبْلَ عِلْمِهِ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

بأني على حُكْم الصَّبَابَةِ عَبْدُهُ
فَلَمَّا دَرَى أَوْرَى لَطَى الْهَجْرِ وَاعْتَدَى
يُعَذِّبُنِي فِيهَا كَأَنِّي ضِدُّهُ
وَأَشْفَعُ مِنْ شِعْرِي إِلَيْهِ بِشَافِعٍ
عَلَى كُلِّ ظَبْيٍ غَيْرِهِ عَزَّزَهُ
وَأُرْسِلُهُ مَعَ كُلِّ نَدْبٍ إِخَالُهُ
يَهْوَنُ لَهُ حَتَّى مِنَ الْبَدْرِ قَوْدُهُ (١)
فَيَرْجِعُ مِنْهُ خَائِبَ السَّعْيِ قَائِلًا
غَزَالِكَ هَذَا لَيْسَ يُمَكِّنُ صَيْدَهُ
سَعَيْنَا لَهُ فِي كُلِّ مَنْهَجٍ حَيْلَةٌ
لصَيْدِ ظَبْيَاءِ الْإِنْسِ كُنَّا نُعِدُّهُ
وَقَلْنَا إِذَا لَمْ تَشْفِ صَقْرًا بَزُورَةٍ
فَمَنْ وَجَدَهُ الذَّاكِي سَيَحْوِيهِ لَحْدُهُ
فَقَالَ دَعُوهُ يَدْعِي الْحَبَّ كَاذِبًا
وَكَيْفَ إِلَى الْأَعْمَى تَسْرَبُ وَجَدُهُ
طَرِيقُ الْهَوَى لِلْمَرْءِ رُؤْيُهُ عَيْنَهُ
وَنَهْجُ هَوَى صَقْرٍ عَمَاهُ يَسُدُّهُ
وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْحَبِّ صَقْرٌ كَمَا ادَّعَى
فَمُسْتَحْكُمُ الْإِعْسَارِ سَوْفَ يَهْدُهُ

□

(١) صفتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.

ذكري مولد الرسول (ﷺ)

رَفَعَ اللهُ مَجْدَ بَيْتِ الْخَضَّادِ
وَذَوَيْهَا مِنْهُ بِخَيْرِ عِمَادِ
فَعَمَلِيهِ مَعَ الصَّلَاةِ سَلَامٌ
فِيهِ يُمَلِّيهِمَا جَمِيلُ اعْتِقَادِي
سَيِّدَ الرُّسُلِ كَلَّمَا رَمَتْ مَدْحًا
لَكَ أَرْجُو بِهِ صَلَاحَ مَعَادِي
وَتَأَهَّبْتُ لَلدُّنُوِّ إِلَيْهِ
بِقَوَافِ مَا مِلَّنَ عَنِ إِنْجَادِي
صَفَّدَتْ نِي يَدَا قُصُورِي عَنْهُ
فَأَنَا عَنْهُ مِنْهُمَا فِي صِفَادِ^(١)
لَيْسَ فِي حَلْبَةِ التَّنَاءِ عَلَى مَجْدِ
سَدِّكَ أَهْلًا لِلْجَرِيِّ مِثْلُ جِيَادِي
وَكَفَانِي بِالْعَجْزِ عَذْرًا مَبِينًا
وَعَلَيْهِ يَوْمَ الْإِقَاءِ اعْتِمَادِي
فَاعْفُ وَأَصْفَحْ فَأَنْتَ لِلْعَفْوِ وَالصَّفْحِ
حِمْ لِمِثْلِي فِي النَّاسِ خَيْرُ جَوَادِ
هَذِهِ لَيْلَةُ الْوَلَادِ وَفِيهَا

(١) يريد: يغبر ويسود.

(٢) الإسعاد: الإعانة والمساعدة.

(٣) مبير: مهلك.

(٤) بسل: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

لك يشدو بمدحة كل شاد
 ولِعَجْزِي عَنْهُ جَعَلْتُ إِلَى الصَّمِّ
 حَتِ بَرغمي بَيْنَ الشُّدَاةِ اسْتِنَادِي
 أَنَا مَا زَلْتُ مِنْ هَمومِي أُسْرِي
 تَحْتِ لَيْلٍ يَرَبِّدُ كُلَّ ارْبِدَادٍ^(١)
 وَرَضِيُّ الْقَرِيضِ لِلشَّاعِرِ الْمَهْمُومِ
 مَا كَانَ قَطُّ ذَا إِسْعَادٍ^(٢)
 فَإِذَا مَا أذِنْتَ لِي بِالتَّشَكِّي
 مِنْ هَمومٍ عَلَيَّ ذَاتِ احْتِشَادِ
 فَشَكَاتِي إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مُغْوٍ
 وَمُضِلِّ بَاغِي الْمَقَالَةِ عَادِ
 قَدْ أَضَلُّوا بِاسْمِ الدِّيَانَةِ مَمَّنْ
 جَاهِلُوا كُلَّ رَائِحٍ أَوْ غَادِ
 كَمَا أَمَاتُوا لِكِي يَعْشَوْنَ نَفوسًا
 لَمْ تَنْزَلْ بَعْدُ حَايَةَ الْأَجْسَادِ
 فَادْعُ يَا خَيْرَ مُنْقِذِينَا عَلَيْهِمْ
 بِزَوَالِ يَعْصُمُهُمْ وَنَفَادِ
 مَا لَجُرِحِ الْعَرُوبَةِ الْيَوْمَ - إِلَّا
 أَنْ يَزُولُوا عَنْ وَجْهِهَا - مِنْ ضِمَادِ
 لَمْ يَكُنْ قَوْمُكَ الْكِرَامُ عَلَى جَهْ
 لِي مَبِيرٍ لَوْلَا هُمْ فِي تَمَادِ^(٣)
 أَوْ هَمومُهُمْ بَأَنَّ وَرَدَ حِيَاضِ الدِّ
 عِلْمٍ بَسَلُ دِينًا عَلَى كُلِّ صَادِ^(٤)
 فَغَدَا الْقَوْمُ مِنْهُمْ فِي اقْتِرَابِ

(١) عز: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.

ومن العلم كُله في ابتعاد
وإذا العلم لم يشع بين قوم
شاع فيهم هلاكهم باطراد
كلما قام مخلص ينصح النبا
س ويهديهم سبيل الرشاد
مُتوخٍ نشر العلوم وإطلا
ع شمس العلوم فينا الهوادي
كاشف عن فوائد العلم مبد
كل ما الجهل معقب من فساد
طالب أن يحارب الجهل بالعلم
م مُجد في نصحه ذو اجتهاد
كفرتة عمائم قرب الجه
ل إليها منّا بعيد المراد
فهي تخشى إذا استنرنا عقولاً
فوت خافي أغراضها والبادي
تتقي أن يحرر العلم من ألد
قوا إليها لجهلهم بالقياد
وانقياد السواد منّا إليه
ن لعمري من مهلكات السواد
وقد انقاد جاهلاً فاجر يا دم
عي عليه حزنًا وذب يا فؤادي
فرقتنا تلك العمائم حتى
أيستنا من ألفة واتحاد

(١) العسجد: الذهب.

وإذا عَزَّ الأتَّحَادُ بَنِي العُزْرِ
 بِعَدَّتِهِمْ عَنِ الحَيَاةِ العَوَادِي^(١)
 أَصْبَحَ اليَوْمَ حَامِلِوْهَا عَلَيْنَا
 لِلزَّمَانِ العَوَادِي مِنَ الأَجْنَادِ
 قَسَّمُونَا بِاسْمِ الدِيَانَةِ أَقْسَا
 مَا لِيَحْظُوا بِالعَسْجِدِ المُسْتَفَادِ^(٢)
 ثُمَّ قَالُوا كَذَلِكَ الدِّينُ وَالدِّيُّ
 مِنْ بِيَوَادٍ وَالكُلُّ مِنْهُمْ بِبِيَوَادٍ
 أَبْلَيْلِ التَّفْرِقِ الدِّينِ يُبْغِي
 مِنْ ذَوِيهِ دَوَامَ مُرْدِي الرُّقَادِ
 لِالعَمْرِي بِلِ الدِيَانَةِ تَقْضِي
 بِاجْتِمَاعِ الأَحْزَابِ وَالأَفْرَادِ
 مَا أَتَى الدِّينُ نَقْمَةً وَهَلَاكًا
 بِلِ حَيَاةٍ وَرَحْمَةً لِلْعِبَادِ
 أَحْيَاةُ الأَقْوَامِ مَا اسْتَثْمَرُوهُ
 مِنْ بَذْرِ اجْتِمَاعِهِمْ وَالبِيَوَادِ
 أَمْ تَرَوْنَ الحَيَاةَ فِيمَا جَنَوُهُ
 مِنْ مَجَانِي شَتَاتِهِمْ وَالتَّعَادِي
 أَيُّ شُعْبٍ إِذَا تَنَافَرُوا لَمْ يَشُ
 كُنْ أَنْتِقَاصَ الحَيَاةِ بَعْدَ ازْدِيَادِ
 فإِلَى الوَحْدَةِ الحَمِيدَةِ عُنُقِي
 نَادِ يَا مُصْلِحَ العَرُوبَةِ نَادِ

(١) وري الزند ورياً: اتقد.

(٢) الناد: الداهية.

(٣) الرقاق الحداد: يريد بها السيوف.

فهي بعدَ الإله خيرُ كفيلٍ
 ببلوغِ المُنَى وخيرُ عَتَادٍ^(٢)
 هل رأيتُم لأمةٍ في المَعَالِي
 قبلَ جَمْعِ القُلُوبِ وَرِي زِنَادٍ^(١)
 نحنُ أبناءُ يعربٍ لو عَقَلْنَا
 إخوةً في الرجوعِ للميلادِ
 والمَعَدِي يُعَرَّبِيُّ عَلَى حَا
 لِي رَخَاءٍ مِنْ دَهْرِنَا وَاشْتِدَادِ
 وَعَلَى الإخوةِ الكرامِ التَّصَافِي
 لا التَّنَافِي كَسَائِرِ الأَضْدَادِ
 فَعَلَامَ افْتِرَاقُنَا وَإِلَى مَا
 نَحْنُ نَشْقَى مِنْهُ بِكُلِّ نَادٍ^(٣)
 جَاءَنَا الدِّينُ جَامِعًا لَا مُشْتَبَاً
 فَاجْمَعُونَا فَالْجَمْعُ أَصْلُ السَّدَادِ
 وَانْقُدُوا كُلَّ قَائِلٍ بِافْتِرَاقِ
 تَعَلَّمُوا زَيْفَهُ لَدَى الانْتِقَادِ
 فَهُوَ إِذَا يُعَكَّرُ المَاءَ حَتَّى
 يَتَسَنَّى لَهُ طَرِيقُ اصْطِيَادِ
 أَوْ غَيْبِيٍّ وَالْكَلُّ مِنْ ذَا وَهَذَا
 لَيْسَ إِلَّا إِلَى المِهَالِكِ حَادِ
 فَانصَحُوهُمْ فَإِنْ أَنَابُوا وَإِلَّا
 فَتَوَقَّؤُوا أخطارَهُم بِالْجِهَادِ

(١) صقر قريش هو عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

(٢) طير الأبيادي يكنى به عن النقود.

جَرِّدُوا كُلَّ مِقْفُورٍ وَيَرَاعِ
 لَسْتُ أَدْعُو إِلَى الرَّقَاقِ الْحِدَادِ^(٣)
 وَأَبِينُوا لِلنَّشْءِ مَا هُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ ضَلَالٍ وَحِطَّةٍ وَعِينَادِ
 فَعَلَى كُلِّ ذِي حِجِّي وَبَيَانِ
 تَبِعَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْأَوْلَادِ
 وَبِقَاءِ الْمُخَاطَبِينَ شِقَاءِ
 لِبَنِينَا، وَبَعْدُ فِي الْأَحْفَادِ
 وَلِكُلِّ مَنَا وَمَنْهُمْ وَلَا شَا
 كَ جَزَاءِ الْإِلَهِ بِالْمَرْصَادِ
 فَهُوَ عَدْلٌ وَعَدْلُهُ لَا يُسَاوِي
 بَيْنَ أَهْلِ الْإِغْرَاءِ وَالْإِرْشَادِ
 إِنَّمَا كَانَتْ الْعِمَامَةُ عُنُودًا
 نَ الْمَعَالِي وَالْمَجْدِ فِي الْأَجْدَادِ
 يَوْمَ كَانُوا مَلُوكَ هَدْيِ الْبِرَايَا
 فِي دَمَشَقٍ وَبَعْدُ فِي بَغْدَادِ
 وَبِلَادِ رَهْتٍ بِصَقْرِ قَرِيشِ
 يَوْمَ تَحَلَّيْقِهِ بِتَلْكَ الْبِلَادِ^(١)
 فَتَنَّتْهَا غَوَاتُنَا الْيَوْمَ لَا عَا
 شُوا فِخَاخًا لَصِيدِ (طَيْرِ الْأَيْدِي)^(٢)
 نَافَسُوا كُلَّ أَيْمٍ وَيَتِيمِ
 وَكَسِيرِ الرَّجْلِينَ وَالْأَعْمَادِ
 فِي سَوَالِ الزَّكَاةِ وَالرَّقْدِ مِنْ كُ
 لِّ مُمْزَكٍ وَكُلِّ ذِي إِرْفَادِ^(٣)
 أَقْوِيَاءَ عَلَى التَّكْسِبِ لَوْ شَا

وُوا لَكَانُوا كَسَائِرِ الْأُمُجَادِ
 وَمِنْ الْعَارِ وَالْأَثَامِ عَلَى مَنْ
 لَمْ يُغْنِهُ الزَّمَانُ بِاسْتِعْدَادِ
 أَنْ تَرَاهُ كَغَيْرِهِ مِنْ ذَوِي الْعَا
 هَاتِ فِي مَدَّةٍ يَدَّ اسْتِمْدَادِ
 لَا تَلُومُوا عَلَى الْعَمَائِمِ مِنْ صَا
 لَ بَجَنْدٍ مِنَ الْقَوَافِي الشُّدَادِ
 رَفَعُوهَا عَلَى الرَّؤُوسِ لَكَيْمَا
 يَضْعُونَا بَعْدَ الرَّبَا فِي وَهَادِ
 فَبِأَيْدِي الْعِيدِ لِكُلِّ غِرَاسٍ
 مِنْ عَلَانَا كَانُوا أَدَاةَ حَاصِدِ
 نَحْنُ لَوْلَا شُرُورُهُمْ مَا غَدَوْنَا
 لِسَيُوفِ الْعِيدِ مِنَ الْأَغْمَادِ
 كَلِمَا صَالَتْ الْأَعَادِي عَلَيْنَا
 مَهَّدُوا بِالشُّقَاقِ طُرُقَ الْأَعَادِي
 مَا وَجَدْنَا وَقَدْ بَحَثْنَا طَوِيلًا
 غَيْرَهُمْ لِلْبَلَاءِ مِنْ قُودِ
 افْتَقَدْنَا مَجْدَ الْجُدُودِ فَنَأْبَا
 نَا فَصِيحًا لِسَانُ كُلِّ افْتِقَادِ
 أَنَّ رَكْنَ الْمَجْدِ الَّذِي شَيَّيْدُوهُ
 هَدَمْتَهُ عَمَائِمُ الْأَوْغَادِ
 وَعَجِيبٌ أَنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ حَتَّى

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سايغ طويل، والضوافي: السوايغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكساء.

نَتَّظَنُّنَاهُمْ مِنَ الزُّهَّادِ
ادَّعَوْا أَنَّهُمْ لَتَثْبِيتِ دِينِ الْ
لَّهُ فِينَا كَانُوا مِنَ الْأَطْوَادِ (١)
فَهَلِ الْبِدِينُ رَدُّ كُلِّ جَمِيعِ
مِنْ بَنِي قَوْمِنَا إِلَى أَحَادِ (٢)
مِثْلَ مَا يَشْتَهِي الْعَدُوُّ إِذَا مَا
شَاءَ وَضَعَ الْأَغْلَالَ فِي الْأَجْيَادِ
وَهَلِ الْبِدِينُ بَدْرُ كُلِّ شِقَاقِ
مِثْمَرِ الْبُغْضِ مُعْقِبِ الْأَحْقَادِ
أَمْ تَرَاهُمْ مِنْ ادَّعَائِهِمْ الْخَ
لَابِ جَرُّوا ضَوَافِي الْأَبْرَادِ (٣)
لِيَذُرُّوا فِي عَيْنِ كُلِّ غَيْبِيٍّ
وَيَلِيْدِ مَنَّا أَضْرَّ رَمَادِ
إِنْ أَيْ التَّنْزِيلِ لَوْ قَرَّوْهَا
أَمَلِي الْوَعْدِ خَائِفِي الْإِيعَادِ
لَعَدُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّنَافِي
وَالتَّجَافِي سَدًّا مِنَ الْأَسْدَادِ
وَأَعَادُوا ذَوِي الشَّمَاتَةِ بِالْعُرِّ
بِ جَمِيعًا وَهُمْ مِنَ الْحُسَّادِ
رَبُّ فَالطُّفِ بِنَا وَأَيَقِظُ ذَوِينَا
مِنْ مَنَامِ عَلَيْهِمْ ذِي امْتِدَادِ

(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

كلاهما في ازدياد^(١)

كَلَّمَا زَرْتُمْكُمْ أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ
مِثْلُهُ يَقْتَضِي مَزِيدَ الْوِدَادِ
وَلَكُمْ مَنِّي الْمَوَدَّةُ كَانَتْ
مِثْلَ شُكْرِي كِلَاهُمَا فِي ازْدِيَادِ
ثُمَّ صَارُوا إِلَى تَنْبَاهٍ عَنِ الْإِنْدِ
مَاءٍ مُعْيٍ قِصَائِدِي وَفَوَادِي
فِي إِلَى كَمِّ مِنَ الْجَمِيلِ تُوَالُو
نَ أُمُورًا بِهَا مَلَكَتُمْ قِيَادِي
مَا تَرَكَتُمْ مِنْ مَنْزِلٍ فِي فَوَادِي
لَسِسُواكُمْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِ
جِئْتُ لِلرَّفْدِ وَحَدَّهُ فَإِذَا بِي
مِنْكَ أَحْظَى بِمُرْفِدٍ وَبِهَادِ
مَنْذَرُضَّتَنِي عَلَى بَذْلِ جِدِّي
فِي تَلْقَى الْفِصْحَى وَبِذْلِ اجْتِهَادِي
كَانَ شَغْلِي جَمِيعُهُ فِي نَهَارِي
بَلْ وَلَيْلِي تَطَأُ بِأَلْضَادِ
وَلَقَدْ نَقَتُ طَعْمَهَا الْحَلْوَ حَتَّى
لَيْسَ إِلَّا مِنْ أَلْهَا مِنْ مِرَادِي
وَلَكِ الْفَضْلُ لَيْسَ لِي أَنْ تَأْتِي
لِي مَا رُمْتُ مِنْ لُغَى الْأَجْدَادِ



صَغَّرَ اسْمَ الْكُوَيْتِ مِنْ كَانَ سَمَى
قَبْلَ مَاتَاكَ يَا أَبَا الْأَمْجَادِ
وَحِجَابُ الْغَيُومِ إِذَا ذَاكَ يُخْفِي
مِنْكَ نَزَرَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ
وَلَهُ الْجَهْلُ بِالْمَغْيِبِ عَنْهُ
حِينَ سَمَى الْكُوَيْتَ عُدْرُ بَادِ
لَوْ دَرَى أَنَّهَا سَتُشْرِقُ شَمْسًا
مِثْلَهَا الْيَوْمَ فِي سَمَاءِ الْبِلَادِ
تَتَعَالَى هَذَا الْعُلُوُّ وَتُزْهِى
كُلَّ رَأْيٍ بِنُورِهَا الْوَقَّادِ
لِحَبَاهَا التَّكْبِيرَ غَيْرَ مُحَابِ
وَتَفَادَى التَّصْغِيرَ كُلَّ التَّفَادِي
فَلْتَعِشْ لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ يَا (سَا)
لَمْ) سَيْفًا تَخْشَى شَبَاهُ الْعَوَادِي
لَمْ تَفُزْ قَبْلَكَ الْكُوَيْتُ بِمَنْ لَمْ
يَرَفِيهَا يَوْمًا مِنَ الْأَعْيَادِ
مِثْلَ يَوْمِ يَتِمُّ لِلضُّرَادِ فِيهِ
مِنْ ظُهُورِ مَا تَمَّ وَقْتِ إِيَادِ
حَقَّقَ اللَّهُ مَا تُحِبُّ فِقْلَابِي
مِنْ هَوَاهَا قَدْ هَامَ فِي كُلِّ وَادِ
سَتْرَانِي مُزَوِّدًا مِنْ جَنَاهَا
مِثْلَ مَا تَشْتَهِي بِأَطْيَبِ زَادِ
فَغْرَامِي يَزْدَادُ مِنْهَا بِحُسْنِ
لَمْ تَنْلُ مِثْلَهُ وَجَوْهُ الْخِرَادِ

لو أحسنَّ الجَمَادُ مِنْهُ بِشَيْءٍ
لرَأَيْنَا بِهِ جَنُونََ الجَمَادِ

****□

(١) المين: الكذب.

يا خيالي

خيال حقيقتي بَعدي ستبقى
تُذَكِّرُ بي صِحابي والأعداي
فما بُغِضِي وإن فَنَيْتُ عظامي
بـفـانٍ ما رَأَوْكَ ولا وِدادِي
وبين هـواهم إِيَّاي مَينًا
ومَقَاتِهِمُ عِظَاتُ لِسْوادٍ^(١)
فَجَدَّدُ فِيهِمُ حُبِّي وبُغْضِي
ككلِّ مَذَكِّرٍ بَيْنَ العِبَادِ
عسى تَجْدِيدُكَ الخُذَّيْنِ يَغْدُو
وفيه لِعِشْرِي عِظَاتَا رِشَادِ
فلم يَثْمُرْ سِوَى هَذَيْنِ غِرْسِي
مَسَاعِي طَوْلِ عَمْرِي فِي بِلَادِي
أبى تَقْدِيرَهَا وَطَنِي فَصَاحَتُ
أَعْبُنُ مَذْغُرِسْتُ إِلَى الحِصَادِ
أُجْزَى غَارِسِي غَبْنًا طَوِيلًا
أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ خَرْطِ القِتَادِ
وكانت صِيحَةً زَهَبَتْ ضِياعًا
كما لو أَنهـا انبَعَثَتْ بِوادِ
فَدَعَنِي أَشْتَكِي مَكْرُوهَ غَبْنِ
جِنَاهُ عَلَيَّ لِلْوَطَنِ اجْتِهَادِي

وَعِشْ لَا غَبْنَ يُوجِعُ مِنْكَ قَلْبًا
وهل وجع لطرسٍ أو مِداد
برزت إلى الوجود بغير حسٍ
فيا ليلى شبيبهك من جماد
فالولا الحسُّ لم يَأْلَمْ لَخَطْبِ
مُمِضٌ يا خيالي من فؤادي
وهل هذا الوجود سوى خطوبٍ
مُمِخَّاتٍ جديديٍّ أو مُعاد
وَجُودٌ وَدَّتِ الْعُقَلَاءُ أَنْ لَوْ
بَقُوا فِي الْغَيْبِ عَنْهُ وَالْبِعَاد
تَمَنُّوا أَنَّهُمْ لَا شَيْءَ ظَلُّوا
مدى ما للوجود من امتداد
فمنه للألى يحوي جميعاً
تكون مصدر النوب الشُّداد
وجه السر فيه ما اجتلتته
أناسٌ عنه تسأل كلُّ هاد
أطلت تطأعي طوع اشتياقي
إلى ذاك المحييا الغير باد
فلم أره وعنه لم يُتَحَ لي
سألو اليائسين من المُرَاد

إلى لوامي في العزلة

إذا وَجَدَ الْفَتَى يَوْمًا سَرورًا
بِمَجْتَمَعِ الْوَرَى أَوْ بِانْفِرَادِ
فَعِنُّهُ لَا يَمِيلُ وَإِنْ تَوَالَى
عَلَيْهِ لَوَمٌ أَلْسِنَةَ حِدَادِ
وَكَمْ يَوْمٍ سُرِرْتُ بِهِ وَحِيدًا
وَمَا سَرَرْتُ مَخَالَطَةَ فَوَادِي
فَعَنْ لَوَمِي إِلَى عُوذِي وَإِنْ لَمْ
تَرَوْا لِي فِي انْفِرَادِي مِنْ سَدَادِ
فَمَا يُجِدِي الْمَلَامُ وَقَدْ تَنَافَى
تَمَامًا مَعَ مَرَادِكُمْ مُرَادِي
إِذَا بِي عَزَلْتِي أَفْضَتْ لِعَفِيٍّ
فَإِنَّ الْعَفِيَّ مِنْهَا جُ الرِّشَادِ
وَهَلْ شَكَرْتُ أَوْ اسْتَبَقْتُ صِلَاحًا
نَفوسُ مَا شَكَتْ مَخْضَ الْفَسَادِ
إِذَا مَا الْخَيْرُ لَمْ يُسْبَقْ بِشَرٍّ
بِهِ كَانَ الْفَتَى نَزَرَ اعْتِدَادِ
وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ طَعْمٍ لَذِيذِ
لَعِينٍ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ السُّهُادِ
وَفَضْلُ الْمَاءِ لَا يَبْدُو لِمَنْ لَمْ

(١) المحيا: الوجه.

يَرِدُ مِنْهُ زُلَالًا وَهُوَ صَادٍ
فَإِنْ نَفْسِي أَضَلَّتْني صَوَابِي
فَمَا لِي غَيْرَهَا مِنْ بَعْدُ هَادٍ
فَمَا هِيَ فِي يَدَيَّ هَادٍ سَوَاهَا
إِلَى مَا شَاءَ تَارِكَةٌ قِيَادِي
وَلَيْسَتْ فِي الْحَيَاةِ إِلَى دَلِيلٍ
سِوَى تَجْرِيْبِهَا ذَاتَ انْقِيَادِ
فَعَمَّا سَاءَ مِنْ أَمْرِ لِمَا لَمْ
يَسُؤْهَا سَيَّرْهَا بِي فِي اطَّرَادِ
وَلَيْسَ لَتَتْرَكَ أَمْرًا أَوْ لَزُومٍ
لَهُ مِثْلُ اخْتِيَارِ النَّفْسِ حَادٍ
وَهَلْ حَسُنَ الْقَرَارُ عَلَى الرَّوَابِي
لَمَنْ لَمْ يَخْبُرُوا قُبْحَ الْوَهَادِ
دَعُوا نَفْسِي وَعُزِّلْتَهَا إِلَى أَنْ
تَرَى فِيهَا مُحَيَّا الْخُزْبَادِ^(١)
وَحِينَئِذٍ تَكُونُ كَمَا أُرِدْتُمْ
مَلَاذِمَةَ الْمَجَامِعِ وَالنَّوَادِي

العزلة

وجدتُ الإنفرادَ يُريحُ نفسي
فملتُ بجمليتي للإنفرادِ
فررتُ من اجتماعاتِ البرايا
وبي منهنَّ موجعةُ الفؤادِ
ولا تَنقِمُ عليَّ البُعدُ عنهم
فنفسي استعذبتُ ثَمَرَ البِعادِ
وحُذُّكَ غيرَ منهاجي سببياً
فلستُ لعاذلٍ طوعَ القِيادِ

□

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

الفضل فضل البادي^(١)

شُكْرِي أَكْرَرُهُ لِعَبْدِ الْهَادِي
فَعَمَلِي مِنْهُ الْيَوْمَ فَضْلُ بَادٍ
سَبَقَتْ زيارَتُهُ مَحَلِّي زَوْرَتِي
لِمَحَلِّهِ وَالْفَضْلُ فَضْلُ الْبَادِي
مَا كُنْتُ أَحْلَمُ أَنْ أَفُوزَ بِزَوْرَةٍ
مِنْهُ لِهُونِ مَكَانَتِي بِبِلَادِي
لَكِنْ حَادَاهُ إِلَيَّ فَحَرَطُ مَرُوءَةً
وَكَفَى بِهَا نَحْوِي لَهُ مِنْ حَادٍ
إِنَّ الْكُوَيْتَ أَدِيبُهَا فِي شِقْوَةٍ
مَمْتَدَّةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ نَفَادٍ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا لَطُولِ شِقَائِهِ
فِي نَارِهِ «فِرْعَوْنُ» ذُو الْأَوْتَادِ
فَهَلِ الْأَدِيبُ كَذَا بِكُلِّ مَكَانَةٍ
«مِصْرٍ» عَرِينِ الْأَسَدِ أَوْ «بَغْدَادِ»
إِنْ كَانَ هَذَا فَالْمَوْدُبُّ حَقُّهُ
تَطْوِيقُ لَبَّتِهِ بِحَيَّةِ وَادٍ
كَيْلَا يَعُودَ يَبْتُ مِنْ آدَابِهِ
شَيْئًا بِمَجْلِسِ مَعْشَرٍ أَوْ نَادٍ
هِيَ هَاتَ مَا تَلِكِ الْبِلَادُ مُضِيعَةً
حَقُّ الَّذِي يُعَلِّي لَوَاءَ الْخُيَّادِ

لكنما وطني - ولستُ بقائسٍ
بلدًا به - عن مُشبهِي بِرُقَاد
ما كان حَقِّي أن أُطيلَ بموطني
ذي الرِّيِّ شَكْوَى ذي الأوامِ الصَّادي
لوقام للأدباء فيه مُقدَّرٌ
يضعُ الهَجينَ وراءَ كُلِّ جَواد

(١) تربط الشاعر صقرًا بحافظ وهبة صداقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيرًا، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

قيوده عماه^(١)

أحافظُ وهبتهِ قد كِدْتُ أتِي
إليك مسأماً لولا قيودي
مَجِيئِي لسلام إليك حَقُّ
ولست أُجيزُ عن حَقِّ قُعودي
ولكنُ بي قيودي مائلاتُ
إلى ما أشتهي عنه مَحِيدِي
فبي مالتُ قيودي مُرغِماتُ
لإخلالي بواجبي الأَكِيدِ
قيودٌ لوبها شُدَّتْ أُسودُ
لخاف من المها ضاري الأُسودِ
وقدماً قد رَسَفْتُ بها طويلاً
لمؤدودِ الزبارةِ أو ودودِ
وكنتُ بها على الرُسَفانِ أقوى
فأضعَفَ طولُ حُمليهنَّ عودي
فها أنا لا أطيقُ بها حِراكَاً

(١) أودى به: ذهب به.

(٢) عضده: أعانه.

(٣) الصبب: الموضع المنحدر.

(٤) صدف عن الشيء: عدل عنه ومال. والصدى: شدة العطش.

(٥) الرواء: حسن المنظر.

(٦) البلاغ: الكفاية، أي ما يكفي.

وإن هي لم تُصنع لي من حديد
 وحسبي بالعَمى قيِّداً مُمضاً
 فبالصبرِ الجميل أذاه مُودي^(١)
 فكيف به إذا عَخذتْ أذاهُ
 على الإنسانِ عاثِرةُ الجُدود^(٢)
 لعمري لم أُرِدْ ماءً لغيري
 يَطيبُ الطعمُ منه لدى الوُرد
 فلم تَمزجْهُ أيديِ سوءِ حَظِّي
 بِمُغْرٍ عنه نفسي بالصُّدود
 أحومُ عليه حومَ الطيرِ عَطِشِي
 فمن صَبَبِ أَظْلٍ إلى صُعود^(٣)
 وأصدِفُ بعدَ طولِ الحومِ عنه
 وفي نفسي صداها ذو وقود^(٤)
 فها أنا لم أزلُ - والكُلُّ راوٍ -
 على ظمأٍ مُضِرِّ بي مُبيد
 كأنني في الكويتِ على رُواها
 سكنتُ مفازةً حُفَّتْ بِبيد^(٥)
 شكوتُ إلى كثيرٍ من بنيها
 بأشعاري من البؤسِ الشديد
 ولو أني حصلتُ على بلاغي
 لما أعلمتُ بالشكوى قصيدي^(٦)
 فما أشكو على طولِ اشتكائي
 ولو بالتافهِ النَّزْرِ الرَّهيد

(١) بعل بالشبي بعلأ - كفرح فرحاً - : صجر وتبرم ولم يدر كيف يصنع فيه.

فكنتُ كأنني أشكو احتياجاً
بَعِيتُ بهِ إلى صُمِّ رُقُودٍ^(١)
وما ذنبي سوى أنني بنصحي
صريحٍ في التنثيرِ وفي التَّخْيِيدِ
فهل حَطُّ الأديبِ بكلِّ أرضٍ
كحظي غيرُ مأمولِ السُّعُودِ
وهل نَحَسَتْ سِوَايَ فتى صريحاً
صراحتهُ بإرشادٍ مُفيدِ
أفدني تستفدُ خلعي رداءً
عليك من الثنا أضفى البرودِ



أحافظُ كلَّ مكرمةٍ ومجدٍ
طريفٍ حين يُذكَّرُ أو تَلِيدِ
شكوتُ إليك والمنحوسُ يشكو
بلاياهُ إلى الحرِّ السَّعِيدِ
فإمَّا أن يكونَ له مُعيناً
على إبراءِ مِقْدَحِهِ الصَّالِدِ^(٢)
وإمَّا أن يُعَزِّيَهُ وحَسْبِي
عزاءُ منك بالقولِ السَّدِيدِ
أردتُ بِكِلْمَتِي هذي اعتذاراً
ولستُ بها لشكوكِ المُرِيدِ
ولكنَّ الأنينَ يشوبُ قسراً
به أقوالهُ واهي السُّورِيدِ
أحافظُ قد أضاعتنِي بلادي

(١) السفع: السود، جمع الأسفع.

على حفظي لها حُسنَ العُهود
فمحمودُ العُهودِ لديّ باقٍ
لغيرِ بلَى بمنظَرِه الجَديدِ
وبالمذمومِ أفضى من فؤادي
تَناسيه إلى النَّسِي الحَميدِ
أريها من وجوهِ النَّصْحِ بيضًا
بحكمِ هوى لها عندي عَهيدِ
ولم تَبْرَحْ تُلَاقيني بِسُفْعِ
مخيفاتٍ من البغضاءِ سُودِ^(١)
ولستُ على إدامةِ بَخْسِ حَقي
وطولِ الغمِّ بالرجلِ الجَلِيدِ
فهل لي في سِواها عن جِماها
بديلٌ من قَريبٍ أو بَعِيدِ
طَريدٌ ضَياعها عنها سَأْمُضِي
فأَيُّ الأَرْضِ أَصْلَحُ لِلطَّريدِ
فبالأقطارِ أَدْرَى أنتِ مِنِّي
وبالأحرارِ فيها والعَبِيدِ
سَنِمْتُ إقامتي ما بين قومِ
عليّ بهم ذَكَتْ نارُ الحُقُودِ
وما بَذَرْتُ يَدَيَّ بُذُورَ سَوءِ
فمن بَذَرِي أقولُ أتى حَصيدِي
رَشِيدُهُمْ يُجَامِلُ بانْتِقاصي
وقصدِ إِسْأَتي غيرَ الرِّشِيدِ
فما عُذْرُ الذُّكِيِّ إِلَيَّ مِنْهُمْ
فإني عارفٌ عُذْرَ البَلِيدِ

(١) العتيد: الحاضر المعد. عتد الشيء، وعتاده: أي عتاده، أراد بها المصدر.

لحكمة أتينا الدنيا

ليس في الأرض من طريقٍ يُؤدِّي
سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسمٌ بين الأنام شهيدٌ
ومُسَمَّاهُ مُسْتَحِيلُ الشَّهَادَةِ
ما رأينا إلا شقاءً عتيداً
لبني الأرض كُلِّهِمْ أو عَتَادَهُ^(١)
وعلى العلم بالشقاء ترانا
نتمَنَّى من البنين الزيادة
أُمُّ حَبِّ أَوْلَادِهِ الْوَالِدُ الْمَسْدُ
كَيْنُ أُمِّ كَانٍ مُبْغِضًا أَوْلَادَهُ
إِنْ يَكُنْ وَالِدُ الْبَنِينَ مُحِبِّاً
فلماذا قد فَكَّ بابَ الْوَالِدَةِ
وهو بابٌ مُدْمَرٌ مِنْهُ إِلَى الدُّنْيَا
يا تَمَنَّى فِي وَجْهِهِ إِيْصَادَهُ
أَفِيْرَضِي الْمُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ الْمَحْدُ
بِوَبِّ يَشْكُو مِنَ الشَّقَاءِ اشْتِدَادَهُ
أَوْ يَكُنْ حَاقِداً يُرِيدُ انْتِقَاماً
فَسَأَلُوهُ مَاذَا نَمَّا أَحْقَادَهُ
إِنَّمَا يَحْقِدُ الْحَقُودُ عَلَى مَنْ

(١) الحياوين: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

قَدْ رَأَهُمْ بَيْنَ السُّورَى أَضْدَادَهُ
 وَبَنُوهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ لَمْ يَأْ
 تُوا بِأَمْرِ يُسُوءُ مِنْهُ فُؤَادَهُ
 وَإِذَا لَيْسَ عَنْ هَوَىٰ أَوْ لِبُغْضٍ
 رَامَ ذُو النَّسْلِ نَسْلَهُ وَأَرَادَهُ
 بِلِأْمَرٍ أَرَادَهُ السَّلَّةُ تَمَّتْ
 مِنْ بَنِيهِ إِلَى الْوُجُودِ الْوَفَادَهُ
 وَإِذَا مَا أَرَادَ رَبُّكَ أَمْرًا
 بَدَأَ الْأَمْرَ قَادِرًا وَأَعَادَهُ
 أُوجِدَ الْوَالِدُ الْقَدِيمُ لَسِيرًا
 سَابِغِ الْكُتْمَ يِقْتَضِي إِيجَادَهُ
 فَاتَى الْوَالِدُ الْقَدِيمُ إِلَى الدُّنْ
 يَا اضْطَرَّارًا كَمَا أَتَتْهَا الْجَرَادَهُ
 ثُمَّ أَغْرَاهُ بِالتَّنَاسُلِ إِغْرَا
 ءَ إِلَيْهِ أَلْقَى اضْطَرَّارًا قِيَادَهُ
 فَتَلَقَى الْوُجُودُ مِنَّا مَسُوقًا
 فَمَسُوقًا كَمَا تَلَقَى جَمَادَهُ
 وَتَلَقَى أَعْلَى الْحَيَاوِينَ وَالْأَدُ
 نَى وَأَزْهَارَ نَبْتِهِ وَقَتَادَهُ^(١)
 فَتَرَانَا نَحِيًا وَنَهْلِكَ مِثْلَ الزُّ
 زْرَعِ لَاقَى مِنْ بَاذِرِيهِ حَصَادَهُ
 بِذُرُوهُ وَلَمْ يَشَأْ ثُمَّ قَامُوا
 بِحَصَادٍ - وَمَا اشْتَهَاهُ - أَبَادَهُ
 وَأَرَانَا مُنْذُ الْوِلَادَةِ حَتَّى الْ
 مَمُوتِ فِي لَا إِرَادَةَ أَنْبَادَهُ

لو ملكت التصرف الحر لم أضح
ضغ لطبعي وقد علمت فساده
لا ولا ملت عن طريق حجائي
بعد علمي صلاحه ورشاده
ليس لي من إرادة في مقال
قبيل عني أساءه أو أجاده
ما أراه مؤهلي لثنا
تقتضيه لمن أجاد العاده
أو أراه مبرراً لانتقادي
من ممر لمن أساء انتقاده
وكقولي جميع فعلي فما تم
لك كفي انحلاله وانعقاده
إنما كانت الإرادة للمو
دع - ما شاء - من طبع عباده
فإلى طبعه المركب فيه
أعز إسراف مسرف واقتصاده
لا يطيق الخلق تبديل طبع
بسواه وإن أطال جهاده
قسوة الصخر لم تعدها لياناً
لطمات الأمواج منه صلابه
لا ولا الصخر قد ثنى لين الما
ء قسيياً وقد أدام جلاده
كان هذا الحكمة واكتناهه
كأنه منها أعيان الحجا واجتهاده

ذاك ما لا أُحُولُ عنه اعتقاداً
تاركاً كلَّ ناظرٍ واعتقادَه

(١) عراه يعروه: غشيه. والغير: الحوادث.
(٢) يعز عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كَوْنُ الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيد تكوينه. والرفعت مصدر رفته يرفته رفعتاً: كسره ودقه أو جعلها جمع رفات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(١) رمّ صار رمة. وديثر: قدم وصار دارسأ.
(٢) الدكناء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

أدمُ بك إيماني

أَمَنْ كَوْنُ الكَوْنِ العَظِيمِ بِمَا بِهِ
من المدهشاتِ الحائراتِ بِهَا الفِكرُ
وسنَّ نواميسًا عليهن قد جرى
قرونًا ملايينًا ولم تَعْرِها غَيْرُ^(١)
وأودعَ فينا من لطائفِ صنعه
ومُحكّمه ما العقلُ من بعضه انبهر
يعزُّ عليه أن يُعيد كما يشا
إذا أوغلت في رَفَتِها هذه الصُّورُ^(٢)
أَيَبْدَأُ من لا شيءٍ تَكْوِينِ خَلْقِهِ
ويدركُه عن أن يعودَ به خَوْرُ
إذا ما استحَالَ العَوْدُ فَالْبَدَأُ مِثْلُهُ
وأرسخ منه في استحالاته مَقْرُ
من البَدَأِ عَوْدُ الشَّيْءِ أدنى صعوبَةً
بحكم النُّهي فاسألْ نُهاك عن الخَبَرِ^(٣)
ومن عَجَبِ إقْرارهم بابتداعه
بدائع من لا عينَ قبْلُ ولا أُنْزَرُ
وقد أنكروا أن يستطيعَ إعادةً

(١) أثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعنونة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

لما هو مُنشيه إذا رمَّ أو دتَّر^(١)
ولو وحَّدوا الأمرين زال تعجُّبي
ولكنه للفرق مالت يدُ النظر
وأعجبُ منهم من ترى الله عينه
بآثاره من كلِّ ما جلَّ أو صغر
ويصبحُ في شكٍّ مريبٍ فوَّاده
بإثباتٍ من في كلِّ شيءٍ له ظهَر
ولكن إذا ما الله أعمى من الفتى
بصيرته لم تُجده حِدَّةُ البصر
فيا من به أمنتُ غيرَ مُقلِّدٍ
أدمُ بكِ إيماني بعيدياً عن الخطر
فكم شبهةٍ دكناءٍ جنَّ ظلامها
فكدتُ أضلُّ الخرقَ فيه إذ اعتكر^(٢)
ولو لم تُنرِ سُرجُ العناية ليأها
لأقنيتُ فيه العُمُرَ أسري على غرر

(١) الأمر: الأمر العظيم الشنيع.

يقولون^(١)

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح

يقولون لي إننا عهدناك يا صَفْرُ
إلى الصبرِ تدعو كلَّ من أَحَزَنَ الدَّهْرُ
وتُوصي بِإمساكِ الدموعِ ذوي البُكا
إذا ما غَدَتْ تُبليهِمُ النُّوبُ العُبرُ
فما لكَ قد أَصِبتِ أَجْرَعَ جازِعِ
كأنكَ قبلَ اليومِ لم تدرِ ما الصَّبْرُ
وما لبحورِ الدمعِ مَدَّتْ ولم يَكُنْ
لُيُدرِكها ما بينَ أَجفانِكَ الجَزْرُ
فقلتُ لهم قد كانَ ذاكَ ولي حِجًّا
فزايِلُ مُذْ زالَ ابنُ سالمِ الحِجْرِ
فَقَتْلُ (عَلِيِّ) لم يَدْعُ لي من نُهْيِ
فأَعرفُ ما خَيْرُ الأُمورِ وما الشَّرُّ
فإنَ فاضَ دمعُ العينِ مِنِّي كَأَبَّةِ
(فليسَ لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عذرُ)^(٢)
وإنَ حالَ ما بيَني وبيَنِ جَلادَتِي
أَسَى كادَ أن يَنشَقَّ من وَقعِهِ الصَّدْرُ
فما أنا من يَسْطِيعُ رَدَّ يَدِ الأَسَى
إذا ما لِقَلْبِي مَدَّها حادِثُ إِمْرُ^(١)
وما بيَنِ أحداثِ الزمانِ مُضارِعُ

لذلك في أيامه حادثٌ مُرٌّ
فلا تعذِلوني إن بكيتُ على فَتَى
بَكَتُهُ كما أبكي مكارمهُ العُزْرُ
فما برحتُ ترجو النُمُو مكارمُ
على حبِّها منه انطوى ناشئٌ حُرٌّ
على أنه ما غابَ إلا وكُلُّها
بأفقِ علاه دونَها الأنجمُ الزُّهْرُ
ففي رحمةِ الرحمنِ منه غَضَنَفَرُ
إلى موتهِ كان الحفاظُ هو الجِسرُ
ولا برحَ (الرقعيُّ) يسقيه هاطلُ
من الغيثِ يحكي أدمعي فيضهُ العُمرُ
فبين روابيه الشهيدُ ابنُ سالمِ
بأيدي الحفاظِ المُرِّ خُطُّ له قَبْرُ
بأيدي المنايا كلُّ حيٍّ سينطوي
وإن طال في الدنيا الغدورِ له عُمرُ
ولكنَّ حُسْنَ الذكْرِ ليس بمنطوي
طوال الليالي يا (عليُّ) له نَشْرُ
فمن غيرَ محزونٍ فذكركُ خالدُ
حميدٌ وهل ماتَ امرؤٌ وله ذِكْرُ
وما أنتَ من يحيا حياةً وإنما
حياتينِ تحيا ما لشمسِهما سِترُ
حياتينِ تحيا يا (عليُّ) شهادةً
وذكرى وهاتانِ السعادةُ والفَخْرُ

(١) الشطر مضمن من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر.

هكذا صقر

أَتَيْتُكَ مِمَّا أَنْتَ جَانِيهِ تَائِبًا
وما زال في أحبابه هكذا صَقْرُ
فإن كان يَرْضَى من أَحِبُّ بتوبيتي
من الذنبِ يَجْنِيهِ أَتُبُّ وله الشُّكْرُ
ومهما استمرَّوا عكسَ أَمْرِي فالهوى
لدى الصَّبِّ يَحْلُو فيه أن يُعَكِّسَ الأَمْرُ
وما دمتُ أُسْتَحْلِي الذي أَنَا صَانِعُ
فيا زِيدُ قُلْ ما شئتَ فِيَّ ويا عمرو
إذا المرءُ أَرْضَى نَفْسَهُ وَحَبِيبَهُ
فليس لأَقْوَالِ الـوَرَى عنده قَدْرُ
وَأَهْنَأُ عُشَّاقِ البَرِيَّةِ عَيْشَةً
فَتَى سَمِعَهُ عَمَّا يُقَالُ بِهِ وَقَرُ
فمن تَتَدَاوَلُ سَمِعَهُ أَلْسُنُ الـوَرَى
فيوشِكُ أن لا يَسْتَقِلَّ له فِكْرُ
وكلُّ امرئٍ أَصْغَى إلى كُلِّ قَائِلٍ
غدا كلُّ عُرْفٍ وَهَوْفِي نَفْسَهُ نُكْرُ
فلا تَسْتَمِعْ ما زَخْرَفُوا من مقالهم
فكم زَخْرَفُوا للصَّبِّ ما ضَمِنَهُ الشَّرُّ
ومن عُرِّمَ من لم يُجَرِّبْ فما أَنَا
لتجربتي ما يصنعُ الناسُ مَغْتَرُّ

من الناس مَنْ أَقْصَى أَمَانِيهِ أَنْ يَرَى
 لِبَاسَ الْعَشِيقَيْنِ الَّذِي يَنْسِجُ الْهَجْرُ
 فَمَا كُلُّ مَنْ أَحْلَى لَكَ الْقَوْلَ مُخْلِصٌ
 وَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَجِيئَتُهُ الْخَيْرُ
 فإِيَّاكَ مِمَّا قِيلَ أَنْ تَقْطَعَ الَّذِي
 بِهِ مِنْكَ يَوْمَ الْحَزَنِ يَنْشَرُحُ الصَّدْرُ
 فإِذَا رُبَّمَا يُصِيبُكَ بَعْدَ وَصَالِهِ
 وَقَدْ حَطَّ مِنْكَ الْقَدْرُ فِي عَيْنِهِ الْغَدْرُ
 فَتَدْنُو وَيَنْأَى وَالْخِيَانَةُ غُبُّهَا
 نَدَامَةُ أَهْلِهَا الشَّدِيدَةُ وَالْخُسْرُ^(١)
 وَمَنْ عَزَّهُ مِنَّا لِقَاءَ حَبِيبِهِ
 غَدَا كُلُّ حَلْوٍ وَهَوٍ فِي ذَوْقِهِ مُرٌّ^(٢)
 وَعَادَ الْفَضَاءَ الرَّحْبُ وَهُوَ لَضِيقِهِ
 عَلَيْهِ - كَمَا تَقْضِي قَطِيعَتَهُ - قَبْرُ
 وَبَاتَ يَرَى الدُّنْيَا كَمَا هِيَ كَلِمَا
 عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَيَّامُهَا نُوبٌ غُبْرُ
 فَلَوْلَا التَّلَاقِي عَنِ هَوَى لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ
 مُمِضَّاتِ مَا الدُّنْيَا تَرِيدُ بِنَا سِتْرُ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ تُبْصِرْ عَلَيَّ أَرْضَهُ فَتَى
 يَوُدُّ وَيَهْوَى أَنْ يَطْوَلَ بِهِ الْعُمُرُ
 فَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لِتُعْمَرَ حَقْبَةً
 بِسَكَّانِهَا لَوْ فَاتَهَا ذَلِكَ السَّرُّ

(١) غبها: عاقبتها.

(٢) عزه: غلبه.

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ يَوْمًا لِقَاءَ عَلِيٍّ هَوَى
فِيَّ مِنْ تَحَسُّيْ بِنْتِ كَرَمَتِهِ سُكْرُ
وَمَنْ لَمْ يُوَدِّبْهُ بِهَجْرٍ حَبِيبِهِ
زَمَانُ فَبِالْهَجْرَانِ أَدْبَنِي الدَّهْرُ
فَعِنْدِي - مَا لَمْ يُجَلِّ هَجْرُ أَحْبَبْتِي
فَوَادِي - لَهُمْ عَنْ كُلِّ بَادِرَةٍ عُذْرُ
فَإِنْ تَنَفَّدَ الْأَعْذَارُ يَوْمًا وَلَمْ تَنْزَلْ
إِلَيَّ جَنَائِيَاتُ الْأَحْبَبَةِ تَنْجَرُ
لَجَأْتُ إِلَى الصَّبْرِ الَّذِي قَطُّ لَمْ يَخُنْ
عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ عَنْهُمْ خَانَنِي الصَّبْرُ
حَيَاةَ الْفَتَى - مَا لَمْ يُسَرِّ - حَمَامَةٌ
وَصَحَّتْهُ سَقْمٌ وَثَرَوْتُهُ فَفَقِرُ
وَلَمْ أَرَفِي الدُّنْيَا سُرُورًا سِوَى الَّذِي
يُخَيِّلُهُ مَنْ وَصَلَ أَحْبَابَنَا سِحْرُ
فَصِلْ وَالْقَمْنَ أَحْبَبْتَهُ تَجِدِ الدُّنْيَا
سَهُولًا وَإِلَّا فَالدُّنْيَا مَسْلُوكٌ وَعَرُّ

****□

أندر شيء الحر^(١)

يقولون لي في وجهك الحزنُ قد بدا
وفيه لنا لاحَ التضجُرُ يا «صقرُ»
فقلت لهم «عيسى القطامي» عازمُ
على سفر فالقلبُ منِّي به جَمُرُ
وهل لي سوى «عيسى» إذا الضُرُّ مسَّني
بلقياهُ عني ينجلي الهمُّ والضُرُّ
وهل بَعْدَ «عيسى» الحرُّ لي من مؤانسِ
وأندرُ شيءٍ في الأنامِ هو الحرُّ
ومن ذا سواه إن شكوتُ أعانني
وإن أهفُ وافاني ولي عندهُ عُذرُ
فكم من جميلٍ جاءني منه كاملٍ
يحفُّ به من طيب شيمته الشُّكرُ
كأني الذي أسدي الصنيعَ وهكذا
من الناس من تزكو خلائقُهُ الزُّهرُ
وكم لقطتُ أذنايَ لآلاءِ لفظه
فأهدتُهُ نحو الصدرِ فانشرحَ الصدرُ
ولؤلؤُ لفظِ الحرِّ أوفرُ بهجةٍ
وأثمنُ من درٍّ به يسمح البحرُ

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

أَلَمَّا عَصَى «صَقْرًا» عَلَى الظَّمَا الصَّبْرُ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْبِتَ مِنْهُ بِهِ الْعُمُرُ
وَعَدَّتْ بِإِنْقَاعِ الصَّدَى وَعَدَّ مَا طَلَّ
كَأَنَّكَ تَخْشَى أَنْ يَبْوَخَ لَهُ حُرٌّ^(١)
فَقَدَّمْتُ مِنْ شُكْرِي إِلَيْكَ جَمِيلَهُ
فَلَمْ يَلْقَ تَقْدِيرًا لَدَيْكَ لَهُ الشُّكْرُ
أَطَلْتُ مَقَامِي بَيْنَ يَأْسِي وَالرَّجَا
وَسَهْلُ مَقَامِ الْمَرْءِ بَيْنَهُمَا وَعَرُ
فَقَد تَّمَّ أَوْ قَد كَادَ عَامٌ وَمِثْلُ مَا
وَعَدْتَ بِهِ يَكْفِي لِإِنْجَازِهِ شَهْرُ
فَإِنْ كَانَ مَا حَاوَلْتَ بِالْوَعْدِ حَيْلَهُ
لَيْسَعَى بَلَا عَرَفَ بِشُكْرِي لَكَ الشُّعْرُ
فَذَلِكَ أَمْرٌ لَيْسَ يَنْوِيهِ مَبْتَغٍ
مَزِيدِ الْعُلَا مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ حِجْرٌ^(٢)
وَذَاكَ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَغْدُو وَحَالُوهُ
إِذَا نَكَرُوهُ حَوْلَ حَيْلَتِهِ مُرٌّ
وَإِنْ كُنْتَ تَنْوِي بَعْدَ مَوْتِي سَقَايَتِي
إِذَا ضَمَّنِي يَوْمًا مِنَ الظَّمَا الْقَبْرِ

(١) يَبْوَخُ: يَسْكُنُ وَيَفْتَرُ.

(٢) الْحَجْرُ: الْعَقْلُ.

فَقَصْدُكَ هَذَا مُذْكَرِي قَوْلَ بَعْضِهِمْ
«إِذَا مِتْ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ»^(١)
وَوَظَّنِّي فِيكَ الْيَوْمَ أَنْ تَمْحُوَ الَّذِي
بِإِثْبَاتِهِ يَعِدُوكَ حَمْدِي وَالْأَجْرُ
وَيَحْزَنُنِي أَنِّي كَتَبْتُ وَلَمْ تُجِبْ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ طِرْسٌ لَدَيْكَ وَلَا حَبْرٌ
وَلَوْ كَانَ هَذَا وَاقِعًا كُنْتُ عَاذِرًا
فَعِنْدِي لِإِخْوَانِي إِذَا عَجَزُوا عُدْرَ
وَمَا كَانَ عَنْ عُدْرٍ وَلَكِنْ تَهَاوَنُ
وَحَاشَاكَ أَنْ تُلْفَى وَشِيْمَتُكَ الْغَدْرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ الْوَفَاءُ سَجِيَّةً
لَمَا مَسَّ مَطْوِي الْعِتَابُ لَكَ النُّشْرُ

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:
معللتني بالوصل والموتُ دونه إذا متُّ ظمانًا فلا نزل القطر
وهو من قصيدته في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

كلمة البركة^(١)

لئن ذادَ عني صاحبي مُعْدِمًا شكى
له ظمًا يومًا فلا مرَّ بي القَطْرُ
ولا زال في جنبِي أو في قَرارتي
لتضييع ما استودعتُ من مائه قَطْرُ
ولا ابتَلُ مما يسكبُ المزنُ (شَتْرُهُ)
إذا فاضَ من مسكوبه غيرُهُ (شَتْرُ)
وما كان «صقرٌ» من يزود ذوي الظَّما
عن الوردِ فليمكُثْ على جوده «صقر»
فعهدي به للحمْدِ والأجرِ صابيًا
وما خيرُ من لم يُصبِه الحمْدُ والأجر
وما الحُرُّ من يروى ويعطشُ جاره
ولكنَّ من بالعكسِ يأتي هو الحُرُّ
ويا واردي رفقًا بمشيكٍ وأتئدُ
وإلا فظَهَرانا دنا منهما الكَسْرُ
وإن كان سهلًا جَبْرُ ظهري فلم يكن
ليسهلَ بعد الكَسْرِ من ظهركَ الجَبْرُ
وإياك والوطءِ العنيفِ فريما
غدا لكلينا فيه أو بعضنا ضرُّ

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة، غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهرًا ثم ردها.

وإن رُمّتَ في جوفي النزولَ فما أرى
بذلك بأسًا عندما حاجتُ تعرُّو
ولكن له شرطان لا بدَّ منهما
هما في تدليكِ الترفُّقِ والطُّهرِ
وكن أخذًا بالنصحِ منِّي فربّما
إلى مأخذي بالنصحِ منك ستُضطرُّ
لعلَّك في أتيكِ تحتاجُ رأفتي
كما بي إليها منك في حاضري فقُرِّ
فما لكِ لينا صورةً مستمرَّةً
على كيمياءِ الدهرِ ما بقي الدهرِ
ويا ربما حَلَّتْ حياتك تربتي
وحلَّ جمودي فيك وانعكسَ الأمرُ
فأصبحتَ في ماضي زمانك بركةً
وأصبحتَ إنسانًا كما شاءه الدُّورُ
فنحن وأنتم في الزمانِ ودوره
سواءً لكلِّ يعتلي مرةً قدرُ
دوآلكِ نعلو بالحياة وأنتم
علينا بها تعلون طورًا ولا فخرُ
فأحوالنا رهنُ التحوُّلِ ما غدا
عليها ليومٍ أو ليلتهِ مرُّ
وكم قد تبادلنا بما مرَّ صورةً
وشكلًا ولكن مات في نفسك الذُّكرُ
وإن قلتَ إن الدُّورَ شكَّ به الحِجَا
وكشفُ ظلامِ الشكِّ أمرٌ به عُسرُ
أقلُّ لك قولاً ليس للشكِّ منهجُ
إلى صدقه في ما يرى الحِسُّ والحِجْرُ

أَلَمْ أَتَكُونُوا مِنْ جِسْمٍ جَدِيدِكُمْ
وَإِعْزَازُهُمْ عَرَفُوا وَإِذْلَالُهُمْ نُكْرُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُؤُلِي فَجُؤُلِي مِنْهُمْ
وَإِنْ ظَنَّ غَيْرٌ غَيْرَ ذَلِكَ أَوْ غُمُرًا^(١)
أَعَادَهُمْ إِكْسِيرُ طَوْلِ زَمَانِهِمْ
وَهُمْ - ضَمِنَ عَفْرًا أَنْتَ وَاطِنَهُ - عَفْرًا^(٢)
وَأَيُّ رَوَابِي الْأَرْضِ أَمْ أَيُّْ وَهْدِهَا
لِأَسْلَافِكُمْ مَا خُطَّ أَثْنَاءَهُ قَبْرُ
فَإِنْ لَمْ تُرَاعُونِي فِرَاعُوا أَبْوَةً
بِهِمْ عُصَّ نَجْدُ الْأَرْضِ وَامْتَلَأَ الْغُورُ
وَهَا أَنْتَ بِلْ كُلِّ امْرِيٍّ خَلْفَ جَدِّهِ
يَجِدُ بِهِ مِنْ مَرِّ أَيَّامِهِ سَيْرُ
عَلَى أَنْنِي مِنْكُمْ وَمَنْنِي أَنْتُمْ
لَأَنِّي بَعْضُ الْأَرْضِ وَهِيَ لَكُمْ جِذْرُ
إِذَا سَأَلَ الْفِكْرَ الْفَتَى عَنْ تُرَابِهِ
أَجَابَ جَوَابًا طَبِقَ مَا قَلَّتَهُ الْفِكْرُ
وَهَلْ سَارَ ذُو عَقْلٍ صَحِيحٍ عَلَى الثَّرَى
وَفِي سَيْرِهِ الرَّهْوُ الذَّمِيمُ أَوْ الْكِبْرُ
فَمَا اخْتَالَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ غَيْرُ مَنْ
أَدَامَ لَهُ السُّكْرَ الْغُرُورُ أَوْ الْخَمْرُ
وَلَوْ مَيَّ عَلَى الصَّاحِينَ إِلَّا إِذَا انْبَرَوْا
لِتَأْدِيبِ مَنْ أَنْسَاهُمْ الْأَدَبَ السُّكْرُ
فَمِثْلُ غَوَاةِ الْقَوْمِ يُلْفِي رَشِيدَهُمْ
إِذَا ضَلَّ عَنْ تَأْدِيبِهِمْ وَلَهُ صَبْرُ

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٢) العفر: التراب.

ومن يستطع وَعَطَّ الغُواةَ ولم يَعِظْ
فَعَنَ أُرْزَهُ من صُنْعِهِمْ لم يَمِلْ وِزْرُ
من الشَّرِّ تركُ النُّصْحِ من ذِي كَيَاسَةٍ
مَطِيقٌ لذي غَيٍّ إِذَا نُكِرَ الشَّرُّ
وَحَيْرُ الوَرَى إِن يَغْرَقِ الفُلُكُ مَنْ هَدَى
إلى العَبْرِ غَرَقَاهُ إِذَا خَفِيَ العَبْرُ^(١)
وليس الذي يَنْحُوهُ عن خَبْرَةٍ به
وَيُعْرِضُ عن قَوْمٍ به ما لهم خُبْرُ
وهل تَرْفَعُ الأَفْعَالُ مَنْ أَرشَدَ الوَرَى
وليس لهم من نَصَبِ إرْشَادِهِ جَرُّ

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب^(١)

ما في العراق لشمسٍ فضلكَ مُنْكَرُ
أُنِّي وقد سَمَقَتْ تُنِيرُ فَتَبْهَرُ
شمسٌ من الفضلِ المبينِ قد اهتدى
بضياءها مذ أشرقَتْ من يُبْصِرُ
شمسٌ لها من ذي المعالي «طالبٍ»
شَرَفٌ فليست عن سِوَاهُ تَصْدُرُ
شمس إذا أَخْفَى شَبِيهَتَهَا الدُّجَى
أوراحٌ يُخْفِي من سناها العنَّيرُ^(٢)
فهى التي مذ أشرقَتْ قد أقسمتْ
أن لا تُرى يوماً بشيءٍ تُسْتَرُ
لكن بها عَشِيَتْ عُيُونُ عصابةٍ
حَسَدَتْكَ شمسَ الفضلِ وهى تُنَوِّرُ
فغدَتْ من الحسدِ المذيبِ قلوبهم
تشكو لظئى فيها يُشَبُّ وَيُسْعَرُ
والأهلُ للشُّكرانِ من يشقى بهِ
قومٌ وأقوامٌ تُسَرُّ وتُحْبَرُ
ومحبتى الفضلِ المبينِ وأهلهُ
طبعٌ لعمري فيَّ لا يتغَيَّرُ

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر للقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العنَّير: الغبار.

فلذا تراني جئتُ أهدي مِدْحَةً
فيها لك الإخلاصُ مني يَظْهَرُ
ومحبتي إِيَّاكَ مجْهُودُ الذي
هو كلُّ ما يحويه مثلي مُعْسِرُ
أما الكويتُ فإنها قد أصبحتُ
بِحُلُولِكَ السامي بها تتبخترُ
ولما عجيبٌ أن تَبَخُّتَرَ بِلدَةٍ
فخراً ومثلكَ راحَ فيها يَخْطِرُ^(١)
إننا عرفنا فيك كلَّ مَزِيَّةٍ
يُثني عليها ذو الحِجاءِ وَيَشْكُرُ
فلذا بمقدمكَ الكويتُ قد اغتَدَى
حَظُّ عَظِيمٌ لَلكويتِ وَمَفْخَرُ



لما رجعتَ إلى العراقِ مسلماً
مما عليك من السياسةِ يُحْذِرُ
أعلنتُ صوتي بين قومي قائلاً
اليومَ عادَ إلى شَراهُ القَسُورِ^(٢)
وهل العراقُ الرَّحْبُ إلا غابَةٌ
من «طالبٍ» فيها الشجاعُ غَضَنْفَرُ
يا «طالبٍ» العلياءِ نلتَ من العُلا
ما لم يَنْلُ شَرواهُ نجمُ أنهرِ
فغدوتَ في أفقِ الفضائلِ كوكباً
عالٍ^(٣) كما تهوى الفضائلُ يُسْفِرُ

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنساً إذا ما رحت فيها تخطر».

(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

فخِصَالُكَ الْغُرُّ الزَّوَاهِرُ إِن غَدَا
إِحْصَاؤُهُنَّ عَلَى امْرِئٍ يَتَعَسَّرُ
فَلَكُمْ تَعَالَتْ أَنْ يَحِيطَ بِعَدِّهَا
يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ قَبْلُ مِنْ هُوَ أَشَعَرُ

فهد الكريم فرع خير^(١)

يا نجلِ سالمِ الذي أخلاقُهُ
أثنى عليها النثرُ والأشعارُ
من أفضلِ الأقواتِ عندي حنطةٌ
منها غدت أهلُ الكويتِ تُمَارِ
لكنْ إجادَةُ طَبْخِهَا أوْ خَبْزِهَا
حَرْنَا بِهَا وَأَظُنُّ أَنْ سَنَحَارِ
قالوا إذا كررْتُمْ صُنْعًا لَهَا
أتقنتموه فكَذَّبَ التُّكْرَارِ
كم مَرَّةً جَاءتِ تجارِبُنَا بِهَا
عكسَ الذي نهواه أو نختارِ
كل التجاربِ قد زهبنَ بها سُدَى
فجميَعُهُنَّ متاعِبٌ وخَسَارِ
والجوعُ لم يترك لنا وقتًا بهِ
تصفو - لكي نتعلمَ - الأفكارِ
فأغيتُ من الجُوعِ الذي ألامُهُ
منها على نفسي التَّقَتُ أظفارِ
بأطايِبِ الأرزِ الذي قد شاقني
منه وصالٌ منعشٌ ومَزارِ
إني لأذكرُ طيبَهُ ومَسَاغَهُ
فيُميتُ عنه السلوَةَ التَّذكارِ

(١) قالها في الشيخ فهد سالم الصباح.

هيهات أن أسلو لذاتته التي
تطوى فينشُرُ فضأها السُّمَّار
إني لأملُ منك مأمولاً إذا
صَعِبَ المرامُ وَعَزَّتِ الأوطار
فأبوك يا فهد الكريم تحققتُ
ففيه لي الأمال وهي كـِبار
لم لا أؤملُ فرعَ خيرٍ طاب لي
من أصله وأعدوذب الإثمَار
أخصبتُ في أيامه حتى لقد
أوهمتُ أن جميعها «أذار»

جنة لا دار^(١)

أنا من لا يزالُ يعلمُ أنَّ الـ
قُربَ منكم سعادةً وافتخار
فلهذا سوى الدنُّو إليكم
من مزايا الحياة لا أختار
غيرَ أني أصبحتُ من شِدَّةِ الحـ
رِّ بسجنٍ منه يَعِزُّ الفِرار
لا تقولوا إن الصُّقورَ إذا ما
سُجِنَتْ في سُجونِها لا تحار
كنتُ كاسمي صقراً ولكنني اليو
م لَأَوْنِ قَدَ عَمَّ جَسْمِي هَزار
فدعوني من استِزارةِ جَسْمِي
فضعيفُ الجُسومِ لا يُستَزار
وفؤادي لـديكمُ منذ زمانٍ
جَمَعَتْ فيه شَمَاننا الأقدار
وعلى «الوطيئة» التحيةُ مِمَّنْ
سامرتهُ منكم بها الأحرار^(٢)
فأعاد السُّمَّارُ فيها حَصاصها
وهو أبهى مما يَضمُّ المَحَارُ

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالمك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالمك يرسل ابنه صالح بن عبدالمك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبقى عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعتذر عن عدم الحضور لشدة الحر.
(٢) الوطيئة: مكان.

وَتَنَى رَمَلَهَا كَأَجْمَلِ مَا «نَيْ»
 «سَانُ» يُبْدِي لِنَاظِرٍ أَوْ «أَذَارُ»
 فَكَأَنَّ الْمَصِيفَ فِيهَا رَبِيعٌ
 نَشَرَتْ بُسْطَ زَهْرِهِ الْأَمْطَارِ
 وَكَذَا كُلُّ بَقْعَةٍ كَانَتْ فِيهَا
 مِنْ أَبِي صَالِحِ الْعُلَا لِي جَارِ
 كُلُّ دَارٍ تَضُمُّنِي وَعِلَاهُ
 فَهِيَ وَاللَّهِ جَنَّةٌ لَا دَارُ
 ذِي سَجَايَا تَوَدُّ كُلُّ الرُّوَابِي
 أَنَهَا فَوْقَ هَامِهَا أَزْهَارِ
 لَوْ رَأَاهَا بِشَّارٍ فِي أَدْمِيٍّ
 تَابَ مِمَّا أَتَى بِهِ بِشَّارِ
 أَوْ رَأَهُنَّ قَائِلٌ بِاضْطِرَارِ
 عَادَ قَصْدًا مَقَالُهُ الْاضْطِرَارِ
 جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ شَتَّى الْمَزَايَا
 فَلَهَا فِيهِ مِلْتَقَى وَانْحِصَارِ
 وَعَلَى أَنْبِيِ إِلَيْهِنَّ صَابِ
 قَدْ تَمَادَى بِهِنَّ عَنِّي نِفَارِ
 لَوْ بَجِدُّ يَنْأَلُهَا وَاجْتِهَادِ
 مِنْ تَلَطَّى بِهِ إِلَيْهَا أُوَارُ^(١)
 نَلْتُ مِنْهَا أَوْ نَلْتُهَا غَيْرَ أَنَّ الدَّ
 نَاسَ تُرْبُ كَارِضِهِمْ أَوْ نُضَارِ^(٢)

(١) الأوار: لفتح النار ووهجها.

(٢) النضار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أَوْ كَمَثَلِ النَّبَاتِ يَنْبُتُ مَخْضُطًا
رَأً وَفِيهِ كُرَاتٌ وَعَرَارٌ
حِكْمَةٌ كُنْهًا خَفِيٌّ وَلَمَّا
تَخَفَ مِنْهَا عَلَى النَّهْيِ الْآثَارُ
فَهِيَ كَالرُّوحِ فِي الْفِعَالِ تَجَلَّتْ
وَاسْتَقَلَّتْ بِكُنْهِهَا الْأَسْتَارُ

قومي العرب

فإن تَضِقِ الكويتُ اليومَ عني
وما ضاقت بأمثالي الديارُ
فكم بلدٍ لقومي العُربِ فيه
سيحلُّولي من السَّعةِ القَرارِ
وليس يموتُ من ظمأٍ وجوعٍ
بمربطِ ظالمٍ إلا الحممارِ

أصيح

أصيحُ بمن له عَيْنٌ وَعَيْنٌ
وليس بهِ على عَيْنِيهِ خَيْرٌ^(١)
فما يهدي ضريراً في طريقٍ
به أَلَقَتْ كَلَاكِيَهَا الوُعُورُ
ولا يُرَوِي العَطَاشَ - وإن أَلْحَوْا
عليه بالسؤالِ - له نَمِيرُ
وليس يَشْمُ عَافٍ من قُتَارِ
لمطبخِهِ ومطبخُهُ عَمِيرٌ
ففيه من صنوفِ الزادِ مالا
تزال له به تَغْلِي قُدُورُ
وإن يَجْمَعُهُ والبُؤْسَاءُ نَادِ
تغشَّاهُ لمنظرهم نُقُورُ
وشالَ بَأْنَفِهِ كِبْرًا عليهمُ
بما أتته دنياهُ الغُرُورُ
رويداً أيها الطاغِي رويداً
فإن الدهرَ خَدَّاعٌ غَدُورُ
فَقَبْلَكَ أَطْلَعَ الإِثْرَاءُ مِنْهُ
لِقَوْمٍ أَنْجُمًا زُهْرًا تُنِيرُ

(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنُّوا أَنهَا تَبْقَىٰ فَعَادَتْ
- وَأَنْفُ الظَّنِّ مَرغُومٌ - تَعُورُ
فحَسْبَكَ إِن عَقَلْتَ بِهِمْ نَذِيرًا
فقد يجدي ذوي العقولِ النذيرِ
يَوَدُّ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا حَوَّتْهُمُ
مضاجعُ أَنها لَهُم قُبُورُ
لِزَّارِ هِزْبِ مَرِّ الجُوعِ فِيهِمْ
ولَيْثُ الجُوعِ فَتَّكَ هَاصُورُ
ولولا شُحُّ أَهْلِ المَالِ مِنَّا
لما اسْتَصْبَاهُمُ المَوْتُ المَرِيرُ
تَبَارَكَ مَنْ أَفَادَهُمْ بِحُورًا
من الأَمْوَالِ زَاخِرَةً تَمُورُ
وَأَسْكَنَ فِي جِوَانِحِهِمُ عَلَيْنَا
قَلُوبًا دُونَ قَسْوَتِهَا الصُّخُورُ
فَمَا يُشْجِيهِمُ اللَّبُؤْسُ فِيْنَا
مِزَامِيرُ لَهَا أَبَدًا نَعِيرُ
فصَبِرًا أَيُّهَا البِؤْسَاءُ صَبِرًا
فَعَقِبِي الصَّبْرَ يَحْمَدُهَا الصَّبِيرُ
ففي الصَّبْرِ الجَمِيلِ لَكُمْ رِجَابُ
إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ اللَّبِؤْسُ دُورُ
وَإِن أَدَاكُمْ جُوعٌ فَمِنَهُ
بِعُتْنُونِي يَلُوحُ لَكُمْ قَتِيرُ
وَإِن تُصْبِحُ ثِيَابُكُمْ رِثَاءًا
ففي مَشْتَايَ فِي ثُوبِي فُزُورُ
لنَرْقُبُ مَا طَوَاهِ الغَيْبِ عَنَا
فَعَنهُ سَوْفَ تَرْتَفَعُ السُّتُورُ

لعلّ لنا بجوف الغيب خيراً
وعلّ الدهر بالحسنى يحور
لنمكث تحت ظلّ الصبر حتى
يحين لنا من الآتي سُفور
عسانا أن نقول إذا رأينا
مصير الصبر يا نعم المصير
وثوب الصبر فيه للابسيه
جمال لا يجيء به الحرير
وفي أخراه كلُّ أخي اصطبار
لدى مولاه بالحسنى جدير
فحسب الصابرين إذا ثواباً
ففي هذا لهم خيرٌ كثير
بحسن الصبر أوصيكم لأني
ببإعاني عن إعانتكم قُصور
ولو أني ملكتُ ولو قُروشاً
لقتتُ لبئتها فيكم أدور

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان^(١)

كُلُّ طِفْلٍ بِكَفِّهِ عَصْفُورٌ
من أذاها يكاد فيها يَبُورُ
مُتَأَذٌّ من قبضة الطفل والطف
لُ له من أذى الطيور سُرور
حَسَبَ ما العادُ يقتضيه وكم أب
صَرَّتْ شَرًّا من عادةٍ يستطير
عُودَ اللهُوَ بالطيور فأبدي
صَفْوَهُ ما لها به تكدير
وهي في الحسِّ مثله فلديها
مُوجِعُ الطفلِ مُوجِعُ مَحْذُور
وهو عنها بما لاشعور عَدَاهُ
من تماثيل لهوهِ ميسور
لكن الوالدُ الشفيقُ عليه
فاتهُ من أموره التفكير
فأراد السرورَ للطفل من حَيْ
تُ إلى الطفلِ يهتدي التَّغْرِير
إِنَّ غِبَّ الأمرِ الذي رامَ للطف
لِ سروراً به أبوه مَرِير

(١) نغد أنواع العصافير في موسم الربيع قادمة من الجنوب، وكان من عادة الصبيان نصب الفخاخ لهذه الطيور وصيدها واللعب بها. فقال هذه القصيدة.

إذ يرى طفلاً يشبُّ على ما
 ليس يرضى به الإله القدير
 أتري بارئ الطيور براها
 لتري من أذى الورى ما يضير
 ربِّ إثمٍ على الورى سَهَّأَتْهُ
 عادةً والسُّهولُ منه وُور
 إنَّ لهو الوليدِ بالطير زورُ
 - لودرى والد الوليد - خطير
 وعليه العقابُ لا بُدَّ أن يَأُ
 تي وشروى تعجيله التأخير
 فهو إن لم يلقَ الجزاء مدى العم
 رِ فَعُمُرُ الإنسانِ جدًّا قصير
 وسيلقاه بعدما ينقضي العُمُ
 رُ كما لا يشاء وهو عسير
 يغفر الله للوليد فهل ذن
 بُ أبيه كذنبه مغفور
 فَلَيْسَ عن مقالي العقل إنَّ الد
 عقل دارٍ بما أقولُ خبير
 لم يَهَبْهُ إلهُ العقلِ إلا
 لهُداهُ فهو النذيرُ البشير
 ليس يدري ضلاله من هُداهُ
 من لِهادي الحِجاءِ لا يستشير
 فاتَّخِذْ منه في الأمور مشيراً
 وَفَقَّ أثارِ نُصحِهِ إذ تَسِير
 هل ترى العادة اللئيمة غرَّتْ
 من بمصباح عقله يستنير

حُسْنُ عَادَاتِ أَوْلَيْنَا أَوْ الْقُبُ
حُ بِهِ عَنْهُمَا تَشْفِ السُّتُورُ
فَيَبِينُ الْعَادُ الَّذِي هُوَ لِلْأَخْ
ذِ أَوْ التُّرْكِ مُسْتَحِقُّ جَدِيرُ
فَلَابَانِنَا عَوَائِدُ شَتَّى
رَسَخَتْ بَيْنِنَا لِهِنَّ جُذُورُ
بَعْضُهَا يَنْطَوِي عَلَى الْقُبُحِ وَالشُّ
رِّ وَفِي بَعْضِهَا جَمَالٌ وَخَيْرُ
وَهَوَانَا اقْتِفَاءً عَادَاتِهِمْ إِنْ
لَمْ تُنِرْهُ سُرْجُ النُّهَى دَيْجُورُ
وَعَسِيرُ التَّمْحِصِ وَالْكَشْفِ عَنْهُ
نَ إِذَا سُرْجُهَا أَضْأَنَ يَسِيرُ



أَيُّهَا الْبَطْفَلُ أَنْتَ عِنْدِي عَلَى مَا
سُمِّتَهُ الطَّيْرَ مِنْ أَدَى مَعْدُورُ
مَا لِأَمْرٍ تَمِرُّ عُقْبَاهُ أَوْ تَحُ
لِوَلَدِي ذِي طِفْلُولَةٍ تَقْدِيرُ
فَجَاءَ الصَّغِيرُ عَنْ فَهْمِهِ الْعُقُ
بِي لِأَمْرٍ بِهِ يَجِيءُ صَغِيرُ
لَسْتَ أَنْتَ الَّذِي جَنَيْتَ عَلَى الطَّيْرِ
رِ وَلَكِنْ جَنَى أَبُوكَ الْكَبِيرُ
أَنْتَ لَوْلَا وَلِيٌّ أَمْرُكَ لَمْ تَقُ
رُبُّ إِلَى الطَّيْرِ مِنْ يَدَيْكَ شُرُورُ
مَا غَدَا فِي يَمِينِكَ الطَّائِرُ الْمِسُ
كَيْنُ لَوْلَا أَبُوكَ وَهُوَ أَسِيرُ

هو ألقاهُ في يديكَ كأنَّ لم
يَدْرُ ما منهُما تُقاسي الطيور
كم رأى طائراً بكفك يوماً
وهو ميتٌ من ضغطها معصور
أو رأى رجلاً رهينةً خيطٍ
وهو حيٌّ بخيطه مجرور
أو راه يشكو كِتاف جناحيه
له ومنه القُليبُ دام كسير
أو رأى ريشه النظيم حواليد
ك من النُتْف وهو مُلقى نثير
أو راه سجينٌ سجن يُسمى
قفصاً، منه شاقه التحرير
فهو منه حبُّ التحرُّر في النيا
س لعينيه ما أتوه يُدير
يتوخى حراً رحيماً يُفادي
سجنه من يمينه تكسير
وأبو الطفل حول ما الطفل يأتي
له إلى طيره بصيرٌ خريير
يتشكى بملء فيه إليه
حسب ما شاء كربة الموفور
وتُنزِّي الألام منه جُسيماً
يجهل الصبر قلبه المفطور^(١)
وكان الشكاة عند أبي الطف
ل أغان أتى بهنَّ الحُبور

(١) تنزي: تجعله يثب. والمفطور: المشقوق.

وَالتَّنَزِّيِّ مِنْ هَوْلٍ مَا هُوَ يَلْقَى
 رَقِصُ أُنْسٍ عَنْ جَدِّهِ مَأْتُور
 مَشْهُدٌ لَوْ بِهِ تُحِسُّ صُخُورٌ
 لَغَدَتُ رِقَّةً تَذُوبُ الصُّخُور
 كُلُّ مَا رَمَتْ أَنْ أَعْبَبَرَ عَنْهُ
 ضَاقَ ذَرْعًا بِعَبْرَتِي التَّعْبِيرِ
 وَهُوَ لَمْ يَنْهَهُ الضَّمِيرُ وَلَا الْعَقْدُ
 لَمْ فَهَلْ مَاتَ عَقْلُهُ وَالضَّمِيرُ
 أَمْ رَأَى ذَنْبَهُ الْعَظِيمَ حَقِيرًا
 مِثْلَ مَا يُوهِمُ الْأَثِيمَ الْغُرُورُ
 لَا أَرَاهُ يَهْرَقُ إِلَّا إِذَا مَآ
 صَدَمَتْهُ بِعَكْسِهِنَّ الْأُمُورُ
 فَرَأَى طَيْرَهُ صَبِيحًا وَأُضْحَى
 وَهُوَ فِي كَفِّ طَيْرِهِ زُرُورُ
 فَبِعَكْسِ الْأُمُورِ مِنْ سَكْرَةِ الْغِ
 رَّةِ يَشْقَى فَوَادُهُ الْمَخْمُورُ
 وَسَيِّشَقَى بِمِثْلِ ذَاكَ وَأُدْهِى
 إِنْ عَدَاهُ مِنْ فَعْلِهِ التَّغْيِيرِ
 فَلْيَتَّبِ مِنْ ذَنْبِهِ وَلْيُكَفِّرْ
 فَالْمَلَأُ الْمَتَابُ وَالتَّكْفِيرُ
 يَا قَوِيًّا فَمُ الضَّعِيفِ بِشَكْوَا
 هُ مَعَانَاةُ شَرِّهِ مَفْغُورُ
 إِنْ مِنْ صَاغَهُ وَصَاغَكَ مَسْمُورُ
 عٌ لَدِيهِ مَا يَشْتَكِي مِنْظُورُ

ويكون الجزاء ما شكَّ من مِندُ
له استقامَ التفكيرُ والتَّنْقيرُ
كلُّ أمرٍ إليه جئتَ سَيَّالِقَا
كَقَرِيبًا جَزَاؤُهُ المَذْخُورُ
فَأنتِ ما شئتَ من صَنِيعِ تَجْدُهُ
مثمرًا حسبما تكونُ البذورُ
وتوقَّعُ يومَ الجزاءِ فما يَؤُ
مُ جزاءِ الصَنِيعِ منك شَطِيرُ
ولكلِّ من صُنِعَ أو عَلِيهِ
لا سِوَاهُ قَلِيلُهُ والكَثِيرُ
وصنيعُ الطفلِ المَدْبَرِ مَصْنُوعُ
عُ وليُّ مَنه له تَأَثِيرُ
فَأذى النَّجْلِ للطيورِ على النَّا
جِلٍ وَقِفُ جَزَاؤُهُ مَقْصُورُ
إذ يمينُ الوليدِ لولا أبوهُ
لم يَنْبُ طَائِرًا لها تَسْخِيرُ
إنما الطفلُ سائرٌ حَسَبَ ما يَأُ
تي له من وليِّهِ التَّسْيِيرُ
قَلْبُ الأَمْرِ قَبْلَ أن يَنْشَأَ الطَّفُ
لُ عَلِيهِ حتى يَتَمَّ الظُّهُورُ
فبِطونِ الأمورِ عنهن قد تَشُ
غَلُّ إلا مَقَابِيها الظُّهُورُ
يستقيمُ الغصنُ النَّضِيرُ إذا ما
قَوِّمُوهُ والطفلُ غَصْنُ نَضِيرُ

وكما شاءه المقوم يبقى
بعده يُبس له عليه مرور
للمربي في الطفل صنع كفاني
بسسطه الآن أنه مشهور
غير خاف من المربين في الأط
فقال - حتى أبينه - التأثير
وتأمل يظهر لعينيك مندف
وع مربي الولدان والمضروب
ملتقاهم أوراق سفرتنافت
من فريقيهم بهن السطور
وعلى الفطرة القديمة كل
يوم لاقى حياته مفطور^(١)
لم يكن بينهم قبيل المربي
ن عظيم من فرقيهم أو حقيير
وبما جاءه المربون من بع
مد تنافى صعدوهم والحدود
فالمربي - لما أتاه إليهم
حين ربي - المذموم والمشكور
فاتق الله في الصغير فإما
وازر أنت فبييه أو موزور
لا تغرنك عادة بالتفشي
ما التفشي لعادة تبرير
كم تفشت من عادة والمفشي
أولاً في الوري لها ممرور

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وَهُمْ بِالْعُقُولِ لَوْ فَحَصَوْهَا
سَرَّهُمْ طَيِّبُهَا وَسَاءَ النَّشُورُ
قَلَّ مِنْهُمْ فَحَصُ بِهِ يَتَجَلَّى
مَسْتَجَازُ الْعَادَاتِ وَالْمَحْظُورِ
قَلَّدَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ فِي مُرِيبَا
تِ مِنْ الْعَادِ فَحَصُهَا مَهْجُورِ
لَا تُقَلِّدُ تَقْلِيدَ أَعْمَى لِأَعْمَى
فَوْقَ دَرَبٍ مَا شَيْءٌ كَابِ عَثُورِ
عَابِرُ الدَّرَبِ خَلْفَ هَادٍ ضَرِيرِ
يَتَأَذَى إِنْ لَمْ يُمِثَّهُ الْعُبُورِ
وَاسْأَلِكِ الدَّرَبَ نَاطِرًا مِنْكَ بِالْعِيدِ
مِنْ هُدَاهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ الْمُرُورِ
لَوْ أَرَادَ الْإِلَهُ تَعْطِيكَ الْعِيدِ
مَنْ تَخَطَّى إِنْسَانَهَا التَّنْوِيرِ
أَيُّهَذَا الْإِنْسَانُ إِنْ الْحَيَاوِي
مَنْ لَهَا بِالصَّنِيْعِ مِنْكَ شُعُورِ
كُلِّ جَنْسٍ مِنْهُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْإِحْسَا
سِ نِدٌّ وَفِي الشُّعُورِ نَظِيرِ
فَلَمَّاذَا تُذِيقُهَا مَا عَلَيْهِ
مَنْكَ لَوْ ذُقْتَهُ يَجِدُ النَّكِيرِ
الْخَعْفِ الْحَيَوَانَ جُرَّتَ عَلَيْهِ
أَمْ لِأَمْرِ سِيَّوَاهُ أَنْتَ تَجُورِ
لَسْتُ أَدْرِي مَا سِرُّ ظَلَمِكَ وَالظُّلْمِ
مُ بِهِ لِفَتَى يَسُوءُ الْمَصِيرِ

أَمِنْتَ الْعَدْلَ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ
لَكَ عَنْهُ مَتَرَجِّمٌ وَنَذِيرٌ
إِنْ عَدَلَ إِلَهُ مَا ارْتَابَ فِيهِ
مَنْ إِلَيْهِ بِالْفِكْرِ كَانَ يَحُورُ
فَأَجِلْ فِيهِ طَرْفَ فَكْرِكَ تَرْجِعُ
بَعْدَ هَذَا الْعَمَى وَأَنْتَ بَصِيرٌ

من أعمى إلى عميان

أَلْأَعْمَى بِمَحْيَاهُ سُورُورٌ
وهل يا صقْرُ فيه له حُبُورٌ
فقلتُ لهم عمى العُمَيَانِ أَسْرُورٌ
وهل في الأَسْرِ يَبْتَهِجُ الأَسِيرُ
فقالوا العُمَيُّ أَكْثَرُهُمْ سِمَانُ
وهل سِمَانٌ بِلَا أُنْسٍ يَصِيرُ
فقلتُ لهم سِمَانُ العُمَيِّ مَاتَ
مشاعِرُهُمْ فليس لهم شُعُورُ
وموتُ مشاعِرِ العُمَيَانِ دَرَبٌ
عليه لهم مَسَرَّتُهُمْ تَسِيرُ
أَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ السُّمَنِ المَعْرِي
وبشارٌ ومثلُهما يسيرُ
وأنى يَكْتَسِي هَذَانُ لَحْمًا
وكانا من ذكاءٍ وهُو نُورُ
وما الأَنْوَارُ إِلا من سَعِيرِ
وهل يُبْقِي على اللحمِ السَّعِيرِ
ذكرتهما فيا عيني سِيلا
دماءً ضِمْنَهَا ماءً غَزِيرُ
هُمَا أَخْوَإِي قَدْ سَلَفَا وَإِنِّي
ومَقْتُهُمَا وَمَا لَهُمَا نَظِيرُ

فَسَكُّبُكُمْ مَا دُمِعَكُمْ مَا احْتِجَاجُ
 وَقَدْ يَحْتَجُّ بِالْدمِعِ الْفَقِيرُ
 عَلَى زَمَنِ عَلَى الْعُمِيَانِ مِمَّنْ
 تَحَرَّرَ فَكُرُّهُمْ فِيهِ يَجُورُ
 أَلَمْ يَمْنَعْ تَلَاقِيَهُمْ لَكَيْلًا
 يُخَفِّفَ فِيهِ عَنْهُمْ مَا يَضِيرُ
 دَرَى أَنَّ الضَّرِيرَ لَهُ سُرُورٌ
 كَبِيرٌ حِينَ يَلْقَاهُ الضَّرِيرُ
 فَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ تَشْتِيَتْ مَنْ لَمْ
 يُقَرِّعْهُ عَلَى الْجَوْرِ الضَّمِيرُ
 كَأَنَّ زَمَانَنَا مَالِكٌ ظَالِمٌ
 عَلَى ضَعْفَاءِ أُمَّتِهِ يُغَيِّرُ
 فَيَسْلُبُ مِنْهُمْ مَا يَشْتَهِيهِ
 وَمَا إِلَّا هَوَاهُ لَهُ مُشِيرٌ
 تَرَاهُ فِي بَوَاطِنِ مَنْ هَوَاهُ
 دُمُوعُ الْبَائِسِينَ لَهَا بِحُورِ
 يَسِيرُنْ إِذَا يَسِيرُنْ عَلَى بُخَارِ
 صَدُورِ الْمَعْدَمِينَ بِهِ تَفُورِ
 أَكَادُ أذُوبِ مَنْ حَنَّقِي إِذَا مَا
 تَمَثَّلَ فِي مَخِيئَاتِي شَرِيرِ
 أَعْضُ أَنْمَلِي عَضًّا لَغِيظِي
 عَلَى مَنْ تَسْتَخَفُّهُمْ الشُّرُورِ
 وَأَضْرِبُ بِالْيَمِينِ وَلَيْسَ فِيهَا
 سِوَى عِكَازَةٍ فِيهَا فُطُورِ^(١)

(١) فطور: شقوق.

لَأُقْطِرَ رَأْسَ مَنْ يَبْغِي عَلَيَّ مِنْ
بِهِ قَعَدَتْ مِنَ النَّاسِ الدُّهُورُ
فَأَكْسِرُ مَنْ أُوَانِيَّ الْبُكُورُ
تَأْتِيهَا عَلَيَّ مِثْلِي عَسِيرُ
هَنَّاكَ أَفِيْقُ مِنَ الْأَمِيِّ بِقَوْمِ
مِنَاطِيْدُ الشُّرُورِ بِهِمْ تَطِيرُ
فَأَعْلَمُ أَنَّنِي فِي صَحْنِ دَارِي
وَمَا حَوْلِي عَظِيْمٌ أَوْ حَقِيرُ

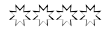


يُمَزِّقُنِي انْحِطَاطُ الْعُمِّيِّ حُزْنًا
وَكُلُّهُمْ عَلَيَّ الْعَالِيَا قَدِيرُ
فَإِنْ تُعْوِزُ أَكْفَهُمْ رِمَاحُ
يَشُوقُ شِجَاعَهُمْ مِنْهَا صَرِيرُ
وَتَصْفَرُّ مِنْ مَدَافِعِ فِي دِفَاعِ
يَهْزُ كَرِيمَهُمْ مِنْهَا هَدِيرُ
فَفِي دَرَسِ الْعِلْمِ لِهِمْ رُقِيٌّ
تَمَنَّى مِثْلَهُ الشُّعْرَى الْعَبُورُ
وَفِي دَرَسِ الْعِلْمِ لِهِمْ مَحَلُّ
تَسَوَّدُ لَوْ أَنْجَلَتْ فِيهِ الْبُذُورُ



«لهوميروس» في اليونان فضلُ
يُفَاخِرُ مِنْهُمْ فِيهِ الْفَخُورُ
و«طه» قد بنى مجدًا رفيعًا
له بين السورى شأنٌ خطيرُ

وفي هذين أسوّة كل أعمى
لبيب قلبه قلب كبير



عليكم معشر العميان أن لا
يَمَسَّكُمْ عن العاليا فتور
فقد يبني ضرير القوم مجداً
يُقَصِّرُ أن يفوز به البصير
وليس تنال يا عميان فخرأ
بهذا العصر عميان تخور
فأعصار التكاسل قد تولت
وهذي بالنشاط لكم عصور
عمى العميان مقبرة ولكن
لهم منها بعالمهم نشور
فبالعلم الشريف لكم حياة
تحفُّ بها الحامد والأجور
وهل أصبّت سوى هذين شخصاً
له لبّ تمّيز به أمور
ولا ترضوا جهالتكم فإني
رأيت الجهل كأبنته عقوق
يعيش الجاهلون من البرايا
كما تحيا بدنياها الحمير
يحمُّها ذووها كل عبء
ويقنعها على الكد الشعير



فرق كبير

أيشكو حولك الفقرَ الفقيرُ
ومالكَ وافرُ جمُّ كثيرُ
كأنك لا تُحسُّ له شِكاةً
يُرددها الأنينُ أو الزفيرُ
فدعه وهو عاري الجسم طاوٍ
فمَشهدُ بؤسه لك لا يضيرُ
لأنَّ قبيحَ بُخلكَ طالَ حتى
تَخَوَّفَهُ ففارقكَ الضميرُ
ولا تَعَبَّأ متى تَشَبَّعَ بشيءٍ
فذاك الشيءُ حمدٌ أو أُجورُ
وما كلُّ امرئٍ أثريٍّ لحمدٍ
وأجرٍ مستحقٌّ أو جديرُ
فبعضُ اليُسْرِ في الدارينِ شرُّ
على ذي اليُسْرِ منا مستطيرُ
ومنه البعضُ يُعقبُ حُسْنَ أجرٍ
وحَمداً ليس تُبليه الدهورُ
ومُغنيكَ المحاسبيُّ عن قريبٍ
وذاك العالمُ العَدْلُ القديرُ
وما عن عدله لك من فرارٍ
ومنك عليه لا تخفى الأمورُ

ستندمُ والندامةُ ليس تُجدي
إذا الزُّراعُ أجنَّتْها البُذور
هُنالِكَ بين ما يجني بخيلٍ
ويجني محسنٌ فرقٌ كبير
فذاك له أسى في مَنْزَلِيهِ
وذا في المنزَلَيْنِ له سرور
ففي الأولى جزاءُ الفعل يأتِي
مُعَجَّلاً وفي الأخرى الأخير
وعَدْلُ الله لا يُلغِي جزاءً
فلا يغرُرُكَ بالله الغرور^(١)
تأملْ هل ترى إلا أناساً
عن الدنيا إلى الأخرى تَسِير
وأبيُّ الذاهِبِينَ إلى ثراهِمُ
لَتُرخى منه فوقَهُمُ السُّتور
رأيتَ المالَ يتبعُ منه نَعُشاً
لكي يلقاهما معاً الحَفِير
ولو دَفَنُوا مع الموتى ثراءً
أطالت هُزأها بهمُ القبور
وأصْبَحَ في الثرى المدفونِ فيه
ثراءُ القومِ وهوله نظير
فسيَّانِ الصَّفائحُ من نُضارٍ
على الموتى هنالك والصُّخور
جميعُ المالِ يغدو وهو إرثٌ
لأيدٍ كان عنه بها قصور

(١) الغرور: الشيطان.

فِيذْهَبُ نَادِمًا ذُو الْبُخْلِ لَكِنْ
مِنَ الْوَرَاثِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ
فَلَا تَغْبِطُ مِنَ الْمُثْرِينَ شَخْصًا
عَنِ الْإِحْسَانِ يُعْرِضُ أَوْ يَجُورُ
فَخَيْرُ الْمَالِ مَا يَكُونُ رِوَاءً
عِطَاشَ الْفَقْرِ بَارِدُهُ النَّمِيرُ^(١)
وَشَرُّ الْمَالِ مَا مَنَعَتْهُ أَيْدٍ
أَنْسَا أَمْرَ عُسْرِهِمْ عَسِيرُ
فَأَشْقَى النَّاسِ كُلِّهِمْ غَنِيٌّ
لِعَافٍ لَيْسَ يُرْجَى مِنْهُ خَيْرُ^(٢)
وَلَيْسَ يَشْكُ فِي مَشَقَّاهُ مَنَّا
سِوَى مَنْ طَرَفُ نُهَيْتِهِ ضَرِيرُ^(٣)
تَعَالَى اللَّهُ مِنْ لَوْ شَاءَ أَنْزَلَتْ
إِنَاثُ النَّاسِ طُرًّا وَالذُّكُورُ
فَإِغْنَاءُ الْجَمِيعِ مِنَ الْبِرَايَا
عَلَيْهِ هَيِّنٌ سَهْلٌ يَسِيرُ
وَلَكِنْ غَيْرُ ذَاكَ قَضَاهُ فِينَا
فَكَانَ الْيُسْرُ وَالْعُسْرُ الْمَرِيرُ
وَمَا الْإِغْنَاءُ وَالْإِفْقَارُ إِلَّا
لِسِرِّ مَا عَلَيْهِ لَنَا ظَهْوَرُ
وَوَظَنِّي أَنْ هَذَا النَّاسِ لَوْلَمْ
يَقْتُلُوا ذَلِكَ السِّرُّ الْخَطِيرُ

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

أَتَى مِنْ شُحِّهِ أَعْمَى نُهَاهُ
عَنِ الْإِحْسَانِ وَهُوَ بِهِ بَصِيرٌ
وَلَمْ تَرَ مَأْرِبًا لِلنَّاسِ يَوْمًا
إِلَيْهِ عَنِ مَكَارِمِهَا تَحْوِرُ^(١)
وَوَظَّلُوا وَاصْطَنَاعُ الْعُرْفِ فِيهِ
زِيُوْدُهُمْ تُنَافِسُهَا الْعُمُورُ
وَلَمْ يُسْتَمَنَّ مَالًا قَطُّ إِلَّا
لِيَبْذُلَهُ كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ
وَلَكِنْ سِتْرٌ سِرٌّ لِلَّهِ ضَافٍ
وَقَدْ يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ نُوْرٌ
لِذَا شُغِفَتْ بِبِذْلِ الْعُرْفِ نَاسٌ
وَنَاسٌ مِنْهُ كَانَ بِهِمْ نُفُوْرٌ

(١) تحور: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

عبدالله بن الشيخ سالم الصباح^(١)

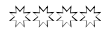
لَئِنْ لَمْ أُرْزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلَّ مَنْ
عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ
كَفَضْلِ أَبِيهِ الْحُرِّ سَالِمِ الَّذِي
أَبَى حُبَّهُ إِلَّا التَّمَكُّنَ فِي صَدْرِي
فَمَا انْفَكَ قَلْبِي أَيَّبًا مِنْهُ ذَاهِبًا
إِلَيْهِ لِعَمْرِي طَوْعَ أَشْوَاقِهِ الْكُثْرِ
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْطِيعُ وَحْدِي أَزْدِيَارَهُ
لَكُنْتُ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَتَّصِلَ السَّيْرِ
وَلَكِنِّي مَا سَرْتُ وَحْدِي مَرَّةً
فَعُدْتُ وَلَمْ تَجْرَحْ جَبِينِي يَدُ الْجُدْرِ
كَأَنَّ لَجْدِرَانَ الْكُوَيْتِ جَمِيعَهَا
عَلَيَّ تِرَاتٌ غَيْرُ مَنْسِيَّةِ الذِّكْرِ
فَهَنْ مَتَى أَبْصُرُنِي دُونَ قَائِدٍ
رَدَدْتُ نَظِيمَ الصَّبْرِ مِنِّي إِلَى نَثْرِ
أَظُنُّ كَأَنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاتِرًا
وَهُنَّ بَصْفَعِي الْيَوْمَ يَأْخُذَنَ بِالْوَتْرِ

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله سالم الصباح أسبوعياً، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله سالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتباً عليه في انقطاعه.

فَيُسَلِّمُنِي هَذَا لِذَلِكَ بِصَفْعَةٍ
 وَذَلِكَ إِلَى هَذَا بِصَفْعٍ لَهُ مُرٌّ
 وَلَيْسَ لِعُكَّازِي وَإِنْ طَالَ مِنْ غِنَى
 تَجَاهِ صَنِيعِ الْجُدْرِ أَوْ أَنْمَلِي الْعَشْرِ
 فَأَبْقَى شَرِيدَ اللَّبِّ حَتَّى يُتَّاحَ لِي
 كَرِيمٌ عَنِ الْإِسْعَافِ لَيْسَ بِمُرُورٍ
 فَيَرْجِعُ بِي لِلْبَيْتِ أَشْكَرُ فَضْلَهُ
 وَطَوْرًا أَنْالُ الْجُدْرَ بِالْمَنْطِقِ الْهَجْرَ
 وَمَا كَانَ قَوْلُ الْهَجْرِ خُلْقِي وَعَادَتِي
 وَلَا بِمُبَيِّخٍ مَا بِصَدْرِي مِنَ الْحَرِّ
 وَلَكِنْ غَيْظُ الْمَرْءِ يُخْرِجُهُ إِلَى
 سِوَى عَادِهِ أَوْ ضِدِّ أَخْلَاقِهِ الْغُرِّ
 وَهَلْ لِمَغِيظٍ مُحْنَقٍ مِنْ تَأْمُلٍ
 فَيَعْدِلُ عَنِ شَرِّ الْأُمُورِ إِلَى الْخَيْرِ
 فَمَا غَضِبُ الْغَضْبَانَ بَدَأَ وَغَايَةً
 سِوَى آفَةٍ مَغْتَالَةِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ
 فَكَمْ غَضِبَ أَلْقَى عَلَى عَقْلِ عَاقِلٍ
 مِنْ السُّتْرِ مَا تُلْقِي عَلَيْهِ يَدُ الْخَمْرِ
 فَقَدْ يَنْدَمُ الْغَضْبَانَ بَعْدُ كَأَنَّهُ
 مُفِيقٌ جَنَى كِبْرِي الْجَنَائِيَاتِ فِي السُّكْرِ
 وَأَعْرِفْ فَضْلَ الْحِلْمِ لَكِنْ مَتَى يُسِيءُ
 إِلَيَّ مَسِيءٌ أُنْسَ مِثْلَ السُّورِيِّ غَيْرِي
 وَهَلْ يَغْضِبُ الْإِنْسَانَ لَوْ عَاشَ ذَاكِرًا
 جَمَالَ مَزَايَا حِلْمِهِ الْجَمَّةِ الزُّهْرِ
 فَأَوَى إِلَى بَيْتِي وَثَوْبِي لَا تَرَى
 بِهِ أَوْ بِجَسْمِي مَوْضِعًا غَيْرَ مُغْبَرٍّ

فـيـتـركـُنـي ذاك الـفـتـى بـعـد قـولـه
أرى لك أن تبقى من البيت في العقر
فما لـخـريـرٍ في فـراقٍ مـكانـه
من الـريـح إلا ما يـقـلُّ عن الخـسـر
فـلـسـت أرى ربحاً وإن جَلُّ وافياً
بما تركت في وجهك الجدر من حفر
وما رقت الجدران يوماً لحالتي
وهل رقة للطين تُرجى أو الصخر
وإن أنج منها لم أعد قط ناجياً
إلى منزلي من وقعة بي للحمر
فكم أوجعت صدري صلاب صدرها
وكم عقرت ظهري بطرحي على العقر
ولم يرث لي من قد أقلت ظهورها
لقلّة ما فيهم من الفهم والحجر
كأنني لديهم للحمير مـمازح
فليس لديهم غير ضحكهم المـزري
فمهما أقع مستلقياً لا تجد فماً
على منظري من جهلهم غير مـفـتـر
كأنهم شاءوا بإرسال ضحكهم
زيادة ما قد الحقوني من الشر
وإن كان فيهم عاقل كان عقله
بمشبه شتمي من ملامي له يغري
فهذا له ضحك وذاك ملامة
خلال نهيق من حميرهم نُكر
فتسمع أذني ما أود لأجله
بأن على أذني رتاجاً من الوقر

ويا ربما فارقْتُ قبلَ فِراقِهِمْ
صوابيَ أو قد غبتُ عنه على الإثر
فأمضي بلا رُشدٍ كأنني سفينَةٌ
بملتطم الأمواج من لُججِ خُضُرٍ
وقد كسرتُ منها يدُ الموجِ دَفَّةً
وما لذويها بالنجارةِ من خُبِرٍ
فَظَلَّتْ بهم تجري إلى غيرِ وجهةٍ
بغيرِ الذي ينوونَ من جهةِ العُبرِ^(١)
تميلُ بها للقصدِ طوراً وتارةً
تميلُ بها عنه يدُ الريحِ بالقُسرِ
فأمشي بأتناء الشوارعِ تائهاً
كمكسورةِ السُّكانِ في وسطِ البحرِ
إلى أن يراني راحمٌ فيكون لي
دليلاً ويثني عسرَ أمري إلى يُسرِ
فيوصلني بيتي يُحدِّثني بما
يراهُ يوُدِّي كسرَ قلبي إلى جَبْرِ
ولم أر أمثالَ الأنامِ تباعدوا
طِباعاً على رِغمِ التقاربِ بالنُّجْرِ^(٢)
فهذا يؤاذيني وهذا يقوم لي
بنفي الأذى في السرِّ عَنِّي والجَهْرِ
ملائكةُ بعضُ الأنامِ وبعضُهُم
شياطينُ إلا بالمنظرِ والجِذْرِ



(١) العبر: الشاطئ.

وكم حَوَّلَتْ سِيَارَةً بِصَفِيرِهَا
أَنَامَلَ كَفِي الحُمُرِ خَوْفًا إِلَى صُفْرِ
وَقَدْ يَصْفِرُ الدَّرَاجُ حَوْلِي غَافِلًا
لَأَبْعُدَ عَنْهُ أَوْ يُنَبِّهَ بِالنُّقْرِ
فَأُرْعَدُ ذَعْرًا مِنْهُ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَمَشَتْ بِجِسْمِي كُلَّهُ رِعْدَةُ القُرِّ
وَلَا غَرَوُ أَنْ خَافَ السِّدَاهِسَ جَاهِلًا
وَجَوْهَ المَنَاجِي مِنْ حَوَادِثِهَا العُجْبَرِ
فَكَمْ رُمْتُ أَنْجِي القُرَّ مِنْهَا فَكَانَ مَا
أَتَيْتُ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَهْلِكَ الكَرِّ



وَلَسْتُ أَرَى لِي قَائِدًا مَتَطَوَّعًا
يُلَبِّي مَتَى نَادَيْتَهُ بُغِيَةَ الأَجْرِ
وَمَا قَلَّتِ القُؤُودُ لَكِنَّ جُلَّهُم
بِمَا يَبْتَغِي مِنْهُ المَقُودُونَ لَا يَدْرِي
وَمَنْ يَدْرِي يَغْفُلُ فَالْجَنِيْبُ لَجَنِبِهِ
مَنْ العُمِّي يَطْوِي الطَّرِيقَ مَعَهُ عَلَى دُعْرِ
فَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الضَّرِيرَ بِكَائِنٍ
عَلَى حَسْبِ مَا يَهْوَاهُ فِي المَسْلِكِ الوَعْرِ
وَمَنْ دَقَّ مِنْهُ الحِسُّ لَمْ يُلْفِ قَائِدًا
كَمَا يَتَمَنَّى إِذْ يُبَكِّرُ أَوْ يَسْرِي
فَمَا دَقَّةُ الإِحْسَاسِ إِلَّا بَلِيَّةٌ
وَإِنْ عَدَّهَا نَعْمَاءَ كُلِّ امْرِيٍّ غَيْرُ
فَلَوْلِمَ يَدِقَّ الحِسُّ مَنِّي لَمْ يَعُدْ
عَلَى صِغَرِي يَبِيضُ مَا اسْوَدَّ مِنْ شَعْرِي

وأما الذي يشفي ويكفي فإنه
إلى عَقَوْتِي من شِقَوْتِي غير مُنْجَرٍ^(١)
فأرمي إذا شئتُ الخُروجَ بمقودي
لزيدٍ على حُكْمِ الضرورةِ أو عمرو
فأمشي كما يهواه من تَيْبِ المِشْيِ
إلى جنبه مستسلماً ومن البكر
فكم مشيةٍ لا عهد لي بمثيلها
تمشيتُها بين التعثرِ والطمرِ^(٢)
ولو أنني قد نلت أرأفَ قائدٍ
وأرحم حتى من أبي المشفقِ البَرِّ
وقلت لِنَفْسِي تلكَ منيتك التي
أطلت تمنيتها فقري بها قري
وسايرني يوماً على متن منهجٍ
سويٍّ، خَلِيٍّ من مخاطره، قَفْرٍ^(٣)
لعنَّ من الجُبْنِ الذي هُوَ فِطرتي
هنالك ما يثني سكوني إلى نَفْرِ
فما ينتهي بي من سبيلٍ نجوبها
ولم يطوِ قلبي الخوفُ منها على فطرٍ^(٤)
وليس له ذنبٌ ولكن سَجِيَّتِي
لها وحدها الذنبُ الذي جَلَّ عن غَفْرِ
وأما إذا ما قَادَنِي من ضرورتي
إليه رَمَتْ بي من ذوي الوئبِ والطَّفْرِ

(١) العقوة: ما حول الدار والساحة.

(٢) الطمر: الوثوب.

(٣) المنهج: الطريق الواضح.

(٤) الفطر: الشق.

فلا تسألن عن حالتي إنَّ حالتي
لأدمع حتى من قَلَوْنِي تَسْتَذِرِي
فلو أبصرتُ عَيْنُ العَتِيبِي بَعْضَهُم
وقد أَمَسَكَتُ يَمَنَاهُ أَنْمَلَتِي «صَقْر»
لَهُمْ كَمَا تَقْضِي المودَّةَ مَشْفَقًا
بَنَهْرِي عَلَى إِفْلَاتِي البَيْتِ أَوْ زَجْرِي
وقال أرى يا صقْر - ما دمت لا ترى
طريقك - أن تبقى مدى الدهر في الوكر
فليس لصقور أن يُبَارِحَ وَكْرَهُ
إِذَا سَدَّتِ العَيْنِينَ مِنْهُ يَدُ الضُّرِّ
فما طارَ مَكْفُوفُ الصُّقُورِ فَسَالَمَتْ
جَنَاحِيهِ قَبْلَ اليَوْمِ عَادِيَةُ الكَسْرِ
فلا تَجْمَعَنَّ كَسَرَ الجَنَاحِ إِلَى العَمَى
فجَمَعُهُمَا يَا «صَقْر» قَاصِمَةُ الطُّهْرِ
فكن أَبَدًا جِلْسًا لِبَيْتِكَ لَازِمًا
لِكِسْرِيهِ حَتَّى يَنْقَلُوكَ إِلَى القَبْرِ
فلو شاء رَبِّي غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
بِعَيْنِيكَ مِنْ كَفِّ وَكْفُكَ مِنْ عُسْرِ
وَمَا أَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنَ البَيْتِ سَاعَةً
إِلَى مِنْ نَأَى أَوْ مِنْ دَنَا غَيْرَ مَضْطَرٍّ



كَأَنَّ إِلَهِي شَاءَ قَبْلَ تَرْحُلِي
إِلَى العَالَمِ المَسْتَوْرِ غَسَلِي مِنَ الوِزْرِ
وَلَيْسَ لَوِزْرِي غَاسِلٌ مِثْلُ شِقْوَتِي
فَأَسْبَغَ مِنْهَا مَا يَفِي لِي بِالطُّهْرِ



لهاتيكُمُ الأسبابِ قَلْتُ زيارتي
وإن كنتُ من شوقي إليكم على جَمْرٍ
فلم أسلُ عن أفقِ عهدتكَ بَدْرَهُ
وأمجادُ أصحابي به هالهُ البدر
وما كلُّ منزور اللقاء بناشئٍ
لعمري عن قَلِّ من الشوق أو نَزْرٍ
فيا ربُّ ذي وصلٍ كثيرٍ بلا هوى
وأخر تلقاءه على عكسه يجري



أمولاي عبدالله أحلفُ بالذي
أؤملُ منه أن يزيدك في العُمر
وأن لا يريك الدهر سوءاً بأن لي
إليك اشتياقُ المُجدِبينَ إلى القطر
ولكن لأسبابٍ كشفتُ وجوهها
بما مرَّ من قولي فجئنَ بلا سِتْرٍ
غدوتُ مُقللاً من زيارتك التي
يقلُّ على إقلالِ أمثالها صَبْرِي
فإن تَلَقَّ عُذري بالقبول فذاك ما
رجوتُ ولم أنركُ حجاباً على عُذري



في اسمه

يقولون لي يا صقرُ ما لك واقِعاً
من الكَفِّ عن طَيْرِ القَرِيضِ على وَكْرِ
إذا لم تُحَلِّقْ في فضا الشُّعْرِ صائداً
طيورَ مَعانِيهِ فما أنتِ بالصُّقْرِ
وما علموا أن المقاديرَ قد رَمَتْ
جناحِي عن قوسِ الحوادثِ بالكُسْرِ
إلى الله أشكو أنني في معاشرِ
رأوني من الإعسارِ كالواوِ في عَمرو

صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بني يعربٍ من كلِّ ذي نجدةٍ حُرٌّ
فلسطين مسنتها يدُ العسفِ والجورِ
وأنتم لها نعم العتاد فهيئوا
قواكم وسيروا نحوها أسرعَ السيرِ
ولا تقعدوا حتى ولو لم يكن لكم
سلاحٌ سوى الإيمان والحقِّ والصبرِ
أجمعُ شذاذُ اليهود نفوسهم
وما ملكوا من وافرِ البيضِ والصفْرِ
لأخذ فلسطين العزيزِ مكانها
ورمي أهاليها بقاصمةِ الظَّهرِ
ولمَّا ننازلهم نزالاً يرُدُّهم
وقد يتسوا من مثلها آخرَ الدهرِ
لئن لم يثرننا ما فلسطينُ تشتكي
أذاهُ فإننا في ضلالٍ وفي خسِرِ
عرفنا قديمًا بالوفاء وإنني
أرى عن فلسطينِ التخلِّي من الغدرِ
عجبتُ لجسمٍ يستقرُّ ويعضهُ
يقأبهُ الظلمُ الشنيعُ على جمرِ
شيوخٍ وأطفالٍ صغارٍ ونشوةٍ
تنُّ من البلوى وتشكو من الضرِّ

فكم أيم تشكو هنالكَ شَجْوَهَا
 وكم تَمَّ من طفلي لأدمُعه يُذري
 وكم من أخي شيخوخة متجلدٍ
 على ما به من كل محرجة الصدر
 وقد جاهدت شَبَانَهُمْ وكَهُولَهُمْ
 جهاداً بهاليلٍ غطارفةٍ عُزْر^(١)
 جهاداً به قد أعربَ الكلُّ منهم
 لعُربِ الوري والعُجم عن كرمِ الجذر
 جهاداً فؤادُ المجدِ سرُّ بوقعه
 وعادت له العلياء باسمَةَ التَّغْرِ
 وما برحوا منه يُقيمون كلَّ ما
 يُدالُّ به عُرفُ الحقوق من النُّكْرِ^(٢)
 وقد أصبحت فرضاً معونتهم بما
 تصونون من غالي الحياة أو التُّبْرِ
 لمن نُخَرْنَا أموالنا ونفوسنا
 إذا ما رغبتنا عنهم اليومَ بالذُّخْرِ
 وما قولنا لله إن لم نُعِنَهُمْ
 إذا ما وقفنا معهم وقفَةَ الحُشْرِ
 إلى قومنا قوموا بنا فلقد شَجَتْ
 مصيبتهم حتى الأصمُّ من الصَّخْرِ
 لنشهدَ معهم ما به يُحرزُ الفتى
 شهادته أو يجتني ثمرَ النُّصْرِ
 فما المرء إلا من يشارك قومه
 من العيش في حلو المذاقة والمُرِّ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

إذا كان عُمراً المرء حتماً سينقضي
 ففي مثل ما هَبَّوا له يا دَمِي فَاجْرِ
 نَسُورٌ وَأَسَادٌ سَعَى كُلُّ ظَالِمٍ
 لإخراجها ظلماً من الغابِ والوَكْرِ
 فعزَّ عليهم أن يكونوا فرائساً
 يمزقها الطغيانُ بالنَّابِ والظُّفْرِ
 فهَبَّوا كما تقضي العُلا عن حِمَاهُمْ
 يذودون ذُودَ اللَّيْثِ ضُويقَ والنَّسْرِ
 فإن تنجدوهم يا بني العرب تُنقذوا
 نفوسَكُم لا غيرها من يَدِ الشَّرِّ
 وما لكم إن لم تقوموا بنصرهم
 لدى الله والإنصافِ والمجدِ من عُذْرِ
 ومن ذا يرى عذراً من الناس للألَى
 إلى يعربٍ مَتَّوا بأصرةِ النَّجْرِ^(١)
 إذا قعدوا عن نصر إخوانهم بما
 لديهم من الأرواحِ جبنًا أو الوَفْرِ
 وهل من أوانٍ مثل هذا لَطالِبِ
 رضى الله في بذلِ الحطامِ أو العُمْرِ
 عفاءً على غيرِ المعينِ بماله
 ومهجتهِ إخوانه ساعةَ العُسْرِ
 أما يتَّقِي سُخْطَ الإلهِ يَصُبُّهُ
 على رأسه أو يستحي من ذوي الحجرِ^(٢)
 ألا ما الذي غرَّ اليهود فأملوا
 حصولاً على مالا يُنال من الأمرِ

(١) النجر: الأصل.

(٢) الحجر: العقل.

ألم يعلموا أننا بنو الجراءة التي
يَحُولُ بِهَا سَهْلُ الطُّغَاةِ إِلَى وَعْرٍ
وأنا الشَّجَا فِي حَلْقِ كُلِّ مَحَاوِلٍ
لدينا ولو أخذَ القَلَامَةَ بِالْقَسْرِ
وأنا بَنُو مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْهُمْ
فَتَى جَفْنُهُ يَغْضِي عَلَى مَضَضِ الوِثْرِ
لئن جَهِلُوا مِنْ نَحْنُ قَبْلُ فَكُلُّهُمْ
سَيَصْبِحُ بَعْدَ اليَوْمِ وَهُوَ بِنَا يَدْرِي
ألا سألوا عَنَا الحُرُوبَ لِيَعْرِفُوا
حَقِيقَتَنَا بَيْنَ الظُّبِي وَالقَنَا السُّمْرِ
ألا سألوا التَارِيخَ عَنَا لِيَعْتَدُوا
عَلَى خَبْرَةٍ مِمَّا نَرِيشُ وَمَا نَبْرِي

سلطان بن إبراهيم الكليب^(١)

ألا ليت سلطاناً سلاطينُ بيننا
لكيما يعمَّ العطفُ مِنَّا ذوي الفقْرِ
ولكنه يا للمصيبةِ واحدٌ
وعَدُّ ذوي الإقلالِ فاتَ يَدَ الحَصْرِ
وأَيُّ فتَى فينا سواه قد انبرى
لمسحِ دموعِ البائسين التي تجري
فإن فخرتْ بالمحسنين ديارهم
تَحَلَّتْ بلسطانِ الكويتِ حُلَى الفخرِ
لقد قلَّ أهلُ العطفِ بين معاشري
وما قلَّ أصحابُ الوجاهةِ واليسرِ
كأن قلوبَ الكلِّ منهم تكوَّنتْ
تُجاهَ صنيعِ البؤسِ من أصلبِ الصخرِ
فلا رحمةً منهم ولا رأفةً بمن
رَمَتْهُمُ يَدُ الإفلاسِ بالنُّوبِ الغُبرِ
إذا لم يَجِدْ الجِدُّ من عزمِ قائمٍ
ببذلِ مَساعٍ مثل مَسعَاتِهِ غُرٌّ
وهيهاتَ أن نلقى كسلطانَ من فتَى
لإصلاحِ حالِ أفسدَّتْها يَدُ الدهرِ

(١) سلطان بن إبراهيم الكليب من أعيان أهل الكويت تولَّى إدارة البلدية مدة من الزمن ثم انتخب عضواً لمجلس المعارف عام ١٩٥٣م، وهو من محبي عمل الخير فلا يسمع بنكبة عائلة إلا أسرع بجمع الإعانة لها من الأغنياء وغيرهم.

سَيُذَكَّرُ سُلْطَانٌ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
لدى الله والأبرارِ من طَيِّبِ الذِّكْرِ
وأشكره مهما جرى ذكرٌ محسنٍ
من الناسِ في نظمِ المقالِ أو النثرِ
ولو كنتُ مختاراً وهبتُ لِعُمُرِهِ
بقية ما أوتيتُ من مُدَّةِ العُمُرِ
ليبقى طويلاً من تَرُدِّ جهوده
كسیرِ قلوبِ البائسينِ إلى جَبْرِ
ففسحةٌ مَحْيَاهُ تُقَرُّ عِيونَهُم
ولو لم يَقُلْ منه اللسانُ لها قَرِي
فقد عرفوه راحماً مُتَعَطِّفاً
عليهم لما يبدو لهم واسعَ الصِّدْرِ
إذا غيرُهُ لا قاهمٌ بِقُطُوبِهِ
- كما تقتضيه قسوةُ القلبِ - والكِبَرِ
تلقَّاهمُ سلطانٌ عن رحمةٍ لهم
وعن رَأْفَةٍ بين التواضعِ والبِشْرِ
وشتانَ بين المرءِ يَخْتالُ عابِساً
عليهم بهم للحزنِ منظرُهُ يُغري
وأخرَ بسامٍ لهم متواضعٍ
يُسَرُّ بمرأى وجهِهِ كُلُّ نبي طِمْرٍ^(١)
ومن أي حُبِّ الله للمرءِ جَبْرُهُ
قلوباً رمتهنَّ الحوادثُ بالكَسْرِ
تَعَوَّدَ حَقَّ القولِ شِعْرِي وصدقَهُ
لذا لم يكن من شكرِهِ نافرأً شِعْرِي

(١) الطمر: الثوب البالي.

ولو أنني كلفتُهُ الزُّورَ أصبَحْتُ
قوافيه عني في ازورارٍ وفي نَفْرِ
أحق الوري بالشكرِ من كلِّ شاكرٍ
مهيَّبٌ بأيديهم إلى عملِ الخيرِ
أسلطانُ لَيْتَ القومِ يَدرونَ كُلُّهم
حقيقةً معني برهمُ مثل ما تدري
فلو فهموا معناه فهمك حائقوا
بأفاقه تحليق أنجمه الزُّهرِ
وشقَّ من اللاواءِ ظلمةً ليلها
سنا البرِّ عَمَّنْ تحت ظلمته يسري^(١)
ولم ترَ عيناك الألى وهبوا الغنى
يُسِفُّون إسفافاً إلى البخلِ المُزري



ألا ليت شعري ما الذي ظنَّ نَيْلُهُ
بمنع حقوقِ الله من ماله المُنْثري
أظنَّ خلوداً في الدُّنْيا وهو لم يَزَلْ
يَرى الموتَ منّا أحمرَ النَّابِ والظُّفْرِ
أمن حزم ذي الأموالِ منعُ حقوقها
وعنها عوادي الموتِ تؤذِنُ بالسَّيرِ
وكم قد رأى من قبله باخلاً مضى
وغادرَ كلَّ المالِ بالرغمِ للغيرِ
فراح بلا ذكرٍ حميدٍ وراءَهُ
وقُدَّامَهُ هَوُلُ الماتِمِ والوِزْرِ

(١) اللاواء: الشدة.

فَعَوَّدَهُمْ سُلْطَانُ بَسْطِ أَكْفِهِمْ
 بِتَذْكِيرِ كُلِّ مِنْهُمْ حُفْرَةَ الْقَبْرِ
 وَأَنَّ الْمُنَايَا قَادِمَاتٌ وَأَنَّهٗ
 بِهَا سَيَخْلِي وَفِرَهُ كُلُّ ذِي وَفَرٍ
 وَأَنَّ أَمَامَ الْكُلِّ يَوْمٌ حَصَادُهُ
 نَتَائِجُ مَا أَلْقَتْ يَدَاهُ مِنَ الْبَذْرِ
 أَيَّرْتَابُ فِي الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ قَلْبُ مَنْ
 لَهُ مَرشِدٌ مِنْ صِحَّةِ الْحِجْرِ وَالْفِكْرِ
 إِذَا شَكَ فِي رُسُلِ الْمَهِيْمِنِ بَعْضُنَا
 وَكُلِّ كِتَابٍ مَنزَلٍ مِنْهُ أَوْ سِفْرِ^(١)
 فَهَلْ رَيْبَةٌ تَعْرُوهُ فِي الرُّسُلِ الْأَلَى
 عَلَيْهَا طَوَاهُ كَالضَّمِيرِ وَكَالْحِجْرِ
 وَمَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي
 تُبَيِّنُ لَهُ عُرْفَ الْأُمُورِ مِنَ النُّكْرِ
 فَعِظْهُمْ وَذَكِّرْهُمْ عَوَاقِبَ مَا أَتَوْا
 وَيَأْتُونَهُ فِي السَّرِّ مِنْهُمْ أَوْ الْجَهْرِ
 وَقُلْ لَهُمْ مَا «أَمْ دَفَرٌ» وَفِيئَةٌ
 لِمَخْلَصِهَا الْمَخْدُوعِ وَالْغَافِلِ الْغَيْرِ^(٢)
 تُمِرُّ إِذَا أَحَلَّتْ وَتَكْدُرُّ إِنْ صَفَّتْ
 وَتَرْفَعُ لَكِنْ رَفْعُهَا عَامِلُ الْجَرِّ
 فَتُحْزِنُ إِنْ سَرَّتْ وَتَسْلُبُ إِنْ حَبَّتْ
 وَتَطْوِي بِسَاطِ الْوَصْلِ مِنْهَا يَدُ الْهَجْرِ
 فَإِنْ أَسْعَدَتْ أَشَقَّتْ وَإِنْ سَالَمَتْ رَمَتْ
 مِنَ الْحَرْبِ يَوْمًا مَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ

(١) السفر: الكتاب الكبير، وأيضاً الجزء من أجزاء النوراة.

(٢) «أم دفر»: هي الدنيا.

فلا تمنحوها الحُبَّ أجمعَ وانخروا
 لضرَّتِها من حُبِّكم أنفَسَ الذُّخْر
 ومن غرَّ منها بالتَّوافي فقل له
 لقد لبستُ ثوبَ التَّوافي على غدر
 وإن انقلابَ الحال منها لحكمةٌ
 سماويةٌ لكل مرفوعةِ السُّتر
 فأحوالُها ذاتُ التَّحوُّلِ ألسُنُ
 وإن لم تُركبْ بين فُكَّينِ من نَغْر
 تصيحُ بمن دنياهمُ أسكرتهمُ
 أفيقوا قُبَيْلَ الموتِ من ذلك السُّكر
 وما جمَّمتُ بل صرَّحتُ بعِظاتها
 ولا بدَّلتُ جهرَ النصيحةِ بالسُّرِّ (١)
 فكم عِبرةٌ أفشَتُ وكم عِظَةٌ تَلَّتْ
 أحسَّ بها ذو السَّمعِ مِنَّا وذو الوَقْرِ
 وقد أسهبتُ في الوعظِ حتى غدت به
 تسدُّ على من لم يُفِقْ طُرُقَ العُذر
 فزِدْ واعظًا في وعظِها القومَ قائلًا
 أأعددتُمُ للموتِ زادًا وللحَشْرِ
 لئلا يزالوا ذاكرينَ منازلاً
 إليها من الدنيا نسيْرُ على جِسْرِ
 وأن ليستِ الأعمارُ إلا نجائبًا
 ولسنا على أكوارهنِ سوى سفر
 فما اغترَّ بالدنيا الخدوعِ سوى امرئٍ
 أصيبَ بنسيانِ المنيةِ والنُّشْرِ

(١) جمجت: أخفت ولم تبين.

ولا ضمّ مفروضَ الحقوقِ ونفأها
لمن أملقوا شحاً إلى ماله الكُثر
سوى الحائرِ المرتابِ في أنه على
صنيعيه يُجزى حذوكَ الشُّبرِ بالشُّبرِ
ولو أعملَ العقلَ السليمَ لزحزحتُ
دُجى الشكِّ من إيمانه طلعةُ الفجرِ
فعقلُ الفتى يُبدي عواقبَ أمره
إذا لم يزل منه يسير على الإثر
لعلَّ قلوباً قد قست سيئينها
تذكُرُها العُقبى من الخيرِ والشُّرِّ

مصر وقضية فلسطين^(١)

في سنة ١٩٣٧ أيام فاروق والنحاس

لُومي فلسطينُ العزيزةُ أو ذري
مِصرًا على هذا السُّكوتِ المُنكَرِ
سكَّتتُ وصوتُ الظلمِ يَدُوي معلنًا
تقسيمك المَشْجِي كأن لم تَشْعُرِ
أدمى قلوب العُربِ شجواً فانبروا
كالأسد حين يَهْجَنَ أو كالأنسُرِ
وتعاهدوا أن لن يَمَسَّكَ من أذى
ما لم تغيِّبهم بطنون الأقبُرِ
وتقاعست مصرُ فكان صنيعُها
للضاد والإسلام شرٌّ مُكَدَّرُ
فهُما إليها بعد كلِّ تَجِلَّةٍ
لا ينظران بغير عَيْنِي مُصْغِرِ
أَمَناطِ آمالِ العروبةِ والهُدى
غادرتِ كُلاً منهُما بِكَ يَزْدري
أزرى بقدرِكَ ما إليه ركنتِ في
هذا السُّكوتِ بدون أيِّ مَبْرَرِ
أَتنامُ عينا مصرَ في الليلِ الذي
وافى مُحبِّبها بأنكَدِ مُسْهَرِ

(١) نشرت في مجلة السجل في ١٢ من رجب سنة ١٣٥٦ الموافق ١٧ أيلول ١٩٣٧.

ولقد ظنناها تُبادلنا الهوى
فإذا الظنون كواذب في المخبر
من نام عن ليل يسهد عينه
ثم ادعى حبي فدعوى مفتتر
إن كان تحرير البلاد يعوقها
عن أن تقوم بواجب المتحرر
فعلى تحررها العفاء فما له
فضل على استعبادها المتوفر
أيسر مصراً أن ترمم مجدها
بممزق من مجدنا ومبعثر
ولعنا نلقى لها أقوى يد
إن نازلت يوماً عدواً يجتري
وأحق من مصر بكل ملامة
ذاك الذي يدعونه بالأزهر
كنا نؤمل أن يقيم قيامه
إن لم تُرق مهج الأعادي تُذعر
فإذا تثاقفه يطول كأنما
دهن العدا أعصابه بمخدر
أيصد عن أمس الجهاد ويومه
رغم اقتضاء الواجب المتكرر
ولقد حسبنا أن يمد جهادنا
منه بأكبر نافر مستنفر
الجُبْنِ قد صد أم لرضائه
عن جور حُكْم الظالم المتنمّر

وِكَلَاهُمَا أَمْرٌ صُدُورُ نَظِيرِهِ
يُؤْمِسِي وَيُصَبِّحُ وَهُوَ عَارُ الْمَصْدَرِ
أَزْعِيمَنَا الدِّينِيَّ إِن زَعِيمَنَا
بِالْحَقِّ مَنْ لَزِمْنَا لَمْ يَخْفُرْ
أَتَظُنُّ أَنْ يَرْضَى زَعَامَتَكَ الْأَلَى
مَهْمَا دَعَاهُمْ وَاجِبٌ تَتَأَخَّرِ
مَاذَا رَأَى الْإِسْلَامَ مِنْ خَدَمَاتِهِ
عِنْدَ الزَّعِيمِ سِوَى الْمَقَالِ الْمُضْجِرِ
فَالِى الْفِعَالِ عَنِ الْمَقَالِ فِغْرَسُهُ
لَمْ يَجُنْ غَيْرَ سَامَةِ أَوْ يُتْمِرْ
أَعْطِ الزَّعَامَةَ حَقَّهَا أَوْ خَلَّهَا
وَتَنَحَّ عَنْهَا لِلأَحَقِّ الْأَجْدَرِ
مَا الْمَجْدُ ثَرْتَرَةٌ وَلَكِنْ غَضِبَةٌ
لِلْحَقِّ تُرْضِي صَارِمًا أَوْ سَمَّهَرِي
مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ مَسْتِطَاعَ جِهْوَدِهِ
لذَوِيهِ يَوْمَ جِهَادِهِمْ لَمْ يُعْذَرِ
أَوْ مَا رَأَتْ عَمَلَ الْعِرَاقِ وَصَنَعَهُ
مِصْرُ وَأَزْهَرُهَا بَعِينِي مَبْصِرِ
شَمَلَتْ ذَوِيهِ غَضِبَةٌ مَخْرِيَّةٌ
كَانَتْ لَهُمْ مَهْمَا اسْتَثِيرُوا تَعْتَرِي
تَرَكَتَهُمْ مَا بَيْنَ جَامِعِ نَفْسِهِ
يَنْوِي الْوُثُوبَ وَوَاتِبِ وَمَزْمَجِرِ
لَمْ تُبْقِ فِي أَكْنَافِهِ مَنْ لَمْ يَقُمْ
طَوَّعَ الْحِفَاظِ الْمُرُّ أَوْ لَمْ يَزَارِ

فكأنه غاباتُ «بِيشَةَ» لم يكنْ
 فَيَهَنَّ إِلَّا كُلُّ ضَارٍ قَسُورٍ^(١)
 وَنَكَادُ نَجَزُمُ أَنَّهُ هِيَ إِذْ رَمَى
 كَيْدَ الْعَدُوِّ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرٍ^(٢)
 قَدْ أَظْهَرْتَ مِنْهُ نَوَازِلُ جَارِهِ
 مَا كَانَ مِنْ حُبِّ لَدِيهِ مُضْمَرٍ
 صِدْقُ الْأَحْبَبَةِ كَامِنٌ وَمَتَى عَرَا
 خَطْبٌ يَشُقُّ عَلَى الْأَحْبَبَةِ يَنْظَهَرُ
 لَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانَ مِنْ يَبْلُوهُمْ
 مَا لَمْ يَكَابِدْ قَاصِمَاتِ الْأَظْهَرُ
 فَلِيَحْيَى مَحْمُودَ الْوَفَاءِ لَجَارِهِ
 قُطِرَ الْعِرَاقُ بِكُلِّ يَوْمٍ أَعْبَرَ
 فَبِمَا أَتَى مِنْ صَنْعَةِ الْمَحْمُودِ إِنْ
 قَمْنَا نُبَاهِي مِنْ يَبَاهِي نَفْخَرُ
 سَتَظَلُّ فِي تَارِيخِهِ أَعْمَالُهُ
 بِيضَ الصَّحَائِفِ نَيِّرَاتِ الْأَسْطُرِ
 وَإِذَا اتَّهَمْتُ بِمَدْحِهِ لِحَبِّتِي
 وَلَكُونِ عَنَصُرٍ سَاكِنِيهِ عَنَصُرِي
 فَالْمَنْصِفُونَ مِنَ الْوَرَى مَا فِيهِمْ
 مَنْ لَمْ يُجَلِّ صَنْيَعَهُ أَوْ يُكْبِرُ
 وَالْفَضْلُ حَتَّى مِنْ أَعَادِي أَهْلِهِ
 إِنْ شَاءَ جَاءَ بِمَنْصِفٍ وَمَقْدَرٍ
 فَمَتَى أَرَدْتَ مَسْرَّتِي فَادْرُ عَلَى

(١) بيشة: موضع اشتهر بوجود الأسود فيه.

(٢) الأسد المخدر: الذي لزم خدره أي عرينه.

سَمِعِي أَكْؤُسَ ذِكْرِهِ أَسْتَبْشِرِ
وَتَنَاسَ مَا أَبَدْتَهُ مِصْرُ لِأَخْتِهَا
فَمَتَى تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ أَسْتَعْبِرِ
الْمِثْلَ هَذَا الْخَطْبِ تُسَلِّمُ أَخْتَهَا
أَخْتُ وَوَجْهَ الْعَوْنِ لَمْ يَتَسَوَّرِ
يَا لَيْتَ غَائِبَ مِصْرَ عَنَّا لَمْ يَغِبْ
أَوْ لَيْتَ حَاضِرَهَا لَنَا لَمْ يَحْضُرِ
لَوْلَمْ يَغِبْ يَا مِصْرُ «سَعْدُكَ» مَا أَتَى
«نَحَّاسُكَ» الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يُشْكَرِ
أَيَّرِي فَلَسْطَيْنِ الْعَزِيزَةَ تَشْتَكِي
ظُلْمَ الطَّغَاةِ وَلَمْ يُعِنْ أَوْ يَنْصُرِ
هَيْهَاتَ مَا سَعَدُ بَتَارِكِ مِثْلِهَا
فِي كَفِّ وَحْشِيِّ السِّيَاسَةِ بَرِّيْرِي
إِنِّي لِأَذْكَرُهُ فَبِأَبْكَ عَهْدَهُ
عَهْدَ الْوَفَاءِ الْمُسْتَقِيمِ لِعِشْرِي
وَأَقُولُ يَا مِصْرُ اسْتَجِيدِي مِثْلَهُ
وَاسْتَوْزِرِي إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَوْزِرِي
يَا مِصْرُ أَمْسِ رِبْحَتِ كُلِّ قَلْبُونَا
وَالْيَوْمَ لَمْ تَرْضَيْ سِوَى أَنْ تَخْسِرِي
يَا مِصْرُ مَا هَذَا بِخَطَّةِ حَازِمِ
فَتَأْمَلِي مَا جِئْتَهُ وَتَدْبِرِي
يَا مِصْرُ تُؤْبِي مِنْ ذَنْبِكَ وَأَنْدَمِي
نَدْمًا يُبَدِّدُ إِثْمَهَا وَاسْتَغْفِرِي
فَعَلَى الْعِتَابِ قَلْبُونَا مَفْتُوحَةٌ
لَكَ بَعْدُ لَمْ تُوصِدْ وَلَمْ تَتَغَيَّرِ
فَأُتْرَجِعِي مِنْهَا مَكَانَكَ قَبْلَ أَنْ

تَرِي الرجوعَ إليه غيرَ مُيسَّر
إن تَحْسَرِينَا تفتحي من بَعْدِنَا
أبدًا على الأعداء عَيْنِي أَعْوَر
يا مصرُ أحداثُ الزمان كثيرةٌ
ولهنَّ مثلٌ وداذنا لم يُذْخِر
ولئن نسيتِ وفاءنا في كلِّ ما
يُنسي الشقيقَ شقيقه فتذْكَرِي
يا مصرُ ما شرُّ التَّنْكَرِ عائدٌ
فيما أراه على سوى المتَّنْكَرِ



وأخْصُ بالشُّكْرِ الذين أبوا لنا
إلا المعونةَ عن هدىً وتبصُّر
من كلِّ حُرِّ في حَشَاكِ وقلْبِه
لم يَفْسُ قسوةَ قلبكِ المتَحَجِّرِ
أشْجَاهُمْ مُشْجِي العروبةَ فانبِروا
عونًا لها في الحادثِ المتوعِّرِ
مهما ذكرتهم ومِرْجَلُ غَضْبَتِي
يغلي يَهِنُ غليانهُ أو يَفْتُرِ



أبدًا فلسطينُ ستبقى مقلَّةً
ولها كرامُ العُربِ أكرمُ مَحْجَرِ
هي لاهتمامِ الكلِّ منهم موضعُ
مخزِيئهم في ذاك مثلُ الحِمِّيَرِي
من كلِّ من عَدَّ المنيَّةَ مُنيَّةً
ما بين أبيضَ للحفاظِ وأسمَرِ
قومٌ إذا الهيجاءُ قامت سوقُها

فببائعِ منهم تَروُجُ ومُشْتَرِ
هم خيرُ إنسِ السَّلمِ لكن حَرِبَهُمْ
تُشْقِي العَدُوَّ بِشَرِّ جِنَّةِ عَيْقُرِ
وإذا شككتَ فسَلْ طِوالِ حروبِهِم
وقِصارِها عن بأسِهِم واستخْبِرِ
منهم فلسطينُ ستحظى ما اشتكتُ
نَجَسَ اليهودِ بغاسِلِ ومُطَهِّرِ
فمتى بنو صُهيونَ نادوا كيدَهُم
جبنًا بالسنَّةِ النُّضارِ الأصْفَرِ
شَغَلُوا كجاري العادِ عنهم سَمْعَهُ
بضجيجِ ألسنةِ الحديدِ الأخضرِ
أما الصهاينةُ الخِساسِ فخَوْضُهُم
نارَ الوغى بنفوسِهِم لم يُقَدِّرِ
فعلى سوى الجُبْنِ الدِّمِيمِ نفوسُهُم
- بدليلِ خُبْرِ طباعِها - لم تُفْطِرِ
ما من يخوضُ بنفسِهِ نارَ الوغى
مثل الذي يلقي الوغى بِمُسْحَرِ
فلتأمني كيدَ اليهودِ وشَرَّهُم
أرضَ العروبةِ باقياتِ الأعْصُرِ
فسيوفِ يعرَبٍ لم تُفَلِّ شِفارُها
ورماحِ يعرَبٍ بعدُ لم تتكسَّرِ
لا عاش من أحفادهِ من لم يَرحُ
للذَّبِّ عنكِ مشمَّرًا أو يُبْكَرِ

بين الأُنس والحزن^(١)

يا خالدَ الفضلِ في أشعارِهِ الغُررِ
رغم الأوتاي من الأحداثِ والغِيرِ
وباقِي الذُّكْرَةِ المُمثلي بكلِّ فَمٍ
إذا التقدّام أبلى جِدَّةَ الذُّكْرِ
لما سمعتُ بمنعاك الذي كَرَبْتُ
تأتي مرارتهُ مني على العُمُرِ
طَفِئْتُ بين زفيرٍ لا تنهينهُ
قوى اصطبّاري ودمعٍ غير مُنزَجِرِ
أصوغُ فيك رثاءً كلَّ ضامنةٍ
إشجاءً أفئدةِ الأفرادِ والزُمُرِ
أتعبتُ فكري في إحكامها فأنتُ
من أتمنِ الكَلِمِ المنظومِ ذي الخَطَرِ
لولا تَضَمُّنُها إشجاء سامعِها
لخالها نُظْمَتُ من أنفَسِ الدررِ

(١) المرحوم خالد الفرّج من أخلص أصدقاء الشاعر، وكان محل عمله في المملكة العربية السعودية، وقد اشترى له هناك قطعة أرض، ونشأ خلاف بينه وبين جاره على الحدود، أدى بهما إلى الترافع أمام قاضي المنطقة. فحكم لصالح خالد الفرّج، غير أن خصمه لم يقنع بحكم مما حدا به إلى الذهاب إلى الرياض للشكوى ضد القاضي وخالد الفرّج عند الملك عبدالعزيز السعود، فلما وصل الرياض، ودخل على الملك وشرح دعواه قال الملك «وصلتني الآن بريقة تفيد أن خالد الفرّج قد مات ولا يمكن عمل أي شيء الآن» قال الملك هذا لإسكات الرجل فقط.
غير أن مجلس الملك كان عامراً بالناس، فتناقلوا الخبر حتى وصل الكويت ووصل صقراً بالذات، فحزن على صديقه حزناً عميقاً، ورثاه بقصيدة رائعة. وبعد أيام قدم خالد الفرّج إلى الكويت، واتجه رأساً إلى بيت الشاعر، ودخل عليه، ولم يكذب عليه، فقال هذه القصيدة.

وحادثُ النَّعْيِ إِنْ يَغْرِسُ بِقَلْبِ فَتَى
حُزْنًا فغُرُّ مراثيه من التَّمَرِ
وقد لقيتُكَ حَيًّا والحياةُ لما
قد صُفِّتُهُ فيكَ موتٌ غيرُ منتظرِ
ففرحتي منك بالمحيا يساورها
حُزني لموتِ اللواتي أنجبتِ فِكْرِي
والحُزْنَ مني على هاتَا يُغالبُهُ
أنسي بكونِكَ حَيًّا بَعْدَ لم تَبِرِ
فبين أنسي وحزني من تَذَبُّبِهِ
حارَ الفؤادُ بليلٍ جِدُّ معتكِرِ
كلاهما اليوم قد مدَّ اليمينَ لكي
ما يستبدُّ بقلبي مدَّ مقتَسِرِ
جَدُّ الصِّراعِ وما أدري لأيهما
عُقْبَاهُ مَفْتَرَّةٌ عن طلعةِ الظُّفْرِ
ولو يُحِسَّانِ في جاري صراعِهِما
منِّي لَذا أو لهذا مَيْلَ منتَصِرِ
لَعَدُّ أَيُّهُما عنه أميلُ إلى
خصيمِهِ المَيْلَ ذنبًا غيرَ مغتَفَرِ
مصيبةٌ طارَدَتْها نعمةٌ عَظُمَتْ
ونعمةٌ لو نَجَّتْ من صَوْلَةِ الكَدَرِ
وليس يُمكنُ في العيشِ اشتراكُكُما
فهل تُخَلِّي لشعري ظلمةَ الحُفَرِ
والرأيُ عندكَ فاخترُ ما يلائمني
وإن تَبَرَّقَعَ وجهُ الحزمِ فاستَشِرِ

وأنت تعلم ما كل الزمان به
يُتاح راثٍ لذي فضلٍ من البَشَرِ
والعمرُ نقصانُهُ يحكي زيادتهُ
فإلطول منه لدى ذي اللُبِّ كالقِصَرِ
وإنما الفَرَقُ في الأعمار يُحدِثُهُ
تفاوتُ الناسِ في الباقِي من الأثرِ
وقد تركتَ من الآثارِ أخلادها
يا خالدَ السيرةِ الحسناءِ في السَّيرِ
رضيتُ أمسَ زهابَ الدمعِ فيك سُدَى
وما طغى من زفيرٍ جِدُّ مستعرِ
لكن أرى النفسَ تآبى أن يضيعَ رثًا
أطلتُ في نظمه تحت الدُّجى سَهْرِي
إلا متى تلتزمُ أن لا تموتَ إلى
أن أحتمي كأسَ موتي من يدِ القَدْرِ
كي آمنَ النَّعْيَ أُخْرَى المرَّتَيْنِ فقد
أتممتُ المرَّةَ الأولى به ضَرَرِي
وقد بدا وهني عن حَمَلٍ مُشْبِهِهِ
منذُ الكهولةِ أَشْفَتُ بي على الكِبَرِ
قد كان صبري على الأحزان يُسعدني
واليوم هَدَمَ شيبِي ركنَ مُصطَبَرِي
قد أَخْبَرَ الظَّنُّ أَنِّي إن حصلتُ على
شأؤٍ من السنِّ يرمي النفسَ بالخَوَرِ^(١)
أملٌ طولَ بقاءٍ مضعِفٍ فإذا
طولَ البقاءِ يُنافي صحَّةَ الخَبَرِ

(١) الشاؤ: الأمد.

فلم أزلُ ببقائِي مغرماً كَلِفاً
 وإن ثنى الشَّهْدَ في ذَوْقي إلى مَقْرِ (١)
 مالي أحبُّ حياةً أعمَلتْ يَدَها
 في نقضِ ما فَتَلَّتْهُ قَبْلُ من مِرْرِي (٢)
 لما كَبِرتُ غَدتُ للغدرِ مُبديَةً
 من حيثُ يبدو القَوَا في مُدَّةِ الصُّغرِ
 فَشَفَّ إحسانُها عن سُوءِها وغَدَا
 يَشِفُّ مَوْهُومٌ صافيها عن العَكْرِ
 أذُمَّها وأنا أخشى قَطِيعَتَها
 تناقضُ ليس بالخالي من العِبَرِ
 أهوى امتدادِ حياتي جاهداً وأرى
 أدنى تكاليفها يدعو إلى الضَّجَرِ
 ولو أتابعُ عقلي قلتُ عن مَلَلِ
 منها: أطلتِ زمانَ الوصلِ فاختصري
 وما انتفاعي بِمُرٍّ عادٍ يُشْرِقُني
 بكلِّ ما كان لي من سائغِ خَصِرِ (٣)
 لكن أطمعتُ طباعاً للنُّهي غَلَبَتْ
 والعقلُ تغلبُهُ مغرورَةُ الفِطْرِ
 العقلُ يَأبى سوى إرشادِ صاحبه
 لكن متى ما غزاهُ الطَّبِيعُ يَنْدَجِرِ
 وما خَطَا العقلُ بي في سُبُلِهِ فغَدتُ
 أقدامُ عقلي بطبيعي لَسَنَ بالعُتْرِ

(١) المقر: المر.

(٢) المرر: جمع مرة، وهي قوة الخلق وشدته.

فبين عقلي وطبعي من مشاكسةٍ
 ما لا أطيعُ تَلَافِي أمره العَسِيرِ
 ولستُ وحدي لا بل من سواي كذا
 لحكمةٍ قد يراها مُنعمُ النَّظَرِ
 نهوى الحياة ولو كانت مَصَوْرَةً
 للنَّاظرين لكانت أبشعَ الصُّورِ
 وعاد وامتقها يطوي جوانحه
 لها على شِدَّةِ البغضاءِ والحذرِ
 فما تأملتُها إلا وأبرزها
 لي الحِجاءُ بوجهٍ مُرهَبٍ نَكِرِ
 وما تشاغلْتُ عن كُنْهٍ لها اشتملتُ
 منه ضلوعي على أنكى من الإبرِ
 إلا تَأبَى أذاها فانثنتُ ولم
 يَفُضِّ التشاغُلُ لي شيئاً من الوَطَرِ
 وليس للشاعرِ الحسَّاسِ من سَنَنِ
 يُفَضِّي به من أذى المحيا إلى وَزْرِ
 فليت نفسي لم يُصبح لها جسدي
 مَعْنَى فظلُّ على الأباد كالْحَجَرِ^(١)
 فالحسُّ أحدثهُ فيَّ اجتماعُهُما
 فَجَرَ ضَيَّرِي ولولا الحسُّ لم أضَرِ
 جَلَّ الذي دفعتنني كفُّ قدرته
 ما بين نابك يا دنياي والظُّفَرِ
 ولم أُخَيِّرُ لأمرٍ ظَلْتُ أَجهلُهُ
 جهلَ البريَّةِ من بادٍ ومحتضِرِ

(١) المغنى: المنزل.

قد طال عن سِرِّهِ بَحْثِي وَاسْلُتْهُ
تَدَجُّوْا وَقَدْ يَتُّسْتُ نَفْسِي مِنَ السُّحْرِ
وَاصَلْتُ بَحْثِي عَنْهُ جَاهِدًا وَأَرَى
بَحْثِي يَعُودُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ الْهَذَرِ
سَبْحَانَ مَلْهَمِ نَفْسِي حُبِّ رُؤْيَيْهَا
وَجَهًا تَحَجَّبَ بِالضَّافِي مِنَ السُّتْرِ
دُنْيَايَ عُنْدَكَ بَادٍ فِي إِسَاءَةٍ مَن
إِلَيْكَ لَمْ يَدُنْ عَنْ شَوْقٍ وَلَا خَيْرِ
وَإِنَّمَا زَارَ مَدْفُوعًا وَمُنْيَتُهُ
مَنْذُ الْأَقْبَا أَنَّهُ إِيَّاكَ لَمْ يَزُرْ
وَمَنْ يَزُرْ وَهُوَ لَا يَهْوَى الْمَزُورَ يَكُنْ
بِمَا يُحِبُّ مِنَ الْإِكْرَامِ غَيْرَ حَرِي
وَرَدْتُ حَوْضَكَ مَضْطَرًّا فَأَحَدْتُ لِي
وَرُودَهُ مَا طَوَى نَفْسِي عَلَى حِرْرٍ^(١)
وَلَمْ أَجِدْ فَيْكَ مِنْ مَاءٍ بُرُودَتُهُ
تَشْفِي صَدَائِي فَهَلْ يَشْفِي الصَّدَى صَدْرِي
وَإِنْ تَكُنْ مِثْلَ هَذَا الدَّارِ أَجَلْتِي
فِيَا فَوَادِي اضْطَرِبْ حُزْنًا أَوْ أَنْفَطِرْ
وَلَسْتُ أَحْسَبُ هَذَا لَأَحَقًّا رَجُلًا
لَمْ يُعْطَ فَتَوْتِ لَطْفِي الْأُولَى وَلَمْ يُعَرِّ
فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ لَا يُجَنِّبَنِي
قَضَاؤُهُ سَقْرًا إِلَّا إِلَى سَقَرِ

(١) الحرر: جمع حرة، وهي العطش.

السكوت جواب

عابوا كما الحسدُ المذمومُ شاءَ لهم
يا صقرُ ما قلتَ من نثرٍ وأشعارِ
من كل ما يصطفيه سامعوه هوى
إن لم يكن سامعوه غيرَ أحرارِ
وأنتَ فيما نراهُ جدُّ مقتدرٍ
على المصنماتِ منهم كلُّ ثرثارِ
يقولُ ما لا يعيه فيك منتقداً
كيما تمدُّ إليه طرفَ إكبارِ
أطلتَ عنهم سكوتاً والسكوتُ به
مغفرٌ لهم بك من هاجٍ ومن زارِ
لم لم تقلُ مخرساتِ السننَا كرهتُ
مقالها الناسُ إلا بعضَ أعرارِ
تريحُ نفسك منهم والألى برموا
بكلِّ نظامٍ مبيتِ القولِ نشارِ
أسدُّ أدنى عنه حين يُنشِدُنِي
إيَّاهُ أم مارني عن نشره السَّاري^(١)
يستثقلُ القومُ جداً ما يقولُ كما
لو صكَّ أسماعهم رمياً بأحجارِ
وما تراهُ بهذا القولِ منطلقاً

(١) المارن: طرف الأنف. والنشر: الرائحة.

أواقفًا غيرَ تَيَّاهٍ وَفَخَّارٍ
يظنُّ أنَّ قِراطيسًا يُسَوِّدُهَا
بالحِبرِ تجعلُهُ مغبوطَ أَحْبَارِ
ولم تَنْزَلْ مِثْلَ ما قد كنتَ ذا كَلِمِ
ماضٍ كعزمك نَفَّاعِ وَضَرَّارِ
فقلتُ ما دام لي هذا فذو حَسَدِي
مستبَعِدٌ أن أراه غيرَ هَرَّارِ
تهيجُ عريضةَ الحُسَّادِ رُؤيتُهُم
فضلَ امرئٍ شامخِ الأخلاقِ سَوَّارِ
كما يهيجُ نُباحُ النابحاتِ سَنَا
ما في الدُّجَنَّةِ من شُهْبِ وَأَقْمَارِ
يكفي من الحَسَدِ الحُسَّادِ أن لهم
بين الجوانحِ منه مُسْعَرِ النارِ
فما انتقادُهُمُ المحسودَ بينهمُ
إلا مُناوِبُ شكوى جمرها الواري
وقلتُ ما قاله مثلي بمثلهمُ
لَمَّا عَراهُ بهم من دهرِهِ عارِ
(لو كُلُّ كلبٍ عوى أَلقمتَهُ حَجَرًا
لأصبحَ الصخرُ مَثقالاً بدينار)^(١)

(١) ينسب البيت إلى الشاعر التونسي علي الغراب الصفاقسي المتوفى عام ١٧٦٧م.

ردوا بي منهل الإنصاف^(١)

لَعَمْرِي أَوْ لَعَمْرُكُمْ أَرَانِي
لِتَعْدِيلِ الرَّوَيْتِ فِي اضْطِرَارِ
فَإِنْ عَدَلْتُمْ بِهِ فَذَلِكَ أَمْرٌ
لَهُ مِنْ عَدْلِكُمْ طَالَ انْتِظَارِي
سَابِقِي بَيْنَ مَخْمَصَةٍ وَعُزِّي
إِذَا لَمْ تُخْضِعُوا مَا مِنْهُ جَارِ
وَلَيْسَ بِضِعْفِهِ كُلُّ احْتِيَاجِي
يُسَدُّ وَلِلْغَلَاءِ الزَّنْدُ وَارِ
وَلَكِنْ كُلُّ مَطْلُوبٍ إِذَا مَا
تَجَاوَزْتَنِي إِلَى أَهْلِ الْيَسَارِ
رَدَدْتُ النَّفْسَ عَنْهُ إِلَى قُنُوعِ
عَلَيْهِ رُضْتُهَا وَإِلَى اصْطِبارِ
وَقَدْ لَا يُسْعِدَانِ - عَلَى غَلَاءِ
بِهِ لِحَا لِإِعْسَارِي - بَوَارِي
وَإِنْ أَخْسَرْتُهُمَا يَوْمًا فَإِنِّي
لَأَتَّعَسُ مِنْ شَكْوَى نُوبِ الْخَسَارِ
فَصَبْرِي وَالْقِنَاعَةُ مُذْ أَحْسَا
دُنُوَّ الْمَوْتِ كَانَا فِي جِذَارِ
وَمَا مَحْيَايَ بَعْدَهُمَا سِوَى مَا
أَحَازِرُ مِنْ مَصَائِبِي الْكِبَارِ

(١) قدم هذه القصيدة إلى مجلس دائرة معارف الكويت.

فقد كانا ملاذي كل يومٍ
على شرواي مرهوب المغار
ستتركني القناعة واصطباري
لخوفهما مشاهدة احتضاري
وشرح السر أنركه لئلا
أرى الموضوع شب عن الإطار
سلوا الآداب هل عدت نفسي
رعايتهن ليلى أو نهاري
فإن نسيت قلوبكم اجتهادي
لهن فهن منه على ادكار
وهل غير اجتهادي جر سقمي
إلي وشب شيب في عذاري
أبقى خادم الآداب حتى
يصادف موته جوعان عار
فتبقى بعد ميتتي المعالي
عليك الدهر يا وطني زوار
وهل نظرت إلى وطن مضيع
شبيهي عينها بسوى احتقار
إليك إليك يا ربّي اشتكائي
- على ري المواطن - من أوري
فما أجدى التشكّي عند قومي
وكلهم ليعرب أو نزار
كم استعطفت أوطاني بشعري
ولم يبرح بها فقري شعاري
كأن قلوب أوطاني إذا ما
شكوت الفقر كن من الحجار

وليس بلائقِ هـا ذاك حتى
ولو أني عليها اليوم طاري
فكيف وبنيها ما تم إلا
وأجدادي به بعض السواري
أما تني وكم أحييت فيها
عقولا متن بالحكم الكثار
فإن يحد ألو الأحقاد غرسا
بها لي غير من زور التمار
وشمس الظهر يحدّها ضرير
أخو جهل يجادل أو يماري
فحسبي الواقع المحسوس أيا
أمينات مكينات القرار
ستمكث معجبات كل حر
نمته أو ستنميه ديار
فشمس هداي في الأوطان أضحت
وليس على سناها من غبار
ألم أك في طليعة من دعوها
إلى ما للمعارف من منار
ولست أقول هذا القول فخرا
فلم أخلق محبا للفخار
ولكنني به سايرت فقرا
مضرا بالرزانة والوقار
وسوء الحال كم أدى وقورا
إلى ما لا يحب من الحوار
على أني لزم الحق فيما
نطقت لكم به والله داري

فإن رأيتِ الكويتُ حقوقَ صقري
حقيقاتٍ بصونٍ واعتبار
فقد رعتِ العُلا منهن فيما
ستُبرزُ وجههُ بعد التُّواري
وقد ثابته إلي وكلُّ ذنبٍ
جَننتُهُ عليٍّ يحويه اغتفاري
أقولُ وكسرُ قلبي اليومَ يرجو
برعيتكمُ الحصولَ على انجبار
ردوا بي منهلَ الإنصافِ عليّ
أرى بَرْدًا لأضلعي الحِرار
فَعَنَّهُ سابقوكمُ قد نأوا بي
لسرِّ لم يزلْ رهنَ السُّرار
ولستُ بطالب ما عشتُ عنه
- ليبقى خافيًا - رَفَعَ السُّتار

حكمة الله في كل شيء

أرى عقلي يخالف من رفاقي
عقولا حين تنظر في الأمور
فكم أمر يسبب لي اكتئابا
أراه عندهم سبب السُرور
وكم داعٍ إلى الأتنام عندي
لديهم عُدَّة داعية الأجرور
ومن عَجَبٍ مرافقتي رجالا
معاكستي لهم أمر ضروري
تلازمنا لأن البعض منا
إلى بعض به فقر الفقير
ولم يربط سوى الحاجات شخصا
بآخر من زيود أو عمور
فحاجة بعضنا للبعض كانت
بحكمة خالق الكون القدير
فحكمته أبت نيل التَّغاني
على جنسي أناث أو ذكور
وما إغناء كل عن سواه
عليه لو أراد من العسير
تعالى الله مُجري كل أمرٍ
بحكمته جليل أو حقير

متى ما شئتَ حَكَمْتَهُ تَجِدْهَا
بِكُلِّ صَغِيرٍ أَمْرٍ أَوْ كَبِيرٍ
فَمَا أَخَلَّتْ مِنَ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا
لِنَاظِرِهَا بِطَرْفِ حِجَا بَصِيرٍ
وَإِنْ خَفِيَتْ بِبَعْضِ الْأَمْرِ عَنَّا
وَكَانَتْ فِي سِوَاهُ عَلَى ظَهْرٍ
فَمَا يَنْفِي الْخَفَاءَ لَهَا وَجُودًا
فَكَمْ أَخْفَى التَّنَائِي مِنْ بُدُورٍ
وَكَالطَّرْفِ الْحِجَاءِ لَهُ حُدُودٌ
لِكُلِّ ضَمْنٍ دَائِرَةٍ حُصُورٍ
فَمَا عَقْلٌ يَحِيطُ بِكُلِّ سِرٍّ
عَلَى التَّحْدِيدِ بِالرَّأْسِ الصَّغِيرِ
وَحَسْبُكَ أَنْ يَقْيَسَ الْعَقْلُ مِنْهَا
حَاجِبَتَهَا عَلَى ذَاتِ السُّفُورِ
يَهُونُ عَلَيَّ سَخَطُكَ يَا جَلِيسِي
فَمَا عَنِّي بِهِ يَرْضَى ضَمِيرِي

هل أبصرت ذلاً في الصقور

وكم لي في الكويتِ أولو عداةٍ
بلا ذنبٍ صغيرٍ أو كبيرٍ
سوى أنني صريحُ القولِ حُرٌّ
يُترجمُ مقُولي ما في ضميري
ولمّا لم أجِدْ في الناسِ حُرّاً
يُعينُ على مِلِماتِ الأمورِ
نبذتُ الناسَ ظَهريّاً ورأيتُ
وناديتُ المَنونَ ألافَ زوري
فمثلي ما له في العيشِ خيرٌ
وهل في العيشِ خيرٌ للفقيرِ
أخاف إذا بقيتُ تَذلُّ نفسي
على طمعٍ لذي مالٍ كثيرِ
فتمنحهُ مدائِحَها اللواتي
تَعزُّ على الفرزدقِ أو جريرِ
فيجزيني على شعري شعيراً
ولستُ من البغالِ أو الحميرِ
ولكني - كما سُميتُ - صَقْرٌ
وهل أبصرتُ ذلاً في الصقورِ

العروضات^(١)

وما للعمي في العَرَضَاتِ أُنْسٌ
فأمدحُها بنظمٍ أو نَثِيرِ
وهل أُتُنِي على العَرَضَاتِ خَيْرًا
ولذتُّها خصوصًا للبصير

(١) العروضات من الألعاب الحربية التي ينظمها أهل الكويت في أيام الأعياد.

عبرة^(١)

قد انتصرتُ مصرُ فزادَ انتصارُها
مَفاخرَ شعبِ الضَّادِ يومَ فِخارِهِ
وأنشأَ هذا النصرُ - لا خَفَّ وطوؤُهُ
على لابِسي خِزِّي الزمانِ وعارِهِ
لكلِّ لبيبٍ في البريةِ عِبْرَةٌ
إلى مثلها فامتدَّ طَرْفُ اعتبارِهِ
وهل (إيدنُ) المغتَرُّ معتبرٌ بما
جَنَاهُ عليه اليومَ فرطُ اغترارِهِ
وهل عيشُ (موليه) سيعذَّبُ بعدَ ما
رمى نفسه حُمَقًا بسهمِ دمارِهِ

(١) نظمت هذه الأبيات يوم انقلب أصحاب الهجوم الثلاثي الأثيم على أعقابهم خائنين، في سنة ١٩٥٦م.

رثاء عبدالله بن خلف الدحيان

يعزُّ علينا فقدنا ذلك الحَبِرا
وإيداعنا جثمانه الطاهر القَبِرا
فلو طَلِبَتْ مِنَّا المنيَّةُ فديَّةً
فَدَيْتُ بِنَفْسِي ذلك العالَمَ الحُرَّا
طوت منه أيدي الموتِ أنفعَ عالِمِ
بعرفانه ما بيننا قد غدا بَدِرا
أضياء لطلاب الهدى منهج الهدى
ولم يَتَّركْ من ظلمةٍ فوقه سِتِرا
فأصبح من قد بات للحقِّ ساريًا
بإرشاده بين الورى يَحْمَدُ المَسْرِي
لقد فجعت منه الكويت بجامعِ
إلى نُصحِها الزهدَ الحقيقِيَّ والبِرَّا
فكان أبرَّ الناس بالناس رأفةً
وأزهدهم في جمعه البِيضَ والصُّفْرا
وكان مثالا للمبيرة صادقا
كما أنه في زهده آيةٌ غَرا
ولو لم يكن في زهده غيرَ كاذبِ
لخلى زوايا البيت مملوءةً وفُرا
فما شاقُّه إلا مَثْوِيَّةُ رَبِّه
إذا اشتاقت الناسُ اللُّجَيْنَ أو التُّبْرَا^(١)

(١) اللجين: الفضة، والتبر: الذهب.

على بذله فينا نفائسَ علمه
أبى أجرَةَ التعليمِ ينتظرُ الأجرَا
ذوى وجهه عن أن يُحابيَ قاضيًا
وأخلصَ منه السرُّ لله والجَهْرَا
فلم يخفِ الخصمانَ قطُّ مميلاً
عن الحقِّ يُبديه إلى رشوةٍ كبرى
فكلُّ عليهم أنه غيرُ وامقٍ
سوى الحقِّ حلوا طعمه كان أو مُراً^(١)
تَمَلَّكَ حُبُّ الحقِّ منه قيادَهُ
فلم يَقْفُ في الأحكامِ إلا له إثرا
سواءً لديه صاحبٌ ذيلَ ثروةٍ
ومن ألبسته كفُّ فاقته طمراً
يميلُ مع الحقِّ المبيينِ قضاؤه
إذا ما الرشا بالحكم ملنَ لمن أثرى
فإن خافِ خصمٌ مملقٌ ظلمَ غيره
فلا ظلمَ يخشاهُ لديه ولا جوراً
إذا استوعرَ القاضي من العدلِ مسلماً
رأيناهُ يومَ الفصلِ يستسهلُ الوعراً
وإن خذَلَ الحقُّ القضاةَ لرشوةٍ
فإن لديه العونَ للحقِّ والنصراً
فإن تكُ في الأرضِ القضاةُ كثيرةً
فإن الألى يحكونه أصبحوا نزراً
تخلصَ من أسْرِ المطامعِ قلبُهُ
على حينِ جمهورِ القلوبِ به أسرى
فإن نَبِكَ نَبِكَ النزاهةُ والتُّقى
ونَبِكَ القضاءُ العدلَ والعلمَ والطُّهرا

(١) وامق: محب

لقد خَرَقَتْ أيدي الزمانِ بفقدِهِ
رداءً جَرَرْنَا رُدْنَهُ بِرَهَةً فَخُرَا^(١)
وما كان عن أيدي الزمانِ انخِراقُهُ
فلا راقِعٌ يُـرجى له لا ولا فَـرَا
فمن يَدْخِرُ مِنَّا الدَمُوعَ لِنَكْبَةِ
فَقولوا له قد أن أن تَبْذُلَ الذُّخْرَا
فليس لدمعٍ مثلُ ذا الوقتِ سَاعَةً
تَوُمُّ به أوطاننا نكبةً غَبْرَا
فكلُّ الذي يَأْتِي به الدهرُ بعدما
رمانا بفقدِ الشيخِ نازلةً صُغْرَا
أبا خَلَفٍ مِنِّي عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ
يُفَاوِحُ مِنْهَا العَرَفُ أَخْلَاقَكَ الزُّهْرَا
فقد كنت تَلْقَانِي بِكلِّ حفاوةٍ
تَغْيِرُ مِنِّي الظَّنَّ والحَدْسَ والفِكْرَا
فمهما التَقِينَا أَنَسَ كَوْنِي بَائِسًا
وأحسب أن الأرضَ في قبضتِي طُرَا
فأبقي كَأَنِّي لم أكن ذلك الذي
يُعَانِي من الإقلالِ ما يقصمُ الظهْرَا
وَأَلْبِثُ - ما لم أُنْقَلِبْ عَنْكَ راجِعًا -
على خير ما ينسي أخا الفاقةِ الفُقْرَا
ويا ربما واسيتني ووصلتني
بما رَدَّ ضِرَاءَ المعيشةِ لي سِرَا
فما ظَفِرَتْ نَفْسِي سِوَاكَ بِعَالِمٍ
إِذَا زَرْتَهُ أَنَسَانِي البؤْسَ والخُرَا

(١) الردين: أصل الكم وطرف الكم الواسع.

فقد قلّ من يُبدي لي البشرَ وحدهُ
فكيف بمن يتلو بإرفادهِ البشرِ^(١)
فإن تك في الأفقِ السحائبُ جمّةً
فما كلُّ سحْبٍ ترسل البرقَ والقطرا
فعذري إن أجزعَ عليك ممهدٌ
وإن أنا لم أجزعَ عليك فلا عُذرا
فأنت الذي لقّنتني الصبرَ والأسى
وفقدك أنساني التأسّي والصبرِ^(٢)
بَكَتْكَ كما نبكيك مِلةً أحمدٍ
وأخرج منها مثلنا فقدك الصّدرا
فقد أصبحتُ كُتِبُ الدّيانةِ كلها
تشاطرنا أحزاننا ولها حَسْرَى
رَدَدْتَ عليها بعد موتِ حياتها
وأوسعتها من بعدِ طيِّ لها نَشْرَى
وواصلتها مستعذباً طعمَ وصلها
ليالي منها الكلُّ يستعذبُ الهَجْرَى
صَبَوْتَ لها حتى حسِبناك «عروة»
تحادثه ما بين طيَّاتها «عَفْرَى»^(٣)
أبا خلفٍ خالفت كلَّ مَزيّةٍ
محسّنةٍ منك الأحاديثِ والذُّكْرَى

(١) الإرفاد: العطاء.

(٢) الأسى: جمع الأسوة، وهي القدوة. والتأسّي: الاقتداء.

(٣) عروة: هو عروة بن حزام. وعفراء: محبوبته.

وضامنة أن لا يبيد جمالها
وكافلة منا عليها لك الشُّكرا
وأجمل مما أنت فينا مُخَلَّفٌ
من الذُّكرِ ما استقبَلتَهُ اليومَ في الأخرى
غدوتَ على ما الله يرضاهُ عاكفاً
وما زُغْتَ عنه يَمَنَةً قَطُّ أو يُسرى
وليس لدى اللهِ الكريمِ بخائبٍ
فتى راح في طاعاته يُنفِقُ العُمرا
عرفت من الدنيا الفناء فلم تَمِلْ
بسيرك عن أخراك نحو الدُّنا شَبِرا
فما كنت مغترباً بها وبحسنِها
ولو أنها جاءت سواك بها غُرا
رأت منك إذا جاءتك فاتنة الرُّوا
لتسبي منك العقلَ عن وصلها كبرا^(١)
فإن سُرَّ بالدنيا ونافدها الورى
فقلبك بالأخرى وخالدها سُرّاً
فرهدك في الدنيا وعاجلِها غداً
ولا شكَّ للأخرى وأجلِها مَهراً



«أبا يوسف» إن يَمْضِ خالِكُ فالورى
جميعاً إلى حيث انتهى أعملوا السَّيرا
تَبَصَّرْ تَجِدْ في كلِّ يومٍ وفودنا
إلى حيث سار الشيخ نازلةً تَتَّرى

(١) الرواء: حسن المنظر.

تَأْسٌ فَقَدَ يُجْدِي التَّأْسِيَّ أَخَا الْحِجَا
وَأَطْفَى بِمَاءِ الصَّبْرِ مِنْ حَزْنِكَ الْجَمْرَا
فَلَسْتَ لِفَقْدِ الشَّيْخِ وَحَدِّكَ جَازِعًا
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ فَقْدُهُ تَارِكٌ فَطُرَا^(١)
فَمَنْ يَصْطَبِرُ يُؤْجِرُ وَمَنْ يَأْبُ هَدَّةً
أَسَاهُ وَلَمْ يَقْلِبْ لُخَالِقِهِ أَمْرَا

(١) الفطر: الشق.

معلبات الأغذية^(١)

عجبتُ لصمتِ الصامتين عن الغدا
يُعَلَّبُ من تاريخِ تعليةِ صِفْرا
ويبقى حبيسًا في أوانيه مدةً
من الصعبِ أن يدري لها أحدٌ حِزْرا^(٢)
ويا ربما طالت فسببَ طولها
لأكله ما قد يزور به القبرا



دروا أن تاريخ المعلبٍ مُظْهرٌ
لناظره ما كان من عمره سِرا
وأن الذي منه قد امتدَّ عُمره
لدى من يحبُّون السلامة لا يُشْرى
فلم يُصدروه للزبون مؤرخًا
وإن جرَّ إهمالُ التواريخ ما جرَّ
يشاؤون من مال الزبون توفراً
لربحٍ وإن حازوه من عمره خُسْرا
عليه سطورٌ للدعاية جمَّةٌ
فلم لا نرى التاريخَ من بينها سَطْرا

(١) قالها في شهر مارس (أذار) ١٩٦٢ يطالب فيها البلدية أن تحظر الأغذية المعلبة إذا لم يكن على العبء تاريخ تعبئتها ليعرف القديم منها. وقد صدر فيما بعد من دائرة بلدية الكويت قرار يلزم بذلك.

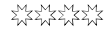
وهل أهملوا التاريخ إلا لأنهم
أرادوا بشاريه الخديعة والغدرا
وإلا فماذا قد أرادوا بترك ما
يُبَيِّنُ من أيامه الكُثْرَ والنُّزْرَا
وتركهم إياه يتركُ نفسَ مَنْ
إليه به تمشي ضرورته حيرى
فحاجتها للأخذِ منه وثوقها
وعنه اتقاء العتق يوسعها زجرا
فليس إلى اطمئنانها متبورا
لجِدَّتِه نهج فتتركه حسرى
وكم عرَضوا للبيع منه قديمه
مخافة الغاء له يقضب الوفرا
وما زال شِبْهًا للحديثِ أوانيا
كما أنه ما زال شِبْهًا له سِعرا
فیشريه من یشريه يجهل أن ما
به مر من وقت ثنى نفعه ضرا
وما لم يُورخ كيف يعلم كم أتى
عليه من الوقت المغير أو يدري
إذا لم يكن هذا هو الغش مُرديا
فلا علم لي بالغش يروى ولا حبرا
ويمتاز هذا الغش أن ليس يختفي
مريب محيا حياء ولا دُعرا
وهب أن ما منه تقادم لم يكن
ليقتل زيدا إن تعشا أو عمرا

فهل يطمئنُّ المرءُ يدخلُ جوفَهُ
غِذًا ليس يدري كم زمانٍ به مَرًّا
وهل لسكوتِ الطِبِّ عنه سريرةٌ
إذا أُعلِنَتْ كانت له عندنا عُذرا



لكلِّ امرئٍ يهوى الحياةَ تَرَدُّدٌ
إذا ما إلى استعمالٍ محفوظه اضْطُرًّا
أَكَلُ مِمَّا قد جهلتُ بقاءَهُ
بحافظه هذا أعامين أم شهرًا
يُقَلِّبُهُ وقتًا ويسألُ نفسه
أشراً ثناهُ العتقُ أم لم يزل خيراً
ويعرض عنه غالباً متخوفاً
تقادمهُ المجهول أن يجلبَ الشراً
كذلك كانت عادةُ الكلِّ منهم
إذا أعملوا في حَزْرٍ مُدَّتِهِ الفِكرُ
ومن لم يُجِلْ في حَزْرِها الفكرَ مُقَدِّمًا
على أكل ما فيه فقد يخسر العمرا
أضاع ولم يحفظ غِذاءً، مُصَدَّرٌ
حوافظ من تاريخ أعمارها قَفُرا
فعن سِرِّ إهمالِ التواريخ قد غَدَتْ
زبائنه سرًّا تُسائلُ أو جَهرا
فقد سألت ليلى عن السِّرِّ أختها
كما راح عنه خالدٌ سائلاً بَكرًا
لقد كُتِبَتْ فوق المِعلَبِ أسطرٌ
على ظهره من كُثْرِها تحجبُ الظُّهرا

وسطر لتاريخ المعلب واحد
يراه فيأباه معلبه نكرا
على أنه منها أهم مهمنا
إذا الحاجة استدعته في وجبة تطرا^(١)



سمعت فلاناً قائلاً لصديقه
أرى شريك الشاهي من حبه كثر
ولو قد مزجت الشاي بالدر لم تكن
ولو ساعة تستطيع عن شربه صبرا^(٢)
ولم تك إلا بين ملء كؤوسه
وابريقه لا بيننا تقطع الدهرا
وصرت مدى الأيام تعجب لامرئ
تيسر هذا عنده يشرب الخمر
فما كمزيج الشاي بالدر شهوة
تكاد تنسى المحتسي ريقه العذرا
ولذة هذا دون سكر منغص
ولذة شرب الخمر تستحب السكر
ومصدر جل الشر أو أصل كله
لدمنه السكر الذي يقتل الحجر^(٣)
وكان عسيراً أن ترى الدر دائماً
ولكن ثنى تعلبيهم عسره يسرا

(١) تطرا: مخففة من كلمة تطراً بمعنى تجيء فجأة.

(٢) الدر: اللبن.

(٣) الحجر: العقل.

ودونك منه علبه فافتتح بها
تعود شرب الشاي قد خالط الدرأ
وقطب مزوراً كما شاء غيظه
وقال ولم يبرح يُقَطَّبُ مُزُوراً^(١)
لِذِكْرِ مُبِينِ الْعُمَرِ مِنْ عُلْبِ الْغِذَا
مُعَلَّبِهَا مِنْ رِيْبَةِ سَامِهَا الْهَجْرَا
وما افتتر عن أمرٍ يريبُ فبُعدنا
إذا ما خشينا الشرَّ عنه بنا أحرى
أنحشى بما يُجوي البطونَ تهاوناً
بصحَّتِنَا كَلَّا فمِنه لها نَبْرَا^(٢)

(١) ازور: انصرف. والمزور: المنصرف.

(٢) نبرا: مخففة من «نبراً».

نشوة الحب

عذّلوني على اندفاعي مع الحُ
بُ كَأَنِّي اندفعتُ مَعَهُ اخْتِيَارَا
جَهْلَ الْعَاذِلُونَ أَنِّي أَتِ
في غرامي ما بيَ اضْطَرُّ اضْطِرَارَا
فَأَطَالُوا فِي عَذْلِهِمْ فِيهِ سِرًّا
ثم جاؤوا بالعذلِ نحوِي جِهَارَا
ثم عادوا باليأس من أن يَرَوْا لي
عن حبيبي تسليًّا واصْطِبَارَا
يئس العاذلون مني فقالوا
لومُ هذا الفتى نراهُ خَسَارَا
ما عسانا نفيد بالعذل صَبًّا
قام دون النُّهْيِ هَوَاهُ سِتَارَا
فسواءٌ لديه عذلٌ وعُذْرُ
مُدُّ وِراءِ الهوى حِجَاهُ تَوَارِي
عاد ممن ثنيتهم شِدَّةُ الحُ
بُ سُكَّارِي وَمَا هُمْ بِسُكَّارِي
صَدَقَ الْعَاذِلُونَ إِنِّي لِنَشْوَا
نُ وَمَا إِنْ حَسَوْتُ قَطُّ عَقَارَا
غَيْرَ أَنْ الهوى أَدَارَ كَوْوَسًّا
مترعاتٍ منه علي كِبَارَا

فشربتُ الكؤوسَ كأسًا فكأسًا
مستطيبًا سلافهنَّ اغترارا
إذ أنا والحبيبُ من فرطِ قُرْبِ
ودنُو كالإصبعينِ جوارا
لم أخلهُ إذ ذاكِ يَصْدِفُ عني
طوع زور الوشاةِ يومًا نِفارا^(١)
فأتته الوشاةُ عني بما لم
أقترفه ففرَّ مني فرارا
عندما قد غدوتُ أعظمَ من تَدُّ
ظُرِّ عَيْنانِ سكرةً وخُمارا
ليتَ أنِّي أعددتُ يومَ اندفاعي
في هَوَاهُ مع اندفاعي حِذارا
فهواه من بعدِ ما كان بالوصد
ل حياةً بالقطع عاد بوارا
كنتُ من أحزم الأنام ولكن
ضاع حزمي فيما أتى أقدارا
ما حذارُ اللبيبِ والقدرُ المحد
توم يمضي ما شاء فيه اقتيسارا
يا ثِقَاتِي وكُلُّكُمْ ما أراني
عن وفاءٍ في النائباتِ أزوارا
كنتُ منذ اختبرتُ منكم كرامًا
أوفياءً أصونُكم أنْخارا

(١) صدف: أعرض وصد.

فأعينوا على الغرام فهذا
يوم احتاج إخوتي أنصارا
قد رأيتم من حالتي ما رأيتم
فاشرحوها عند الحبيب سرارا
وعرفتم مني الوفاء بعهدي
فصِفوا عنده وفائي اختصارا
وانقُضوا ما أمرُّ من سبب التف
ريق كيد الوشاة بي إمرارا
وامزجوا وصفَ سوءِ حالي بدمعٍ
قاطعٍ وصفَها عليكم مرارا
واستثيروا بين الدموع إذا ما
ثمَّ سألت من التنهَّد نارا
وألينوا مقالكم وأطيبوا
توقعوا لي من عطفه ما طارا
واتَّقوا ما استطعتم رُقباءً
ألَبَسُوهُ الْأَنْظَارَ مِنْهُمْ إطارا
ولأنتم أجَلُّ من أن يرى المُرُّ
سلِّ فيكم إلى الوصايا افتقارا
غير أنني من سَكْرَةِ الْحُبِّ أَمَسْتُ
عريداتي كما سمعتم كِثَارًا^(١)
لستُ أوصي لولا ذُهولي منكم
حكماً نَدَبْتُهُمْ أَخِيَارًا

(١) الكفار: الكثير.

فَدَعُوا عَنْكُمْ الْوَصَايَا وَأَدُّوا
كَيْفَ شِئْتُمْ عَنِّي لَهُ الْأَخْبَارَا
وَلْتَقُولُوا مَا قَدْ ظَنَنْتُمْ مِنَ الْقَوُ
لِ مَعِيداً مِنْ كَسْرِ قَلْبِي أَنْجَبَارَا
فَقَدِيمًا عَرَفْتُ فِيكُمْ عَلَى رَ
دُ النَّوَائِي مِنَ الْقُلُوبِ اقْتِدَارَا

الدين من دعوهم بريء^(١)

كُلُّمَّا زَارْنَا مُعَمَّمٌ سَوْءٌ
رَدًّا مَنْظُومَ شَمَلِنَا مَنْثُورَا
وَتَّنَانَا إِلَى شِقَاقٍ مَبِيدٍ
بِاسْمِ دِينِ الْإِلَهِ مَيِّنَّا وَزُورَا^(٢)
لِيَسُوقَ الشَّقَاقَ مِنَّا إِلَيْهِ
مَا رَجَاهُ مِنْ رِفْدِنَا مَوْفُورَا
مُسْتَعِينًا بِالْجَهْلِ مِنَّا عَلَى مَا
نَحْنُ نَلْقَى عُقْبَاهُ شَرًّا كَبِيرَا
كَالَّذِي أَمَسَ زَارْنَا فَتَنَى الْبَعْدَ
خَصَّ عَلَى الْبَعْضِ مُوَعَّرِينَ صُدُورَا
أَوْسَعَ الْمَصْلُوحِينَ مِنْ كُلِّ حَرٍّ
صَادِقِ النَّصِيحِ مُؤْمِنِ تَكْفِيرَا
مَلْقِيًّا فِي الْعَقُولِ مِنْ كُلِّ مَا يُثْ
مَرُّ سُمَّاً يُمَيِّتُهُنَّ بُذُورَا
ثُمَّ وَلَّى وَلِلْسُّوَادِ قَلُوبٌ
مُخْضَمَرَاتٌ لِلْمَصْلُوحِينَ شُرُورَا
مُثَقَّلَ الْجَيْبِ بِالْأُجَيْنِ وَبِالتَّبْ
رِ غَنِيًّا مُسْتَبْشِرًا مَسْرُورَا

(١) قالها في ٧ صفر ١٣٦٠ - ٥ مارس ١٩٤١ وقد كان يزور الكويت سابقاً بعض المعتمدين الذين يتخذون من بيوت الله منطلقاً لأباطيلهم التي لم تكن من الدين في شيء، فيحرمون طلب العلم، ويكفرون من يعني بتعليم أبنائه باعتبار أن العلوم الحديثة سبيل معبد إلى الكفر. وكان الشاعر صقر الشبيب ممن شن الحرب الشعواء على هؤلاء.

(٢) المين: الكذب.

هو يدري أن الجهالة لولا
ها لأمسى فينا ذليلاً حقيراً
فلهذا باسم الديانة قد كا
ن على العلم في الكويت مُغيراً
حَرَمَ العلمَ زاعماً أن فيه
لذويه بعد الممات سعيراً
فأضلَّ السَّوادَ مِنَّا جميعاً
عن طريق الهدى ضلالاً مُبيرا
وأعادت تَقَدُّمَ القومِ منه
كلماتُ نارِيةٍ تأخيرا
لهفَ نفسي على سوادِ أراهُ
بأباطيلِ خادعٍ مفرورا
خدعتُه تلك الأباطيلُ حتى
صار يُبدي من مرشديه نفورا
قد رأى نورَ مُرشديه ظلاماً
ورأى ظلمةَ المُضللِ نورا
أيها الغادرُ المُغررُ بالقو
م ألم يُؤتِكَ إلهُ ضَمَمِيرا
أم أمتٌ الضميرَ ظلماً لتشقى
به دهماؤنا شقاءً عسيرا
أمنَ الدين أن تردَّ ضريراً
كلَّ عقلٍ قد كان يضحى بصيرا
لا لعمري ما الدينُ ما جئتَ لكن
حبُّ دنياك حَسَنَ التزويرا
فاتَّقِ اللهَ في السوادِ وأحدِثْ
لفسادِ أحدثته تغويرا

فَعَلَى كَيْدِكَ الْحِسَابُ مِنَ الدِّ
هِ سَيَأْتِي غَدًا عَسِيرًا مَرِيرًا
وَإِذَا لَمْ تَكُنْ تَخَافُ الْهَبَا
عَدْلُهُ غَيْرُ مَهْمِلٍ شَرِيرًا
فَاتَّقِ النَّاشِئِينَ مِنَّا إِذَا مَا
فِي الَّذِي جِئْتَ أَعْمَلُوا التَّفَكِيرَا
فَخِلَالَ الرَّمَادِ نَارٌ وَقَدْ أُورِ
شَكَ عَنْهَا رَمَادُهَا أَنْ يَطِيرَا
سَتَرِي مِنْهُمْ جِزَاءً مُطِيلًا
عِضُّكَ الْكَفِّ نَادِمًا مُحْسِرَا
فَالْمَتَابَ الْمَتَابَ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ
لَا يَكُونُ الْحِسَابُ فِيهِ يَسِيرَا
قَدْ سَقَيْتِ السَّوَادَ أَمْسَ عَقَارًا
تُنَّتِ الْحَيَّ مِنْ نُهَاهُ عَقِيرَا
فَغَدَا بَيْنَنَا يُعْرَبُ حَتَّى
لَتَأْتِيَ الصَّاحُونَ مِنْهُ كَثِيرَا
وَطَلَبْنَا إِصْحَاءَهُ فَاثْنَيْنَا
لَا نَرَى بَيْنَنَا عَلَيْهِ قَدِيرَا
وَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ يُصَحِّهِ إِلَّا
مَنْ عَلَيْهِ لَلْكَأْسُ كَانَ مُدِيرَا
فَاسْقِهِ الْيَوْمَ عَكْسَ مَا كُنْتَ تَسْقِي
هِ تَكُنْ بَعْدَ ذَمِّنا مَشْكُورَا

دعوة إلى الإحسان

يا من له جِدَّةٌ عن حاجةٍ فَضَلَتْ
ألا تُغِيثُ بشيءٍ شاكِي العَوَزِ؟^(١)
وخيرُ مالٍ الفتى ما راح ينفقُه
على الضُّعافِ من الأيتامِ والعُجْزِ
من حاز مالاً ولم يحسنْ فذاك فتى
من ماله ما خلا مَشَقاهُ لم يَحْزِ
لورُزَّتْ بَخْلِكَ والإحسانَ مختبراً
بالعقلِ لم تكُ إلا محسناً فَرُزِ^(٢)
فالعقلُ يُخْبِرُ أنَّ المالَ في يدِ مَنْ
يحويه تخليدهُ الموموقُ لم يَجْزِ
وأنَّ كُلاً سَيُجْزَى حسبَ ما عملت
يداهُ إن لم يكن ممن مَضَى وجُزِي
لم يعطكَ العقلُ مُعطيه لتهمله
فأسْتَهْدِهِ وتَتَّبِعْ إرشادهُ تَفْزِ
يا مُخْصِبَ المالِ حتماً أنت منتقلٌ
عنها إلى جدثٍ أو حالةٍ جُرْزِ^(٣)

(١) الجدة: السعة والغنى. والعوز: الفقر.

(٢) رازه: تأمله شيئاً بعد شيء ليحسن تقديره.

(٣) الجرز: الأرض غير المنبثة أو التي أكل نباتها.

فلو شَرَكْتَ بِخِصْبِ الْمَالِ مُجْدِبَهَا
لم تَعُدْ خُطَّةَ ذِي حِزْمٍ ولم تَجُزْ^(١)
كم مَكْثِرٍ لِحِزِّ أودَى وثروته
كانت لأعدائه كم مَكْثِرٍ لِحِزِّ^(٢)
وكم كَنُوزٍ من الأحياء فاجأه
خَطْبٌ فأبعده عن كل مَكْتَنَزِ
فصار بعد امتلاك الدرِّ يَغْبِطُ مَنْ
يراه يملك من زوراً من الخِرَزِ
وبعد ما كان للديباج مفترشاً
يودُّ لونا لمنسوجاً من الجِرَزِ^(٣)
عِظَاتُ دِهْرِكِ هَاتَا قالها علناً
والدهرُ ليس بذِي هَمْسٍ ولا ضَمَنِ^(٤)
وربما كنت إحداهما فلست بما
ملكْتَ من صَرْفِهِ الضاري بمحتَجَزِ

(١) لم تجز: لم تتجاوز.

(٢) اللحن: البخيل الشحيح.

(٣) الجرز: جمع جزة وهي ما يجز من صوف الشاة.

(٤) الضمن: السكوت.

جنون الحب

أَمَعَنْتُ فِي النَّفْرِ عَنِّي ظَبِيَّةُ
كَانَ بِالْأَمْسِ لَهَا حِجْرِي كِنَاسُ
فَاعْتَرَانِي مَا تَرَى مِنْ جِنَّةٍ
هَلْ لِمَجْنُونِ الْهَوَى تَعْرِفُ أَسُ
إِنِّي فِي حَاجَةٍ مَذْنُفَرْتُ
لَطَبِيبٍ حَانَقٍ طَبَّ مُوَاسِ
لَا تَقْلُ أُنَى لِأَعْمَى صَبْوَةٌ
أُذْنِي عَيْنِي وَهَلْ تَمَّ التَّبَاسِ
لَا تَلْمَنِي وَارْتَقِبْهَا صَفْعَةٌ
- إِنْ تَفَّهُ بِاللُّومِ - تُودِي بِالْحَوَاسِ
كَمْ فَتَى قَبْلَكَ وَافَى لِائِمَّا
كَادَ مِنْ صَفْعِيهِ يَمْضِي دُونَ رَاسِ
أَنَا لَا أَخْشَى قِصَاصًا صَافِعًا
مَا عَلَى الْمَجْنُونِ فِي الصَّفْعَةِ بَاسِ
مَا أَنَا أَوْلُّ مِنْ هَدِّ الْهَوَى
مَنْ نُهَاهُ ذُرُوتَيْهِ وَالْأَسَاسِ
لِي فِي الْقَيْسَيْنِ قَبْلِي أَسْوَةٌ
وَالْأَسَى قَبْدُمًا أَرَا حَتَّى كَلَّ أَسُ^(١)

(١) القيسان: قيس بن زريح الذي أحب لبنى، وقيس بن الملوح الذي أحب ليلى. والأسى: جمع أسوة وهي القدوة.

هَاتِ حَدَّثَنِي أَحَادِيثَ الْأُلَى
بِالْهُوَى جُنُّوا جُنُونِي فِي الْأُنَاسِ
عَلَّانِي أَظْفَرُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ
مَنْ جُذَا رَاحَةَ نَفْسِي بِاقْتِبَاسِ^(١)
فَاسَقَنِي صَرْفًا طَلَا آثَارِهِمْ
لَا تَشْبُ بِاللَّوْمِ مِنْ هَاتِيكَ كَاسِ^(٢)
لَيِّئًا قَبْلَ جُنُونِي كُنْتَ لِي
فَكُنَّ الْيَوْمَ كَعَهْدِي غَيْرَ قَاسِ
حَبِّذَا لَوْمُكَ لَوْ أَرْجُو بِهِ
لَجُنُونِ ثَارَ فِي رَأْسِي انْطِمَاسِ
أَوْ بِهِ طَرَفُ الْهُوَى بِي يَرْعَوِي
مُذْعِنًا بَعْدَ جِمَاحِ وَشِمَاسِ^(٣)
أَوْ بِهِ تُرْقَا دَمَوْعٌ لَمْ تَنْزَلْ
فَوْقَ خَدِي عَيْنُهَا ذَاتُ انْبِجَاسِ
أَوْ بِهِ أَنْزَعُ مِنْ ثَوْبِ الضَّنَى
مَا لَجُثْمَانِي تَرَاهِ الْيَوْمَ كَاسِ
أَوْ بِهِ يَغْشَى الْكَرَى لِي مَقْلَةً
لَمْ تَعُدْ تَذَكُرْ عَهْدًا لِلنُّعَاسِ
مُلْكُ حُسْنٍ لَمْ أُسْسُهُ جِنَّةً
أَيُّ مَجْنُونٍ لِمُلْكٍ كَانَ سَاسِ
وَأَظُنُّ الْعَقْلَ قَدْ عَاوَدَنِي
صَحْوَةَ النِّشْوَانِ مِنْ كَاسِ وَطَاسِ

(١) الجذا: جمع جذوة وهي ما يقتبس من النار.

(٢) الطلا: الخمر.

(٣) الشماس: الحران.

ودليلي أن قلبي مَسَّهُ
 نَدَمٌ أَوْجَعَهُ مِنْهُ الْمَسَّاسُ
 وعلى التفريط لم ألقَ امرءاً
 نادماً والعقلُ منه في اندراس
 فالتمس لي رجعةً فيه تَنَلُّ
 أوفَرَ الشكرِ وأحْسِنُ الإلتِماسَ
 واغرسِ المعروفَ عندي واثقاً
 أن سيِّجنيكَ التُّنَا ذاك الغراس
 لم أكاشفها غراماً ألبستُ
 منه مُضْنَى جسدي أضْفَى لباس
 ذاك أني عندها في مِقْوَلِي
 عن شكاتي حبَّها المُضني احتباس
 لا تقل أخفِ الهوى عن عاذلٍ
 أنا من إخفائه اليوم بياس
 كيف أخفي من غرامي ما له
 فوق مرآةٍ مُحْيَاي انعكاس
 كل هولٍ أنا قد مارستهُ
 باصطبارٍ مسعدٍ عند المِرَاس^(١)
 غيرَ هولِ البينِ فالصبرُ مضتُ
 شِدَّةُ الهولِ به عني اختلاس
 أه يا جَنَّةَ نفسي شِدَّ ما
 أبَدَلَ البينِ اغتباطي بابتئاس
 هل أرى لي بعد غسلي النوى
 مرةً في كوثرِ الوصلِ انغماس^(٢)

(١) مسعد: معين.

(٢) الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم.

لستُ في حالٍ كـ (صخرٍ) فأنَا
ما لي اليوم بأشجاني (خُناس)^(١)
فَصِلِي نُصِيحَ عَلَى حُكْمِ اللُّقَا
مطمئنين سعيدين جناس
وأجبيدي سَدُّ أذنيك إذا
ما التقينا عن وشاةٍ بي خِساس
قد أجنوا لي حُقوداً قَطَّعَتْ
منهمُ الاحشاءَ تقطيعَ المَواس
فاحذري أن تسمعي بي منهمُ
بعدما لي حيسٌ مَلَقَاكِ يُحاس^(٢)
وارحمني من أوسَعَتْ أَحشاءَهُ
صولَةُ الحزنِ لمنَاكِ افتراس
لا تخيسي بعهودٍ أبرمتُ
وانكري مرجعَ من بالعهد خاس

(١) صخر هو أخو الخنساء التي رثته بشعرها، وخناس هي الخنساء.

(٢) الحيس: طعام من تمر وسمن وسويق. وحاس الحيس: اتخذه.

دنيا

لحى الله دنيا لا أراها وفيه
لنوع من الأحياء فيها ولا جنس
فمهما استطاب الحي فيها معيشة
ثنتها عواديها إلى القلب والعكس
أنوح على من مات ممن أحبهم
كأني بسطر من خلودي في طرس
أغتر بالدنيا وما حملت فتى
على رأسها إلا وألقته للدعس^(١)
ولا وطدت أس السعادة لامرئ
فأبقت عواديها على ذلك الأس
وما غرست سكاؤها غرس غبطة
فكان هنيئا أكلمهم ثمر العرس
عجبت لمن عدوا وجود ذواتهم
بها نعمة من موجد الفرع والقس^(٢)
وما هو إلا نعمة صين سرها
وموجبها عن مبالغ العقل والحس
ولو لم يكن من أوجد الخلق ناقما
لما خلق الإحساس في الجسم والنفس
فأصل أذى الأحياء إحساسهم فلو
عدوا عادمية ما شكوا قط من بأس

(١) الدعس: الوطء بالقدم والدوس.

(٢) القس: الأصل.

فـيـا عـالـمَ الـلـاشـيءِ لـيـتـك مـضـمـري
 إلى غير شأوٍ مظهرٍ أبدَ العُجس^(١)
 فما عَدَمِي الماضي الذي مرَّ أزمناً
 لديّ بمعدودٍ من الغَبْنِ والبَحْس^(٢)
 فما زلتُ فيه سألماً من حوادثٍ
 تكادُ بإيماني تعود إلى اللُّبْسِ
 وما غيرَ إيماني أراه مبرداً
 بصدري نيراناً يضرّمها هجسي^(٣)
 ومهما رسا عنتتُ تزعزعُ ركنه
 شكوكٌ بقسمي قولها الجهرِ والهمس
 فأصبحتُ منها واجف القلب خائفاً
 ككلِّ لبيبٍ عالمٍ كنهها نطس^(٤)
 فإن أك قبل اليوم أجهلُ أنّها
 كأعدرٍ من تحوي من الجنِّ والإنس
 وأن لم ندرٍ من راحها قطُّ كأسها
 ولما تدسَّ السمُّ في تلكم الكأس
 فقد كنتُ ممن غرهم قبلُ حسنُها
 فأنسأهم من فتكها القبيح والفرس^(٥)
 فبُعداً لدنيا لا تني عن تَلَوْنِ
 لساكنها شرورٍ مُراقبةِ الشمس^(٦)

(١) العجس: جمع العجسة وهي سواد الليل. ويريد بقوله أبد العجس: طوال الليالي.

(٢) الهجس: ما يخطر في البال.

(٣) اللبس: الإشكال والشبهة.

(٤) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

(٥) الفرس: الافتراس، وهو معطوف على «فتكها».

(٦) مراقبة الشمس: يريد بها الحرباء. وشرواها: مثلها.

ولو قطعوا رأسي

تأملت أديان البرية كلها
فما ركنت إلا لإسلامها نفسي
وقد كان عن تقليد أمي ديانتني
فأصبح عن إرشاد عقلي والدري
فمذ كنت حتى اليوم ما زال ملتي
ولكن يومي فيه أحسن من أمسي
وما لي عن الإسلام ما عشت مرغب
إلى غيره حتى ولو قطعوا رأسي
أرغب عنه وهو أفضل عبدة
بها أنا معتد لحبسي في رمسي
على أنه سألواي عن كل فائت
من الحظ في دهر تفنن في بحسي
ولو لم يكن إسلام نفسي عزاءها
عرائي لضيق الحال ضرب من المس
وقد نسبت منه المروق معاشر
إلي بظن طائش السهم أو حدس^(١)
وبعض عزاء شكاً بصحة ملتي
إلي وإيماني بها ثابت الأُس
فيا ليت شعري ما يريدون بالذي
يذيعون من كفري المزور أو لبسي^(٢)

(١) الحدس: التخمين.

(٢) اللبس: الشبهة.

لماذا أصومُ الشهرَ إن كنتُ مارقاً
 وأخذُ نفسي بالحفاظِ على الخَمْسِ
 ولمْ عن حمى الإسلامِ أبعدُ خائفاً
 وقوعي فيه حينَ أصبحُ أو أمسي
 لقد علم الأقبامُ أنني مسلمٌ
 كإسلامهم لكنْ تعَجَّرُفَهُمْ مَنْسِي
 أعجبَ أقوامي مزيدي من الأذى
 فقالوا الذي قالوه بالقلبِ والعكسِ
 ألم يكفهمُ أنني لفقري فريسةٌ
 وأنْ لم يَزَلْ فوقِي بكُلِّ كَلِهٍ يُرسي
 وأني بأوطاني على الفلْسِ لم أكنُ
 لأحصلُ إلا بعد شوقٍ إلى الفلْسِ
 وبأربِّ يومٍ عزَّني فيه نَيْلُهُ
 فأعمَلْتُ في تحصيله حيلةَ النُّطْسِ
 فأمعنَ عني في الترفُّعِ والإبَا
 على أنه يُوطأ بنعلِ الفتى النُّكْسِ^(١)
 وربُّ فتى منهم غرستُ به الرجاءُ
 فلم أقتطفُ إلا الندامةَ من غرسي
 وكم صادٍ استسقى غمامَ قريحتي
 ثناءً وبني قد برَّحتُ علَّةُ الطُّلْسِ^(٢)
 فأمطرتهُ طُوعَ اضطراري راجياً
 مَثوبتهُ حتى غدا مترعَ الكأسِ
 وأنطقتُ فيه ألسنَ المدحِ ضِلَّةً
 ولولاي ظلَّلتُ وهي عنه من الخُرسِ

(١) النكس: الضعيف الذي لا خير فيه.

(٢) الطلس: الذئاب، وعلتها هي الجوع.

فكان جزائي منه: أحسنت، حاضراً
وكان حضوري من بوادره تُرسي
فلما افترقنا نال مني والتقى
بِعِرضِي من بهتانه الضرسُ بالضرس
وكنتُ على دهري أوملُ عونهُ
فصرتُ وملئي من معونته يآسي
وبتُ على شعيري وإجهادِ فكرتي
له ليلتي حتى بدت غرّة الشمس
أعضُ بناني نادماً متأسفاً
إلى أن خشيتُ العَضُ يُفقدني خمسي
فيا قوم ما هذا التغطرسُ والجفا
ودينكم ديني وجنسكم جنسي
على رسلكم فالإنس تفعل هكذا
بجنٍّ ولم تفعل كذا الجنُّ بالإنس
إلى الله أشكو جهرَةً من جفائك
وإن تغضبوا أسهب بشكواكم همسي
ولو ظلُّ في قوسِ اصطباري مَنْزَعُ
صبرتُ ولكن عَزَنِي مَنْزَعُ القوس
ولو لم يقيدني عمائي بينكم
لأعملتُ مذ حينٍ إلى غيركم عنسي^(١)
لعلِّي أن أحظى بقومٍ نزيههم
يعود له سعداً بهم كوكبُ النَّحس
يقول طبيبٌ جسَّ نبضي بعد ما
ترأى له دائي بواسطةِ الجسِّ

(١) العنس: الناقة.

أرى أن طولَ الحُزنِ داؤك فابْتَعِدْ
عن الحُزنِ واقْرُبْ ما استطعت من الأُنس
فقلتُ ومَنْ لي بابتعادِي عن الأُسى
وليس لظهرِ الفقرِ غيرِي من حُلُس
ومن لم يجد من عُسرِهِ قوتَ يومِهِ
فماذا لطرفِ الحُزنِ عن قلبهِ يُخْسي^(١)
فيا ربَّ يومٍ رحمتُ فيه من السُّوى
أشدُّ على كشحي حِزامًا من البِرْس^(٢)
ألا ماجدٌ عني يُنْفَسُ كربةً
تَبِيتُ وتُضحِي وهي تُمَعِنُ في لَسِي^(٣)
أطالت على خسفٍ مُمِضٌ - بموطني
على مشهدٍ من أمّتي كلُّها - حَبْسي
أنا اليومَ وحدي في الكويْتِ بماتِم
وكلُّ بنيها - غيرَ شخصي - في عُرْس

(١) يخسي: مخفف. يخسى بمعنى يجعل البصر كليا.

(٢) البرس: القطن.

(٣) اللس: اللبس والأكل.

عفواً وصفحاً^(١)

بالرغم مني كنتُ أمسٍ مُقصرّاً
في واجبي نحو الزعيمِ التونسي
والعفو منه أرتجيه فإن عفا
فالعفو من شيمِ اللبيبِ الكيسِ
والعقلُ في «عبدالعزیز» موقَّرُ
فلذاك من عفو له لم أياس
عفواً وصفحاً يا زعيمُ عن امرئٍ
بسوى الهمومِ حياته لم يكُتس
أعمى مُقلُّ جردته يدُ القضا
فإذا شككتَ فسلْ بذلك ملبسي
إني اعتزلتُ الناسَ لَمَّا لم أجدُ
حظَّ الضعيفِ سوى شَماتِ الأليسِ^(٢)
سلْ بي يُجيبوا أن صقراً مَيِّتُ
ما بيننا لكنه لم يُرمس^(٣)
هَذَا جـوابُهُمْ لأنِّي لابسُ
بيتي على حُكِّمِ الثيابِ الدُرسِ^(٤)

(١) لم يتمكن من حضور الحفل الذي أقيم للزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي في زيارته الأولى للكويت وفي سنة ١٣٤٧هـ، زار الثعالبي الكويت مرة ثانية فأقيم له حفل في مدرسة السعادة فقال هذه القصيدة وألقاها نيابة عنه الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف في هذا الحفل.

(٢) الأليس: القوي.

(٣) يرمس: يدفن في الرمس وهو القبر.

(٤) الدُرس: جمع دارسة وهي البالية التي لا تبين معالمها.

متحامياً نظراتٍ من لم ينظروا
 أبداً إليّ بغير طَرْفٍ أَشْوَسٍ^(١)
 يرمون عن قوس الأذى بسهامه
 ذا الفقر إن ينبس وإن لم ينبس^(٢)
 ويرون مَحْيَا المُعْسرينَ مِنَ الوري
 عَبَثًا، وإن كانوا كبارَ الأنفُس
 لا حق في المَحْيَا لديهم للذي
 في الأذن منه فَمُ الغِنَى لم يهَمِس
 فلذاك لَمَّا عَزَّنِي نيلُ الكُسا
 ما بين أقوامي اكتسيتُ بمجلسي
 حتى أتيتَ فجاء بي شوقي إلى
 لُقيا عَلائِكَ يا أَشَمَّ المعطس^(٣)
 إن كنتَ يا عبدَ العزيزِ إلى العُلا
 تسعى وللمجد الرفيع الأَقعس^(٤)
 فاهنأ فنجمُ علاك مرفوعٌ على
 شُهْبِ المعالي وهي شَمُّ الأروُس
 خلّدتَ في التاريخِ بيضَ صحائفِ
 لك، ما بها ليدِ البلى من مَلَمَس
 بجهودك اللّاتي نَمَمْنَ على هوى
 للعُربِ تُضمِرُ منه أنفُسَ مُنفسِ
 فَبَنو مَعَدٍّ ليس فيهم من فتى
 عن شكر مسعاك الحميدِ بأخرس

(١) اشوش: متكبر.

(٢) ينبس: ينطق.

(٣) المعطس: الأنف والأشم المرتفع، ويمدح فيقال: هو أشم الأنف.

(٤) الأقعس: الأعلى.

يُغْنِي ذَوِي الضَّادِ النَّفِيسَةَ ذَكَرَهُمْ
إِيَّاكَ عَنِ رِيحِ الصَّبَا الْمُتَنَفِّسِ
لَوْ كَانَ ذَكَرُكَ سَائِلًا لَمْ يَقْتَنِعْ
بِطِلَالِ سِوَاهُ مُغْرَمٌ بِالْأَكْوَسِ
أَهْتَزُّ إِذْ ذَكَرَكَ تَطَرَّقُ مَسْمَعِي
حَتَّى كَأَنِّي لِلْسُّلَافَةِ مُحْتَسِ
طَرِبًا لِعُورٍ خَلَائِقٍ أُودِعَتْهَا
كُلُّ الْفَخَارِ بِهِنَّ لِلْمُتَأَبِّسِ
لَوْ كَانَ لِلْبَحْرِ الْخِضَمُّ أَقْلُهَا
بِالْمَلْحِ كَانَ الْبَحْرُ لَمْ يَتَبَجَّسِ^(١)
لَا زِلْتَ فِي أَبْنَاءِ يَعْرَبَ إِنْ دَجَا
لَيْلُ الْخَطُوبِ عَلَيْهِمْ كَالْمَقْبَسِ
أَمَّا الْكُوَيْتُ فَلَا تَسْلُ عَنْ أَنْسِهَا
بِقُدُومِكَ الْمُؤَلِّي الْفَخَارِ الْمُؤَنَسِ
عَمَّتْ بِمَاتَاكَ الْكُوَيْتَ مَسْرَّةً
مِنْ أَخْمَصِي جِثْمَانِهَا لِلْقَوْنَسِ^(٢)
إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تُؤَسِّسَ بَيْنَنَا
فِيهَا الْوِئَامَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَسِّسِ
فَاغْرَسْ بِذُورِ هَوَى الْوِئَامِ فَإِنَّهُ
يَنْمُو فَيُجْنِي إِنْ بِكَفِّكَ يُغْرَسِ
وَأَزِلْ بِحِكْمَتِكَ الشُّقَاقَ فَلَمْ نَزَلْ
مِنْهُ لِشِقْوَتِنَا نَسِيرٌ بِحِنْدِسِ^(٣)

(١) يتبجس: يتفجر.

(٢) القونس: أعلى الرأس.

(٣) الحندس: الظلام.

إنا انقسمنا في الكويت كما تشا
 أهواء كلٍّ مَعَمِّ مُتَطَلِّسٍ^(١)
 فالخُلفُ منشؤه مطامعُ عصبيةٍ
 لسوى اصطيادِ المالِ لم تَتَقَلَّنَسِ^(٢)
 مَدَّوا من اسمِ الدينِ شرَّ حِبَالَةٍ
 للمالِ بالتفريقِ مَدَّ مُدَلِّسِ^(٣)
 فأمتِ ثَعَالِبَ كَيْدِ كُلِّ مُفَرِّقِ
 باسمِ الديانةِ من نُهَاكِ بَعْنَبَسِ^(٤)
 لولا أولئك لم يقطَّبُ بعَضُنَا
 في وجهِ بعضِ في الكويتِ ويعبسِ
 هل في صحيحِ الدينِ ما يدعو إلى
 مُردِي التفريقِ والتَّعادي المُتَّعِسِ؟
 كلا ولكنْ ناصبوه كَفَّةً
 عكَّسوه عمداً ويلهم من عكَّسِ^(٥)
 ما زال منهم في الكويتِ مُوسوسِ
 يدعو إلى التفريقِ إثرَ مُوسوسِ
 أنبأ بخيرٍ للكويتِ تَوَسُّمِي
 مأتى الزعيمِ التونسيِ وتَفَرُّسِي
 يا ويلنا إن لم نجدْهُ مَكْمُماً
 من خُلفنا أفواهَ أُسْدِ نُهَسِ^(٦)
 فمن الذي من بعدِ واحدِ تونسِ
 نرجو لإسكاتِ العوادي الرُّجَسِ

(١) متطلس: لايس الطيلسان.

(٢) تقلنس: لبس القلنسوة.

(٣) المدلس: الذي يخفي العيوب.

(٤) العنبس: الأسد.

(٥) كفة الصائد: الحباله التي يصطاد بها.

(٦) النهس: جمع ناهس وهو الذي يأخذ اللحم بمقدم أسنانه.

لِمَ لَا أَفْعَلُ^(١)

إِنِّي هَمَمْتُ بِأَنْ أَقْبِلَ أَنْمُلًا
رُكْبِنَ فِي يُمْنَى الزَّعِيمِ التُّونْسِيِّ
حَتَّى إِذَا مَا كَدْتُ أَحْظِي بِالَّذِي
فِيهِ لِنَفْسِي فَخَرُّهَا فِي الْأَنْفُسِ
عَنْ الْعِثَارِ لِطَرْفِ حَظِّي فَاثْنَى
بِي دُونَ غَايَةِ مَفْخَرٍ لِي أَفْعَسِ
لِمَ لَا أَقْبِلُ كَفَّ رَامٍ إِنْ رَمَى
هَدَفَ الْحَقِيقَةِ كَانَ خَيْرَ مَقْرُطِسٍ^(٢)
سَلَّ عَنْهُ «إِفْرَنْسَا» تُجِبُّ هَذَا شَجًّا
بِحَلُوقِ أَطْمَاعِي الْفِسَاحِ النَّهْسِ^(٣)

(١) حاول تقبيل يد الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي عندما عانقه ولكنه لم يمكنه من ذلك فقال هذه الأبيات.

(٢) قرطس: أصاب القرطاس أي الغرض.

(٣) النهس: الكثيرة النهس وهو الأخذ بمقدم الأسنان.

إن بحت أخلب^(١)

هذا وبين جوانحي ما بئته
إياك عني الآن خير منفس
لكنني إن بحت منه بالذي
أخفيه أخلب هاهنا وأضرس
فله سوى ذا الوقت وقت فلندع
مكتومه حتى فراغ المجلس

(١) ارتجل هذه الأبيات على أثر حديث دار بينه وبين بعض الكبراء.

الأحدث ينسي الأقدم^(١)

ما في «أوال» ولا في الساكنين بها
من موضع لهجا الهاجي ولا باسٍ
لو لم نجد ساكن «البحرين» تشغله
بأنسها عن محببته من الناس
هذا (ابن أحمد) لما أن توطئها
أنستته ذكري فأضحى وهو لي ناس
ولا ألوم امرءاً أنستته موطنه
إذا أتته سعيدياً بعد إتعاس
ينسي قتاد الفيافي من يعيش بها
ما في البساتين من وردٍ ومن أس
لكن ألوم الذي تنسيه ذا مقة
به من الودِّ مشدودٌ بأمراس^(٢)
إن سرَّ سرّاً وإن تُحزنه حادثة
أضحى يُشاطرهُ أحزانهُ آسي
عاطته كأسٍ وِدَادٍ حادثٍ فغدا
لها على نسي ماضي صحبتي حاسي
ألومه وهو بادي العذر بيئته
ودُّ بؤدٍ وإيناسٌ بإيناس

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه عبدالعزيز بن أحمد الرشيد وكان قد اتخذ من البحرين مقراً مؤقتاً له.
(٢) الأمراس: الحبال.

يُنسي الفتى أحدث الأهواء أقدمها
واللُدن يُنسي الهزارَ اليابسَ العاسي^(١)
لكن رجوتُ ملامَ الشيخِ ينشُرُ ما
من المزاحِ النَّوى أدنتُ لإخناس^(٢)
فقد ألفتُ مزاحَ الشيخِ عن كُتُبٍ
على انفرادي به أو بينَ جُلّاسي
وكان ذاك شِفاهًا بيننا فأبى
طيبَ اجتماعي بشيخي دهرِي القاسي
ولا سألُو عن المألوفِ يُذهلُني
ولو تمكَّنَ بي من عَوْدِهِ ياسي
فصرتُ أمزحُ طوعَ الشُّوقِ عن بُعدٍ
كما اقتضتهُ سخافاتي ووسواسي
من فاتهُ البينُ بالمحبوبِ أعجبهُ
من الطلولِ وقوفُ بينِ أدراس^(٣)
فاليوم دأبِي تمثيلي ممانحةً
كانت حقيقتُها مدعاةُ أعراس
تخيُّلُ الشيءِ يغني عن حقيقتهِ
لقائسِ ذين من سُخْفٍ بمقياس
وقد تُناني سخيْفَ الرأْيِ مُرُّ نوى
عبدالعزیز فسُخْفِي اليوم قسطاسي^(٤)
وقد يرى عجبًا مني ممانحتي
على المُشيبينِ تضييعي وإفلاسي

(٣) العاسي: الغليظ الصلب.

(٢) الإخناس: التأخير.

(٣) أدراس: جمع دارس وهو الذاهب الأثر.

(٤) القسطاس: الميزان.

إِنِّي وَإِنْ كَانَ تَضْيِيعِي وَمَتْرَبَّتِي
 عَلَى حَدَاثَةِ سَنِّي شَيْبَا رَاسِي
 مَعَ الْكَرِيمِ مِنَ الْأَصْحَابِ مَنْجَذِبٌ
 إِلَى الْمَزَاحِ بِطَبْعِي الرَّاسِخِ الرَّاسِي
 يَا مَنْ أَلَانَتْ لَهُ الْأَيَّامَ جَانِبَهَا
 مَا زَالَ دَهْرِي يَبْغِي خَنْقَ أَنْفَاسِي
 وَخَيْفَةً أَوْجَسَتْ نَفْسِي لِقَسْوَتِهِ
 وَالْجِدُّ لَمْ يَسْرَ عَنِّي ثَوْبَ إِجَاسِي^(١)
 لِذَا تَرَانِي هَجَرْتُ الْجِدَّ أَجْمَعَهُ
 حَتَّى أَتَاكَ بِمَزْحِي الْيَوْمَ قَرطَاسِي
 وَرَبَّمَا ضَحِكَ الْبَاكِي الَّذِي اصْطَدَمْتُ
 بِهِ مِنَ الدَّهْرِ أَضْرَاسُ بِأَضْرَاسِ
 إِنْ يَأْسُ دَهْرِي جُرُوحِي بِاقْتِرَابِكُمْ
 مَنَحْتُ دَهْرِي مَدِيحَ الْجَارِحِ الْآسِي^(٢)
 وَقَلْتُ لَا خَيْرَ فِي الْبَسَامِ عِنْدَ رَضَا
 وَعِنْدَ سَخَطِ تَرَاهُ غَيْرَ عَبَّاسِ^(٣)
 بِالْأَمْسِ دَهْرِي سَقَتْنِي الصَّابَ غَضِبَتُّهُ
 وَالْيَوْمَ شَهِدَا رِضَاهُ مَالئًا كَاسِي
 أَيْعَلُمُ الشَّيْخُ أَنِي مِنْ تَبَاعُودِهِ
 مَا زَلْتُ أَضْرِبُ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسِ
 وَهَلْ أَحْسُ الْفَتَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بِمَا
 نَوَاهُ مِنْ نَارِهَا أَذْكَتُّهُ إِحْسَاسِي

(١) أوجس إيجاساً: أحس وأضم.

(٢) آسا، يأسو: داوى.

(٣) عباس: كثير العبوس.

أَمْ أَنْ سَأَلْتَهُ إِيَّايَ أَسْعَدَهُ
وَعَنْهُ طَرَفُ سَأَلِي رَاجِعٌ خَاسِي^(١)
إِنْ يَسْأَلُ أَوْ لَا فَإِنِّي لَنْ أَزَالَ لَهُ
بِمَا يَحْبِبُكَ وَفَائِي رَافِلٌ كَاسٍ
لَا أَعْدَمُ اللَّهُ مِنْهُ الدِّينَ ذَا ثِقَةٍ
يُهْدِي إِلَيْهِ مُقْلًا خَيْرَ نَبْرَاسِ^(٢)
لَيْسَتْ مَجْلُتُهُ إِلَّا سِرَاجٌ هَدَى
بِكُلِّ لَيْلَةٍ شَكَّ ذَاتِ عَسْعَاسِ^(٣)
أَدْنَتْ إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ نُضْرَتَهَا
وَشَكَّ ذِي الشَّكِّ أَدْنَتْهُ لِإِيْبَاسِ

(١) خاسي: مخفف خاسئ كليل معيي.

(٢) النبراس: المصباح.

(٣) العسعاس: هنا الإظلام.

برؤك يصرف همي^(١)

ما كنتُ أحسبُ قريةً بجمالها
تُنسي الحبيبَ مُحِبَّهُ في الناسِ
حتى نسيتَ اليومَ مني ذاكرًا
لما اجتَلَيْتَ مَحاسِنَ «الفنطاس»
ما جاءني منك البشيرُ بصحةٍ
خلعتُ عليك اليومَ خيرَ لباسِ
إلا ابنُ خالدٍ الكريمُ تبرُّعًا
جُودَ الرياضِ بطيبِ الأنفاسِ
ولقد علمتَ بأنَّ بُرُوكَ صارفٌ
عني صنوفُ الهمِّ والوسواسِ
وإذا البشيرُ عليك عزٌّ فلم يكن
ليَعِزَّ بعثُ الحَبْرِ والقِرطاسِ
كَلَّا ولكن لو «تَفَنُّطَسَ» برهَةً
ماءٌ لأضحى وهو صخرٌ قاسِ
ما كنتَ ترضى يا سلالَةَ صالحٍ
قبلَ «التفنطُسِ» أن أظللُ بياسِ
فالذنبُ «للفنطاس» لا ازدهتِ الرُّيا
منها بحوذانٍ ولا بسباس^(٢)

(١) بعث بهذه القصيدة: إلى صديقه المرحوم أحمد المشاري، وكان في مزرعته في الفنطاس يستجم من وعكة أصابته.

(٢) الحوذان والبسباس: من النباتات.

إذ لم تكن قبل ارتباعك أرضها
- مفترّةً عن روضِها - لي ناس
فإلّيّ قبلَ الصيفِ يُغري ريحهُ
في نبتها المخضّرُ بالإيباس
فيجيئني إذ ذاك فضل مصيفها
بك أيُّها الناسي أو المُناسي
فيفوزُ دونك صيفُها بتشكُّري
في ردهِ نحوي أخا إيناسي
أحيا دنو الصيفِ - في أن نلتقي -
أملي الذي أريدتهُ بالإيباس

ظَنُّ جَمِيلًا بِاللَّهِ

وظَنُّيَ أَنْ اللّٰهَ عِنْدَكَ مَفْرُجٌ
وَشَيْكًا فَلَا تُنْزِلُ جَوَانِحَكَ الْيَأْسَا
فَمَا زِلْتَ مِمَّنْ يَبْذُلُ الْعُرْفَ مُحْسِنًا
إِلَى مَنْ عَلَيْهِ كَلِكُ الْفَقْرِ قَدْ أَرَسَى
وَرَبُّكَ لَمْ يُنْزِلْ بِذِي الْعُرْفِ شِدَّةً
لِيَجْعَلَهَا وَقْفًا عَلَيْهِ وَلَا حَبْسًا
وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِهَا رَافِعًا لَهُ
ذُرَى الْأَجْرِ أَوْ مِنْ أَجْرِهِ مَثْبِتًا أُسًّا
فَظَنُّ جَمِيلًا بِالَّذِي فِي فِضَائِهَا
إِذَا كُسِفَتْ شَمْسُ النَّهَارِ جَلَا الشَّمْسَا
وَلَمْ أَرَ كَالْإِحْسَانِ دَرَعًا مَنِيعَةً
تَقِي أَهْلَهَا وَقَعَ النُّوَابِ أَوْ تُرْسَا
فَكَمْ نَزَلَتْ بِالْمَحْسِنِينَ شِدَائِدُ
فَفَرَجَهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْدِسُوا حَدْسًا
وَمَنْ أَنْطَقَ الْأَحْدَاثَ وَهِيَ صَوَامِتُ
يَهْوَنُ عَلَيْهِ عِنْدَكَ إِرْجَاعُهَا خُرْسَا
وَلِلَّهِ فِيمَا يَفْعَلُ اللَّهُ حِكْمَةً
يَفُوتُ بِهَا كَتْمَانُهَا الْعَقْلَ وَالْحِسَّا
يَطِيفُ بِنَا سَعْدُ الْخَطُوبِ وَنَحْسُهَا
وَيَمْنَعُنَا تَعْلِيلُنَا السَّعْدَ وَالنَّحْسَا

إِذَا مَدَّ لِي الْمَقْدُورُ كَأْسًا شَرِبْتُهَا
وَلَوْ قَلَسْتُ فِيهَا أَرَاكُمُ قَلَسًا^(١)
أَحْسُ كَغَيْرِي طَعَمَهَا غَيْرَ عَالِمٍ
كَغَيْرِي أَيْضًا سِرًّا تَجْرِي عِيَّ الْكَأْسَا
وَأَعْرِضْ عَمَّا شَاقَ نَفْسِي وَرُودَهُ
كَمَا شَاقَ أَنْ يُبْقِيَ لَهَا صَخْرُهَا النَّحْسَا
فَأَخْذُ مَضْطَرًّا وَأَتْرُكُ مَرْغَمًا
وَيَصْبِحُ بِالْأَسْرَارِ جَهْلِي كَمَا أَمْسَى
هِنَاكَ أَهْدَافٌ كَثِيرَةٌ وَلَنْ يَرَى
لَهَا الْعَقْلُ سَهْمًا صَائِبًا لَا وَلَا قَوْسَا
يَطَاطِيءُ عَجْزًا رَأْسَهُ كُلُّ رَافِعٍ
لِتَعْلِيلِ صَنِعِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ الرَّأْسَا
إِلَى ظَلْمَةٍ مِنْ ظَلْمَةٍ يَخْرُجُ الْحَجَا
إِذَا ارْتَادَ هَاتِيكَ الْمَفَاوِزَ أَوْ عَسَا^(٢)

(١) قلس: خرج من بطنه إلى فمه طعام أو شراب ملء الفم. وقلست الكأس بالشراب: قذفته لفرط امتلائها.

(٢) عس: طاف بالليل.

إلى صديق الأمس

أَقْطَعُ بِرَهْمَةٍ خَلًّا، وَدَادِي
عَلَيْهِ قَبْلُ كَادَ يَكُونُ حَبْسًا
لَأَعْلَمَ هَلْ لِسَدِيهِ إِلَيَّ مَيَّلُ
كَمَيَّلِي نَحْوَهُ فَأَطِيبُ نَفْسًا
فَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيَّ رَسُولَ وَدِّ
خِلَالَ الْقَطْعِ أَنْسُ مِنْهُ أَنْسًا
وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مَكْتُوبًا يُرِينِي
بِأَنِّي عِنْدَهُ مَا كُنْتُ أَنْسِي
كَأَن لَمْ يَسْتَطِعْ إِسْرَالَ شَخْصٍ
وَلَمْ تَمْلُكَ يَمِينُ مِنْهُ طِرْسًا
وَلَمْ أَبْرَحْ عَلَى مَيَّلِي كَأَن لَمْ
أَجِدْ مِنْ أَن يَمِيلَ إِلَيَّ يَأْسًا
وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْ سَالِيَهُ فَمِنَّهُ
كَمَا شِئْتَ أَتَّهُمْ عَقْلًا وَحِسًّا
وَهَذَا آخِرُ الْأَقْوَالِ عِنْدِي
لِلْحَقِّ حَقٌّ مَحْضُ الْوُدِّ بَخْسًا
وَمَا قَوْلِي لَهُ إِنْ لَمْ يُجَدِّدْ
وَفَاءً مِنْ عَهْدِ الْوُدِّ دَرْسًا
سَأَبْقَى لِأَثَدًا بِالصَّبْرِ عَنْهُ
وَإِنْ أَفْنَى فَوَادِي الشُّوقِ نَهْسًا

فإن لم أستطِبْ زَمَنَ التَّجَافِي
تَجَرَّعَ مَا تُدِيرُ يَدَاهُ كَأَسَا
فَكَمْ لِي أَسْوَةٌ بَيْنَ الْبِرَايَا
وَقَدْ يُبْلِي الْأَسَى حُرًّا تَأْسَى
وَمَا أَحَدٌ عَلَى حَالٍ بِبِقَا
وَلَكِنْ حَائِلٌ سَعِدًا وَنَحْسًا^(١)
وَكَمْ حُزْنٍ تَكْشِفُ عَنْ سُرُورٍ
وَمَحَبُوبٍ بِهِ الْمَكْرُوهُ دُسًّا
وَمُلْسِ حَوَادِثٍ قَدْ عُدْنَ حُشْنًا
وَحُشْنِ حَوَادِثٍ قَدْ عُدْنَ مُلْسًا
فَلَا تَكُ لِلْبُكََا يَا جَفْنُ حِدْنًا
وَلَا تَكُ لِلْأَسَى يَا قَلْبُ حِلْسًا
فَمَنْ أَبْكَى وَأَحْزَنَ مِنْهُ عَيْنًا
وَقَلْبًا مَنْ تَخَلَّى عَنْهُ خَسًّا^(٢)
وَلَا تَقْتُلْكَ يَا نَفْسِي عَلَى مَنْ
تَجَافَى أَنْمُلَ الْحَسْرَاتِ جَسًّا
وَدُودِي بِأَصْطَبَارِكِ كُلِّ حَزْنٍ
بِكُلِّ كَلِهِ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَرْسَى
وَرَجِّي أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ لَطْفًا
نَوَاطِقَ الْأَسْنِ الْأَشْجَانَ حُرْسًا
فَقَدْ أُلْفِي مِنَ الْجَافِي بَدِيلًا
يَطِيْبُ لَدِيهِ بَذْرُ الْوُدِّ غَرْسًا

(١) حائل: متحول من حال إلى حال.

(٢) خس: نقص من القدر أو الوزن.

كما وجد البديل وكل خل
يرى لخليله في الناس جنسا
ولم ير من تبدل من صديق
بآخر غير وقع الذكـر بأسا
وللذكرى على الإلف اشتداد
إلى أجلٍ وبعد تـلـين مـسـا
لعل الله يـلـطـف بي فـالـقى
صديقاً مثل من فارقت نطسا^(١)
وليس يفوقه إلا بأن لا
يمل زيارتي مغدى وممسي
فقد فات العيوب صديق أمسي
سوى الملل المريه لقای تعسا
ومن يمدد بناء الود يوماً
على ود المـلـول انهد أسا
حناني الفكر أبحث عن دواعي
تجافيه فكدت أصير قوسا
ولم أعثر على ذنب ولكن
رأى سئماً ودادي الطهر رجسا
ومن سام المـلـول دوام ود
فذاك فتى بأيدي الخبل مسا
وقد أوجزت لا عيياً ولكن
مخافة أن أصدع منك رأسا
فمملول اللقاء يمل قولاً
ويعكس حظه حسناه عكسا

(١) النطس: العالم والطبيب الحاذق.

فلو بالدرُّ لا بالشعر وأفى
يُعَاتِبُ ديسَ ذاك الدرُّ دوسا
وما سُقَّتُ العتَابَ إليك إلا
لخوفي أنني أخطأتُ حدُّسا^(١)
فما قد كنتُ أحسبه ملاًلاً
ركبتُ لأجله الهجرانَ عنُّسا^(٢)
يَدُ منها أَطَلَّتْ المَدَّ تبغي
بها عندي اجتلاءً الودَّ لمسا
فلم يَعدِمَ تَوَارِدُ خَاطِرِينَا
نسيجاً حاكَّهُ الإمكانُ لبُّسا
ولولا ذاك ما عاتبتُ حتى
تُلامِسَ بي يمينُ الموتِ رمُّسا
فما أنا من يقيم على ودا
يرى في صفوه شكاً ولبُّسا

(١) الحدس: التخمين.

(٢) العنس: الناقة.

شكوى على باعة الغاز^(١)

يا بائعَ الغازِ رُبَّعَ الرُّبْعِ من مئةٍ
مما تَقُومُ به من دَقِّكَ الجَرَسَا
يؤذي وَيَزْعَجُ أَيَقَاطًا تمرُّ بهم
ويطرِدُ النُّومَ عن عَيْنِ الذي نَعَسَا
فكيفَ تحملُ هذا الدَّقُّ أَجمَعَهُ
هَامٌ ولو كُنَّ اصِلَادَ الصَّفَا المُلْسَا^(٢)
كأن دَقَّكَ دَقُّ ظَلٍّ يُسْمِعُنِي
مكروهَهُ قلبُ هذا الدَّهْرِ منذُ قَسَا
فلستُ أَغِيبُ ما جَلَّجَلتَ عن كَثْبِ
إِلا الأَصَمِّ وإِلا مِيَّتًا رُمِسَا
ما قاربَ البِرِّ رأسي من تصدُّعِهِ
إِلا ومَرَّ به شَرُوكَ فانتكسَا
أما هدوءُ أَعْيَصَابِي فلم أَرَهُ
منذُ استَهَلَّ من الأجراسِ ما خرسَا
لا أفقدُ اللهَ سَمْعِي غيرَ صحَّتِهِ
فكم أَحَالتَ أَسَى في نَفْسِي الأُنْسَا
ما ضَرَّ قَائِمَكُم بالمزعجاتِ لَنَا
لو أَنه ما دَنَا منها ولا لَمَسَا

(١) كان الشاعر تؤذيه الأصوات المنكرة، وكان من عادة بائعي الكيروسين أن يستعملوا لعرياتهم أجراساً تدق بصوت عال لإعلان أهل المنازل بوجودهم. وقد وجه الشاعر هذه القصيدة إلى مدير البلدية حينذاك المرحوم عبدالله الصالح الفلاح، فأصدر أمره بمنع استعمال الأجراس.

(٢) الأصداد: جمع الصلد وهو الصلب. والصفاء: الحجارة الصلبة.

لِمَ لَمْ تَكُنْ فِي سُقَاةِ الْمَاءِ أُسْوَتِكُمْ
فَنفَعُهُمْ لِبَذْرِ الضُّرِّ مَا غَرَسَا
يَبِيعُ مِنْ مَائِهِ مَا شَاءَ بَائِعُهُمْ
وَمَا ابْتَغَى جَرَسًا يَوْمًا وَلَا التَّمَسَا
لَوْ حَذَوْهُمْ قَدْ حَذَوْتُمْ لَمْ تَرَوْا أَحَدًا
إِذَا رَأَى بَعْضَكُمْ فِي شَارِعِ عَبَسَا
عَيْنُ الضَّرِيرِ الَّتِي تَهْدِيهِ مَسْمَعُهُ
وَكُلُّ ضَوْضَاءٍ لَيْلٌ عِنْدَهُ دَمَسَا
فَسَمِعَهُ غَيْرُ كَافٍ فِي هِدَايَتِهِ
مَا رَنَّ كَالْجَرَسِ الْمُؤَذِي وَمَا رَجَسَا
يَعُدُّ سَمْعُ ضَرِيرِ الْقَوْمِ هَدَاتَهُمْ
كَمَا تَعُدُّ الْعَيُونُ الشَّمْسَ وَالْقَبَسَا



حَقُّ لَنَا يَا شَبِيهِي فِي مَصِيبَتِهِ
أَنْ لَا يَضِجُوا وَهَذَا الْحَقُّ قَدْ بُخَسَا
قَلَّ لِلْمَدِيرِ عَنِ الْعُمَيَّانِ رَفَقَكَ إِنْ
خَفِنَا الْكَوَارِبَ مِنْهُ الْكُلُّ مَا يَنْسَا
فَنظَرَةٌ مِنْكَ نَرْجُو أَنْ يَلِينَ بِهَا
مَا اشْتَدَّ مِنْ كَرِبِنَا هَذَا وَمَا يَبْسَا
أَوْضِحْ لَنَا نَائِبًا عَنَّا شِدَائِدَ مَا
نَنْفَكَ نَصَلِي لَظِيٍّ مِنْهَا صَبَاحَ مَسَا
فَمَا الْبَصِيرُ مُجَسُّ كُلِّ مَوْجَعَةٍ
مِمَّا إِلَيْنَا بِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ أَسَا^(١)
عَيْنُ الْبَصِيرِ إِذَا مَا ضَجَّتْ عَرَضَتْ
أَغْنَتْهُ عَنِ أَدْنِ إِرْشَادِهَا التَّبَسَا

(١) أسَا: مخففة من أساء.

لذالك قد لا تراه شاكياً ضرراً
منها شكاهُ ضريراً حوله جأسا
فأنت من يوضحُ الأشياءَ إن غمضتُ
كُلَّ الوضوحِ لذي سمعِ إذا نَبَسا
فكم رَدَدتَ إذا أوضحتَ غامضَةً
إلى اليقينِ بها حدسُ الذي حَدَسا
أَلْمَسُهُ كُنْهَهُ مُلِمٌ ليس يورثُننا
غيرَ الصُّداعِ الذي قد يورثُ الهَوَسا
عساهُ أن يتلافانا وينقذُننا
معاشِرَ العُميِّ مما نشتكيه عسى

لماذا يحسدونني^(١)

رَمَوْا عَن قَوْسِ كِذْبِهِمْ سَهَامًا
بَرِيشٍ سَفَاهِهِمْ كَانَتْ تُرَاشُ
لَكَيْمًا يَخْدَشُوا عِرْضِي فَمَرَّتْ
وَعِرْضِي لَمْ يَلُحْ فِيهِ انْخِدَاشُ
فَقُلْ لِلوَارِدِينَ حِيَاضُ ثُلْبِي
بِوَرْدِ الكِذْبِ لَا تُرَوِي العِطَاشُ
وَمَا أَنَا مِنْ يُهَارِشٍ فَلْتَدْعَنِي
كَلَابٌ مِنْ سَجَايَاهَا الِهْرَاشُ
وَمَا فَضْلِي عَلَى كَلْبِي إِذَا لَمْ
يَزْعَنِي عَنْهُ مَنِّي اليَوْمَ جَاشُ^(٢)
لِئَن كَرِهُوا اشْتِعَالَ سِرَاجِ فَضْلِي
فَإِنَّ النُّورَ يَكْرَهُهُ الخِيفَاشُ
عَذَرْتُ القَوْمَ لَو بِالكِذْبِ تَشْفَى
قَلُوبُهُمُ المَرِيضَةُ وَالمَشَاشُ^(٣)
وَلَكِنَّ التَّكْذُوبَ لَيْسَ فِيهِ
لِمَرْضَى حَاسِدِي الفِضْلِ انْتِعَاشُ

(١) كثر أقاويل الغوغاء فيه وذلك بتحريض من حساده حين ينشر قصيدة يطالب فيها بالإصلاح أو يهاجم من اتخذوا الدين مصيدة للمال فقال هذه القصيدة.

(٢) الجاش: القلب. ووزعه يزعه: كفه ومنعه.

(٣) المشاش: جمع المشاشة وهي النفس والطبيعة.

ومن عَجَبٍ تَصَدِّقُهُمْ لِمَا لَمْ
 يَكُن فِيهِ مِنَ الْحَسَدِ انْتِيَاشٌ^(١)
 وَأَعْجَبٌ مِنْ ذَوِي حَسَدٍ أَلْحَتْ
 عَلَيْهِمْ نَارٌ غِيظِهِمْ فَطَاشُوا
 مُصَدِّقٌ زَوْرِهِمْ وَالزَّوْرُ عَارٌ
 سَلِيْبٌ لَا لِبَاسٍ وَلَا رِيَاشٍ
 أَلْحَسَدُ يَا لِأَقْوَامِي وَلِمَّا
 يُصِيبُنِي وَبَلُّ يُسْرٍ أَوْ رِشَاشٍ
 فَإِنْ طَابَ الْمَعَاشُ لَكُمْ بِيُسْرٍ
 فَلِي بِالْعُسْرِ قَدْ خَبِثَ الْمَعَاشُ
 فَلَوْلَا فَاقَتِي مَا كُنْتُ ذَنْبًا
 بِسَوْءِ الظَّنِّ تَرْمِيهِ الْكِبَاشُ
 وَلَمْ أُصْبِحْ كَأَنِّي فِي عَيُونٍ
 قَذَاةٌ أَوْ بَأَنَافٍ خِشَاشٌ^(٢)
 وَلَمْ تَنْبَحْ كِلَابُ الْحَيِّ مِمَّا
 مَرَرْتُ بِهَا وَلَمْ تَنْهَقْ جِحَاشُ
 فَإِنْ أَصْبَحَتْ غُفْلًا مِنْ يَسَارٍ
 يَلُوحُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ انْتِعَاشُ
 فَلَا تَبْغُوا فَلِلدُنْيَا انْقِلَابٌ
 وَشَوْكُ الْبَغْيِ لَيْسَ لَهُ انْتِقَاشُ
 سَلُّوا التَّارِيخَ كَمَا رَجُلٌ غِنَاهُ
 لَهُ مِنْهُ التَّحَافُ وَافْتِرَاشُ

(١) الانتياش: الإخراج والتناول والإنقاذ.

(٢) الخشاش: جمع خشاشة العود الذي يوضع في أنف البعير لينزل.

طغى فأعادهُ الطغيان ممّن
لهم من مُمْرِضِ الجوع ارتعاش
فلا يُعْجِبُكُمْ لالبغي مَرعى
فإن البغي نارٌ يا فَرّاش

حقق ما وعدت

حبيبي قد واعدتني بزيارة
فهل لك حتى الآن لم تسنح الفرص
أم الصدد تنوي أن تريش جناحه
وقد رده بالأمس منك الرضا أحص^(١)
فإن كان هذا ما نويت فعندنا
له من عتاب لا يسوء الهوى مقص
وظنني أن لا تغلي اليوم زوره
على من عليها من سماحك قد حرص
إذا كان مثلي مستزيرك بلبلأ
سجيناً له من جوف حُجرته قفص

(١) الأحص: الساقط الشعر.

القنوع هو الغنى

ولو علموا أنَّ القنوعَ هو الغنى
وأنيّ منه مالكُ أوفرَ الحِصصِ
رأيتَهُمُ قد أبدلوا القُربَ بالنَّوى
وكلُّ على الأعقابِ لي منهمُ نكصُ
ولكنهم خافوا سؤالي فباعدوا
وهيهات سؤلي فضلَ ذي ثروةٍ نَقصُ
فَحَصَّتْ سجايا من بُليتُ بودهمُ
فجرعني فحصي سجاياهمُ الغُصصُ
وأتركُ معني ما أقول لِفِطنةٍ
لديكَ فعنه عندها أحسنُ القِصصُ
إذا فَحَصَ الإنسانُ أخلاقَ بعضِ مَنْ
يُعاشرهم يأسى على أنه فَحَصُ
ولو تَرَكَ الأخلاقَ منهم دفينَةً
عليها من التمويه أطباقها تُرِصُ
لكان اغتباطاً قلبه - بمزوقٍ
من الودِّ يُبديه له القومُ - قد رَقَصُ
فهل ظلُّ عُدْرِ المبتلينَ طباعهمُ
إذا أظهروا زهداً بعِشرتهم قَلَصُ^(١)

(١) قلص الظل: انكمش وانقبض.

كرهتُ بقائي في وهابِ خلاطِهِمْ
فأركبني كُرْهِيهِ من عَزَلتِي مَنْصُ^(١)
فَلستُ بِمُرْتَدٍّ - كما كنتُ ناشئاً
غريراً - على آثارِ عِشرتِهِمْ قَصَصُ^(٢)
وأَيُّ لَبِيبِ عادٍ يَهْبِطُ وادِيّاً
كثيرَ الضواري بعدَما منه قد خَلَصَ

(١) المنص: ما يرفع من أمكنة يقعد عليها.

(٢) قص أثره قصصاً: تتبعه شيئاً فشيئاً.

حق بغير غموض^(١)

نهاري وليلي لم أزل لك ذاكراً
ولكن جريضي حال دون قريضي^(٢)
فكم مرة حاولت نظم قصيدة
تفيض بقص في الهوى وقضيض^(٣)
مذكرة من عهد ودي سالفاً
صحيحاً على الأيام غير مريض
مؤدبة ما الود أصبح حاكماً
علي به من سنة وفروض
ولكن بي سقماً إذا شئت نهضة
إلى مثل هذا الأمر عاق نهوضي
سقام تسميه البرية فاقه
وشاكيه موصوف لهم ببغيض
غدوت به قبل الأوان مبدلاً
برغمي من سود العذار بييض
فعذراً أبا عوف فمثلك ناظر
بطرف عن الأعدار غير غضيض

(١) قال مجيباً الشاعر عبدالرحمن البغاء البغدادي على أبيات وردته منه.

(٢) الجريض: الريق يغص به والمثل «حال الجريض دون القريض»، يراد به إلى... والغصص حالا دون قول الشعر.

(٣) القص: صغار الحصى والقضيض ما تكسر من الحصى ودق ويقال جاء القوم قضهم وقضيضهم أي جميعهم.

ولا زلت من أشعارك الغرِّ واقِعاً
 على كُلِّ رَوْضٍ لا يَجِفُّ أَرِيضٍ^(١)
 ولا أَسَكَّتْ مِنْكَ الحِوَادِثُ بُلْبُلًا
 غَرِيبًا تُغَنِّيهِ بِمِثْلِ جَرِيضِي
 فكم أَطْرَبْتُنَا أو شَجَّتُنَا غَرَابُ
 لهنَّ عَلِينَا كَنتَ غَيْرَ مُفِيضٍ
 ولو كان شِعْرِي كُفُوَ شِعْرِكَ لَم أَقْمُ
 بِغَيْرِ طَوِيلٍ فِي الجِوَابِ عَرِيضٍ
 وَلَكن ما أَهْدَيْتَ تَغْرِيدُ عَنْدَلٍ
 وما أَنَا مُهْدِيه طَنِينٍ بَعُوضٍ
 وما قَلتَ هَذا القَولَ مِنِّي تِواضِعاً
 وَلَكنه حَقٌّ بِغَيْرِ عُمُوضٍ
 وَإِن هَاضَتِ الدُنْيَا جِناحَكَ وَحدَهُ
 فَلَم تُبْقِ عَضُوباً فِيَّ غَيْرَ مَهِيضٍ
 فَقد أوقَعَتني كَفُّ عَسْرِي على شَفا
 ضَرِيحِي وَظَنِّي فِيهِ قُرْبُ دُحُوضِي^(٢)
 غَدوتُ كَأَنِّي فِي بِلادِي مُصْحَفُ
 وَأَبْيَضُها الرِّنانُ ذاتُ مَحِيضٍ
 فَمَنذَ زَمانٍ ما حَلَمْتُ بِدَرهمٍ
 - على تَرَكَه إِيايَ - غَيْرِ مَرُوضٍ
 وما زَلتُ فِيها مَنفَقاً ما أَصوَعُهُ
 لِحليِّ عَلِيٍّ مِن لَيسَ عَنه مُعِيضِي
 وَ[مَن] يَصُدُّ يَطْمَعُ فِي السَّرابِ وَيَلْتَبِسُ
 عَلِيه نَقِيضُ فِي الدُّنْيا بِنَقِيضِ

(١) الأريض: الكثير العشب.

(٢) دحوض: زلق.

إلى لؤامي في العزلة

طُبِعْتُ عَلَى غَيْرِ الَّذِي قَدْ طُبِعْتُمْ
عَلَيْهِ فَمَا طَوَّلُ اعْتِزَالِكُمْ بِدَعُ
وَلَسْتُ أَرَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مُؤَلَّفٍ
لَأَنْ نَفُورِي مِنْكُمْ جَرَّهَ الطَّبِيعُ
وَطَبِيعِي بِأَمْرِي وَحَدَّهُ مَتَصَرِّفٌ
فَمَا لَسِيَّوَاهُ فِيَّ جَذْبٌ وَلَا دَفْعُ
وَكُنْتُ زَمَانَ الْوَصْلِ أُرْغَمُ شِيْمَتِي
فَضَاقَ بِإِرْغَامِي لَهَا مَنِّي الذَّرْعُ
وَمَنْ لَمْ يُطِيقْ أَنْ يَعْصِي الطَّبِيعَ لَمْ يَلْمُ
إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ وَهُوَ لَهُ طَوَّعُ
وَقَدْ مَجَّ سَمْعِي طَوَّلَ لَوْمِكُمْ فَلَا
تَلُومُوا فَطَوَّلُ السُّومِ لَيْسَ بِهِ نَفْعُ
عَلَى غَيْرِ حَكْمِ الطَّبِيعِ لَسْتُ بِمَالِكٍ
نَزُولاً فَوْصَلِي حَسَبَ مَا شَاءَ وَالْقَطْعُ
فَإِنْ جَرَّ حَالَ الْجِسْمِ مَنْصُوبٌ عُرْلَتِي
فَفِيهِ سَكُونُ النَّفْسِ وَالْفَتْحُ وَالرَّفْعُ

هذا خيال^(١)

هذا خيالٌ أمرئٍ مذ شَبَّ ما اشتملت
على المسرَّةِ حتى شابَ أضلُّعُه
ما إن تناولَ من أماله سَبَبًا
إلا رأى مُدِيَّةَ الأيامِ تقطعُه
وأبيُّ صادٍ من الأحرارِ ما وقفت
دُنياهُ عن كلِّ ما يُرويه تدفعُه!

(١) قيل له ماذا تكتب تحت رسمك، فنظم الأبيات أعلاه.

يوم الخميس^(١)

يَوْمَ الْخَمِيسِ لِبِسْتَ ثَوْبَ خَدْوَعٍ
حَتَّى حَسِبْتُكَ غُرَّةَ الْأَسْبُوعِ
مَا زِلْتَ يَكْسُوكَ التَّوَاصِلُ بَيْنَنَا
ثَوْبَ الْمَسْرَةِ رَائِقَ التَّوَشِيْعِ^(٢)
إِذْ تُلْبِسُ الْأَيَّامَ غَيْرَكَ حُلَّةً
مَنْ نَسَجَهَا يَدُ شَمَلِنَا الْمَصْدُوعِ
حَتَّى إِذَا عَزَّ التَّوَاصِلُ وَاغْتَدَى
حَبْلُ التَّقَاطُعِ لَيْسَ بِالْمَقْطُوعِ
لَمْ تَبْقَ عَنْ أَيَّامِنَا لَكَ مَيِّزَةٌ
عِنْدِي بِهَا تَعْلُو عَلَى الْمَجْمُوعِ
وَعَدَوْتُ أَوْقِنُ أَنْ أَيَّامَ الْوَرَى
طُرّاً جِدَاوِلُ فِضْنٍ مَنْ يَنْبُوعِ
فَمَتَى يَضِيقُ ذَرْعُ الْخَمِيسِ بِضَمِّهِ
شَمَلِي بِنَافِي وَحَشْتِي عَنْ رُوعِي
فَالْأَرْبَعَاءُ إِذَا جَلَا عَنْ قَرِيهِ
ظَلَمَاءُ مَنَاهُ الْمُمِضِ رَبِّيَعِي

(١) كانت للشاعر عادة زيارة المرحوم عبد الملك في كل يوم خميس وكان عبد الملك يرسل أحد أبنائه لاصطحاب الشاعر إلى بيته ويبقى عنده إلى ما بعد العشاء. وفي أحد أيام الخميس لم يرسل عبد الملك من يصطحبه كالعادة فبعث بهذه القصيدة.

يا مَنْ إِلَيْهِ فِي الْخَمِيسِ تَشَوُّقِي
يُغْرِي التَّهَابَ جَحِيمَهُ بِضَلْوَعِي
إِنْ لَمْ تُزْرُنِي فَاسْتَزِرْ مِنِّي فَتَى
سَلَوَانُهُ إِيَّاكَ غَيْرُ مُطِيعٍ
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَاكَ بِي تَطْفِيلَةً
تَفْتَرُّ عَنْ سَمْتِي بِوَصْفِ رَقِيعٍ
وَإِذَا التَّطَفَّلُ كَانَ مِنْهَاجَ الْمُنَى
فَشْنِيعُ سَيْرِي فِيهِ غَيْرُ شَنِيعٍ
مَاذَا يَضُرُّ مَقَالَهُمْ مَتَطَفَّلُ
عَنِي إِذَا مَا انْقَدَتْ طَوْعَ وَلُوعِي
غَادَرَتْ تَعْلِيمَ الْكُوَيْتِ مُسَارِعًا
سَلَسَ الْقِيَادَ وَكَانَ غَيْرَ سَرِيعٍ
وَجَعَلَتْ مِنْ تَعْلِيمِهَا ذَاكَ الْوَنَى
فِي مَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِقَاءِ نُزُوعِي
أَدْرِي بَأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا جِئْتَهُ
لَكِنْ بِهِ أَضَلَّتْ وَجْهَ قُنُوعِي
وَإِلَى ابْنِ خَالِدِ الْكَرِيمِ شَكِيَّتِي
مَنْ بُعْدَكَ الدَّانِي بِهِ تَفْزِيعِي (١)
إِنْ يُشْكِنِي مِمَّا اشْتَكَيْتُ فَإِنَهُ
لِعُهُودِ وُدِّي لَمْ يَكُنْ بِمُضِيعٍ
وَإِذَا تَصَامَمَ غَيْرُ أَحْمَدَ عَنْ دُعَا
أَوْ صَمَّ عَنْهُ فَهُوَ جِدُّ سَمِيعٍ
يَا أَحْمَدُ الْمُحْمُودُ قُلْ لِي هَلْ تَرَى
لِخُرُوقِ ثَوْبِ الْأُنْسِ مِنْ تَرْقِيعِ

(١) يقصد صديق الطرفين: أحمد خالد المشاري.

بِسْوَى التَّوَاصُلِ بَيْنَ مَنْ يَنْمِيهِمَا
نَسَبُ التَّشَاكُلِ وَهُوَ غَيْرُ وَضِيعٍ
وَإِذَا فَجَعْتَ بِطَيْبِ لِقْيَاكَ أَمْرًا
فَتَلَقَّ مِنْهُ شَكِيَّةَ الْمَفْجُوعِ
وَإِذَا التَّوَاصُلُ عَزَّ إِخْوَانَ الصِّفَا
فَمَرِيعٌ مَرَعَى الْكَلَّ غَيْرُ مَرِيعٍ
كَأَنَّ فُلُومَ تَسْتَطِبُّ دُونِي النُّوَى
مَا كُنْتُ عَنْ وَصْلِي بِخِذْنِ هُجُوعِ
حَتَّى الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّبَ بَعْضُهُ
عَنْ بَعْضِهِ يُشْجِيكَ بِالتَّرْجِيْعِ
وَتَبَاعُدُ الشُّكْلَيْنِ بَدْعٌ إِنْ يَكُنْ
مِنْهُ كِلَا الشُّكْلَيْنِ غَيْرُ جَزُوعِ
أَسْلِيلٌ صَالِحٌ الَّذِي أَيَّامُهُ
عَرَفَ الْقَضَاءَ بِهِنَّ خَيْرَ صَنِيعِ
إِذْ عَنْ سَبِيلِ الْعَدْلِ لَمْ يَعْدِلْ وَلَمْ
يُوجَدْ بِمُرِّ الْحَقِّ غَيْرَ صَدُوعِ
حَتَّى إِذَا أَيْدِي الْقَضَاءِ لَفَّتْنَهُ
لَمَلُّ صَدَقٍ فِي الْجِنَانِ رَفِيعِ
وَعَدَا يُودِعُ صَحْبَهُ تَوْدِيعَ مَنْ
لَمْ يَمْنَحِ الْأَصْحَابَ وَعَدَّ رُجُوعِ
شَقَّ الْجِيُوبَ عَلَيْهِ شَرْعِيُّ الْقَضَا
أَسْفًا وَحَزْنًا سَاعَةَ التَّوْدِيعِ
وَعَدَّتْ عَلَيْهِ الصَّالِحَاتُ جَمِيعُهَا
وَالطَّيِّبَاتُ يَسِلْنَ حُمْرَ دُمُوعِ
وَأَرَاكَ تَحْذُو حَذْوَهُ وَمَتَى زَكَا
أَصْلُ تَكْشَفَ عَنْ زَكَاءِ فُرُوعِ

فعلامَ تَجِدُ أَنْفُ زُورَةٍ وَامِقٍ
يَبْكِيهِ مَشْهَدُ أَنْفِهَا الْمَجْدُوعِ
وَلَقَدْ عَهِدْتُ الرَّقُوقَ فَيْكَ سَجِيَّةً
وَعَلَى الْخَشْوَنَةِ لَسْتُ بِالْمَطْبُوعِ
فَتَلَّافَ مَا أَلْفَيْتَهُ مِنْ شَمَلِنَا
يُمْسِي وَيُضْحِي وَهُوَ غَيْرُ جَمِيعِ
مَا دَامَ يُمْكِنُ دَفْعُ بُعْدَيْنَا فَقَدْ
نُرْمَى بِبَعْدٍ لَيْسَ بِالْمَدْفُوعِ
أَيَّامَ أَسْكُنُ مِنْ ضَرِيحِي مَوْحِشًا
قَفْرًا وَأَتْرِكُ مَوْئَسَاتِ رَبُّوعِي
وَارْحَمْتَا لِي حِينَ تُطَبِّقُ رُفْقَتِي
قَبْرِي عَلَى جَسْمِي كَكُلِّ صَرِيعِ
وَأُظَلُّ فِيمَا لَسْتُ أُدْرِي كَنْهَهُ
حَتَّى يُبَيِّنَ الْكُنْهَ فِيهِ وَقُوعِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ خَوْفٌ سِرٌّ لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ لَهُ عَنِ خَبْرَةٍ بِمُذْنِعِ
لَكِنَّهُ خُلِقَ الْبَرِيَّةَ كَأَنَّهَا
مِنْ تَابِعِ فِي الْأَمْرِ أَوْ مَتَّبِعِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي لَمْ جُمِعْتُ عَنَاصِرًا
شَتَى بَدِيْعًا حَلًّا غَيْرَ بَدِيْعِ
وَتُرِكْتُ أَشْعُرُ وَالشَّعُورُ بَلِيَّةً
فِي عَالِمٍ - مِنْ شَقْوَةٍ - مَصْنُوعِ
مَا دَامَ مَجْمُوعُ الْعَنَاصِرِ رَاجِعٌ
حَتْمًا بِهِ حَتْفِي إِلَى تَوَزِيْعِ
أَتَظُنُّنِي قَدْ جُنْتُ قَبْلَ تَكْوِينِي
هَذَا وَكُنْتُ مَخِيْرًا بِفَظِيْعِ

في عالمٍ ماضٍ مَحَتْ ذَكَرَاهُ مِنْ
أَلْوَا حِ ذَاكَرْتِي يَمِينُ شُسُوعِي^(١)
فَأَرَادَ رَبِّي كَيْ يُجَازِي فَعَلَّتِي
هَاتِيكَ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ طَلُوعِي
أَلذَّاكِ أَمْ لِسُوَاهِ لَسْتُ بِعَالِمِ
يَا أُمَّ دَفَرٍ فَيْكَ تَمَّ شُرُوعِي^(٢)
يَا صَدْرَ أَسْرَارِ الْوُجُودِ إِلَى مَتِي
عَنْهِنَّ كَتَمْتُكَ لَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ
وَالْقَوْمُ أَجْمَعُ حَوْلَ مَا حَجَبْتَهُ
لَهُمْ وَقُوفُ السَّائِلِ الْمُنُوعِ
طَمِعَ الْفَلَّاسِفَةُ الْكِبَارُ بِكَشْفِهِ
فَغَدَا يُجِدُّ الْبَحْثَ كُلُّ طَمُوعِ
ثُمَّ انْتَنَى وَالْيَأْسُ مَلَأَ فَوَادِهِ
عَنْهُ انْتِنَاءُ الطَّامِعِ الْمَخْدُوعِ
فَتَرَاهُ يَرْجِعُ لِلْأَمَانِيِّ قَائِلًا
يَا لَيْتَ لِي بِالْعَقْلِ جَهْلٌ رَضِيْعِ
فَالْجَهْلُ أَرْوَحُ مِنْ حِجَابٍ يِقْتَضِي
أَشْيَاءَ لَسْتُ لِهِنَّ بِالْمُسْتَطِيْعِ^(٣)
وَإِذَا أَرَادَ الْمَرْءُ رَاحَةً نَفْسِهِ
فَلْيَتْرُكْ تَطْلَابَ كُلِّ مَنِيْعِ

(١) الشُّعُوعُ: البَعْدُ.

(٢) أُمَّ دَفَرٍ: الدُّنْيَا.

(٣) الْمُسْتَطِيْعُ: الْمُسْتَطِيْعُ.

حق شيخوختي على وطني^(١)

لا يدفعُ الجوعَ والعُرْيَ اللَّذِينَ هُمَا
شَرُّ النَوَائِبِ إِيْلَامًا وَإِجَاعًا
خَمْسُونَ فِي الشَّهْرِ عَنْ مِثْلِي فَهَلْ لَكُمْ
فِي رَدِّ هَذَيْنِ إِبْسَاسًا وَإِشْبَاعًا
قَدْ كَادَ يَسْلُبُ نَفْسِي سَوْءُ صُنْعِهِمَا
مُلْكَ التَّنْفُسِ إِرْسَالًا وَإِرْجَاعًا
وَإِنْ وَنَى عَدْلُكُمْ أَلْغَيْتُ وَنَيْتَهُ
فِي سَيْرِ مَوْتِي إِلَيَّ الْيَوْمَ إِسْرَاعًا
قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى الْخَمْسُونَ تُرْضِعُنِي
دِرًّا بِهِ مُسْكَةٌ الْحَوْبَاءِ إِرْضَاعًا
وَمُدًّا غَلَا الْقَوْتُ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ أَرَلِي
فِيهَا لَمَّا يُمَسِّكُ الْحَوْبَاءُ إِقْنَاعًا
وَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى ظَنَّ بَعْضُهُمْ
إِجْدَابَ حَالِي إِخْصَابًا وَإِمْرَاعًا
لَكِنْ تَصَبَّرْ نَفْسِي مَلَّ صُحْبَتِهَا
فَأَزْمَعُ الْبُعْدَ عَنْهَا الْيَوْمَ إِزْمَاعًا
وَكَيْفَ يُبْقِي لِنَفْسٍ وَهِيَ سَاكِنَةٌ
جِسْمًا إِلَى الْمَوْتِ طَوْعَ الْهَمِّ مُنْصَاعًا

(١) أرسلها إلى أعضاء مجلس المعارف إن ذلك يطلب زيادة ما كانت تمنحه له تلك الإدارة من مال وكانت تمنحه (٥٠) روبية شهرياً.

وهل عدا الهمَّ من إدراك بُلغته
عنه تُقصرُ منه الفارقةُ الباعا
تداركوا مُدْنَقًا مني يروءكم
إن تُهملوهُ غدا مَنعاهُ لا راعا
وليس رُدُّكمُ مُحيايَ يُمكنُكم
إن أوقعتُ بيَ أيدي الموتِ إيقاعا
إذا التَّلاني أتى من قَبْلِ مَتَلَفَةٍ
أجدى وإن هيَ جاءت قَبْلَهُ ضاعا
خَدَمْتُ منذُ الصِّبَا الأَدابَ بينكم
حتى أتى لِقْوَئِي الشَّيْبُ قَمَّاعا
كم أبرزتُ كلماتي الغُرُّ أوجَّهها
معشوقَةَ الحُسْنِ إحسانًا وإبداعا
ألزمتُ حتى عُداتي أن تُقِرَّ لها
بأنَّها جَمَعَتْ نفعًا وإمتاعا
إلا الألى أُنْتِ الأَحقادُ أَكلَةً
منهم قلوبًا وأكبادًا وأضلاعا
والحقدُ إمَّا تَناهى عاقَ صاحِبَهُ
عن أن يكون بقولِ الحَقِّ صَدَّاعا
ولم أُرِدْ من بلادي أن تجازيَني
بالصَّاعِ كَيْلَ مُجازٍ مُنصِفٍ صاعا
كَلَّا فمَّا أنا ممَّن يبتغون بما
يأتون من خدمةِ الأوطانِ أطماعا
لكن شيخوختي عن حملِ أزمَتِها
ضاقت فأسمعتُكم شكوايَ مُلتاعا

وَحَقُّ شَيْخِخَوَّتِي بَادٍ عَلَيَّ وَطَنِي
وَمَثَلُهُ صَانُ وَجْهِ الْحَقِّ أَوْ رَاعِي
أَقُولُ وَالْكَبِيرُ الْمُوهِي قُوَى جَسَدِي
يُعِينُ مِنْ مَرَضٍ مَا فِيَّ قَدْ شَاعَا
شَكْوَايَ إِنْ لَمْ يُصِخْ سَمْعُ الْكُوَيْتِ لَهَا
فِي شِدَّتِي فَمَتَى أَلْقَاهُ سَمَّاعَا
أَبْعَدَ مَا الْمَوْتُ يُفْنِي عَنْكَ يَا وَطَنِي
مَنْي أَمْرًا عَاشَ فِي أَهْلِيكَ نَفَّاعَا

العلياء منهاها فيه^(١)

رَأَيْتُ قُصُورَ شِعْرِي عَنْ مَقَامِ
تَقْوِيمٍ بِهِ جَلَالٌ وَارْتِفَاعًا
فَلَمْ أَجْسُرْ عَلَى تَقْدِيمِ مَدْحِ
أُضْمِنُّهُ قَرِيضِي الْمَسْتَطَاعَا
وَعَجَزِي عَنْ زِيَارَاتِي لِشَيْبِي
وَضَعْفِي الْمَوْسِعِ الْقَلْبَ التِّيَاعَا
فَصَرْتُ كَمَا تَرَانِي جَلْسَ بَيْتِي
خُضُوعًا لِلْمَقَادِرِ وَأَنْصِيَاعَا
وَعَافَتْ بَعْدَكَ النَّفْسُ الْبِرَايَا
فَوَالَتْ عَنْ جَمِيعِهِمْ أَنْقِطَاعَا
فَعَنْ عَالِي مَكَانِكَ لَا مَكَانُ
بِهِ أَسْأَلُو عُزُومًا وَأَتَسَاعَا
مَكَانُ مَا رَأَى غَيْرَ الْمَعَالِي
بِعَيْنِيهِ لَهُ سَقْفًا وَقَاعَا
مَكَانُ لَا يَسُُّ عَنْ كُلِّ مَا لَا
إِلَيْهِ الْمَجْدُ يَرْتَاحُ امْتِنَاعَا
فَلَا لُغْوُ الْكَلَامِ إِلَيْهِ يَدْنُو
وَلَا النَّبَابِي يَمُدُّ إِلَيْهِ بَاعَا

(١) بعث بهذه القصيدة إلى سمو الأمير المرحوم عبدالله السالم الصباح، ذلك عندما اعتزل في بيته معتذرًا عن عدم زيارته له كعادة.

مُنَى الْعُلَيَاءِ فِيهِ جُمِعْنَ حَتَّى
حَسِبْنَا لَهُ لِرَوْعَتِهِ ابْتِدَاعًا
وَلَكِنْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ فِيهِ
يَحُلُّ أَبُوكَ قَدْ قَالَ اتَّبَاعًا^(١)
فَقَالِبُهُ عَلَيْهِ مَا عَلِمْنَا
لِغَيْرِ مَكَانٍ وَالِدِكَ انْطِبَاعًا^(٢)
مَتَى أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ مِنْكَ أَنْسَا
يَعُمُّ الْجَالِسِينَ بِهِ مُشَاعًا
إِذَا حَدَّثْتَنَا فِيهِ رَأَيْنَا
لِكُلِّ سَامَةِ عَنَّا انْقِشَاعًا
أَحَادِيثُ تَطْيِبُ فِكْلُ حُرٍّ
لَهَا يَسْعَى التَّذَاذًا وَانْتِفَاعًا
أَبْعَدَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ أَلْقَى
قُنُوعًا فِي حَدِيثِ وَاقْتِنَاعًا
أَبَتْ أُذُنِي اسْتِطَابَتَهَا حَدِيثًا
إِذَا لَمْ تُبْدِ مِنْهُ لَهُ اسْتِمَاعًا
إِذَا ذَكَرْتَهُ تَحَدَّثْتُهِ إِلَى مَنْ
نَحَوًا مَنَحَايَ مَجْلِسَهُ الْيَفَاعَا^(٣)
أَجَدُّ لَهَا تَذَكُّرُهَا اشْتِيَاقًا
إِلَيْهِ وَاسْتِثَارَ لَهَا نِزَاعًا
فَمَنْ لِي أَنْ أَعُودَ إِلَى زَمَانٍ
أَطَابَ لَنَا بِمَوْلَانَا اجْتِمَاعًا

(١) يريد أن تذكر ما كان يحل فيه والدك قد قرر وقال: إن هذا اتباع له وليس ابتداءً.

(٢) فقالبه عليه: أي طابعه وسمته وما علمنا أن ينطبع عليه شيء غير مكان والدك.

(٣) اليفاع: المرتفع المشرف.

تَمَنَّ لا يُبَدَّلُ بِانْطِلاقٍ
وَإِنْ لَدَا انْطِواءً وَانْقِباءاً^(١)
وَكَيفَ وَطُولُ عَمْرِي لَمْ يَدَعْ لِي
بِطِواءٍ مِنْ خُطَايَ وَلَا سِراعا
أَحْسُ إِذا مَشَيْتُ وَلَوْ قَلِيلاً
لَوْهَنْتُ أَنْ أَعْضائي تَداعِي
فَمِنْها الكُلُّ مِمْتَلِيءٌ كَلالاً
مَبِيداً ظَلَّ يُباليها تِباعاً
وَماذا كُلُّ ما كَبَّرِي رِمانِي
بِهِ بَلِ زادني كِبَرِي صُداعا
فَمَنْذُ كَبِرتُ لَزَمَنِي صُداعُ
تَوَقَّعُ هَما تِي مِنْهُ انْصِداعا
فَأَسْعِفُ بِالدِعاءِ فَدَتَكَ نَفْسي
مَسْؤوداً إِنْ ساءِدَهُ أَضاعاً
وَلَمْ يَمْلِكْهُ قَبْلَكَ غَيْرُ شَيْخِ
نَماكَ فَجِئتُ شَرِواهُ طِباعاً

(١) الانقباع: إدخال الرأس في التراب.

من الجور

ولم يَبْرَحْ بِمَحْضِ النُّصْحِ شِعْرِي
على أسماعهم حُبًّا يَطُوفُ
وجورٌ أن يُجَازِيَ الحُبُّ بَغْضًا
وأن يَجْزِيَ الطَّبِيبُ بما يُوُوفُ^(١)

(١) يُوُوف: يضر.

تهلل^(١)

تَهَلَّلَ مِنْ مُهَلَّلِ الْمُحَايَا
وَرَحَّبَ إِذْ نَزَلْتُ عَلَيْهِ ضَيْفَا
وَأَعْلَى مِنْزَلِي كَرَمًا وَفَضْلًا
وَسَارِعَ لِحَفَاوَةِ بِي وَحَقًّا
وَأَوْسَعَنِي كَمَا أَهْوَاهُ بِرًّا
وَأَوْسَعَنِي كَمَا أَهْوَاهُ عَطْفَا
وَأَكْسَبَنِي رِعَايَتَهُ امْتِنَانًا
وَأَكْسَبَنِي الْعِنَايَةَ مِنْهُ لُطْفَا
فَكَيْفَ عَلَيْهِ لَا يُثْنِي جَمِيلًا
لِسَانِي جَازِيًا نُعْمَاهُ كَيْفَا؟
حَكِي حَمْدًا أَبَاهُ فِي عُلَاهُ
وَشَابَهَهُ لِعَمْرُ اللَّهِ عُرْفَا
فَهَذَا كَانَ لِلْعُلِيَاءِ زَنْدًا
وَهَذَا كَانَ لِلْعُلِيَاءِ كَفًّا
وَلَا بَرِحَتْ تُغَوِّرُ الْمَجْدِ تَتْلُو
جِهَارًا مِنْ ثَنَا هَذِينَ صَفْحَا

(١) قال هذه القصيدة في مهلهل بن حمد آل خالد عندما استضافه في البصرة فأكرمه.

في العزلة

قالوا اعتزلتَ الناسَ قلتُ لأنهم
جَرُّوا عليَّ المحزِناتِ صُنُوفًا
لولا مخالطتي البريئة لم يكن
قلبي لذُوبانِ الهمومِ خَرُوفًا

حكاية غرام

أجملي يا جُمْلُ أو لا تُجملي
واعذلي في الحب أو لا تعذلي
واعملي ما شئتَه بي وافعلي
ليس عن حُبِّك لي من مَعْدِلِ
بَعْدَ ما جَارَى دمائي في العروقِ
غيرَ أنِّي أملُ أن ترحمي
مستهامًا بكِ لِمَا يَنَّهُمُ^(١)
بِسِوَى وادي هَوَاكِ المفعَمِ
من ضلالاتِ ملامِ السُّومِ
ما على السُّومِ من صبٍّ مَشوقِ
ليت من لاموا بأسلاكِ الجوى
كهربتُ أحشاءهم أيدي الهوى
علمهم أن يعذروا من قد طوى
جسمه الحبُّ نحولاً وضوى
فانتثني أنحلُّ من طيفِ طروقِ
وفؤاد الصبِّ يبريه الغرام
مثلما يصنعُ بالجسمِ السُّقامِ
ففؤادي ناحلُّ مثلُ العظامِ
فهو لا يحملُ أعباءَ الملامِ
فليدعُ لومي من كان شفيقُ

(١) نهم ينهم: شره وحرص.

أشْفَقُوا أَنْ الْهَوَىٰ يَقْضِي عَلَيَّ
فَمَشَى قَوْمِي بِاللُّؤْمِ إِلَيَّ
وَمَلَامِي ضِيَاءَهُ مِنْهُمْ وَعَيَّ
بَعْدَ مَا أَخْرَجَ أَمْرِي مِنْ يَدَيَّ
سُكَّرُ حُبِّ مَنْهُ نَفْسِي لَا تُفِيقُ
قَالَ لِي الْقَوْمُ كَجُمْلٍ فِي الْجَمَالِ
أَلْفُ جُمْلٍ تَتَمَنَّى أَنْ تَنَالَ
حُظْوَةَ مَنْكَ حَرَامًا أَوْ حَلَالًا
قَلْتُ سُلُوَانِي عَزِيزٌ بَلْ مُحَالٌ
بَعْدَ مَا مِنْ فَمِهَا ذُقْتُ الرَّحِيقُ
فَالَّذِي بِي مِنْ ضَنْئِي جَسْمِي خُمَارُ
سَكْرَتِي مِنْ رِيْقِهَا الْمُنْسِي الْعُقَارُ
فَدَوَائِي لَيْسَ لِي لَيْلَى أَوْ نَوَارُ
بَلْ دَوَائِي عِنْدَ مَنْ تُرْخِي الْإِزَارُ
فَوْقَ حِجْفٍ تَحْتَ خَيْرِ زُرِّ دَقِيقٍ^(١)
فَاحْتِسَائِي مَرَّةً أُخْرَى اللَّامِي
مِنْ ثَنَائِيهَا يَزِيلُ السَّقْمَا
فَدَوَائِي سَاكِنٌ مِنْهَا الْفَمَا
فَصْرِفُوا حَالِي لَدَيْهَا رَبِّمَا
يَنْثَنِي لِي قَلْبُهَا الْقَاسِي رَقِيقُ
فَرَدَّدْتِيهِمْ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ
عِنْدَمَا جَاؤُوكَ لِي يَسْتَعْطِفُونَ

(١) الخيزور: الخيزران ويريد هنا خصرها.

بمقالٍ بعدَهُ لا يأمَلونُ
 منك لي القلبَ بشيءٍ أن يَلينُ
 فدنا مما رَوَّأَ دائي السَّحيقُ^(١)
 فَنَنَّتْ منها على عُنُقِي يَدِينُ
 صيغَتا من عسجدٍ شيبَ لُجَيْنُ^(٢)
 وأذالتُ فوق خُدِّي دمعَتينِ^(٣)
 عندما منا أصرنا الفمويينُ
 بتدانينا فمًا ريقًا بريقُ
 ثم لما أن قضينا ما العدا
 لو أحسَّوه لماتوا كمدا
 أو أذاب الحزنُ منهم أكبدا
 لم تكن تعرفُ إلا الحَسدا
 لعشيقٍ يمنح الوصلَ عشيقُ
 أنبأتني أن رُسلي جُهلاءُ
 إذ أتوها وهي ما بين نساءُ
 فآذاعوا ما أعاني من بلاءُ
 من نواها فتغشَّها الحياءُ
 وبدا منها لهم شيبُهُ عُقوقُ
 ثم قالت أنت لا تُرسلُ أحدُ
 فأننا مهما أرى النومَ عَقْدُ

(١) في أحد الكراسات رواية أخرى لهذا الشطر هي: «وهنا أسكتني دمعي الطليق».

(٢) العسجد: الذهب. اللجين: الفضة.

(٣) أذال الدمع: سفحه وسكبه.

جَفْنُ من أَحشى بِجفنٍ فَرَقَدُ
وَحَلَّتْ من أَهلِها سُبُلُ البَلَدُ
جئتُ أَطوي لَتَلاقِينا الطَريقُ
فغرامي بك يكفي كالرسولُ
فارتقبني عندما يُرخي السدولُ
مظلمُ الليل ويُخلي لي السبيلُ
أهلُهُ من عاذرِ لي أو عذولُ
فالتقائي بك بالكرمِ خَلِيقُ
ثم لما أن غدا ديكُ الصبّاحُ
يملؤُ الجَوَّ عويلاً وصياحُ
نادباً من ليلِ مَلقانا المُتاحُ
قَصَرَ العَمَرِ وهَمَّتْ بالرَّواحُ
قلت يا جملُ اذكري الوعدَ الوثيقُ
قالتِ الوعدُ على الحُرَّةِ دَيْنُ
وهي تُدني لوداعي الشفَّتَيْنِ
فتزودتُ بفيها قُبلتَيْنِ
لجراحاتِ الحشا مُبرئتَيْنِ
ثم سارت ولها قلبي رفيقُ
فتواصلنا زماناً ثم عادُ
ذلك الوصلُ كحلمٍ في رُقَادُ
خَيْلَ المحبِّوبِ يُلقي بالقيادُ
لمحِبُّ بَعْدَ ما منه الفؤادُ
شَبَّ بالهجرِ به الحبُّ حَرِيقُ

أَوْ مَنِّي أَحْسَنُ تَصْوِيرَ أَمَلٍ
سَاعَةً فِي قَلْبٍ مِنْ مِثْلِي أَقَلُّ
فَتَنَّتْنِي طَرِيقًا ثُمَّ اضْمَحَلَّ
بِيَدِ الْيَأْسِ رَجَاؤُهُ وَالْجَدَلُ
حَقُّهُ لِلْبُطْلِ فِي الدُّنْيَا شَقِيقُ

الأثار لا تشفي

إلى ذلك المَغْنَى أَحْنُ ولم تَعُدْ
به منذ غابت شمسُ زينبَ تشرقُ
فكيف إذا لو لم تَغِبْ عنه شمسُها
يكون حنيني نحوه والتشوقُ
محلُّ به قد كنتُ ألقى التي بها
نثيرُ مسرَّاتِ الفؤادِ يُنسَقُ
فتاةُ أرْتني فيه عيشي صافياً
ووجهَ حياتي باسمًا يتَطَلَّقُ
وما كنتُ فيه أكتفي بترشفي
ثنايا لها هنَّ الرحيقُ المعتقُ
فأصبحتُ استشفي بشمِّي تربةً
له لم تزل من نشرها بعدُ تعبِقُ^(١)
ومن عَزَّه وصلُّ الحبيبِ فشَمُّه
مَواطئِ رجليه شفاءً محققُ
وهيهاتَ ما الأثارُ تشفي وكُلُّها
على عِلَّةٍ من بعدِ زينبِ مُطْرِقُ
ولكنْ لِنفسي بانكبابي مقبلاً
ومستروجاً أثارِ إليّ تَعَلُّقُ
فإن كان حُمُقاً شمُّ أثارِ زينبِ
فإني ما لم ألقَ زينبَ أحَمَقُ

(١) النثر: الرائحة، وتعبق: تفوح.

فهل من تلاقينا نفوز بساعةٍ
تظلُّ بنا فيها السعادة تُحْدِقُ
أَطْوَقُهَا كَلْتَا يَدَيَّ مُعَانِقًا
لها وهي لي بالساعدين تُطَوِّقُ
فليس سوى هاذك مني مُسَكِّنًا
فؤادًا كما شاءَ التفرُّقُ يَخْفِقُ
وليس سواه مُمَسِّكًا في محاجري
دموعًا لها من فادح الحزن مُطَلِّقُ
وكيف التلاقي بعدما حالَ دونها
من القبر منضودُ الصفائحِ مُطَبِّقُ
فيا ربَّ الحقني بها أو فَرُدِّهَا
فصَفِّوْ حَيَاتِي مِنْذُ بَانَتْ مُرَنَّقُ^(١)
فأصعبُ شيءٍ سهَّلَهُ إن أردتَهُ
وأسحقُّ أمرٍ شئتَهُ ليس يَسْحُقُ
وإن تَقْضِ مِنْ بَعْدِ التَّنَائِي تَدَانِيًا
فأنتَ بِمِثْلَيْنَا أَبْرُ وَأَرْفُقُ
أَتَعْذِلُ إن حَلَّتْ دموعي وكَاءَهَا
فظَلَّتْ عَلَى حِمْ كَمَا كَابَةُ تُغْدِقُ
رجالٌ إِلَى أَكْبَادِهَا الْحُبُّ لَمْ يَجِدْ
سببيلًا فلم تَدْرِ النوى كيف تُرْهِقُ
وأعجبُ من فيضِ الدموعِ وإن غَدَّتْ
معصَفَرَةً مِنْ مَقْلَتِي تَتَدَفَّقُ
بقائِي ولو يَوْمًا وَأَنْتِي لَمْ أَكُنْ
بأيدي حِمَامِي حَسْرَةً أَتَمَرَّقُ

(١) مرنق: مكر.

ومن لم يَذُقْ طعمَ الصبابة لم يُلْمَ
إذا لام من في نارها يتحرق
عجبت لمن يحيا وقد عنّ دون من
يهيم به بعد التلاقي التفرق
إذا عاش من بعد الحبيب مُحبُّه
فذاك الذي ما كان في الحب يصدق
وهل من وفاءٍ لامرئٍ زال إلفه
ولم يكُ بالإلف المزايل يالحق
فإن تعهدوني مشفقًا من منية
يُغادي بها المقدور أو هو يطرُق
فذاك لأنني كنتُ أخشى فراق من
به كان لي كأسُ السرّة تُدهق^(١)
فأمّا وقد ماتت فإني بعدهما
أخاف حياتي أن تطول وأشفق
فإن ترفقوا بي فاحفروا لي بجنبها
ضريحًا بحيث القبرُ بالقبر يلصق
لعل رفاتينا ينالان غبطةً
لنا راحها حيّين أمس تروق
ولا تُبعدوا من قبرها حفرتي فما
يليق بكم غير الوفاء ويخلق^(٢)
ولا تئننكم عن ذاك لومة لائم
فربّ حمارٍ سوّته سوف ينهق

(١) تدهق: تملأ.

(٢) يخلق: يجدر.

وقولوا له لو عاش صقرٌ لما درى
لسانك خوفاً بالخنا كيف ينطقُ
ولكن خلا الجوّ الذي كنتَ ضمنهُ
حُبّارى وصقرٌ فيه صقرٌ مُحَلَّقُ
فإن كنتَ تشفيك المقالة بَعْدَهُ
فقلها فقد غاب الذي منه تَفُرَّقُ
وقد تَدْعِي شَوْلَ النِّيَاقِ فحَوْلَهُ
إذا لم يكن فيهنَّ فحلُّ يُشَقِّشِقِ (١)
ولو سمعتَ أذُنَكَ منه هَدِيرَهُ
ظَلَلْتَ كما قد كنتَ قبلُ تَنَوِّقُ (٢)

(١) الشول: من النياق: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها. شقق
الجمال: هدر وشققفة الجمال: لهاته وهي شيء كالرئة يخرجها إذا هاج.
(٢) تنوق: تأنق.

ليسلم ذا الضرير

لَكُمْ بِالذِي أُخْفِيهِ وَجْهِي يَنْطِقُ
صَرِيحًا وَوَجْهِي مَا تَرَوْنَ فَحَدِّقُوا
أَجِيلُوا بِهِ الْأَنْظَارَ بَضْعَ دَقَائِقٍ
لَكُمْ يَنْفَتِحُ مِنْ سِرِّ نَفْسِي مُغْلَقٌ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي التَّفَرُّسِ حَازِقًا
فَوَجْهِي لَهُ عَنِ طَبَعِ نَفْسِي يَصْدُقُ
فَإِنْ كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ فِي سَجِيئَةٍ
فَقُولُوا لَيْسَلَمَ ذَا الضَّرِيرُ وَصَفُّقُوا
وَإِنْ كَانَ حُبُّ الشَّرِّ فِي غَرِيزَةٍ
فَصُبُّوا عَلَى وَجْهِ الشَّتَائِمِ وَابْصُقُوا

الظواهر الخداعة

ربما تُبصِرُ العيونُ هجيناً
قد تَرَبَّى بين الجيادِ العِتاقِ
ولَكُمْ شوكةٌ تُسيءُ وتُوذِي
بين خيبرِ الزهورِ والأوراقِ
منبتُ الكلِّ واحدٌ وترى الطَّبَّ
عَ عليها يقضي بكلِّ افتراقِ
لؤمُ طبعِ اللئيمِ أخْرَهُ اليو
مَ كثيراً عن قومهِ [في] السُّباقِ
خَدَعَتْنَا مِنْهُ الظواهرُ حتى
نال ما نالهُ بلا استحقاقِ
وسرابُ الفلاةِ كمَ غَرَّ من قَبِ
لُ عطاشاً بالمنظرِ البَرِّاقِ
غَرَّ بعضَ الرجالِ بِرُقْعِ إخلا
صٍ يَغطِّي مِنْهُ مُحَيَّا نِفاقِ^(١)
فأجَلُوا مِنْهُ ظواهرَ صِدْقِ
كَمَنْتُ تحتَها خوافي اختلاقِ

(١) المحيا: الوجه.

عَذِبَتْ مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ دَعَا
هُ جَمِيلَ الْأَدَابِ وَالْأَخْلَاقِ
ثُمَّ أَبْدَى اخْتِبَارَهُمْ مِنْهُ مَا كَانَا
نَخْفِيهِ مِنْ فَاسِدِ الْأَعْمَاقِ

العلم أنجع ما يشفى به وطن

ما ضر قومِيَ غيرَ الجهلِ لِيَتَهُمُ
عنه إلى العلمِ قبلَ اليومِ قد مالوا
لو أَنَّهُم عَلموا لم أَلقَ جُلَّهُمُ
أو كُلهُمُ منه تبكي مقلتي الحال
يا قوم ما بِسوى العلمِ الذي ارتفعتُ
به البرايا لكم رفعٌ وإجلال
واتتهُم نِعَمُ الدنيا وما بَرِحَتْ
عليهم بِأَكفُ العلمِ تَنهال
هَداهُم لنعيمِ العيشِ علمُهُمُ
فكلُّ ما طلبوا من نَيْلِهِ نالوا
ونحن عنه كما شاءت جهالتُنَا
يا لبليَّةِ حتى اليومِ ضلَّال
هم أمسٍ من قبل أن يسموا بعلمُهُمُ
هذا السُّمُّ لَنَا في الخفضِ أمثال
فالعلمُ خيرٌ سلاليمِ العُلُوِّ لمن
يشوقُهُ للعلا بِالْحَطِّ إبدال
إن فاتكم فليكن منكم بنسلكُمُ
على تعلُّمِهِ سعيٌ وإقبال
لتطمئنَّ على آتي الحياةِ لهم
منا قلوبٌ تَنزِي هُنَّ أوجال

متى أراهم وقد عادوا وكأُهم
إلى الأمام له بالعلم إرقال^(١)
فما سوى ذاك يومٌ تستطيرُ به
نفسى سروراً ويصفو مني الببال



تغدو الكويت إذا جمّت معارفُها
من كلِّ معنئى جليلٍ وهي محلال^(٢)
ضيدٌ اسمها تنثني بالعلم إن ظفرتُ
به لكم يا رجالَ اليوم أنجال
كم كبرَ العلم أوطاناً مصغرةً
وعاد بالأكم منها وهي أجبال
أوطان كلِّ الورى بالعلم حاليّة
أما الكويت مغانيها فأغفال
لهفي عليها فلم تنفك أربُعها
وهنّ من شرفِ العرفان أطلال
ظلت تكابد داء الجهل وهولها
إن لم يُزلهُ دواء العلم قتّال
قد أورث الجهل منها الجسم علتّه
والعلم فيه لها برء وإبال^(٣)
العلم أنجع ما يُشفى به وطنٌ
قد كان من جهله يُرديه إعلال

(١) الإرقال: نوع من السير.

(٢) المحلال: الواسعة الظل التي يكثر حلول الناس تحتها.

(٣) أبلٌ من مرضه: برئ وشفي.

لَمْ يَخْفَ يَا عَلْمٌ مِنْكَ الْفَضْلُ عَنْ أَحَدٍ
حَتَّى يُبَيِّنَهُ مَنْيَّ لَهُ الْقَالَ
إِلَّا إِذَا الشَّمْسُ عِنْدَ الظَّهْرِ قَدْ خَفِيَتْ
عَلَى سَوَى الْعَمِيِّ يَوْمًا مَا بِهِ خَالٌ^(١)
لَكِنْ أَيْنُ مَتَى أَذْكَرُكَ مَجْتَنِبًا
مِمَّنْ نَمَانِي إِلَيْهِ الْعَمُّ وَالْخَالُ
وَإِنَّمَا الشَّعْرُ أَنْاتُ أَرَدَّدَهَا
إِنْ سَاعَنِي فِي الْأَلَى أَهْوَاهُمُ الْفَالُ

(١) الخال: السحاب لا يخلفه مطر.

عليك لشرقي الكويت^(١)

عليك لشرقي الكويت يطولُ
بكاءً وإن لم يُجِدِه وَعَوِيلُ
وأنى لشرقي الكويت تجلُدُ
وقد جدَّ منك اليوم عنه رحيل
تَجَلُّدُنَا لَمَّا فُقدْنَاكَ سَدًّا مَا
له من سبيلٍ لَاعَجُ وغليل
فليس إلى حُسْنِ التجلُّدِ لِلألى
صَرَمَتَهُمْ يَا بَشْرُ عَنْكَ سبيل
عليك أذَلْنَا الدمعَ من بعد صَوْنِهِ
فأصْبَحَ بعد العِزِّ وهو ناليل^(٢)
وغيرُ كثيرٍ إن غدونا وكننا
لِما صَانَ من دمعِ عليك مُذيل
فإنَّكَ ظِلٌّ - والحياةُ هَوَاجِرُ
تفِيَّأُهُ ضاحي العُفَاة - ظليل^(٣)
فكم من ضعيفٍ نلتَهُ بمَعُونَةٍ
وأسعدتَهُ والمسعودون قليل
وكم لضعيفٍ شهبٌ حَقٌّ أَبْنَتَهَا
ولولاك لم يبرحَ بهنَّ أفول

(١) في رثاء المحسن الفاضل بشر بن يوسف الرومي.

(٢) أذال الدمع: سكبته.

وكم عاثرٍ منا أَقْلَتْ عِثَارَهُ
 وقد عَزَّ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ مَقِيلُ
 وكم نال منا السائلون رَغَائِبًا
 على حين عَزَّ السائلين مُنِيلُ
 طَبِعَتْ عَلَى حُسْنِ اصْطِنَاعِكَ كُلِّ مَا
 إِلَى خَيْرِ نَفْعٍ لِلضَّعِيفِ يُوِيلُ
 فَكُنْتَ كَثِيرَ النِّفْعِ فِينَا عَمِيمَةً
 إِذَا اخْتَصَّ بِالنِّفْعِ الْخَلِيلَ خَلِيلُ
 إِذَا رَاحَ عَنْهُ أَوْ إِلَيْهِ مِنَ السُّورَى
 سَوَاكَ كَمَا يَقْضِي هَوَاهُ يَمِيلُ
 فَأَنْتَ عَلَيْهِ قَدْ وَجَدْنَاكَ عَاكِفًا
 وَعَنْهُ لَشَيْءٍ لَمْ نَجِدْكَ تَحْوِلُ^(١)
 وَفَضْلُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مَا كَانَ نَافِعًا
 وَمَحْيَا الْأَلَى لَا يَنْفَعُونَ فُضُولُ^(٢)
 كَمَا كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى تَرْكِكَ الْأَدَى
 وَبِغَضِّكَ مِنْ يَمْشِي بِهِ وَيَصُولُ
 فَارْحَتْ وَلَمْ يَرْهَبْ أَذَاكَ مَجَاوِرُ
 وَمَا بَكَ عَنْهُ لَوْ أَرَدْتَ نُكُولُ
 وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ طَبَعُكَ أَبْيَا
 سَوَى مَا بِهِ مَنَا يُسَرُّ نَزِيلُ
 وَكُلُّ عَلَى حُكْمِ السَّجِيَّةِ كَائِنُ
 لَهُ حَسَبُ مَا مِنْهُ اقْتَضَتْهُ نَزُولُ
 فَكُنْتَ وَحْظُ الْجَارِ مِمَّا يَحِبُّهُ
 لَدَيْكَ كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ جَزِيلُ

(١) تحول: تتحول وتتنقل.

فكان على أمنٍ لـجارك دائماً
من الـبـادراتِ المؤذياتِ حُصول
إذا ما استمالَ الجارَ كَيْدُ لـجارِهِ
فـفـيكَ عن الكَيْدِ الذمِيمِ عُدول
وما كنتَ لو شئتَ المـكـيدةَ عاجزاً
ولا كان عنها في شَباكِ فُلُول^(١)
ولكنْ أبتَ إلا الوفاءَ وحُسْنَهُ
عليك سجايا كلهنَّ جميل
فَرُحْتَ وكلُّ بين فـكـيه مقولٌ
عليك كما شاء الثناءُ يَجول
قطعتَ من الحيا الطويلِ طريقَهُ
وأنتَ لمـقـطوعِ الجميلِ وصُول
فأنفقتَها تسعينَ عاماً كأنها
لغرسك فيها الصالحاتِ حقول
ولا حقل كالأعوام يُلبسُها الفتى
أزاهِرَ عُرْفٍ ما لهنَّ ذُبُول
وكلُّ امرئٍ يسعى إلى ذاك لو غدا
له جامعُ الأخلاق وهو ذَلُول
وأية حُبِّ اللّهِ للمـرءِ تَرْكُهُ
له وعِرْ طُرُقِ العُرْفِ وهو سُهول
غرسْتَ جميلاً فاجتنتِ ثمارَهُ
محامداً ممَّن قال أو سيقول
ومثلك في الدنيا الثناءُ نصيبُهُ
يُردُّه فردُّ بها وقَبيل

(١) الشبا: الحد. والفلول: الثلثة في حد السيف.

وفي داره الأخرى لدى الله حظه
 ثوابٌ إليه يطمئنُّ جليلٌ
 وإنَّ اجتماعَ الحمدِ والأجرِ لامرئٍ
 لحظٌّ لأعناقِ الحظوظِ مميلٌ
 وهل راقٍ إلا ذينِ شيءٍ يئِنُّنَّاهُ
 فتى رأيهُ فيما يَراهُ أصيلٌ
 فقَرَّ وطِبَ عِينًا ونفسًا فكلُّ ما
 حصلتَ عليه اليومَ ليس يزولُ
 أسالَ غزيرَ الدمعِ فقدُ ابنِ يوسفٍ
 وللدمعِ فقدانُ الكريمِ يُسيلُ
 وحقُّ له أنا نُسيلُ نفوسنا
 مع الدمعِ لو لم يبقَ منه بديلُ
 ولكن مضى بشرٌ وظلُّ «محمدٌ»
 وهذا لهذا مشبهٌ وعَدِيلُ
 فكان لنا عن شيخه خيرَ سلوةٍ
 ولا غرَّو أن أسألَى أباهُ سَلِيلُ
 فيا بشرٌ إن ترحلَ فيومٌ «محمدٍ»
 سَلِيلِكَ لم يُدركَ ضُحاهُ أصيلُ
 يَحْفُفُ به من ألكِ الغرِّ معشرٌ
 لهم حيثُ حلَّ الأكرمونَ حُلُولُ
 فسِرُّ غيرَ مرعوبٍ عليهم فكلُّهم
 «قوولٌ لما قال الكرامُ فعول»^(١)

(١) الشطر الثاني ليس للشبیب وإنما ضمنه قصيدته من قول السماأل بن عادیا التي مطلعها:
 إذا المرء لم یدنس من اللؤم عرضه فكل رداء یرتديه جمیلٌ

عَزَاءَكُمْ يَا آلَ بَشَرٍ فَمِثْلَكُمْ
لَمَّا نَابَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمُولٌ
وَكُلُّ أَمْرٍ مَهْمَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ
سَيَخْضَعُ مِنْهُ لِلْمَنُونِ تَلِيلٌ^(١)

(١) المنون: الموت. والتليل: العنق.

في بيتي الراحة

إذا كَثُرَتْ أصواتهم حول مسمعي
حكيتُ بصيراً سارياً في دُجى ليلٍ
وهل بَصَرَ الإنسان يَنْفَعُهُ إذا
تَغَطَّتْ بداجي الليلِ مَسْلوكَةُ السُّبُلِ
إذا البُصْرَاءُ اسْتَوْضَحُوا بضيائهم
على الطرق ما تحوي من الوعر والوَحْلِ
ومازوا به مَأْمُونَهَا من مَخَوفِهَا
فليس بغير الصمتِ مستوضحاً شكلي
فبالنور يستجلي البصيرُ طريقَهُ
وبالصمتِ مكفوفُ البريةِ يستجلي
فكم سَبَّبتُ ضوضاءَ قومٍ بمنهجٍ
عثاري ولولاها لما عثرت رجلي
ولم تخلُ من ضوضائها السُّبُلُ ساعةً
فيسلكها مستهدياً سمعَهُ مثلي
لذا لم أُطِقْ سِيراً بلا قائدٍ إلى
مرامٍ على صعبٍ من الطُّرُقِ أو سَهْلٍ
وتكليفِي الصُّحْبِ القِيَادَةَ خَطَّةً
تحرَّجتُ منها مذ رجعتُ إلى عقلي
فكم خلتُ بعضَ الصُّحْبِ لي متفرغاً
وما شغله إذ ذاك عَنِّي بالقُلِّ

فـيـا رُبَّ مـشـغـولٍ دَعـوتُ يـقـودُنـي
 عـلـى غـيـرِ عـلـمٍ أَنـه كـانَ فـي شُغـلٍ
 وقلـت له إن لم تـكـن فـي مـهـمَّةٍ
 فـخـذ بـيـدي فـالـخـلُّ يـحـتـاجُ لـلـخـلِّ
 فـأخـفى حـيـاءً مـا عـنـاه مـلـبـيـاً
 فـكـنـتُ له عـن حـاجـه سـبـبَ الفـصـلِ
 فـلـمـا بـدا لـي مـا طـواه عـذـلـتُه
 وماذا - وقد فات - استفاد من العذل^(١)
 وأكره جِدًّا أَنْ يـفـوتَ بـحـاجـةٍ
 قـيـامُ نـواه بـعـضُ صـحـبـي مـن أـجـلي
 فـكـنـتُ ثـقـيلاً عـنـد نـفـسي وإن تـنـتُ
 مـرـواتُه خـفـاً عـلـى نـفـسـه ثـقـلي
 وقلـد كـفَّ كـفـي عـن تـلـمـسِ قـائـدٍ
 بـأـجـرتـه مـن فـاقـتـي مُـحـكـمُ الشُّكـلِ
 لـذاك لـزـمـتُ البـيـتَ إلـا إذا دَعا
 لـسانُ اضـطـرارٍ مـعـلنُ مـفـصـحِ القـولِ
 وقلـم أـرَ بـأساً فـي لـزـومـي مـنـزـلي
 وإن كـنـتُ فـيـه كـالـسـجـينِ أخـي العُـلِّ^(٢)
 وكم قد أرتني البأسَ في السيرِ عثرةً
 بـها عـقـدُ حُـسـنِ الصـبـرِ عادَ إلـى حـلِّ
 وقلـم غـرـو إذ بـارحـتُ بـيـتـي سـالـماً
 وقلـد جـريـحَ الرِّجـلِ مـنـقـطـعِ النُّعـلِ
 وقلـد غـنـيـاً عـن طـبـيبٍ وخـارِزٍ
 لو أنـي لـشـخـصَ البـيـتَ مـا زلتُ كـالـظِّلِّ

(١) يريد ماذا استفاد من عذلي بعد فوات الأوان.

(٢) العُل: طوق من حديد أو جلد يجعل في اليد أو في العنق.

إذا خرج الأعمى لغير ضرورةٍ
بلا قائدٍ من بيته فهو ذو جهل
ولا يقل العكازُ يكفي أخا العمى
إذا ما مشى فوق الطريق على مهل
وليس بكافٍ حين يملك سمعهُ
عليه اصطخابٌ من ذوي الجدِّ والهزل
فما اصطخبوا إلا وعُدتُ كأنني
ومصحوبي العكازُ في قبضتي خبل^(١)
إذا بالعصا استرشادي اختلَّ لم أكن
لألفي إرشادَ العصا غيرَ مختلِّ
فيا أيها البيتُ الذي قبلُ صانني
زمانًا ستلفي فيك بعدي كالقَبْل
فلم تَلُقْ إلا فيك نفسي راحةً
وهل من مريحٍ ما عدا الغمدِ للنَّصل
فبوركتَ من بيتٍ كفاني لزومه
أذى كلِّ نهجٍ ينهكُ الصَّبْرَ أو يُبلي^(٢)
ويا من أحببوا وصلَ صقرٍ مكانهُ
لكم بانَ منه العذرُ في قلَّةِ الوصل

(١) وللبيت رواية أخرى كان الشاعر يريد وضعها بدل هذا العجز ليكون هكذا: «ومصحوبي العكازُ مُضطرب الحبل».

(٢) ينهك: يجهد ويضني.

فصل الصيف^(١)

أراني في الشهرين «تموز» والذي
يليه عن الألقيا من الحرِّ في شغلٍ
فلا تتوقَّع أن تراني ولم تعدُّ
تعدُّهما من منقضى زمنِ الحولِ
ألم تدرِ أنا منهما في جهنِّمِ
وها هي تُصلينا من الحرِّ ما تُصلي
أظنك قد أحسستَ منها بمثل ما
أحسُّ فقد أُدخلتَ مكروهاً مثلي
وهل عند سُكَّانِ الحجيمِ تطلُّعُ
إلى زورةٍ من بعضهم وإلى وصلِ
ولكنَّ لطفَ الله يَأبى خلودنا
بمذهِبةِ الخللِ الودودِ عن الخللِ
وعمَّا قليلٍ برُدُّ «أيلول» فاعلُ
بمشبوبيها فعل المَواطِرِ بالمحلِّ
هناك يعود الصعبُ - من أمر زورةٍ
يُسَرُّ بها قلبي الكئيبُ - إلى سهلِ
فَنُغْرَةٌ «أيلول» الحبيبِ إلى الوري
لنشرِ يديه فوقهم باردَ الظلِّ

(١) يعتذر عن زيارة المرحوم عبدالملك بن صالح المبيض في فصل الصيف. ذلك أن بيت الشاعر كان بشرق المدينة وبيت صديقه عبدالملك بغربها، وليست هناك في ذلك الزمن وسيلة للمواصلات غير السير على الأقدام.

هِيَ الْوَعْدُ فِيمَا بَيْنَنَا لِرَجْوَعِنَا
إِلَى النَّهْلِ مِنْ مَاءِ التَّوَاصُلِ وَالْعَلِّ^(١)
وَلَا تَخْشِ إِخْلَافَ الْوَعُودِ وَمَطَأَهَا
فَلَسْتَ بِذِي خُأْفٍ لِهِنَّ وَلَا مَطْلٍ
وَكَيْفَ وَمَا قَابَلْتُ قَطُّ ابْنَ صَالِحٍ
فَأُبْتُ وَلَمْ أَظْفِرْ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَضْلِ
فَقَدْ طَالَ مَا جَالَسْتُ مِنْهُ مَهْدَبًا
لَهُ الْفَضْلُ فِي تَهْذِيبِ نَفْسِي وَالْعَقْلِ
وَلَا تَتَوَهَّمُ أَنْنِي كُنْتُ سَالِيًا
فَمَا لِي سِوَى لِقْيَاكَ فِي الدَّهْرِ مَا يُسْلِي
وَأَنْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ تَعْرِفُ جَيِّدًا
وَتَدْرِي حَنِينَ الشُّكْلِ مِنَّا إِلَى الشُّكْلِ
وَلَمْ أَر لِي شُكْلًا سِوَاكَ بِكُلِّ مَا
طَبَعْتَ عَلَيْهِ حَدَّكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
وَأَيُّ فِتْنَى يَسْلُو حَيَاةَ فِوَادِهِ
إِذَا نَابَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ بِمَا يُبْلِي
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَعْتَاضَ عَنْكَ بِصَاحِبٍ
رَمَى عَارْفُونَا الْيَوْمَ عَقْلِي بِالْخَبْلِ
وَلَكِنْ فَصَلَ الصَّيْفُ مَا زَالَ حَاكِمًا
عَلَى كُلِّ مَشْتَاقٍ إِلَى الْوَصْلِ بِالْفَصْلِ
فَإِنْ كُنْتَ مَسْطِيعًا تَجْشِمُ زُورَتِي
فَشُكْرًا لِحَمَالِ الْمَشَقَّةِ مِنْ أَجْلِي
وَإِنِّي سَابِقِي فِي انْتِظَارِكَ مَصْبِحًا
وَحِينَ تَخْلَى الشَّمْسُ عَنْ طُرُقِ اللَّيْلِ

(١) النهل: الشرب الأول، وسكن الهاء للوزن، والعل: الشرب الثاني أو الشرب تباعا.

ماذا أعتقد (١)

بين جُبُري واعتزالي
طال تِيهي وضلالي
فإذا قلتُ بجبرٍ
ناقضَ العَدلِ مقالي
كيف اضطرُّ إلى ذن
بفأجزى بالمثال
جَلُّ أن يصنعَ كوزاً
غيرَ مسدودِ السِّفال^(٢)
ويَسومُ الكوزَ صَوْنًا ال
ماءِ عن عادي انهمال
ثم يَجزي الكوزَ بالكسُ
ر لَتَرِكِ الإمتثال
واعتزالي مثبتٌ عَدُ
لَ إلِهي ذي الجَلال
غيرَ أني عنه من عَقُ
لي أراني في عِقَال
كيف آتي بأموورٍ
طوعَ قصدي واحتِيالي

(١) وجه هذه القصيدة إلى الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

(٢) السفال: ضد العلو.

لم يُرْدَهَا طَابِعُ النَّفْقِ
 سِ عَلَى كُلِّ الْخِصَالِ
 كَيْفَمَا شَاءَ كَمَا شَاءَ
 بَدَنِيَّ أَيَّ أَتَّصِلِي
 أَيُّنَا مِنْهُ إِلَى دُنْ
 يَاهُ يَرْضَى بِانْتِقَالِ
 وَهِيَ أَكْوَادُ وَاحِدًا
 نٌ وَسَاحَاتٌ قِتَالِ
 وَهَوْلٌ نَشْعُرُ بِشَيْءٍ
 فِيهِ مِنْ دَاعِي الْمَلَالِ
 فَهُوَ الْعَصْمَةُ مِنْ كُ
 لِّ عَنَنْيَاءٍ وَكَلَالِ^(١)
 لِيَتَنِي مِنْ عَالَمِ اللَّا
 شَيْءٍ مِمَّا حُمَّ أَنْسِلَالِي^(٢)
 وَكَذَا تَمَّ عَلَى كِ
 لِّ سَجَايَايَ اشْتِمَالِي
 دُونَ تَخْيِيرِي فِي قُبُ
 حِ السَّجَايَا وَالْجَمَالِ
 أَيُّنَا لَمْ يَأْتِ لَوْحِي
 رَفِيهَا بِالْكَمَالِ
 فَسَجِيَّاتِي كَتَّكُودِ
 نِي لِمُوجِدِ لَالِي
 وَهُوَ أَدْرَى أَنْ صَنْعِي
 كَانَتْ حَسْبَ خِلَالِي

(١) الكلال: التعب.

(٢) حم: قدر.

فإذا حَسَّنَ طَبَّعِي
كنتُ من خَيْرِ الرَّجَالِ
وإذا قَبَّحَهُ جَا
نَبَّ بِي طَبَّعِي اعْتِدَالِي
فأنا رهنُ طَبَّعِي
في ارتقاءٍ واستيفالٍ
ما يُطَيِّقُ التَّمَرُّ إِلَّا
أن يُرَى في الذُّوقِ حَالِ
وعنِ الحِنْنِ ظَلَّ مُرُّ الـ
طَعْمِ مَسْلُوبِ الزِّيَالِ^(١)
ولقد قالوا اختياري
مطلقٌ دون اعتقال
لي طاعاتي وعصايا
ني ورشدي واختلالِي
وأرى كلَّ اختياري
لطباعي في انفعال
فوليدُ الطبعِ أخذي
بـحرامٍ أو حلال
أختياريًا تحملُ السُّ
مَّ مميتاتُ الصُّلالِ^(٢)
وهي لولاهُ لَمَّا كَا
نت رهيوناتُ الوِبَالِ
فهيَ مَهْمَا تَبَدُّ تُقْتَلُ
بِعَصَا أو بِالنُّعَالِ

(١) الزيال: المفارقة والمباينة.

(٢) الصلال: الحيات.

أُتُّرَاهِمَا أُوْدَعَتِ أُنْ
فُؤَسَهَا دَاعِي النُّكَالِ
وَالذِّي يَحْرَسُ مِعْزَا
نَا وَأُمَاتِ السُّخَالِ^(١)
بِوَفَاءٍ وَبِإِخْلَا
صِ احْتِفَاءٍ وَاحْتِفَالِ
مَا تَشَكَّتْ قَطُّ مِنْهُ
غَنَمٌ غَفَالَةٌ كَالِي^(٢)
لَا وَلَمْ يَخْفِرْ ذِمَامًا
لِلْغُنَيْمَاتِ الْغَوَالِي
فَهِيَ تَرَعَى أَمْنَاتِ
وَهُوَ عَنْهَا فِي نِخَالِ
بِنَبِيحٍ وَهَرِيرِ
وَسَهَادٍ مِتْوَالِ
عَاكِفًا مِنْهَا عَلَى صَوِّ
نِ ضِيخَامٍ أَوْ ضِيئَالِ
عَنْ عَوَادِي كُلِّ مَوْهُو
بِ عَلَيْهَا ذِي اخْتِتَالِ^(٣)
هُوَ لَوْلَا الطَّبِيعُ ذَنْبٌ
مَسْتَطِيرٌ الشَّرُّ قَالِ^(٤)
وَالْغَدُورُ الطَّبِيعُ لَوْلَا
طَبِيعُهُ كَلْبٌ مَوَالِ

(١) الأمات: هي الأمهات وتطلق الأمات غالباً على الأمهات من البهائم.

(٢) الكالي: تخفيف الكالي وهو الحارس.

(٣) اختتال: خداع.

(٤) القالي: المبعوض.

وطبباعُ الكلِّ من كلِّ
بِ وَذئِبِ نِي اغتِيال
لم تكن إلا مُرادا
تِ الذِي لِكُلِّ وال^(١)
وكذا أخلاقُ سادادا
تِ البرايا والموالي
وإذا كان مريدًا
حَسَبَ أخلاقي فِعالي
فإلى جبري أفضى
بِي من هاجُ اعتزالي
رغم ما قال ذوهُ
ضمن مشتدَّ الجدل
أكذا أم خانني الفه
مُ لإبهم المجل
فأين لي الفَرْقُ أعرفُ
أَيُّ هـ ذين أوالي
فلدي الفَرْقُ ما بي
نهما بادي الزوال
وأرى ظممانَ كسبِ ال
أشعرين كال^(٢)
وردته النفسُ لكن
صددت دون ابتلال
هل يصحُّ الكسبُ ما دا
م من التثاثير خال

(١) الوالي: المالك للأمر.

(٢) ال: السراب.

هل تكون النار ناراً
وهي بردٌ كالزُّلال
أو يكون الماء ماءً
دون إرواءٍ بحال
من يرى الشيءَ هو الشيء
ء، وطبع الشيء بال
عَيْرُهُ كُلُّ إِذَا الطُّب
عُ انجلى عنه لجال
وإذا ما سُمْتُ نفسي
أخذَ جداتي الخوالي
باعتقادٍ دون بُرها
نِ أَبْتُ نفسي قالي^(١)
فبِبحثي مخصبات ال
كُتِبَ ما زال اشتغالي
أهبط الوادي منها
ريثما يدعو ارتحالي
فأنا بين رحيلٍ
دون جدوى واحتلال
وعلى عُقْمِ ارتيادي
عنه قلبي غيرُ سال
أيها القلبُ إلى كم
كُلُّ عن جملي احتِمالي^(٢)
طال مسراي بليلٍ
صباحه ليس بتال

(١) القال: القول.

(٢) كل: تعب.

ذَكَرُوا صَبِيحًا سَيْفِشِي
سِيرَهُ ذَكَرُ مُحَال
وَعُدُّهُمْ بِالصَّبِيحِ مَطْلًا
وَعَدُّ ذِي بُخْلِ بِمَالٍ^(١)
كَلِمَا قَلْتُ تَنْهَاهِي
كَرْبِي غَيْرَ مُبَال
مَظْلَمًا ظَلَمَةً حَظِي
كَدِرًا كُدْرَةَ بِيَالِي
طَامَسَ الْأَنْجُمَ مَا فِيد
هَ لِنَنْجَمٍ مِنْ تَالِي
خَابَطًا تَحْتَ دُجَاهُ
خَبَطَ مَكْفُوفِ الْجِمَالِ
بَيْنَ مَنْبَتٍ وَعَوْرٍ
مَنْ وَهَادٍ وَجِبَالِ
لَيْتَ شَعْرِي أَصَوَابِي
عَنْ يَمِينِي أَوْ شِمَالِي
فَالِي الْغَايَةِ سُبُلِي
أَشْكَلْتُ جِدًّا حِيَالِي
أَيْهَا أَحْمَدُ غِبًّا
يَوْمَ بَعَثْتِي وَمَالِي
حَرْتِ فِيمَا أَجْتَبِيهِ
رَغْمَ أَبْحَاثِي الطُّوَالِ
فَأَنَا أَحْيِيرُ - يَا يُو
سُفُّ - مِنْ ضَبِّ الرُّمَالِ

(١) المطل: التسوية بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

وَإِذَا لَمْ يَهْدِنِي الرَّشْدُ
سَدَّ ابْنَ عَيْسَى ذُو الْمَعَالِي
فَأَنَا مَا دَمْتُ مِنْ إِشْدِ
كَالِ أَمْرِي فِي شِكَايِ (١)
ذَاكَ أَهْدَانَا جَوَابًا
عِنْدَ إِشْكَالِ السُّؤَالِ
وَهُوَ أَوْلَانَا بِتَّصْحِيدِ
سِحِّ مَنْ أَعْتَلَّ أَعْتَلَالِي
فَأَلَّكُمْ وَافَى جِرُوحِ الْ
نَفْسِ مَنِي بَانْدِمَالِ
وَاقْتِنَاعِي طَالْمَاهُ
بِقِنَاعِي الشُّمَالِ
لَا أَصَابَتْ نَجْلَ عَيْسَى
يَدُ أَحْدَاثِ الْإِيَالِي
مَلَجَاُ الْأَدَابِ صَوْنُ الْ
عِلْمِ عَنْ كُلِّ ابْتِذَالِ
ذَخِرُ أَهْلِيهَا لِأَيَّا
مِ الْمَلَمَّاتِ النَّقَالِ
شَامِخُ الْقَدْرِ وَلَكِنْ
نَفْعُهُ دَانِي الْمَنَالِ
فَهُوَ كَالْمَزْنَةِ تَسْمُو
وَحَايَاهَا فِي انْهَالِ (٢)

(١) الشُّكَاال: حبل تشد به قوائم الدابة.

(٢) الحيا: المطر.

حِسْبَةً لَيْسَ لَشَكْرٍ
 أو جزاءٍ كالبدال^(١)
 حين جُودُ البعض للصَّيدِ
 سدِّ كَفْحٍ أو نِبَالِ
 زاخرُ الصنْفَيْنِ من عُ
 مَمِي أوالٍ وتوالي^(٢)
 فائضُ الرُّفْدَيْنِ من ما
 لٍ وجاهٍ متعال
 فبنفسي منه أفدي
 بحرَ علمٍ ونوال
 طالما ألقى إلينا
 منهُما عُراً اللآلي
 ساكنُ الأمواجِ ما لمْ
 يُرْمَ حَقٌّ بانتهال
 سيِّما حَقٌّ ضعيفٍ
 غيرِ مرهوبِ المصال
 وهو في إرشادٍ من حا
 رَ سراجٍ ذو اشتعال
 ومن البِدْعِ خِضْمٌ
 في الهدى ذاكي الذُّبال^(٣)
 فلتدومي بابنِ عيسى
 يا بلادي في اختيال

(١) البدال: المبادلة.

(٢) أوال وتوالي: أي سابقين وتالين لهم.

(٣) البدع: الأمر الذي لم يسبق له مثال. والخضم: البحر. والذاكي: المشتد اللهب والذبال: الفتيلة.

فَأَكِ الْفَخْرُ بِهِ الْخَا
لِدُ مَمْدُودُ الظَّلَال
لَيْتَ شَرَوَاهُ كَثِيرُ
بِكِ مَوْصُولُو الْجِبَال
كِي أَرَى سُمْنَاكَ لَا تَبُ
— غِي عَلَى ذَاتِ هُزَال
وَأَرَى لِييْتُكَ لَا يُو
قِعُ خِتْلًا بِالْغَزَال
وَأَرَى الْمُكْثِرَ فِي نَفِ
عِ مَقْلُوكِ يُغَالِي
وَأَرَى فَيَكِ عِرَابِ الْ
خَيْلِ قُدَامَ الْبِغَالِ
فَمِنْ الْمَسْخِ جَبِينُ
نَابِتُ خَالَفَ قَذَال^(١)
وَأَرَى سَيْفَكَ لِحَا
عِدُّ مُعَدًّا لَا الصُّقَالِ
فَمِنْ الْجَهْلِ لِحَسَنِ الصِّقِ
لِإِعْدَادِ النَّصَالِ
وَأَرَى مِنْ بَاعِ بِالْمَا
لِضَمِيرًا فِي انْخِذَالِ
وَأَرَى فَيَكِ مَكَانِ الْ
— عِ أُمِّ وَالْآدَابِ عَالِي

(١) القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

عتاب مريير^(١)

لو لم يُوظَّفَ في المعارفِ غيرُ مَنْ
أبدى الكفاءةَ لم أكنُ بالعاطلِ
لكن لحقدٍ أو هوىٍّ كم عالمٍ
فيها يُنحَى عن طريقِ الجاهلِ
وإذا الهوى والحقدُ يوماً صرَّفَا
يُمنى مؤلَّى ناصبٍ أو عازلِ
فقيامُ منصبه وسقطتُهُ سَوَا
إلا لدى غافي الحجا والهازلِ
فالحقدُ أكثرُ ما يكون على الذي
بسوى الحقائق لم يكن بالحافلِ
الناصرِ الحقِّ الصريحِ برأيه
ما بين كلِّ منافقٍ ومُخاتِلِ
وترى الهوى يُعمي الفتى ويصمُّه
عن صارخِ الحقِّ الجليِّ الماثِلِ
وإذا الضميرُ به أهاب مُناصبًا
ألفاهُ غيرَ سميعِ نصحِ قابلِ
ما مَنْ يميلُ إلى الهوى في أمره
أبدًا إلى نُصحِ الضميرِ بأيلِ

(١) قال هذه القصيدة بمناسبة طلبه للوظيفة التي لم يحصل عليها آنذاك بسبب تردد المسؤولين في توظيفه لكونه لا يبصر.

حتى يموتَ ضَمِيرُهُ فِي جُوفِهِ
فِيظَلُّ أَلَّةَ كُلِّ شَرٍّ نَازِلِ
فَتَرَاهُ رَغْمَ حَيَاةٍ ظَاهِرِ جِسْمِهِ
بَيْنَ الْأَلَى يَحْيُونَ مَيِّتَ الدَاخِلِ
وَإِذَا الْكُوَيْتُ أَبْتُ سَوَى تَقْدِيمِهَا
مَفْضُولَهَا ظَلَمًا أَمَامَ الْفَاضِلِ
فَمَنْ الْمُحَالِ خَلَاصُهَا مِنْ جَهْلِهَا
فِي عَاجِلِ الْأَيَّامِ أَوْ فِي الْأَجَلِ
فَإِذَا بَكَيتُ عَلَى الْكُوَيْتِ تَخَوُّفًا
مَنْ مَظْلَمِ الْآتِي الرَّهِيْبِ الْهَائِلِ
فَلَأَنْنِي لَا أَسْتَطِيعُ سَوَى الْبُكَاءِ
رَفَعْتُ احْتِجَاجِي ضِدَّ هَذَا الْبَاطِلِ
هَلَّا بَحَثْتُمْ عَنْ مَدِيرٍ مَخْلُصٍ
مَتَرَفِّعٍ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ سَافِلِ
يَقْظُ النَّهْيَ غَافِي الْهَوَى مَتَجَرِّدٍ
عَنْ كُلِّ شَخْصِيٍّ الْمَنَافِعِ عَادِلِ
ذِي جِرَاةٍ مَاضِي الْعَزِيمَةِ نَابِذٍ
فِي نَصْرِهِ لِلْحَقِّ عَذْلِ الْعَادِلِ
مَهْمَا اسْتَفْغَاثَ الْحَقُّ مَخْذُولًا رَأَى
مِنْهُ مَغْيِيئًا رَغْمَ أَنْفِ الْخَاذِلِ
وَرِعٌ يُرَاعِي اللَّهَ فِي أَعْمَالِهِ
خَاشٍ لِمَا بَعْدَ الْمُنْيَةِ آمِلِ
فَعَسَاهُ يَجْرِي بِالْمَعَارِفِ وَفَوْقَ مَا
يَقْضِي عَلَيْهِ كُلُّ نَفْعٍ شَامِلِ
لَهْفِي عَلَى وَطْنِي أُعْلِّ وَلَمْ أُطِقْ
إِسْعَافَهُ إِلَّا بِدَمْعِي السَّائِلِ

أو بالمقالِ وليس يَحْسِمُ داءَهُ
 جاري الدموعِ ولا مقالُ القائلِ
 ما إن يُفيدُ سوى الفعَالِ فليت لي
 ما أستطيعُ بهِ فِعَالُ الفاعِلِ
 هيهاتَ لا عَضُدٌ ولا كَفٌّ بها
 أقوى على تقويمِ أمرٍ مائلِ
 ما في الكويتِ لمرشدٍ من سامعِ
 مهما يَذَعُ نُصْحُ المحبِّ العاقلِ
 فتراه بعد النصحِ يُنكسُ يائساً
 لمضٍ سكتتهِ سكوتُ الناكِلِ
 حتى متى فيها أقيم على أذى
 مشتدَّةٍ وطائئةٍ متواصلِ
 من لي كغيري من ذوي أدابِها
 المخلصين لها بِرِحَالَةٍ راحلِ
 فالخلصون يسوء فيها عيشهم
 ما بين نابلٍ قومهِ والحابلِ
 قومٍ مغبَّبَةٌ أمرهم مرهوبةٌ
 إلا لدى مفتونهم والغافلِ
 أبداً تراهم رهنَ كلِّ تنافُرِ
 وتناكُرٍ وتدابرٍ وتخاذلِ
 طُوعَ الغُواةِ من الذين قلوبهم
 لولا المطامعُ لم تكن بأواهلِ
 مهما أهاب المخلصون بهم إلى
 أن يَرَعَوْا عن كُلِّ رأيٍ فائلِ^(١)

(١) رأي فائل: ضعيف مخطئ.

رُشِقُوا بِنَبْلِ أَدَاهُمْ فَتَقَهَقَرُوا
عَنْهُمْ وَلَمْ يَحْظُوا بِأَمْرِ طَائِلٍ
فَكَانَ بَيْنَ مَعَاشِرِي عَهْدًا عَلَى
أَنْ لَا يُرَوَّأَ فِي أَلْفَةٍ وَتَوَاصُلُ
أَيُّ الشُّعُوبِ عَصَى ذَوِي إِخْلَاصِهِ
قَدَمًا وَلَمْ يُفَجَّعْ بِمَجِيدِ زَائِلٍ



يَا مَنْ يُغَرِّبُ أَوْ يُشَرِّقُ طَالِبًا
مَا شَأْنُهُ إِضْحَاكُ سِنِّ الثَّائِلِ
لَكِنَّهُ يُبْكِي اللَّبِيبَ مِنَ الْوَرَى
لِصَيْرِ أَهْلِيهِ الْمَمِيتِ الْقَاتِلِ
عَرَّجْ عَلَيْنَا تَلْقَ أَيُّ عَجِيبَةٍ
تُبْكِي وَتُضْحِكُ دُونَ حَدِّ فَاصِلِ



يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى طَوِيلِ تَشَاوُمِي
إِنْ التَّشَاوُمَ لَسْتُ مِنْهُ بِوَائِلِ^(١)
فَلَقَدْ تَأَبَّى أَنْ يَغَادِرَ سَاعَةً
فِيهَا أَفْتَشُّ عَنْ طَرِيقِ تَفَاوُلِي
أَنْتَى يَرَى طُرُقَ التَّفَاوُلِ مِنْ يَرَى
أَبَدًا مَوَاطِنَهُ بِحَالِ حَائِلِ
وَإِذَا أَهَابَ بِهَا إِلَى طُرُقِ الْعُلَا
لَمْ تُبَدِ غَيْرَ تَبَاطُؤٍ وَتَثَاوُلِ
يُلفِي سَوَاهَا فِي نَشَاطِ مَعْقِبِ
عُرَّرَ الْمَعَالِي وَهِيَ ذَاتُ تَكَاوُلِ

(١) وَال فَهُوَ وَاثِلٌ: رَجَعَ فَهُوَ رَاجِعٌ.

أَفَلْتِ كَوَاكِبُ نَحْسٍ كُلِّ غَيْرَهَا
لَشُرُوقِ أَنْجُمِ نُصْحِهِ الْمَتَبَادَلِ
وَنَجُومِ أَنْحَسِهَا لِفَقْدِ تَنَاصِحِ
بَيْنِ الَّذِينَ تَضُمُّ غَيْرُ أَوَافِلِ
أَرَأَيْتَ شَعْبًا يَرْتَقِي إِلَّا عَلَى
دَرَجِ أَقِيمٍ مِنَ التَّخَاخِي الْكَامِلِ
وَأَرَى التَّخَاخِيَّ بَيْنَ قَوْمٍ فَاتَهُمْ
مَحْضُ التَّنَاصُحِ لَمْ يَكُنْ بِالْحَاصِلِ
لَوْ خَصَّنِي بِالضَّرِّ صُنْعُ مَعَاشِرِي
لَتَجَنَّبْتُ أَيْدِي الْهَمُومِ تَدَاوُلِي
لَكِنْ أَخَافُ الضَّرَّ يَشْمَلُ مِنْهُمْ
وَأَنَا أَنْابِيْبٌ نُظِمْنَ بِعَامِلِ
فَعَلِيهِمْ أَبْكَى وَإِنْ لَمْ يَبْرَحُوا
مَتَحَامِلِينَ عَلَيَّ كُلَّ تَحَامِلِ
فَمَحَبَّتِي لِلْقَوْمِ رَغْمَ أَذِيَّةِ
أَشْقَى بِهَا مِنْهُمْ وَطَوَّلِ تَطَاوُلِ
أَغْرَتُ جَفُونِي بِالْبُكَاءِ لِلْخَوْفِ مِنْ
مَسْتَقْبَلِ دَاغِ لِشَعْبِي الذَّاهِلِ
أَنَا لَسْتُ مَمَّنْ يَحْزَنُونَ إِذَا رَأَوْا
أَقْوَامَهُمْ تَحْتَ السَّحَابِ الْهَاطِلِ
مَهْمَا انْطَوَتْ مَنِي الضَّلُوعُ عَلَى صَدَى
وَالسُّحُبُ بَيْنَ هَاطِلٍ وَهَاطِلِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ بَدُّ لِهَذَا الْغَيْثِ مِنْ
أَنْ لَا يَعْصَمُ جَمِيعُنَا بِالنَّائِلِ
فَلَيْسَقِيهِمْ سُقِيَا تُدِيمُ سُورَهُمْ
بِالْخِصْبِ وَلِيَتْرَكَ جَمِيعَ مَنَازِلِي

وَعَلَيَّ أَنْ أُثْنِي وَأَشْكُرَ مَنْ يَرَى
لِلْقَوْمِ دُونِي بِاسْطِ يَدِ بَاذِلِ
مَهْمَا هَلَكْتُ بِبَخْلِ مَنْ يُحْيِيهِمْ
جُودًا شَكَرْتُ يَدَ الْجَوَادِ الْبَاخِلِ
مَا صَالِحِي فِي جَنْبِ صَالِحِ أُمَّتِي
مَهْمَا تَهَضَّبَتْ بِهِمْ مَشَاكِلِي
لَوْلَمْ تُكُنْ مِنْهُمْ مِرَاعَاتِي بِهَا
نَفَعٌ لِأَجْلِ أَمْرِهِمْ وَالْعَاجِلِ
مَا كُنْتُ - مَهْمَا فَرَطُوا بِي ضِلَّةً
شَنْعَاءَ - فِي وَادِي الْمَلَامِ بِجَائِلِ

يا عقل^(١)

قالوا انصرفت إلى المعقول مُتْرِكًا
ما لم يكن وَفْقَهُ من كلِّ منقولٍ
فقلتُ لو لم يُرِدْ هذا مكوِّننا
منِّي ومن كلِّ معروفٍ ومجهولٍ
لما حَشَا الهامَ بالألبيابِ قائمةً
بالفرقِ ما بين مسمومٍ ومعسولٍ
لو لم تُلازِمِ حواسَ المرءِ حاجتُها
إلى اعتمادِ على عقلٍ وتعويل^(٢)
لم يُدركِ الفرقَ يوماً فهمٌ مدركه
بين الألباءِ مِنَّا والمخابيلِ
إني لأرتاب في المنقولِ يبلُغني
حتى يقوم له عقلي بتعاليلِ
فكُلُّ نقلٍ تفوتُ العقلَ علَّتُهُ
أعدُّ إرشادهً منهاجَ تضليلِ
مِيلوا بمنقولكم عني لِقَابِلِهِ
عَمَّنْ تَرَوْنَ إِذَا نَافَاهُ مَعْقُولِي
وفِي قَوْلُوا الَّذِي يُوْحِيهِ جَهْلُكُمْ
فَلَسْتُ مَمَّنْ يُبَالِي بِالْأَقَاوِيلِ

(١) نشرت في مجلة اللغات العدد الثالث ديسمبر سنة ١٩٦٢ السنة الثانية المجلد الثاني صفحة ٣٠.

(٢) حواس: هنا غير مشددة السين لضرورة الشعر.

ماذا يَضُرُّ إذا إذا أرضيتُ مُوجِدَنَا
ما قد تُشيعونَ من كُفري وتَجْهيلي
أَبْعَدَ ما بَانَ فَجْرُ الحَقِّ لي وَبَدَا
أَعوْدُ عَنه إلى ليلِ الأباطيلِ
«عليك يا عقل بعد الله معتمدي
وبعدك لك تعظيمي وتبجيلي»
فكن دليلي إذا ما حيرةٌ عَرَضَتْ
وكن إذا ليلٌ شَكٌّ جَنَّ قَنديلي
يا عقل أنت سماويُّ الهدى فَأَبْنُ
ما غاب من وجهِ تحريمٍ وتحليلِ
وسُدَّ أذنيَ عَمَّا القومُ قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيلِ

حدث عن شمائله^(١)

إليك الشوقُ أَلزَمَني الوصِالا
وكاد إليك يسعى بي خيالاً
لأنَّ طَوِيلَ سُقْمِي قد تُناني
خيالاً أو لِأَيِّلَتِهِ هِلالاً
فَلَوْ يا أَحْمَدَ العِلياءَ ترنو
إليَّ لَخِلتَ جُثْماني خِلالاً^(٢)
فقلتُ الشوقُ طاعَتُهُ وجوبُ
وقمتُ لأمرِ أشواقِي امْتثالاً
فصاحَ الضعْفُ بي والضعْفُ أقوى
من الشوقِ المَبْرَحِ بي مَقالاً
يقول بملءِ فيه لا تُغادرُ
مكانَكَ أيها الأعمى ألا لا
فَقُمْ عني لَدِيكَ بِشِرحِ عُذري
تَنَلْ من جَزَلِ شُكراني مَنالاً
أيقعد مستطيع السير عن من
لكلِّ فُضيلةٍ أضحي مثالاً
يفوتُ - شذَى وحسنًا كلَّ زهرٍ

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب أحمد بن خالد المشاري وهو في (بومبي) سنة ١٣٣٩ هجرية.

(٢) الخلال: العود يوضع في لسان الفصيل لئلا يرضع أمه.

خلالَ الروضِ ممطووراً - خلالاً
 وأينَ مَطِيرُ زَهْرِ الروضِ عَرَفَا
 من الأخلاقِ تزكوا أو جَمالاً^(١)
 فَحَدَّثَتْ عن شمائله وصيفها
 ولا تَصِفِ الشَّمُولَ ولا الشَّمالاً^(٢)
 فوصفُ شمائلِ الأحرارِ تُلْفِي
 لِمُعْتَقِلِ العَقولِ به انحلالاً
 ووصفكَ شَمَّالَ الأرواحِ مُلِّهُ
 به عن نافعِ تجَدِّ أَشْتَفالاً
 وأوصافِ الشَّمُولِ بكلِّ رأسٍ
 تُضِلُّ العَقْلَ أو تهدي الخَبالاً
 فكم أدنى إليها الوصفُ ناءٍ
 فزایلَ رشدهُ وأتى الضُّلالاً
 فَقُلْ سُحُفًا لكل فتىٍ إليها
 يسوق المدحَ زوراً وانتحالاً
 فلولا مادِحُوها ما تَمَشَّتْ
 لها الأحرارُ أسراباً توالى
 فَحَادِثُهُ على ظَمًا فتنسى
 لطيبِ حديدتهِ الماءَ الزُّلالاً
 فإن مُلَّتْ أَحاديثُ لَطولِ
 فطولُ حديدتهِ يَنفِي الأملالاً
 وإن صَدِثَتْ عَقولُ من حديدِ
 غدا منه الحديدُ لها صِقالاً
 بِجَدْعِ الأنفِ يَهوى سامعوهُ

(١) العرف: الرائحة الطيبة.

(٢) الشمول: الخمر، والشمال: الريح التي تأتي من الشمال.

إذا اختصرَ المقالةَ لو أطلالا
 إذا ما قالَ ودَّ الكُلُّ أنْ لَوُ
 إلى أذنٍ بجُمُلتِه استَحالا
 فإنَّ تَجْهَلَ حَالَلِ السُّحْرِ فاجلسُ
 إليه تَعْرِفِ السُّحْرَ الحَلالا
 وأنتَ ترى تَواضُعَه - على ما
 به يمتاز - قد بلغَ الكمالا
 ولو أوتيتُ منطِقَه رأيتُ لي
 عليها الناسَ تيهًا واختيالا
 وهل تُكسى الدجاجةُ ريشَ نَسْرِ
 فلم تُصْبِحْ منافعُها وبالا
 فَحَصُّ جَنَاحِها ما كان إلا
 لكونِ الحَصِّ يُكسِبُها اعتدالا^(١)
 فَجَلَّ مُوزَعُ الأرزاقِ فينا
 لكلِّ ما يُناسِبُ منه ألا
 فَعَنَ حِكْمِ جالِياتٍ وإن لم
 تَزَلْ تُرْخِي عن العقلِ الحِجالا
 ترى بين الأنامِ بكلِّ شيءٍ
 كبيرَ الفَرْقِ قد ألقى مَجالا
 فما همُ مُسْتَوُونَ خُلُقٍ وَخُلُقٍ
 كما لم يستَوُوا علمًا ومالا
 فبعضُهم ضئيلُ الشأنِ يبدو
 وبعضُ شأنُه ليسَ الجلالا
 وذلكَ غيرُ منظورٍ وهذا

(١) حص الشعر حصًا: حلقة.

به الأنظارُ أهدقتِ احتيفالا
 وهذا يعتلي المنطادُ يُسرّاً
 وذاك لعُسرِهِ عَدِمَ النُّعَلا
 ومن لم يُرْضِهِ ما اللهُ راضٍ
 لَهُ بِقَيَّتِ مَرَضِيهِ مُحَلا
 فتبصرُهُ لِسِخْطَتِهِ دَواماً
 يُكابدُ داءَ أَحْزانِ عُضَلا
 فِيا مَنْ قَصُّ أَجْنَحَتِي فَجاءتِ
 ضِعافاً منذُ تَكْوِينِي ضِئِلا
 فما قَوِيَّتْ خَوافِي الرِّيشِ مِنْها
 ولا كانتِ قَوادِمُها طِوالا
 فمهما سُمَّتْها الطَّيْرانُ أَبْغِي
 فِضياءَ الرِّزْقِ أَبَدتْ لي كَلا
 أَنلِ نَفْسي الرِّضَا عن سَوءِ حَظِّي
 فيكفِيني رِضا نَفْسي نَوالا
 أَنفِسي إِنما دَنِيّاكِ ظِلُّ
 إِذا ما فاءَ فِوقَ المَرِّ زالا
 وَإِنْ هَولَمَ يَزُلُّ فِالمَرِّ عَنه
 تَزولُ بِهِ مَنايِاهُ عِجالا
 فَلِيسِ بَدائِمِ لِهَما وِصالٌ^(١)
 أَحَبُّا مِنْهُ أو كَرِهَها الزُوالا
 إِذا سَيَّانِ مَنْ تُصَلِّيهِ ناراً
 وَمَنْ مَدَّتْ عَلَيهِ لَها ظِلالا
 فِيا نَفْسي على دَنِيّاكِ صَبِراً

(١) كتب صدر البيت في إحدى الكراسات: وصالهما إدامته محال.

ولا تستبِعدي عنها انتقالا
إلى الأخرى وظنني أن تُلاقي
بها نسيانك النُوبَ التُّقُلا
فعدُّ الله يابى أن تخزيقي
هُنا وهُنَا بالرزق احتيالا



أودُّ بأنني أسطيعُ سيراً
إليك ولو غَدتُ طُرُقِي نِصَالا
فما أخشى الوعورة في طريقِ
إلى شرواك يُفضي بي مَآلا
ولكنَّ القويَّ الخُفَّ يابى
عن الأحباب لي إلا انفصالا
فغيرُ مفيدٍ اسمُ الشيءِ معنًى
عليه ينطوي الشيءُ اشتِمالا



فأجابه أحمد بن خالد المشاري:

سلامٌ كَوَصَلِ الحُبِّ لِلوَالِهِ الصَّبِّ
وإلا كَرَشَفٍ من لَمَى ثَغْرِهِ العَدْبِ
تحيةٌ مشْتاقٍ إلى خَيْرِ صَاحِبِ
خَلائِقُهُ تَذْكَو على المَنْدَلِ الرُّطْبِ
أيا صَقْرُ أَشْجِيَّتِ الفِؤَادِ وَزِدَّتْ فِي
تَبَارِيحِ شَوْقٍ أذْكَتِ النِّارَ فِي قَلْبِي
فَمَا أَنَا من يَجْفُو على البُعْدِ خِلَّةً
ويومِقه إن كان مِنْهُ على قُرْبِ
فكم دَمْعَةٌ أسْبَلْتُهَا من تَوَلُّهُ
وكم زَفْرَةٌ نَهَضْتُهَا من لَطَى الحُبِّ
وكم لَيْلَةٌ أَحْيَيْتُهَا من تَذَكُّرِ
تَقَلُّبُنِي الأَشْجَانَ جَنْبًا إلى جَنْبِ
وكم صَاحِبِ نَبَّهْتُهُ من جَفَائِهِ
فَضَاعَ وما أَجْدَى وَقَدْ زَادَ فِي كَرْبِي
فَأَخْتَلَقُ الأَعْدَارَ لِلنَّفْسِ دُونَهُ
وإن كُنْتُ مَظْلُومًا أَكُنُّ حَامِلَ الذَّنْبِ
فَهذِي شِكَايِي قَدْ أَثْرَتْ دَفِينَهَا
وهَذَا مُصَابِي والأَسَى قَاتِلُ الصَّبِّ
وما لي بَتَنْظِيمِ القِصَائِدِ من يَدِ
ولكن إِذَا جَاشَتْ يَخْفُ بِهَا كَرْبِي

قرأت

إلى الأستاذ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.. حينما كتب يدافع عن المرأة:

قرأتُ مقالَكَ الحُرَّ الجميلاً
فألزمتني لك الشُّكْرَ الجَزِيلاً
مقالٌ منه حَقُّ الغيْدِ يَلْقَى
وقد طالَ المغيْبُ به قُفولاً
سَأَلْتُ به لإرهاقِ التَّعَدِّي
وقتلِ الحَيِّفِ مرهَفَةً نُصُولاً
فلا لَقِيَتْ سيوفُ الحقِّ تُنْضِي
بيمْنِي رأيكَ السَّامِي فُلُولاً
وَحَكَّمْتَ العُقُولَ وفازَ حُرٌّ
يُحَكِّمُ بالذي يَأْتِي العُقُولاً
وأعجَبَنِي انتصارُكَ لَلْوَائِي
تَكْبِدُنَ الأذى زَمَنًا طَوِيلاً
فواصلُ لاعدِمِنَاك انتصاراً
للهنَّ من الأذى حتى يَزُولاً
وأَعْمَلُ من يَرَاعِكَ ما أَرَانَا
مُحَيِّياً الحقَّ وضَّاحاً صَقِيلاً
فأَجْمَلُ باليراعِ إذا أخوهُ
أزالَ به عن الحقِّ السُّدُولاً
فلا تَدَعِ انتصارُكَ يا ابنَ عيسى
يُنِلكَ الله مقصِدَكَ النُّبِيلاً

إذا ما قام للإصلاح يسعى
شبيهك في الورى رأيا أصيلا
فما أحرأه أن يحظى بما قد
إليه من المنى سلك السببلا
إذا ما الجيد صاحبك كريم
رأه بالنجاح له كفيلا
فجيد ففي الكويت الغيد ترجو
بواجبها إليها أن تؤولا
لعل لها نجوم السعد تبدو
بجيدك بعد ما اكتست الأفولا
تشككين الحزنونة في حياة
بها العادات أعدمتم السهولا
فقم في محو عادات ثقيل
فمثلك من مح العاد الثقيل
فما ترجو سوى عليك غيد
تقاسي في الكويت عنا وببلا
فأنت فتى الكويت اليوم يا من
أقام لأهلها الجد الأثيلا
فزد في مجدك العالي عؤوا
بحلك عن غوانيها الكؤولا
تدارك راحما فيها قلوبا
بنار الحزن توشك أن تسبلا
ولولا أن فيهن احتشاما
لأسمن الرجال العؤولا

أَبْنُ حَقِّ النَّسَاءِ الْيَوْمَ يَا مَنْ
أَزَالَ بِأَمْسِهِ عَنَّا الْخُمُولَا
فَمَا إِنْقَادُهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا
إِذَا مَا قَامَ مِثْلَكَ مَسْتَحِيلَا
إِذَا مَا رَامَ مِثْلُكَ أَيُّ أَمْرٍ
وَتَابَرَ عَادَ أَصْعَبُهُ ذُلُولَا
فَلَا تَسْتَجِنُّ يَرَاعَكَ وَاتَّوَكَّلْهُ
بِمِيدَانِ النَّصِيحَةِ أَنْ يَجُولَا
وَقُلْ وَاجْهَرُ وَصَرِّحْ تَلْقَ مَنْنَا
وَمَنْهِنَّ التَّجِلَّةَ وَالْقَبُولَا
أَنْلُزِمُهُنَّ مَا نَرْضَاهُ قَسْرًا
وَإِنْ لَمْ يُرْضِ مِنْهِنَّ الْمُيُولَا
وَنَزَعُمْ أَنْ هَذَا الظُّلْمَ يَا أَبَى
عَلَيْنَا الدِّينُ عَنْهُ أَنْ نَمِيلَا
أَفِي الدِّينِ الْفَسِيحِ الرَّحْبِ أَنْ لَا
نَبُلَّ لَهَا بِإِنصَافٍ غَلِيلَا
أَأَمْتَعَةٌ خُلِقْنَ لَنَا الْغَوَانِي
فَلَمْ نَرَأَفْ بِهِنَّ وَلَوْ قَلِيلَا
أَيُرْضِي اللَّهُ عَطْفُ الْغَيْدِ قَهْرًا
إِلَى مَا لَا يُرْدِنَ أُمُّ الرَّسُولَا
كَأَنِّي بِالْغَوَانِي حَافِظَاتٌ
لِيُوسِفَ شَكَرَهُ جَيْلًا فَجِيلَا
وَلَا مَنْ لِهِنَّ عَلِيهِ فِيهِ
فَقَدْ أَحْيَا لَهَا الْحَقُّ الْقَتِيلَا

وراح لها يُمهِّدُ خيرَ نهجٍ
يَنزِلُنَ بهِ إلى العَليَا وصُولا
يَنزِلُنَ بهِ على ما ضاعَ قِدمًا
بأيدي الجهلِ من حَقِّ حُصُولَا

وقاك الله^(١)

وقاك الله ربِّي كلَّ شرٍّ
وردَّكَ كاسمِكَ المحبِّوبِ سالمٍ
فقد أصبحتُ ذا شوقٍ شديدٍ
إلى أوقاتٍ لقيانا البواسمِ
لئن خَشُنْتَ بفرقتنا أخيراً
وكانت باللقاءِ لنا نواعمِ
فما رأيتِ البريئةَ قطُّ عيشاً
على حالٍ من الأحوالِ دائمِ
ومرجوُّ قريباً أن تراه
بأحسنِ ما عرفنا منه قائمِ
فلطفُ الله يقفو كلَّ خطبٍ
إذا ما خيفَ منه الطولُ حاسمِ

(١) موجهة إلى السيد سالم بن محمد البشر.

فلسطين

«ما أشبه الليلة بالبارحة»^(١)

تَنَحَّوْا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ
فليس لكم بأرضكم مُقَامٌ
وإلا فاشحذوا عَزِمَاتِ صَدَقٍ
يَوْمُ صَلَابَتِهَا الصُّمُّ الْحُسَامُ^(٢)
فما تكفي فلسطين إذا ما
لهم عن أخذها تَمُّ المِرامِ
ولكن جَسٌّ منها النَبْضُ فِيهَا
طَمَوْعٌ مَا لَطَمَعَهُ خِتَامُ
فإن كنا صحاحًا صِينِ مِنَّا
لديه رَغَمٌ مَا يَنْوِي الذُّمَامِ
وإن كنا مِرَاضًا عَاجَلَتْنَا
بِأَجْهَازِ مِظَالِمِهِ الْجِسَامِ
فكونوا كيفما شئتم فمنه
لهذا القصدِ بَيْنَكُمْ التِّزَامِ
فإن يُعْجِبُكُمْ أَنْ لَا تُدَاسُوا
بِرَجْلِيهِ كَمَا دَيْسَ الرِّغَامُ^(٣)
فلا تَدْعُوا فِلَسْطِينًا وَذُودُوا
بِكُلِّ قُؤَاكُمُ عَنْهَا وَحَامُوا
فإن لم ترحموا فيها أَيَامِي
وَأَيْتَامًا وَأَشْيَاخًا تُضَامِ

(١) نشرت في السجل الأغر ١٢ ذو القعدة ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الثاني ١٩٣٨.

(٢) صحح عجز البيت إلى رواية أخرى هي: يحقق ما هممن به الحسام.

(٣) الرغام: التراب.

وفتياناً غَدَوْا فِيهَا ضَحَايَا
 لظلمٍ قد دَجَا مِنْهُ الظَّلامُ
 فخافوا أن تُسَامُوا كُلَّ خُسْفٍ
 كما أَضَحَّتْ فِلَسْطِينُ تُسَامُ (١)
 فَإِنْ عَدُوُّهَا لَكُمْ عَدُوٌّ
 وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ
 وَإِنْ دَفَاعُكُمْ عَنْهَا دَفَاعٌ
 إِلَيْكُمْ مِنْهُ لِنَفْعِ انضِمَامِ
 فَإِنْ نَالَ اهْتِمَامَكُمْ جِمَاهَا
 فَذَلِكَ مِنْكُمْ بِكُمْ اهْتِمَامِ
 فَقَصِدُ الْخَصْمِ - إِنْ طَابَتْ وَسَاعَتْ
 وَلَمْ يُغْضِضْهُ مَاكُلُهَا - الْحَرَامُ
 وَلِذَلِكَ عُقَيْبُ الْمَخْضَغِ بَلْعٌ
 لَكُمْ طُرّاً عَلَى الْأَثَرِ التِّهَامِ
 وَإِنْ أَعْيَاهُ ذَاكَ خِلَالَ عَامٍ
 فَبَعْدَ الْعَامِ عَامٌ ثُمَّ عَامٌ
 وَتَدْرِيجًا سَيَأْكُلُنَا جَمِيعًا
 وَذَلِكَ مَصِيرُ مَنْ وَهَنُوا وَخَامُوا
 وَإِنْ نَشِبَتْ شَجَى فِي الْحَلْقِ مِنْهُ
 فَإِنَّ مَالَ كُؤُومِكُمْ سَلَامٌ
 رَأَيْتُ الْقَصْدَ مِنْهُ عَلَى عَمَائِي
 جَلِيًّا لَا سِتَارَ وَلَا لَثَامَ
 فَإِنْ فَاتَ الْعَيُونَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ
 وَلَيْسَ بِهَا عَمَاءٌ أَوْ سَقَامُ

(١) الخسف: النقصان والهوان.

فَإِنِ الْجُلَّ مِنْكُمْ حَسَبَ ظَنِّي
 مَفْتَحَةٌ عُيُونُهُمْ نِيَامٌ
 وَإِنِ أَبْصَرْتُمْوهُ الْيَوْمَ مِثْلِي
 فَمَا بِالِ الصَّوَارِمِ لَا تُشَامُ^(١)
 فَمَا لِجُمُوحٍ مَقْصِدِهِ إِذَا لَمْ
 تَرُضْهُ سَيْوْفٌ ثَوْرَتِكُمْ لِجَامٍ
 فَلَيْسَ لَهُ ضَمِيرٌ مِنْهُ يَثْنِي
 مِظَالِمَةَ الْوِلَاءِ وَلَا احْتِشَامِ
 وَمَا لَأَقْتِ فِلَسْطِينَ شَهِيدٌ
 بِتَصَدِيقِي لَهُ فِيكُمْ قِيَامِ^(٢)
 بِنَفْسِي مَا رَمَتْ أَمْجَادَ قَوْمِي
 هُنَاكَ بِهِ (السَّكَّاسِنَةُ) اللَّئَامِ^(٣)
 فَكَمْ أَخَذَتْ سَيْوْفُ الْبِغْيِ مِنْهُمْ
 وَكَمْ نَفَذَتْ بِهِمْ مِنْهُ سِيَهَامِ
 وَمَا نَكَلُوا وَلَكِنْ كَانَ نَزْرًا
 عَدِيدُهُمْ وَقَدْ كَثُرَ الطَّغَامِ
 فَلَوْ تُرْنَا لَهُمْ عَوْنًا وَأُضْحَى
 بِنَا لِمَطَامِعِ الْبِغَاغِيِّ اصْطِدَامِ
 لِأُغْمِدَ سَيْفُ ذَلِكَ الْبِغْيِ قَسْرًا
 وَإِلَّا نَالَ شَفَرَتَهُ انْتِثَامِ
 وَيُمْكِنُنَا تَلَاغِي مَا أُضْعَعْنَا
 إِذَا مَنَّا لَهُ جَدًّا اعْتِزَامِ

(١) تشام: تستل.

(٢) شهيد: شاهد.

(٣) السكاسنة: يريد بهم الإنجليز. وهم يدعون: بنو سكسون.

فإن نَتَلَفَهُ يُمِتِ التَّتَلَفِي
أَمْوَرًا عَيْشُهُنَّ لَنَا حِمَام
وإن نُهْمِلِ تَلَفِيهِ هَأَكُنَا
وفي أَعْنَاقِنَا إِثْمٌ وَذَامٌ

أويشفي من الكلوم الكلام^(١)

ليس للعرَبِ من فلاحٍ إذا لم
تَكُ للعرَبِ وحدةٌ ووئامٌ
فلماذا انقسامهم؟ أليدني
للأعادي مُرادهم الانقِسام
أم على رغم موقظات العوادي
هم بتنويم كائديهم نيام
انتباهًا فما مغبئة تنويد
مركنتم إليه إلا حمام
فجر ليلٍ قد جننا إن تمادي
هُومنا لكل موت زوام
فلنُبادرٍ بكشفه بنهارٍ
شمسه وحدة سناها نظام
فرقونا لكي يسودوا فسادوا
فالإلى كم وهم لنا أعمام
إن يألينوا للبعض منا فهذا
لين أفعى منها استحبال السلام
أويُنيلوا الحطام منا أناسًا
فسألوهم من أين ذاك الحطام
هو من مالنا السليب وهل فا
ز بفضلٍ على البحور الغمام

(١) قالها في ٢٥ من محرم ١٣٥٩هـ / الموافق ٤ من مارس ١٩٤٠م.

أمطري يا غمام ما شئت فالمح
 ل له وبلك المبير قوام^(١)
 يا بني يعرب الكريم أرانا
 قد غدونا وليس فينا كرام
 أكرام من ليس فيهم إذا ضيد
 م ذووهم شراسنة وعرام^(٢)
 يا فلسطين كم شكوت إلينا
 من خطوب صغارهن عظام
 فبرب الجميع ماذا قضاة
 لك من واجباتك الأقوام
 وبأي الحقوق يا ليت شعري
 كان منّا لساكنيك قيام
 فبنفسني ما فيك تلقى الأيامي
 من توالي الويلات والأيتام
 ما بغير الكلام نحن أعنا
 أو يشفي من الكلام الكلام^(٣)
 فستشكولله أو قد شككتنا
 من شنيع القطيعة الأرحام
 وستجزى ما يترك الكل منّا
 منه يدمى (من عاضه) الإبهام
 فلنا الويل من قطيعتنا الأر
 حام فالعار غبها والأثم

(١) المبير: المهلك.

(٢) العرام: الشدة

(٣) الكلام: الجروح.

إنَّ هذِي الحربَ التي عادَ يَصُلِّي
نارَها اليومَ ظالموها اللُّئام
انتقامٌ من ظالميها وظَنِّي
أَنْ سَيُردي جميعَهُمُ الانتقام
يا فلسطينُ والأمانِي نَوْمٌ
لَدَ فيه لالنائم الأَحلام
ليتَ أَنِّي قد تمَّ لي - كيفَ مارٌ
مُتٌ من العَونِ حينَ رُمْتُ - المَرام
لثني المعتدينَ من وحدة العُرو
بِ وبذلِ الجَهودِ جيشُ لُهام
ليتَ أَنِّي إذَ عَزَّ ذاكَ بصيرٌ
يُحسِنُ الضربَ في يدي الصَّمصام
فَقُعودي لَوِ استطعتُ قيامًا
مَعَكَ عن واجبِ الجَهادِ حرام
وبحسبي شهادَةٌ أو بقاءٌ
يَتَّقيني فيه الطُّغاةُ الطُّغام^(١)

(١) الطغام: الأوغاد.

ويل للبخلاء

قالوا فلانٌ كثيرُ المالِ طائِلُهُ
لكنَّهُ سائرُ الأوقاتِ مَغْمُومٌ
إنا على الفقرِ أحياناً يُلِمُّ بنا
طَرْفُ المَسْرَةِ وهو الدهرُ مَهْمُومٌ
حتى لَنَرَحِمَهُ ممَّا يَخْطُ على
جبينهِ الحزنُ فهوَ اليومَ مَرْحُومٌ
فقلتُ شَرُوى فلانٌ لا يَرِقُّ لَهُ
إلا امرؤٌ من حجٍّ يَهْدِيهِ مَحْرُومٌ^(١)
أي الأراذلِ عن إحسانِهِ رَفَعَتْ
له الدعاءَ وشملُ الليلِ مَنْظُومٌ
أم أيُّ أيتامِنا قد عاد مَبْتَسِماً
من بعد ما انتابَهُ والدمعُ مَسْجُومٌ^(٢)
ما زال عن فعلِهِ الخيراتِ مَبْتَعِداً
كأنما فعلُها الميمونُ مشؤومٌ
يَصُدُّ عن سائلِ المعروفِ مَنْقَبِضاً
كأنما بانلُ المعروفِ مَهْضُومٌ
جزاءُ بَخْلِ يديه في الدُّنْيا حَزَنٌ
فؤادُهُ مُتَنَبِّزٌ مِنْهُ مَكْلُومٌ
ويعُدُّ فالمالُ موروثٌ فغانِمْهُ

(١) شرواه: مثله.

(٢) مسجوم: مسال.

عَمَّا قَلِيلٍ سَيَّغْدُو وَهُوَ مَغْنُومٌ
 وَكَيْفَ يُفْلِحُ فِي دَارِيهِ خِدْنُ غِنَى
 مِنَ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ مَذْمُومٌ
 مِلءُ الزَّمَانِ عِظَاتٌ عَنْ فَوَائِدِهَا
 فَوَادُهُ بِخِتَامِ الشُّحِّ مَخْتُومٌ
 دَوَاءُ كُلِّ امْرِيٍّ - أَعْمَى بِصَيْرَتِهِ
 عَنِ الْمَوَاعِظِ دَاءُ الشُّحِّ - مَعْدُومٌ
 أَشِدَّةُ الرُّكْنِ غَرَّتُهُ وَقُوَّتُهُ
 وَكُلُّ رُكْنٍ بِأَيْدِي الْمَوْتِ مَهْدُومٌ
 أَشَقَى الْبَرِيَّةِ مُتُّرِ نَفْعِ ثَرَوَتِهِ
 بِهِ سِوَاهُ مِنَ السُّرَّاتِ مَأْمُومٌ
 الْفَقْرُ مِثْلُ غِنَى مُحْصُولٍ صَاحِبِهِ
 لَوْلَا الْمَائِمُ مَشْرُوبٌ وَمَطْعُومٌ
 يُودِي الْفَقِيرَ بِلَا نَمٍّ وَمَائِمَةٌ
 يَدَاهُمَا بِهِمَا ذُو الشُّحِّ مَلْطُومٌ
 يَمْضِي وَلَا ذَاكِرٌ بِالْخَيْرِ حَضْرَتُهُ
 وَأَنْفَهُ بِعَذَابِ اللَّهِ مَخْطُومٌ
 لَا زِلْتُ مَا عَشْتُ إِنْ كَانَ الْيَسَارُ كَذَا
 وَجَانِبِي عَنْهُ بِالْإِعْسَارِ مَلْزُومٌ
 لَا خَيْرَ فِي ثَرَوَةٍ خُرْطُومٍ صَاحِبِهَا
 بِالذَّمِّ وَالْإِثْمِ فِي الدَّارَيْنِ مَوْسُومٌ
 إِنْ كُنْتُ أَغْبَطُ ذَا يُسْرِ فَمَنْ يَدُهُ
 مَعْرُوفُهَا مِنْهُ مَجْهُولٌ وَمَعْلُومٌ
 يُبْدِيهِ كَيْ يَسْلُكَ الْمُتَثَرُونَ مَسْلَكَهُ
 فَالْخَيْرُ خَيْرَانِ إِنْفَاقٌ وَتَفْهِيمٌ
 أَمَّا إِذَا لَمْ يُؤْمَلْ مِنْ يُتَابِعُهُ

فَبَذَلَهُ فِي فِؤَادِ السَّيْلِ مَكْتُومٍ
يَرْجُو بِهِ مَنْ جَزَاءُ النَّاسِ عَنْ يَدِهِ
عَلَيْهِمْ حَسَبَ مَا جَاؤُوهُ مَقْسُومٍ
صَنِيْعُهُ مِنْ رِيَاءِ الْكُلِّ أَخْلَصَهُ
لَمَنْ إِلَيْهِ مَصِيرُ الْكُلِّ مَحْتُومٍ

سمو الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح^(١)

إلى ذي المعالي نجلِ جابرِ الذي
بِئْمَنَاهُ من هذي البلادِ زِمَامُهَا
أُوَجِّهُ من شِعْري الرُّصَيْنِ مَحَامِدًا
كساها جَمَالًا - إذ كَسَتْهُ - نظامُها
و«أحمدُ» محمودٌ على كُلِّ مِقْوَلٍ
ففي حَمْدِهِ مثلُ الكهولِ غُلامُها
وليست أياديهِ يطاوعُ عَدُّها
وإن جَدَّ من حُسَّابِهِنَّ قِيَامُها
ومن خيرِ هاتيكِ الأيادي صنيعةُ
سيشكرُها نَدْبُ الوريِّ وهُمَامُها^(٢)
وأعني بها إيجادهُ نجلِ أحمدٍ
جُهَيْنَةُ أخبارِ الكويتِ حَذَامُها^(٣)
وإسعافُ تاريخِ الكويتِ ابنُ جابرٍ
به يعتلي بين البلادِ مقامُها
فلا زلتُ تُعليها وترفعُ شأنُها
ولا زال مرعيًّا لديك زمامُها

(١) يبدو أنها قيلت بسبب أن سمو الشيخ أحمد بن جابر منح الشيخ عبدالعزيز الرشيد مبلغاً كبيراً إغاثة له وتقديراً لتأليفه كتاب «تاريخ الكويت». وإن كان وضع الأبيات في كتاب «تاريخ الكويت» لا يوحى بهذه المناسبة.

(٢) النذب: السريع إلى الفضائل.

(٣) يشير إلى أن تاريخ الكويت أخباره صادقة تتفق مع ما يقال وعند جهيينة الخبر اليقين، وما يقال:

لا تقترحوا عليّ

إذا جاشَ صدري بالقوافي نظمتُها
وإن لم يَجِشْ لازمتُ صمّتي عن النُّظْمِ
وكيف بإبرازي الذي حال دونه
من الرفعِ سترٌ معجزُ الرفعِ والجزمِ
وهل جمعتُ كفٌّ من الزهرِ باقَّةً
ومن دونه حُجْبُ الوهادِ أو الأكمِ
فلم أرَ لي من غيرِ نفسي داعياً
إلى النظمِ مسموعاً بطوعي ولا رَغْمي
فكلُّ اقتراحٍ كان غيري مَصدراً
له كان عن مدعاهُ شعري من الصمِّ
فلو طلبتُ ما لم يَجِشْ خاطري به
من الشُّعْرِ أُمِّي ما التفتُ إلى أُمِّي
وقد عَلِمْتُ أن المبرّةَ شيمَةً
لملودها «صقر» على اليسرِ والعُدْمِ
ولكنَّ لي عُذري على التُّركِ إن تُردِّ
إصابةً ما تُعَيِّي إصابةً سَهْمِي
ومن حُمُقٍ أني إلى الغرضِ الذي
تأبَّتْ سِوَى إِشْوَاءِهِ أَسْهَمِي أَرْمِي^(١)

(١) أشوى إشواء: أصاب الشوى وهي الأطراف.

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ قصائدي
 حمامٌ وأني صقرٌ أجوائها كاسمي
 إذا شئتُ أن اصطادَ منها حمامةً
 سمَّتُ بي إلى ما شئتُ أجنحةَ العزم
 فإن كان بعضُ الظنِّ وهماً فإنني
 أرى في هذا الظنِّ ضرباً من الوهم
 وهبني كما قد ظنَّ فالصقرُ لم يصدُ
 حماماً حماه خاطرُ البعدِ بالكتم
 فيا ربَّ حولٍ ظلتُ فيه محاولاً
 من النظم ما يسخوبه تارةً يومي
 فمرُّ ولم أظفرُ بما كنتُ طالباً
 كأني في أثناءِ حولي من البكم
 لذاك أراني موقيناً أن كلَّ ما
 أقولُ من الإلهام لا قوَّةَ الفهم
 فلو كان من فهمي بياني ناشئاً
 لما برحتُ طوعي سحائبه تهمي
 ففهمي معي ما زال والشعرُ لم يكن
 ليخلفَ منه عادةَ الوصلِ والصَّرم
 فإن شاء وصلاً جاء من غير دعوة
 وإن شاء صرماً كلُّ عن وصله همي
 فليس على حُكمي القريضُ بنازلٍ
 وإن كنتُ منه قد نزلتُ على الحُكم
 ومن كان مفتوناً بوصلِ حبيبه
 يكن راضياً عن بسطه وعن الضمِّ
 وشعري إلى نفسي حبيبٌ لذاكُم
 يرى مدحي حتى على مقتضي الدمِّ

وأبي حبيبٍ لم يَنْلُ من مُجِبِّهِ
مُحَابَاتِهِ مَهْمَا أَتَقَى عَادِي الإِثْمِ
ولو كان شِعْرِي لاقْتَرَحَ مَلْبِيًّا
لَعُدُّ عَلَيْهِ الصَّمْتُ عَنْكُمْ مِنَ الظُّلْمِ
لأنَّكُمْ أَوْلَى بِكُلِّ إِجَابَةٍ
لِبِذَلِكَ المَجْهُودِ فِي خِدْمَةِ القَوْمِ
ولِكُنُّهُ طَبِعٌ لَهُ وَيَقَاؤُهُ
على طَبَعِهِ يَكْفِيهِ بَادِرَةَ اللُّؤْمِ
وما هو بِالْبَاقِي على الطَّبَعِ وَحْدَهُ
على حَالَتِي حَرْبِ الحَوَادِثِ وَالسُّلْمِ
ولِكن أرى الأَشْيَاءَ طُرًّا بِقَاؤِهَا
على طَبَعِهَا مِنْ حَكْمِ خَالِقِهَا الحَتْمِ
فَمَا سَلَبَ النِّارَ الحَرَارَةَ سَالِبٌ
ولا حَالَ بَيْنِ المَاءِ والرِّيِّ ذُو عِلْمِ

إليكم عني

يُروِّقُكَ كُلُّ مَا كَوَّلَ لِذِيذِ
وما تشري سوى جَشِبِ الطَّعامِ^(١)
فقلتُ إليكمُ عني فحزمني
أبى من مستطاباتي مرامي
أأنفقُ ما بكفي ثم أغشى
لنيل الزادِ أبوابَ الأنعامِ
أرى صبري على الجشوبِ أشهى
إليَّ الدهرَ من سُؤْلِ الكرامِ
وقد قلتُ كرامُ الناسِ حتى
تكاد تُضِلُّهم بين اللئامِ

(١) الجشِب: الغليظ الخشن.

العزلة

يلومني الصُّحَابُ وقد رأوني
أصدُّ عن اجتماعِ الأنامِ
فقلتُ مَنَّاكبي قد أوهنتُها
وأوهنتُها إطالاتُ الزَّحامِ
فلم أحصلُ على ما أشتهيه
ولم أسلمَ بهنَّ من اغتِمامِ
فإنَّ أساسَها قالُ وقيلُ
وكلُّ وغيِّ ذكَّتْ فَعَنِ الكلامِ^(١)
فملتُ لعزليتي فوجدتُ فيها
لنفسي ما تحبُّ من السَّلامِ
فهل أنا إن قبضتُ على انفرادي
بكلِّ قِوَايِ أَهْلِ لالَمَامِ
خشيتُ الاجتماعَ وما يؤدِّي
إليه من مُمِضَّاتِ الخِصَامِ^(٢)
فصرتُ بحيثُ لا زيدُ يراني
ولا عمرو إلى يومِ الحِمامِ
عسى أن يستتبَّ به صفائي
وأحظى من سُكوني بالمَرامِ

(١) الوغى: الحرب. وذكت: اشتعلت.

(٢) الممض: المؤلم الموجه.

وبعدَ منيَّتي يا قومُ خُطُّوا
ضريحي بالخَلِيٍّ من الرغام^(١)
بأخْلِى الأرضِ من حُرٍّ وعَبْدٍ
عسى أن استطِيبَ به مُقامي
فلستُ بعزَلتي حياً ومَيِّتاً
أجودُ ولو حُسِبْتُ من اللُّئام

(١) الرغام: التراب، أو الرمل المختلط بالتراب.

التمويه جين

إذا ما كاتبٌ أضنناهُ حَقْدُ
على قُرْنائِهِ بين الأَنامِ
هَجاَهُمُ ثم سَمَى الهَجْوَ نَقْدًا
ليبقى خافياً سوءَ المرامِ
وتسميَةُ الفتى الأَشياءَ زوراً
تجر على الفتى ضَعَةَ المقامِ
فوجهُ القصدِ يُلفى مجتليهِ
جلياً واضحاً رغم اللثامِ
وعن جُبْنِ تَكشِفَ من يُغَطِّي
عن الناسِ العداوةَ بابتسامِ
فيا من شاقَهُ التَضليلُ عمّا
أرادَ بِرَمِي مسمومِ السُّهامِ
دَعِ الدَّعوى فقصدك غيرُ خافِ
وهل تُخفي الوغى دعوى السَّلَامِ
أبالقصدِ المموهٍ وهو لؤمٌ
تُؤمِّلُ أن تُعدَّ من الكِرامِ
فسالمٌ أو فحاربٌ دون سترِ
فسنترُ الحربِ من شيمِ اللُّثامِ
وثقُ أن العقولَ مهتكتاتُ
عن النِّيَّاتِ أستارَ الكلامِ



وكم من كاتبٍ قد حلَّ حُبِّباً
محالاً من قلوب الناس سام
إذا مرَّت بهم ذكراه يوماً
تلقَّوْها بحمدٍ واحترام
غدا يهجو ويدعو الهجوَ نقداً
لِحادٍ من تَشَفُّ وانْتقام
فعادله احترامهم احتقاراً
وأسْفَرَ حمدُهُم عن شرِّ ذام^(١)
وكان يظنُّ قبحَ القصدِ يخفي
بدعوى حُسْنِهِ عند الخصام
ولو لا ذاك لم يوقظ يراعاً
- ليكتب نقدَهُ ذا - من منام
خلاً - في ظنِّ ناقدينَا المعَمِّي -
من العقلِ المميِّزِ كلُّ هام
وهاتا تهمةٌ لا صفحَ عنها
إذا صفحَ الكرامُ عن اتِّهام
إذا ما شئتَ أن تبقى حميداً
فلا تضع اسمَ حلٍّ للحرَام
فما ينسى الورى بحثَ المعاني
إذا ما ربَّن تزويرَ الأسامي

(١) الذام: الذم والعيب.

عجل فاني عجول^(١)

لَعَمْرُ فَخَامَةِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ
بُنَاةً شَوَاهِدِ الْمَجْدِ الْخُضَامِ
يَمِينٌ فِي فَمِي تَحَلَوُ وَتَأْبَى
حَلَاوَتُهَا سَوَى صَدَقِ الْكَلَامِ
لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي عَوْنِ عَلَى مَا
دَعَا هَمِّي فَلَبَّى وَاهْتَمَامِي
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ سَعْيِكَ مِنْ مُعِينٍ
يُعَجِّلُ لِي بِهِ نَيْلُ الْمَمْرَامِ
وَنَعَمَ الْعَوْنُ مَهْمَا عَنْ أَمْرٍ
يَهْمُ النَّفْسَ سَعْيَ أَبِي عِصَامِ
أَرَى طَوْلَ انْتِظَارِ الْأَمْرِ سَجْنًا
يَهْدُ تَجَلُّدِي فِيهِ مُقَامِي
فَأَقْصَرُ يَوْمٍ مِنْتَظَرٍ مَلَالًا
يُقَدِّرُ عِنْدَهُ طَوْلًا بِعَامِ
وَإِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ الْيَأْسُ قَوْلُ
وَجِيهٌ بَيْنَ أَمْثَالِ الْأَنْبَامِ
فَهَلْ تَعْجِيلُ مَا أَرْجُو يُوَاتِي
لِرَمِّي عُرَا انْتِظَارِي بَانَفِصَامِ^(٢)

(١) قالها يستنجز وعداً من أحد أصحابه.

(٢) الانفصام: التصدع. والعرا: جمع عروة، وهو ما يوثق به وما يعول عليه.

ومثلك لا يليق الحثُّ منِّي
له في بدءِ أمرٍ أو ختام
ولكنني خُلقتُ عَجولَ طبعٍ
وفي يدهِ - ولم أختَرُ - زِمامي

باسم الدين يتصيدون

أَقْلَوْا مِنْ عَمَائِمِهِمْ شِبَاكًا
لصَيْدِ الْمَالِ مِنْ طُرُقِ الْحَرَامِ
وَسَاعَدَتِ الْعَمَائِمُ مِنْ لِحَاهُمْ
طُويلَاتٍ فَفَازُوا بِالْمَرَامِ
تَسَمَّوْا بِالديَانَةِ وَهِيَ مِنْهُمْ
عَلَى بُعْدِ النُّجُومِ مِنَ الرَّغَامِ
وَأَيُّ دِيَانَةٍ كَانَتْ طَرِيقًا
لِسَيْرِ الْخَادِعِينَ إِلَى الْحُطَامِ
وَقَدْ خَافُوا شُمُوسَ الْعِلْمِ تَبَدُّو
فَتُنْظَهُرُهُمْ كَمَا هُمْ لِلْأَنَامِ
فَرَاخُوا يَزْعُمُونَ بِلا حِيَاءٍ
بِأَنَّ الْعِلْمَ مَجَابِلَةُ الْأَثَامِ
وَلَمْ تَبْرَحْ مَلَائِيْنُ الْبَرَايَا
عَلَيْهِمْ فِي التَّفَافِ وَانْضَمَامِ
فَلَا تَخْدَعُكَ كَثْرَةُ تَابِعِيهِمْ
فَاكْثُرُوا الْأَنَامِ مِنَ الطُّغَامِ
وَكَمْ غَنَمٍ تَرَاهَا تَابِعَاتٍ
مِنَ الْجَزَارِ أَثَارًا دَوَامِي
وَكَمْ طَيْرٍ تَرَامَتْ فِي فِخَاخِ
وَكَمْ نَزَلَ الْفَرَّاشُ عَلَى ضِرَامِ

فَدَعَهُمْ وَأَقْفُ عَقْلِكَ فَهُوَ أَهْدَى
وَأَرْشَدُ فِي الْجَلُوسِ وَفِي الْقِيَامِ
فَلَمْ يُوجِدْهُ فَبِكَ الْإِلَهُ إِلَّا
لَتَمَيِّزِ الضَّيَاءِ مِنَ الظُّلَامِ
سَيَنْدَمُ مِنْ عَصَى مَنَّا نَهَاهُ
نَدَامَةً مُدْمِنِي شُرْبِ الْمُدَامِ

بكاء على المرحوم سالم المبارك

أقول لمن رأوا دَمْعِي أَخْيِرًا
لذكري الحُرِّ سالمِ الكَرِيمِ
وراموا بالتَّعَازِي عَنْهُ حَدًّا
لِمُشْجِي دَمْعِي الْجَارِي السَّجُومِ
وصاغوا من تَأْسِيهِمْ شَكِيمًا
وصَعِبُ الدَّمْعِ يَهْزَأُ بِالشُّكِيمِ^(١)
أخيراً رمتُمُ تَغْيِيرَ عَادِ
مَكِينِ بَيْنِ أَجْفَانِي قَدِيمِ
وما العَادُ الْقَدِيمُ وَإِنْ حَرَصْتُمْ
بِمُتْرِكِ مَدَى الْمَحْيَا لُزُومِ
لقد قَدَّمَ الزَّمَانُ عَلَيَّ بِكَائِي
ولازمني ملازِمَةُ الْغَرِيمِ
وَأَيْسَ كُلُّ مَنْ يَرْجُو سُؤْيِي
من الرُّفُقَاءِ بِالْقَوْلِ الْحَكِيمِ
بَكَيْتُ وَلَمْ أَزَلْ أَبْكِي عَلَيْهِ
وَلَنْ، حَتَّى أَصِيرَ إِلَى رَمِيمِ
سَلُوا - عَنْ دَمْعِ عَيْنِي حِينَ تَهْمِي
عَمَامَتُهَا لِذِكْرَاهُ - حَمِيمِي
فكم عَزَى وَأَسَى دُونَ جَدْوِي
يحاوُلُهَا لِمَطْعُونِ الصَّمِيمِ

(١) الشكيم: جمع الشكيمة، الحديدية المعترضة في فم الفرس.

يقولُ إلى متى تبكي كما لو
فقدت الدرّ من سنّ الفطيم
وأنت اليوم من كبرٍ صحيحًا
تكابد مثلّ آلام السقيم
فلا تجمع عليك بُغًا وشيبًا
فجمعهما أخو غبٍّ وخيم^(١)
ولم يُمكن خلاصٌ من مشيبٍ
وأمكن من بُكاءٍ لفهيم
ولم أرَ كالتصبُّرِ في الرّزايا
وإن كَرَبْتِكَ بالوقعِ الأليم^(٢)
يليقُ بمثلِكَ الممدودِ عُمرًا
إذا ما عَزَّهُ صَبْرُ الحليم^(٣)
وقد يُفضي التصبُّرُ ذاتَ يومٍ
بصاحبه إلى الصَّبْرِ المَرومِ
وكم سألَى التصبُّرُ عن حبيبٍ
فؤادَ محبِّه الآسي الكظيم
فقلتُ وأدمعي تنهلُ حُزنًا
وقلبي من شجوني في جحيم
وهل أسطيعُ لو حاولتُ يومًا
سُلوَ الفيلسوفِ أو البهيم
ولو أني استطعتُ أبثتهُ نفسي
فسُلواني من الغدرِ الذَّميم

(١) الغب: العاقبة. والوخيم: الثقل المضر.

(٢) كربه: اشتد عليه.

أَسْأَلُو مِنْ أَعَانَتُنِي لُهَاهُ
عَلَى شَيْطَانِ إِعْسَارِي الرَّجِيمِ^(١)
وَأَحْسَبُنِي الْكُوَيْتَ لَدَى يَدِيهِ
مِنَ الْجَنَّاتِ نَافِيَةِ الْهُمُومِ
فَلَا هَمًّا وَلَا غَمًّا أُرَانِي
زَمَانِي طَوَّلَ مَحْيَاهُ الْوَسِيمِ
وَضَاقَتْ بِي الْكُوَيْتُ فَكُنْتُ فِيهَا
قُبَيْلَ غِيَاثِ بَارِقِهِ الْمَشِيمِ^(٢)
أَعَانِي مَا يَعَانِي كُلُّ أَعْمَى
قَلِيلِ الْحَوْلِ مَكْرُوبِ عَدِيمِ
فَصَارَتْ حَالِي النُّكْرَاءُ حَالًا
مِنَ الْحُسَّادِ مُكْثِرَةَ خُصُومِي
لَبَسْتُ زَمَانَ مَحْيَاهُ - لِنُعْمَى
أَثَارَتْ غِيظَهُمْ - ثَوْبَ الشَّتِيمِ^(٣)
وَمَا وَحْدِي أَطَابَ نَدَاهُ عَيْشِي
وَرَدَّ نَثِيرَ أَنْسِي لِلنَّظِيمِ
وَلَكِنْ عَمَّ حَتَّى صَارَ شَكْرِي
حَقِيرًا حَوْلَ شُكْرَانِ الْعُمُومِ
يَزُورُ السَّمْعَ مَا أَصْفَى ثَنَاءً
عَلَيْهِ نَتِيجَةَ الْبِرِّ الْعَمِيمِ
فَكَمْ بِمَدِيحِهِ قَدْ هَزَّ عِطْفِي
رُخِيمُ الصَّوْتِ أَوْ غَيْرُ الرُّخِيمِ

(١) اللها: جمع اللهوة، العطايا.

(٢) المشيم: المنظور إليه، يقال شام البرق: نظر إليه أين يتجه وأين يمطر.

(٣) الشتيم: الأسد.

وَأَيُّ الْقَوْمِ لَمْ يَهْزُرْهُ مِثْلِي
قَوْمٌ مَدِيحِ ذِي الْخُلُقِ الْقَوْمِ
وَأَيُّ مَكَارِمٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
بِهَا لِلْقَوْمِ لَمْ يَكُ بِالزَّعِيمِ^(١)
وَإِنِّي بَعْضُ مَا يُمْنَاهُ عَادَتْ
بِمِرْعَاهُ لِمُخْزِرِ الْهَشِيمِ
فَكَانَ مُقَرَّبَ الْأَمَالِ مَنِّي
وَمُبْعَدَ يَأْسِي النَّمَامِي الْعُمومِ
وَلَوْلَمْ أَعْتَرِفْ بِالْفَضْلِ هَذَا
لِمُفْضِلِهِ لِأَنْكَرَنِي أَدِيمِي^(٢)
تَنَى لَدُنَّا رَجَائِي النَّيْلَ جَزْلاً
لَدِيهِ وَكَانَ قَبْلُ مِنَ الْهَزِيمِ^(٣)
فَمَحِيَا سَالِمٍ مَحِيَا الْأَمَانِي
لِشَتَّى أَمَلِيهِ وَلِالْخُزْمِيمِ^(٤)
فَقَبْلَ حِمَامِهِ لَمْ نُرْمَ طُرّاً
لِمَقْعَدِنَا مِنْ [الشَّرِّ] الْمُقِيمِ
مَلَاذًا كَانَ مِنْ نُوبِ اللَّيَالِي
لِمَنْ مَنَنْهُنَّ رُوْعَ بِالْهُجُومِ
وَلَا سِيَمَا الْيَتَامَى وَالْأَيَامَى
وَكُلُّ مُصَابٍ نَائِبَةٌ أَمِيمِ^(٥)

(١) الزعيم: الرئيس، وأيضا الكفيل.

(٢) الأديم: الجلد.

(٣) الهزيم: صوت الرعد. والهزيم: المنهزم.

(٤) الضميم: الصاحب

فكلُّ يتيمَةٍ ناحتٍ عليه
وأرملةٍ وكلُّ فتى يتيم
ويُعذرُ من ينوحُ على مُحيلٍ
نسيمًا ما دهاهُ من السُّموم
وأما رفقُهُ بالحكمِ فينا
فصنَّعُ أبٍ - بأولادٍ - رحيم
لذا كُنَّا نُنْفِديهِ ونُنْفِدي
عُلاهُ بالجاليلِ وبالعظيم
وإن يَغْضَبُ على أَحَدٍ لأمرٍ
جَلِيٍّ للمواطنِ أو كَتِيمٍ
نظرتُ فلا تَرى مِنَّا جميعًا
سوى قالٍ لمُغْضِبِهِ خَصِيمٍ^(١)
فلم يَغْضَبْ لغيرِ الحَقِّ يومًا
وما فيها بذاك سوى عليم
وكان البدرُ في قَومِي إذا ما
تَدَجَّتْ ليلَةُ الأمرِ الجَسِيمِ
وكان الكلُّ مِنَّا مستَضِيئًا
بنورِ هُداهُ معمِيَّةِ الظُّلومِ
فكم منه ظفرتُ بنصحِ هادٍ
متابعِ نصحِ الهادي مُديم
فمن إرشادِهِ أن قال أقبلُ
على آدابِنَا بينَ العُلمومِ
فطبعُكَ مستعدٌّ للتقوي
بقَومِي من الأدبِ الفَخِيمِ

(١) القالي: المبغض. والخصيم: المخاصم.

وباستعدادك البادي إذا لم
تُحصِّله لِعُذْرِكَ بِالْمُسِيمِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُجَدِّدَ ذَكَرَ مَجْدٍ
لِقَوْمٍ كَالشُّمُوسِ وَكَالغَيُومِ
فَحَسَنُ مَآثِرِ الْأَسْلَافِ مَمَّنْ
نَمَتُّهُمْ مِثْلُ تَغْلِبِ أَوْ تَمِيمِ
يَزِيدُ جَدِيدُ ذِكْرَاهُ وَإِنْ لَمْ
يَزَلْ حَيَّ الْمَعَالِمِ وَالرُّسُومِ
فُرُوعَهُمْ اغْتِبَاطًا حِينَ يَدْنُو
إِلَيْهِمْ مِنْ يَفَاخِرُ بِالْأُرُومِ
فَبَعْضُ مَحَاسِنِ الْأَجْدَادِ تَخْفَى
كَمَا تَخْفَى الْأَزَاهِرُ بِالْجَمِيمِ^(١)
عَلَى مَنْ عَنِ تَتَبُعِينَ مَالُوا
بِكَيْدٍ مِنْ أَعَادِيهِمْ مَشُومِ
وَشَرُومِ نُصَحِهِ هَذَا كَثِيرٌ
وَكَمْ أَحْيَا بِهِ مَيِّتَ الْعُزُومِ
وَنَافِعُ كُلِّ إِرْشَادٍ كَفَيْلٌ
لِمُسْنَدِيهِ بِحُبِّ كَرِيمِ خِيمِ
فَإِنْ لَمْ تَلْقَنِي مَا عَشْتُ أَبْكَي
كَعَادَةِ كُلِّ نَبِيٍّ قَلْبِ كَلِيمِ
فَلَسْتُ - كَمَا يَقُولُ النَّاسُ عَنِي
وَمِنْهُمْ أَنْتَ - ذَا وَدِّ سَالِيمِ
وَلَا ذَاكَ الْوَفِيِّ لِكُلِّ حُرٍّ
أَبَى غَيْرَ الْوَفَاءِ الْمُسْتَقِيمِ

(١) الجميم: النبت الكثير.

فلا شَحَّتْ بِأَدْمُعِهَا جُفُونِي
على جالي دُجى الخطبِ البَهِيمِ
فَشُحُّ العَيْنِ - إِذ يُودِي كَرِيمٌ
كثِيرُ النَفْعِ - من شَيْمِ اللئِيمِ
فَقَالَ لِي الحَمِيمُ وَقَدْ تَرَأَى
سُلُوبِي عَنْهُ فِي بُعْدِ النُّجُومِ
لَعَمْرُ فَقِيدِنَا مَا أَنْتَ مَهْمَا
أَسَأَلْتَ عَلَيْهِ دَمْعَكَ بِالْمُلِيمِ^(١)
ولو كان البكاءُ يَفِيدُ لَمَّا
أَكُنَّ لِبُكَكَ غَيْرَ المَسْتَدِيمِ
فَأَجْدَرُ من بَكَيْتَ عَلَيْهِ حُرٌّ
أَنَالَ العِزَّ كُلَّ فَتَى مُضْمِيمِ^(٢)
وما تَرَكْتَ حَيَاةَ الشَّيْخِ حَزْنًا
لِذِي حُزْنٍ عَلَى حَقِّ هَاضِمِ
وَأَلْسِنَةُ المَكَارِمِ مَا دَعَتْهُ
لِوَصْفِ غَيْرِ يَا قَرْمِ القُرُومِ^(٣)
وما نُقِنَا إِلَى أَنْ مَاتَ طَعْمًا
من الأَحْزَانِ يَقتُلُ كَالسُّمُومِ
وَقَدْ نُقِنَا طُعُومَ الحُزْنِ شَتَّى
وَلَا كَالطَّعْمِ هَذَا فِي الطُّعُومِ
أَذَابَتْنَا لظَى الأَشْجَانِ لَمَّا
لَهُ خَطُّوا مَنَامًا بِالقُدُومِ

(١) المليم: الفاعل ما يستحق عليه اللوم.

(٢) المضيم: المقهور.

(٣) القرم: السيد والعظيم.

يَهونُ الأَفْحُ إِلا حين يُذْكَى
فَمُ الشَّجِنِ الحَرارَةَ بالأُزوم^(١)
ألم تَرَ لَفْحَها يَشوي نَفوساً
لَه ضاقت بِها سَعَةُ الجُسوم
وكاد بِجُلِّها يَمْضِي فَتُدعى
ليالِها بأوقاتِ الحُسوم^(٢)
ولكن لَفْحُها المُردِي تَنَتُّه
حياةً بِنِيهِ بَعْدُ إلى نَسيم

(١) الأُزوم: العَض.

(٢) الحُسوم: الشُّوم.

خير ناد^(١)

شُغِفْتُ بِكُلِّ إِصْلَاحٍ جَلِيلٍ
مِنَافِعُهُ تَعُودُ عَلَى الْعُمُومِ
أَقَمْتَ الْيَوْمَ يَوْسُفُ خَيْرَ نَادٍ
تَقُومُ بِهِ مُذَاكِرَةُ الْعُلُومِ
وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهَا جِ يُؤَدِّي
بَنِي وَطَنِي إِلَى الْخَيْرِ الْعَمِيمِ
وَمَا لِلْعِلْمِ لَا يُثْنِي عَلَى مَنْ
غَدَا لِسَعَادَةٍ أَزْكَى مُقِيمِ
وَبَوَّأَ فِي الْكُوَيْتِ الْعِلْمَ دَارًا
يَشْحُ بِهَا الْحَمِيمُ عَلَى الْحَمِيمِ

(١) قالها في يوسف بن عيسى القناعي ويشير إلى بعض مساعيه في تأسيس المكتبة الأهلية.

نظرة في السراألزلي

تبارك من أدار الخلق طُراً
بحكمته وكاتمها الأناما
فناس في بحور الرزق غرقى
وناس حولهم تشكو الأواما^(١)
وبعض في جحيم العسر يصلى
وبعض في جنان اليسر داما
ولولا أن بالموت اتسأء
لأنزربنا بأوفرنا حطاما
لكان الانتحار أخف شيء
على البؤساء حزنًا واغتماما
فلم تبصر من البؤساء شيخاً
يُمْتَع بالحياة ولا غلاما
والأ جردوا حسداً وغيظاً
على المثيرين للحرب الحساما
فلم يدعوا براحتة غنياً
ولم يذروا على أرض سلاما
ولكن جل من أجرى - فأرضى
براياه بحكمته - النظاما
نظاماً أقعد الحكماء ممن
أرادوا علم حكمتة قياما

(١) الأوام: العطش.

أَحَبُّوا عِلْمَ حِكْمَتِهِ قَدِيمًا
فَمَاتُوا دُونَ مَلْقَاهَا هَيَامَا
فَحِكْمَةُ هَذِهِ النُّظْمِ اسْتَسْرَتْ
فَلَمْ يَكْشِفْ لَهَا أَحَدٌ لَثَامَا
يَقُولُ بِكُنْهِيَ الْحِكْمَاءُ ظَنًّا
وَعِلْمُ الْكُنْهِ عَنْهُمْ قَدْ تَرَامَى
وَهَلْ تُبَدِي ظَنُونِ الْقَوْمِ أَمْرًا
عَلَيْهِ اللَّهُ أَسْبَغَ الْاِكْتِتَامَا
فَعَايَةُ بَاحِثِي الْأَمْرِ انْبَهَارُ
إِذَا جَدُّوا بِبَحْثِهِمْ اِعْتِزَامَا
كَمَبْدَيْهِ بِأَشْيَاءٍ تَرَاهُ
يُصَادِفُ بَاحِثُ الْأَمْرِ الْخِتَامَا
أَقُولُ لِمَوْقِظِي وَالْخَطْبُ دَاجٍ
بِهِ أَيْقَاطُهُ حَكَّتِ النَّيَامَا
لِعَمْرُكَ لَسْتَ لِي خِلًا وَفِيًّا
إِذَا أزعجتَ عَن عَيْنِي الْمَنَامَا
فَدَعَنِي فَالْمَنَامُ أَلْدُ شَيْءٍ
إِلَى أَنْ يَجْأُو النُّورُ الظَّلَامَا
هَنِيئًا لِلأُلَى مِنَّا اسْتَدَامَا
بَلِيلِ اللّهِوِ نَوْمَهُمْ فَدَامَا
فَقَدْ فَازُوا بِرَاحَتِهِمْ وَلاَقُوا
كَمَا يَهْوُونَ فِي النُّومِ الْجِمَامَا^(١)
وَيَاتِ السَّاهِرُونَ عَلَى عَنَاءٍ
وَلَمْ يَقْضُوا عَلَى السَّهْرِ الْمَرَامَا

(١) الجمام: الراحة.

لزوم البيت^(١)

لِزُومِ الْبَيْتِ لِلْأَعْمَى سَبِيلٌ
إِلَى رَاحَاتِهِ، وَإِلَى السَّلَامَةِ
فَلَا يَسْرَحُ ضَرِيرٌ مِنْ ذَرَاهُ
فَغَايَةُ مَسْرَحِ الْأَعْمَى نَدَامُهُ^(٢)
يُصَادِفُهُ فَيَقْعَعُهُ حِمَارٌ
عَلَيْهِ مِثْلُهُ بِأَدْيِ الْفَدَامَةِ
وَكَمْ تَنْغَطُّ رِجْلَاهُ بِرَوْتٍ
عَلَى الطَّرِيقَاتِ مُلْقَى، أَوْ قِمَامِهِ
وَكَمْ مَاءٍ مُرَاقٍ كُلُّ أَعْمَى
يَصَادِفُ فِيهِ - إِنْ يَعْتُرُ - حِمَامَهُ
يُسْحِسِحُهُ عَلَى الْمَنْهَاجِ وَعُدُّ
عَلَيْهِ مِنْ غِبَابَاتِهِ عِلَامَهُ
لَهُ رَأْسٌ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ
مَرُورٌ لِلْحِجَابِ بُلْهُ الْإِقَامَةِ
يُقَالُ لَهُ خَلِيًّا مِنْ نُهَاهُ
خَفِيفٌ الْوِزْنُ تَرْجَحُهُ الْقَلَامَةُ
وَلَكِنْ فِيهِ لِلْعَمِيَانِ شَرٌّ
دَوَامًا تَشْتَكِي الْعُمَى اضْطِرَامَهُ

(١) قالها وقد عثر بماء حول أحد البيوت.

(٢) الذرا: فناء الدار ونواحيها.

إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ نُصِحَ
فَلَا يَأْمَنُ مَثِيرُوهَا احْتِدَامَهُ
فَلَا ظَلَفِرَتْ يَمِينُ أَبِي شُعَيْثٍ
بِخَيْرٍ يَرْتَجِيهِ وَلَا كِرَامِهِ^(١)

(١) أبوشعيث: هو صاحب البيت المشار إليه.

لا تنس صقراً^(١)

أوالُ لم تُكْرِمُ مَنكَ إلا
جديراً مستحقاً للكرامه
وإن يَبْسِمُ عَبوسُ الدهرِ فيها
لشخصك يا ابنَ أحمدَ ذي الشهامه
فلا عجبُ فأهلُها قديماً
أحَلُّوا كلَ ذي شرفٍ مَقامه
فيا ليتَ الكويتَ، وليتَ ليستُ
تُنيلُ منَ المنى شَروى قُلامه^(٢)
تُقَلِّدُ أختها البحرينِ فيما
يُبَلِّغُ حُرَّها فيها مَرامه

(١) أرسلها للشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت يوم كان في البحرين وذلك في شهر المحرم سنة ١٣٤٨هـ، وقد أرسل القصيدة مرفقة برسالة هذا نصها: «.. تحية وسلاماً وشوقاً واحتراماً. لله در حوادث الزمان وخطوبه وتقلباته وتصرفاته فلقد تفيد الإنسان من العلم بالأشياء ما لا تفيده إياه مدارس البشر وجامعاته وأجدد ما أنا ضارب لك من الأمثلة وأحدثه في هذا الشأن هذا المثال: وهو أنني كنت أسمع بقولهم المرء شريك صديقه فيما يحصل له من الأُنس والسرور وفيما ينزل به من الأتراح والإكدار وكنت في شك من هذا لأنني أعتقد أن زيدا لا يشبع إذا حبس عنه الأكل مهما أكل عمرو حتى أخذت الأخبار ترد علي بما أنت فيه من الغبطة والسرور فإذا بقلبي تجاه تلك الأخبار يكاد يرقص طرباً وسروراً فعلمت صدق ما يقولون. المرء شريك صديقه في كل شيء وألوي بشكي تمام اليقين بأن الشؤون المعنوية لا تقاس بالشؤون المادية. فاتم الله عليك نعمه. عزيزي هذه القصيدة التي كانت ضمن الكتاب الذي أضاعه (...) وإليك معنى ما حواه ذلك الكتاب المضاع باختصار إن وقعت عندك هذه القصيدة موقع الاستحسان فانت في حل من نشرها وإلا فغير عجيب أن يأتي بالمستهجن من الشعر شاعر يكابد من مضض الفقر وإرماض الفاقة ما الله به عليم».

(٢) الشروى: المثل.

فِيَلْقَى كُلُّ ذِي نُصْحٍ صَرِيحٍ
بِهَا إِنْ أَخْفَقَ النَّصْحُ السَّلَامَهُ
وَإِنْ تَنَفَعُ نَصِيحَتُهُ تَلَقَّتْ
بِشَكَرٍ فِي نَصَائِحِهِ قِيَامَهُ
هَنَّاكَ يَطِيبُ نَفْسًا عَنْ سِوَاهَا
بِهَا مَسْتَهْجِنٌ فِيهَا الْإِقَامَهُ
وَهَلْ يَرْضَى صَرِيحُ النَّصْحِ أَرْضًا
بِهَا تُدْنِي صِرَاحَتَهُ حِمَامَهُ
تُقِيمُ عَلَيْهِ - مَهْمَا قَالَ حَقًّا
يُرِيدُ بِهَا مَصَالِحَهَا - الْقِيَامَهُ
تَشِيلُ بِهَا نَعَامَتَهُ كُلُّ نُصْحٍ
وَتُسَكِّنُ مَنْ ذُوِيهِ كُلُّ نَامَةٍ (١)
يَقُولُ بِهَا لِسَانُ الْحَالِ جَهْرًا
هِنَّا يَلْقَى أَخُو النَّصْحِ اخْتِرَامَهُ (٢)
وَيَلْقَى كُلُّ ذِي غِشٍّ وَمَكْرٍ
كَمَا يَهْوَى مُنَاهُ واحْتِرَامَهُ
فَالْيَتَكَ إِذْ رَحَلْتَ إِلَى «أَوَالٍ»
جَذَبْتَ إِلَيْكَ مِنْ صَقْرٍ زِمَامَهُ
فَمُنْيَتُهُ التَّرْحُلُ عَنْ بِلَادٍ
بِهَا مَشَقَاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَهُ
شَكَا فِيهَا الْمَقَامَ وَأَنْتِ دَانٍ
تُخَفُّفٌ عَنْهُ مَا اغْتَمَّ اغْتِمَامَهُ

(١) النامة: مخفف النامة وهي الصوت.

(٢) اخترمه اختراماً: أهلكه، والاخترام: الإهلاك.

فكيف به ونأيك عنه أضحى
 يُجرُّعه ليصرَّعه سيمامه
 أما يكفيه رامي الدهر حتى
 تزيد سهام نأيك سيمامه
 فذكرك مالى فاه دواماً
 وحُبُّك مالى حتى عظامه
 فإن يك جذب صقر غير سهل
 فلا تخفر بنسيك زمامه
 ومثلك ليس ينسى مثل صقر
 إذا قين النوى شحذاً اعتزامه^(١)
 ولكني منيت بسوء حظ
 يُصادمني بما أخشى اصطدامه
 وأخوف ما أخاف النسي ممن
 هوأه كأن لي أركى علامه
 إذا هدد الفراق نظام حُب
 فبُعدك شد من حبي نظامه
 وإما قال غييري ذو غرام
 «أتري في الحشى يا ريم رامه»^(٢)
 فغيرك غير حُبك ما رعاه
 وغير هواك لم يسكن خيامه

(١) القين: الحداد.

(٢) الريم: الظبي. ورامة: مكان. والشطر لعبدالله بن علي بن عبدالقادر، شاعر أحسائي توفي عام ١٩٢٥م

نفسى تحن إلى لقائك

أراك عَليَّ بالمَلقى بخيالاً
وشيمتُكَ السَّماحةُ للمُواطنِ
ألم أعهدُكَ تَبذُّلُ كلِّ غالٍ
لإحياءِ الألى تحوي المَواطنِ
فما لك باللقاءِ وذاك يُحيي
صديقَكَ يا ابنَ أحمدَ جِدُّ شاطنِ^(١)
أجِلُّكَ أن تَمَلَّ حياةَ خِلِّ
وإدادَكَ منه في الأحشاءِ قاطنِ
فتعربُ عن جَفاءِ كنتُ أهوى
بجَدِّعِ الأنفِ أنكَ عنه راطنِ
تواصلُ من يودُّكَ غيرَ صقرِ
فهل لودادِ صقرِ لستَ فاطنِ
لك الأشعارُ تُظهِرُ بعضَ حُبِّي
وأكثرُهُ لعمُرِ اللهِ باطنِ
تَحنُ إلى لِقائكِ العذبِ نفسى
حنينَ العيسِ يَشْتَقُّنَ المَعاظنِ^(٢)

(١) شطن فهو شاطن بعد.

(٢) العيس: الإبل. والمعاطن: مبارك الإبل.

يضر النصح

يَضُرُّ النَّصْحُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
فِيَا لَيْتِي خُلِقْتُ بِلَا لِسَانٍ
إِذَا مَا قَمْتُ أَنْصَحُ بَيْنَ قَوْمِي
لَقُونِي بِالْأَذْيَةِ وَالْهَوَانِ
وَكَمْ قَدْ رُمْتُ غِشَّهُمْ فِي أَبِي
عَلِيٍّ الْغِشَّ أَبٍ مِنْ جَنَانِي
وَجَدْتُهُمْ عَلَى النَّصْحَاءِ مِنْهُمْ
يَصُوبُونَ الْعَذَابَ بِلَا تَوَانٍ
وَأَمَّا مَنْ يَغِشُّهُمْ فَهَذَا
لَهُ مَا بَيْنَهُمْ أَعْلَى مَكَانٍ
فَهَلْ عَدِمَتْ رُؤُوسَهُمْ نُهَاهَا
فَمَالُوا لِلْهَجِينِ عَنِ الْهَجَانِ^(١)
أَصِيحُ بِهِمْ إِلَى الْعُلِيَاءِ سِيرُوا
وَجَدُّوا فَالْعُلَا لَيْسَتْ لِوَانٍ
وَأَحْسَنُ مَا يُوَدِّيْكُمْ إِلَيْهَا
مِنَ الْأَسْبَابِ مَا الْعِرْفَانُ بَانَ
فَفِي عِزِّ الْمَعَارِفِ كُلِّ شَعْبٍ
يَنْالُ السُّبُقَ أَيَّامَ الرَّهْانِ
وَلَوْ لَا الْعِلْمُ لَمْ يُنْتَجِ رَجَالاً
تَسْوَدُ الْمَشْرِقِينَ الْمَغْرِبَانَ

(١) الهجين: اللئيم، ومن أبوه أصيل وأمه غير أصيلة. والهجان: الكريم والخيار.

وَحَلُّوا فِي الدِّانَاتِ افْتِرَاقًا
يَكُونُ بِكُمْ إِلَى الحَرْبِ العَوَانِ
وَدِينُوا مِنْ تَكَاتُفِكُمْ بَدِينٍ
لَكُمْ يَلْقَى التَّقَدُّمُ بِالْعِينَانِ
فَمَا غَيْرُ التَّفَرُّقِ مِنْ حَسَامٍ
تَبِيدُ بِهِ الشُّعُوبُ وَلَا سِنَانِ
فَتَسَلُّنِي بِالسَّنَةِ حِدَادٍ
كَأَنِّي يَا عِبَادَ اللَّهِ جَانِ
يَرُونَ بَأْتَنِي قَدْ جِئْتُ أَمْرًا
بِهِ تَخْلُو مِنَ الدِّينِ المَغَانِي
فَهَلْ يَقْضِي صَاحِبُ الدِّينِ أَنْ لَا
نَكُونَ مِنَ التَّخَالُفِ فِي أَمَانِ
إِذَا فَالِدِينِ إِعْدَامٌ وَإِلَّا
فَإِنَّ الدِّينَ لِلْإِعْدَامِ ثَانِ
يَكَادُ اليَأْسُ يَقْعُدُ بِي وَيَقْضِي
لَمَّا مِنْهُمْ أَرَاهُ عَلَى بَيَانِي
فَأَعْرِضُ عَنْ نَصَائِحِهِمْ إِلَى أَنْ
أَسِيرَ مِنَ الحِمَامِ عَلَى حِصَانِ
وَلَكِنِّي أَقُولُ لَعَلَّ قَوْمِي
جَمُودِهِمْ - وَإِنْ قَدْ طَالَ - فَنَانِ
وَإِنْ يَعْقَمُ بِحَاضِرِهِمْ رَجَائِي
فَفِي الآتِي سَتُنْتَجِ لِي الأَمَانِي

لهفي على الفصحى^(١)

ما زلتُ أسمعُ لحنَ ذا الأَلْحَانِ
حتى لَكِدْتُ أَدُوبُ من أشجاني
لم يُلقِ من بيتِ علي طُلابِهِ
إلا وشانَ البيتِ بالألحانِ
تَدْرِيسُهُ الفُصْحَى العَزِيزَةَ جانِباً
مما يُعَرِّضُ عِزَّهَا لِهَوَانِ
خَدَعْتُ بني قَوْمِي شَهَادَتَهُ التي
شَهِدَتْ لَهُ بِالْعِلْمِ والعِرْفَانِ
وإذا بِإِصْغَائِي إلى تَدْرِيسِهِ
يَعُزُّو شَهَادَتَهُ إلى البُطْلَانِ
إن لم يكن نالَ الشَّهَادَةَ ذا الفَتَى
زوراً فَآفَتُهُ من النُّسِيَانِ
وعلى كِلا الأمرين ليس بِصَالِحِ
لسوى تَتَلُمُّذِهِ الجَدِيدِ الثَّانِي
فليَنصَرِفْ من حيثُ جَاءَ فلم يَزَلْ
منهُ التَّعَلُّمُ بَعْدُ في الإِمْكَانِ
إن تَعَلُّ صَبِيانَ المَدَارِسِ سِنُهُ
فالجَهْلُ يُدْنِيهِ من الصَّبِيانِ

(١) زار المدرسة المباركية وجلس على كرسي كان قريبا من أحد الفصول، وسمع مدرس الفصل الذي كان في تلك الساعة يلقي درساً في اللغة العربية، وكان كثير اللحن فقال هذه القصيدة.

لهفي على الفصحى يُدرِّسها امرؤٌ
تدريسه ضَرَبُ من الهَذِيانِ
وعلى تلاميذٍ نُحِبُّ ثباتها
منهم مدى الأعمارِ في الأذهانِ
يا قوم إن لم تُبَدِّلوه بمُحسِنٍ
تعليمه الأبناءَ ذي إتقانِ
عظمتَ ندامتكم على تفريطكم
وعلى التساهلِ مُعَقِبِ الخُسرانِ
إننا لنأمل في بنينا أن يُروا
وهُم من الفصحى بخيرِ مكانِ
كي يُظهروا من حُسْنِها وجمالها
ما أضمرتُه حوادثُ الأزمانِ
ويقوم كلُّ منهم بنصيبه
من بئها ما اسطاع في الإخوانِ
حتى يَتِمَّ ظهورُها فظهورُها
صِلَةٌ لقاصي قَومِنا بالدَّانِي
الوحدةُ الكبرى التي تحقِّقُها
ما زال حتى اليومِ وهو أمانِي
لُغَةُ الجُودِ أهُمُّ ما يَدنو بهِ
ويُردُّ غائبٌ وجهه لِعيانِ
فعَلامَ نتركها لذي جهلٍ غَدَتُ
منه تُكابِدُ شِقْوَةً وتُعاني؟
أو ما علمتم أنها ما بيننا
تُمسي وتُضحى وهي خيرُ لسانِ

لم نَدْرِ لَوْلِم نَسَع نَحْو حَدِيثِهَا
مَا مَجْدُ يَعْرَبَ أَوْ عَلَا عَدْنَان؟



يَا أَيُّهَا اللُّغَةُ الْجَمِيلَةُ إِنِّي
مُغْرَى الْفَوَادِ بِحُسْنِكَ الْفَتَّانِ
لَا حُسْنَ إِلَّا حُسْنُ وَجْهِكَ جَامِعٌ
مَا بَيْنَ قَلْبِي الدَّهْرَ وَالْهَيْمَانَ
أَلْقَى جَنَانِي حُبَّ غَيْرِكَ مَذْرَأَتْ
سِرَّ الْجَمَالِ لَدَيْكَ عَيْنٌ جَنَانِي
مَا كَانَ مِنِّي الْقَلْبُ لَوْلَا خَوْفُهُ
مَنْ أَنْ تُسَائِي دَائِمَ الْخَفَقَانِ
مَا عَنكَ سَلْوَانٌ إِلَيَّ بِنَافِذِ
فَهَوَاكَ سَدَّ مَنَافِذَ السُّلْوَانِ
الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ فَيْكَ تَكَامَلَا
وَالْحُرُّ عَبْدُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
مَا فَاتَ وَجْهَكَ مِنْهُمَا مِنْ بَعْدِ مَا
فِيهِ تَجَلَّى مَعْجَزُ الْقُرْآنِ
فَلَوْ اكَتَفَيْتِ كِفَاكَ ذَاكَ مَزِيَّةً
مَا عَنَّ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرُ بَيَانِ^(١)
لَكِنْ أَبَيْتِ سِوَى مُتَابِعَةِ الَّذِي
تُؤَلِّينَ مِنْ مَعْرُوفِكَ الْمُتَدَانِي
كَمْ تَطْلُعِينَ وَكَمْ طَلَعَتْ مُذِيعَةً
فَيْنَا غَرَابَ مُغْرِبِ فَنَانِ

(١) عَنْ: ظَهَرَ.

كم جئتنا من شاعرٍ أو كاتبٍ
بصنائعِ تَرَبُّو على الشُّكْرانِ
ما حَمَلًاكِ حَمَلْتَهُ من كلِّ ما
جاءَهُ حَقًّا أو خيالِ مَعانِ
ما استنجدكِ لنشر ما يُعيي اللُغى
يومًا فَعادًا مِنْكَ بِالخِذلانِ
لكِ - بالجليل وبالصدق من الذي
يَطوي على العجزِ اللُّغاتِ - يَدانِ
سَعَةُ المِغاني للمعاني لم تَزَلْ
لكِ دون غيركِ من لُغى العُمُرانِ
صَدَقَ المَشَبَّهُ بِالفضاءِ الرَّحْبِ ما
لا قاهُ عِنْدَكَ من رحيبِ لَبانِ^(١)
ما فَصَّاتُ لُغَةٍ لِمَعنى مَلْبَسًا
مما تَحِيكُ يَلِيقُ بِالعُريانِ
إلا وَجئتِ بِسِنَّةٍ أو سَبْعَةٍ
تَزْهوهُ بِالأكمامِ والأردانِ
إن جاورتكِ ثَقِيلَةٌ فَأَطالَما
جارَ الحصى بِجِوارِهِ لُجْمانِ
أو فاخرتكِ بما أراها بَعْضُنا
من رَغْبَةٍ في الوصلِ أو مَيلانِ
وَبِشْرِكِها لِكِ في العِنايةِ عن هَوَى
قد أَحَدتُتُهُ لَها يَدُ الحَدَثانِ
وَبِنَيْلِ ما ظَننتُهُ نَهْجًا مُفْضِيًّا
بِكُما مَعًا لُضمائِرِ الوِلدانِ

(١) اللبان: الصدر.

فَلِكُلِّ جِدَّةٍ عَهْدٍ شَيْءٍ لَذَّةٌ
 يَجِدُونَهَا لَكِنَهَا لِأَوَانٍ
 فَإِذَا مَضَى هَذَا الْأَوَانُ فَبَعْدَهُ
 مَا اسْتَشَعَرُوهُ مِنَ التَّيْذَانِ فَإِنِ
 فَتَوَقَّعِي أَنْ يَرْجِعُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يَمْضِيَ وَلَوْ حِينَ مِنَ الْأَحْيَانِ
 مَتَمَّتْ لِي لَدَى الرَّجُوعِ بِقَوْلِهِمْ
 مَرَعَى وَلَكِنْ لَيْسَ كَالسَّعْدَانِ^(١)
 فَتَجَاوَزِي يَوْمَ الْإِنَابَةِ مِنْهُمْ
 عَنْ سَيِّئَاتِ الصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ
 فَلَأَنْتِ أَجْدَرُ حُرَّةٍ وَأَحْفَقُهَا
 بِالْعَفْوِ عَنْ ذَنْبٍ وَبِالْغَفْرَانِ
 فَإِلَيْكَ مَرْجِعُ كُلِّ أَقْوَامِي بِمَا
 يُرْضِيكَ مِنْ فَرْطِي هَوَى وَحَنَانِ
 وَأَنَا الضَّمِيمُ وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْنِي
 ذَاكَ الْمَحَبُّ فَهَلْ يُرِيبُ ضَمَانِي
 تَأْبَى عَلَيَّ سِوَى الْوَفَاءِ صَبَابَةٌ
 أَلْقَتْ إِلَى يُمْنِي يَدِيكَ عِنَانِي
 أَبَدًا سَابِقِي طَوْعَ حُبِّكَ جَاذِبًا
 عَنْهَا إِلَيْكَ مَحَبَّةَ الْفِتْيَانِ
 حَتَّى أَرَى مَحْضَ الْهَوَى لَكَ مَطْلَقًا
 فَيُنَا يَدِيكَ بِأَنْفَذِ السَّلْطَانِ
 يَسْلُوكِ أَوْ يَسْلُو الْقِيَامَ بِكُلِّ مَا
 تَسْتَوْجِبِينَ سِوَى فَوَادِي الْعَانِي

(١) السعدان: نبات من أفضل ما ترعاه الإبل ولهذا ضرب به المثل فقيل: مرعى ولا كالسعدان.

لِتَلَوْنُ غَيْرِي هَوَاهُ عُرْضَةً
أما هَوَايَ فَغَيْرُ ذِي الْوَانِ
لم تُبْصِرِي مَنِي سَوَى مُسْتَسَلِمٍ
لهَوَاكِ مَغْتَبِطٍ بِهِ جَذَلَانِ
مُسْتَعَذِبِ خِدْمَاتِهِ لَكَ مَخْلَصٍ
فِي حَالَتَيْهِ السُّرِّ وَالْإِعْلَانِ
مِقَّةً تَزِيدُكَ الْيَالِي قَلْبَهُ
لو لم تَعِزَّ زِيَادَةُ الْمَلَانِ
إِنْ رَثَّ عَهْدُ هَوَاكِ عِنْدِي أَوْ مَشَى
فِيهِ الْفَتُورُ فَلَسْتُ مِنْ قَحْطَانِ
تَاللهِ يَا لُغَتِي الْعَزِيزَةَ لَنْ تَرِي
مَنِي سَوَى ذِي نَجْدَةٍ مِعْوَانِ
فِي حَلْقٍ مِنْ يَجْنِي عَلَيْكَ أَنَا الشَّجَا
فَتَرَبَّعِي أَبَدًا بِظِلِّ أَمَانِ
أَقْفُو كَمَا يَقْضِي الْهَوَى مِنْكَ الْخُطَا
بِالطَّاعَةِ الْعَمِيَاءِ وَالْإِذْعَانِ
إِنْ تَسَخَّطِي أَسَخَّطْ وَإِنْ تَرْضَيْ يُهَبْ
دَاعِي رِضَاكَ إِلَيَّ بِالرُّضْوَانِ
وَكَذَا سَابِقِي حَافِظًا عَهْدِ الْهَوَى
مَا لَمْ تَغِيبْ رُوحِي عَنِ الْجُثْمَانِ

إِنْ يَرْمِنِي لَمَّا انْبَرَيْتُ مَدَافِعًا
عَنْكَ الْجَهْلُ بِأَسْهُمِ الْبُهْتَانِ
فَعَدَا وَرَاحَ يُذِيعُ عَنِّي أَنَّنِي
مَمَّنْ يَخَالِفُ شِرْعَةَ الْأَدِيَانِ

فإله يعلم كذب ما هو قائل
 وإله أعبد لا بني الإنسان
 وسلاح شرواه على من ذب عن
 حق أهين الرمي بالكفران
 ما انفك ذلك دأب كل مخلص
 نجس السريرة فاسد الوجدان
 يرمون بالكفر البريء ليوهموا
 الدهماء أنهم ذوو إيمان
 كم قد رمى بالكفر قبلي مؤمناً
 أمثال هذا المغرض الشيطان
 والذنب عند مكفره جهره
 بنصائح يأتي بهن حسان
 إذ ربما ألت نصائحهُ إلى
 إظهار ما فيهم من النقصان
 وظهور نقص الناقصين يردهم
 من نيل ما يرجون بالحِرمان
 يتظاهرون لدى السواد بأنهم
 للدين قد عُدوا من الأركان
 ليكون ذلك من السواد إليهم
 منهاج سير الأصفر الرنّان
 فإذا اتقوا من مصلح تنبيهه
 للغافلين رموه بالكفران
 كي تصرف الدهماء عنه وجوهها
 طوعاً لسوء الظن والحسبان
 ولكم أشاحت بالوجوه لإفكهم
 عمّن يريد بها علو الشأن

من يَزْجُرُ الدَّهْمَاءَ عن تصديقها
دعوى تُساق لها بلا بُرهان
من لي بأن أسطيعَ في ألبابها
إدخالَ أشياءٍ من الرُّجْحان
حتى تَرُدَّ مكائدَ المُخفين في
صورَ الأنعامِ غرائزَ الذُّؤبان
ممن لديهم موتها وحياتها
في سُبُلِ نيلِ مرامهم سيَّان
القائمين من الديانةِ باسمها
شَبَكًا لصيدِ فلانةٍ وفلان
يا من لهم حيلٌ على الشَّيبِ انطَلت
خافوا عقابَ تيقُّظِ الشُّبَّان
إن لم تخافوا أن تُحوَّلَ عنكم
هذي الماتمُ رحمةَ الرحمن
لا تحسبوا الإمهالَ إهمالاً لكم
فالعدلُ لا يكفي جزاءَ الجاني
والله أعدلُ عادلٍ فتوقعوا
منه جزاءَ الظلمِ والعُدوان
فلديه بادٍ كيدكمُ مهما ضفَّت
منكم عليه ملابسُ الكِتمان

موجعات البعد^(١)

أعلمت ما قاسى من الأشجان
مذ غبت يا عبد العزيز جناني
قاسى من الأشجان بعدك والأسى
ما وصف أدناه يفوت بياني
لومات قبل أوان ميته امرؤ
من موجعات البعد والأحزان
لم تترك الألام بعدك ساعة^(٢)
بله السنين الروح في جثماني
لكن منايا الخلق قبل أوانها
ما للشجون بجلبهن يدان
يا ليتني أسطيع وصف مظاهر
صرف البعاد بهن أمس رماني
كيلا تعود تجر أمثال التي
أسلفتها يوماً على الإخوان
أنى وألام البعاد توارك
ضعفاً يعوق عن البيان لساني
فكأنهن أردن ألا تنتهي
ما لم تُعن بكر النوى بعوان

(١) أرسلها إلى صديقه المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد مؤلف تاريخ الكويت وصاحب مجلة الكويت. وذلك في أحد أسفاره.

(٢) بله: اسم فعل بمعنى دع واترك.

فإذا هممتَ بفعلٍ ذلكَ فلتكنْ
مَنِّي مُصَافِحَ كَفِّ خِلِّ فَنان
وإذا أباي ضَعْفُ اللسانِ وعِجْزُهُ
صِفَةُ الَّذي زَمَنَ البِعادِ أَعاني
أَعْنَتَكَ عَن وَصفي شُجوني صُفْرُهُ
أَلَوْتُ بِحَمْرَةِ لَوْنِ وَجْهي القَاني^(١)
فانظُرْ إلى وَجْهي يَرعُكَ شُحوبُهُ
ويَرعُكَ عَن رَمْيي بِبُعدِ ثان^(٢)
ولئنْ ثَنَّاكَ عَن التَّنائي مَرَّةً
أُخري صَنيعِ النَّأيِ بِالخِلانِ
فلا نَتَ أَشْفَقْنَا عَلى أَصحابِهِ
نَفسًا وَأَعطَفْنَا عَلى الأَخدانِ



أَنسى ادُّكارُ البينِ لَفظَ تَحِيَّةٍ
أَعَدَدتُهُ فاعذُرْ عَلى النَّسيانِ
وأظنُّ ما أَعَدَدتُ أَهلاً مَرحَباً
سَهلاً وإِلا فَهُوَ هُنَّ مَعاني
وإذا نَسيتُ لَذكِرِ أَهوالِ غَدَتِ
مَني كَما شاءَ الفِراقُ دَواني
ما اختَرْتُ مِن لَفظِ التَحِيَّةِ فَالنَوى
تَذكِارِها يَقضي عَلى الأَذهانِ



(١) أُلوى بِهِ: ذَهِبَ بِهِ.

(٢) وَزَعَهُ يَزَعُهُ: كَفَهُ وَمَنَعَهُ.

أَوْ أَمِلِ الشُّكْرَ الْجَزِيلَ مَثُوبَةً
مَنْ مُتَّبِعِ الْمَعْرُوفِ بِالشُّكْرِ
أَوْ طَالِبِ هَذَا وَذَلِكَ فَيَفْتَدِي
وَلَهُ بِمَا يَسْخُوبُ بِهِ غَرَضَانِ
وَأَقْلُ مَنْهُمْ فِيهِ مَنْ يُؤَلِّي النُّدَى
مَحْتَاجَهُ عَنْ رِقَّةٍ وَحَنَّانِ
أَرَأَيْتَ فِيهِمْ بِأَذَلِّ مَيْسُورَةٍ
لِجَرَّدَاتِ بِنَوَاعِثِ الْوُجْدَانِ
كَأَلَّا فَقَدَ فَتَشَّتْ عَنْهُ فَلَمْ أَجِدْ
أَثْرًا لَهُ فِي مُكْثِرِي أَوْطَانِي
فَكَأَنَّهُمْ خَلِقُوا بِغَيْرِ مَشَاعِرِ
حَسَّاسَةٍ بِمَحَاسِنِ الْإِحْسَانِ
وَإِذَا اخْتَبَرْتَ ذَوِي الثَّرَاءِ فَلَمْ تَجِدْ
فِيهِمْ إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ مَيَّلَانِ
فَاعَدِّدْهُمْ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ وَاحْتَشِمْ
مَنْ عَدَّهُمْ فِينَا بِنِي الْإِنْسَانِ
لَوْلَا سُمُو الْمَيْلِ لَمْ تَرَ فَارِقًا
بَيْنَ الْأَنْعَامِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

لست له خليلاً

نَبَذْتُ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُدَاهِنٍ
لَعَيْبِي عَنِّي بِالتَّجْمُلِ دَافِنٍ
وَمَا خَيْرُ خَلٍّ لَا يَكُونُ لَخَلِّهِ
مِرَاةً يَرَى فِيهَا جَمِيعَ الشُّوَانِ
فِيَنْهَضُ فِي إِبْدَالِهَا بِمَحَاسِنِ
فِيُصْبِحُ مَا فِيهِ لَهُ غَيْرُ زَائِنِ
وَأَقْصَيْتُ مِنْ صَحْبِي النَّصِيحَ الَّذِي أَتَى
إِلَيَّ بِنُصْحٍ بَيْنَ مُتَنِّنِ وَطَاعِنِ
فَهَذَا كَذُوبٌ فِي النَّصِيحَةِ مَائِنٌ
وَمَا لِي مِنْ مَائِلٍ إِلَى كُلِّ مَائِنٍ (١)
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَيْنِ فَلْيَبِينُ
فَلَسْتُ لَهُ يَوْمًا خَلِيلًا بِكَائِنِ

(١) المائِن: الكاذب.

اعتذار^(١)

أودُّ بأنِّي لا أفارقُ مجلساً
أراهُ لسيفِ المجدِ منك اغتدى جَفْنَا
وما لي لا أهوى دُنُوِّي إلى الذي
دُنُوِّي إليه مُكسبي الفضلِ والمَنَّا
ولكنْ عمى العينين ما زال مُلزمًا
أخاهُ - وإن لم يرضَ - من بيته سِجنا
أعدُّ ازدياري هالَةً أنتَ بدرها
مراقبي تُعلِّيني إلى الشرفِ الأسنى
فما كان من رأيي فراقٌ محلَّة
تعيدُ فصاحًا لُسُنَ مَفخري الكُنَّا
ولكنه رأيُ العمماءِ وأهلُهُ
إلى رأيهِ بالكُرهِ أراؤهم تُثني
ولولا عمى شيخِ المعرَّة لم يكن
لمسكنه حتى قضى نَحْبَهُ رَهْنَا
سَمِيَّي أَقْلُ الطيرِ لُبْنًا بوَكْنِهِ
ولو ذهبَتْ عيناهُ ما فارقَ الوَكْنَا
يَعْلُ عَمَاهُ ما لَهُ من عزائمِ
ويملأُ بعد اليأسِ أحشاءَهُ جُبْنَا
تعيثُ الحُبَّارى في حمَاهُ مُهينَةً

(١) من قصيدة قدمها إلى سمو الشيخ عبدالله بن سمو الشيخ سالم بن مبارك الصباح.

كأن لم تكن تخشى مخالبه الحُجنا
ولولا عماء لم يفتته افتراسها
وإن هي لم تقرب له مرةً مَغْنَى (١)
تذلل له قبل العمى الطير كئها
وبعد العمى ليست تُقيم له وزنا
فيمكث حول الوكر حتى تناله
يد الموت يشكو الذل والجوع والغبنا
وإن أدركته رحمة الله قيضت
له راحماً من نوعه يفعل الحُسنى
فتلقاه يغدو أو يروح تعطفاً
يشاطرهُ عَجْفَى الماكل والسمنى
وقد يؤثر الصقر الرحيم بقوته
- إذا كان لا يكفيهما ذلك - الخدنا
يهون عليه أن يجوع إذا رأى
صويحبه المنكوب قد ملأ البطننا

(١) المغنى: المنزل.

البخلاء

كأنهم مُنِحوا خُلْدَ الحَيَاةِ فَمَا
تَنْتَابُ مِنْهُمْ عَوَادِي المَوْتِ حُسْبَانَا
أَوْ أَنَّهُمْ أَيَقْنُوا أَنْ لَا جِزَاءَ عَلَيَّ
حَسْبِ الأَفَاعِيلِ بَعْدَ المَوْتِ إِيقَانَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْعُهُمْ مَا جَاءَ يَسْأَلُهُمْ
مَنْ عَزَّه قُوَّتُهُ ظَلَمًا وَعُدْوَانَا
أَوْ أَنْ أَكْبَادَهُمْ كَانَتْ لِقَسْوَتِهَا
تُجَاهَهُ مَا تَصْنَعُ البِئْسَاءُ صُؤَانَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ مِثْلَهُمْ
مَنْ بَاتَ مِنْ فِقْرِهِ جَوْعَانَ عُرْيَانَا
تَلْقَاهُمْ عَنْ أَنِينِ البِئْسَاتِ وَعَنْ
مُشْجِي مَنَاطِرِهِمْ صُمًَّا وَعُمِيَانَا
وَالشُّحُّ لَوْلَاهُ مَا صَمُّوا وَلَا عَمَّهوا
فِي مَشْهَدِ البِؤْسِ أَنْظَارًا وَأَذَانَا
سَبْحَانَ مُغْنِي الأَلَى تَابَى غِرَائِرُهُمْ
أَنْ يَذْخَرُوا نَفَعَ مَا أَوْتَوْهُ سَبْحَانَا
كَأَنَّمَا اسْتُودِعُوا أَمْوَالَهُمْ فَغَدَوْا
عَلَى الوَدَائِعِ حُرَّاسًا وَخُزَّانَا
حَتَّى يُؤَدُّوا إِلَى الوَرَاثِ مَا مَلَكَوا
قَسْرًا يَعْدُونَ رِيحَ الشُّحِّ خُسْرَانَا

يَرُونَ شُحَّهُمْ عَنْ كُلِّ مَعْقِبِهِمْ
خَيْرَ الْحَيَاتَيْنِ تَعْوِيقًا وَخِذْلَانَا
فَمَا تَقَرُّ لَهُمْ عَيْنٌ بِصَالِحَةٍ
هُنَا يَرُونَ لَهَا أَوْ تَمَّ إِبَانَا^(١)
فِي قِظَّةِ الْكُلِّ مِنْهُمْ تَمَّ تُرْجِعُهُ
لِفِرْطِ تَفْرِيطِهِ حَسْرَانَ أَسْوَانَا
لَا سِيَّمَا إِذْ يَرُونَ الْمُحْسِنِينَ جُزْوَا
فِي عَالَمِ الْخُلْدِ مَا يُعْلِي لَهُمْ شَانَا
مَعَ تَرْكِهِمْ فِي الدُّنَا حَمْدًا تُجَدِّدُهُ
ذَكَرَى الْجَمِيلِ مِنَ الْأَعْقَابِ أَرْمَانَا
مِنْ بَعْدِ مَا قَطَعُوا الدُّنْيَا وَكُلُّهُمْ
مِنْ أَهْدَى النَّاسِ فِي دُنْيَاهُ وَجَدَانَا
وَاللَّحْنَ مُضْطَرِبُ الْوَجْدَانِ يَصْبِغُهُ
مَا عَاشَ لِلْعَيْنِ خَوْفُ الْفَقْرِ أَلْوَانَا
فَأَوْلِيَاتُ الْجَزَا تَلْقَى الْجَمِيعَ هُنَا
بِهَا الضَّمَائِرُ جَنَاتٍ وَنِيرَانَا
وَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ لَا يُجَازِيَهُمْ
كُلًّا كَمَا جَاءَ إِظْهَارًا وَإِبْطَانَا
وَالْعَدْلُ أَمْرٌ بِهِ الْأَلْبَابُ حَاكِمَةٌ
وَاللَّهُ أَوْحَاهُ أَنْجِيَالًا وَقَرَأَنَا
لَكِنَّهُ الشُّعْ تُؤَلِّقُ لَا يَثْنِيهِ حُكْمُ نُهَى
وَلَا يُرِيكَ لَوْحِي الْإِلَهِ إِذْعَانَا

(١) ثم: هناك. إبان: وقت وحين.

حتى يُورَظَ من سوءِ اختيارِهِمُ
أغراهِمُ أنْ يُطِيعُوا منه شيطانا
فَلْيَسْقُطِ المانعُ المسكينَ بُغِيَّتَهُ
وَلْيَعْلُ مانِحُها المسكينَ من كانا

على مآدبة شاي^(١)

أَقْدَمُ لَابِنِ أَحْمَدَ كَأْسَ شَايٍ
وَوُدِّي أَنْ أُمُدَّ لَهُ خِوَانَا
يَضُمُّ مِنَ الْمَأْكَلِ كُلِّ صَنْفٍ
بِهِ الطَّاهِي قَدْ افْتَنَّ افْتِنَانَا
لذِيذَ الطَّعْمِ يَتْرُكُ كُلَّ حَلْقٍ
يَحْتُّ عَلَى الْمِبَادِرَةِ الْبِنَانَا
إِذَا أَلْوَانُهُ اخْتَلَفَتْ وَصُفَّتْ
أُوَانِيهِ قِصَاعًا أَوْ جِفَانَا
ظَنَنْتَ رِيَاضَ «أَيَّارٍ» عَلَيْهِ
تَرْفٌ وَأَبْطَلَ الظَّنَّ الْعِيَانَا
فَتَجَزِمُ أَنْ «كَانُونَا» نَفْتُهُ
يَبْدَا «أَيَّارٍ» وَاحْتَلَّ الْمَكَانَا
كِعَادَةِ كُلِّ ذِي كَرَمٍ وَيُسْرٍ
لِزُّوَارٍ عَاوَا قَدْرًا وَشَانَا
وَلَكِنْ حَالَّتِي بِالرَّغْمِ مِنِّي
تُنَنْتَ عَمَّا وِدَّتْ لَهُ الْعِينَانَا
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مَا وَدَّ يُعْذَرُ
مِنَ الزُّوَارِ فَضْلًا وَامْتِنَانَا
وَلَا سِيَّيْمَا إِذَا الزُّوَارُ كَانُوا
مِنَ الْفِطَنِ الدَّقِيقَةِ حَيْثُ كَانَا

(١) دعا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في بيته على شاي، وقال هذه القصيدة بهذه المناسبة.

ففطنتهُ الدقيقةُ كم كفتني
 على التقصيرِ للعدرِ البَيانا
 فوجهُ العُذرِ لا يخفى عليه
 وإن أمسكتُ عن عُذري اللُّسانا
 وما أغنى المَزورَ عن اعتذارِ
 إذا ما كان زائرُهُ هِجانا^(١)
 حكى عبدُالعزیزِ الحُرُّ فهِمًا
 وأخلاقًا به اجتمعت جِسانا
 إذا ما زارني شَرواهُ أَلْفَى
 تَخَوَّفَ ذنبِ تقصيري أمانا
 وَلِمَ لا وهو أرجحُنا حِجاءً
 وأسمَحُنا وأذكانا جَنانا
 قُدومك سَرَّنا حتى أَقَلَّنا
 - به ممَّا جَنى قبلُ - الزَّمانا
 إذا ما اشتهدَّ دهرُثم أدنى
 إلينا من مَحَضنَاهُ هَوانا^(٢)
 فكلُّ جنايةٍ لادهرِ هانتُ
 وكلُّ شديدي ما أجرأه لانا
 تمنَّينا لِقاكَ وقد تَأَنَّى
 وإن طالَ اللقا كَمَلتْ مُنانا
 فأهلاً يا ابنَ أحمدَ ثم أهلاً
 وسهلاً يا أعزَّ أخِ غَشاننا^(٣)

(١) الهجان: الكريم الخالص.

(٢) محضه الهوى: أخلص له.

(٣) غشاه يغشوه: أتاه.

نُحَايِّي بِالْقَرِيضِ وَلَوْ قَدَرْنَا
 جَعَلْنَا مَوْضِعَ الشُّعْرِ الْجُمَانَا
 وَإِنْ تَرَفِي الْقَصِيدَةَ وَجَهَ عَيْبٍ
 فَابْرُقْ مَا بَدَأَ مِنْهُ حَنَاْنَا
 فَأَنْتِ أَجَلُّ مُحْتَسِبِي التَّغَاضِي
 إِذَا عَيْبٌ مِنَ الْإِخْوَانِ بَانَا
 وَلَا سِيَمَا وَذَاكَ الْعَيْبُ مَمَّنْ
 عَلَى إِخْلَاصِهِ جُزِيَّ الْهَوَانَا
 رَأَتْ مِنْهُ الْكُوَيْتُ فَتَى صَرِيحًا
 فَعَادَتُهُ لِأَلْفَتِهَا الدُّهَانَا
 يُصَفِّي صَفْوُ بِالِ الْمَرْءِ شِعْرًا
 لَهُ مِنْ كُلِّ مَا لِلشُّعْرِ شَانَا
 وَمَا تَصْفُو قَرِيحَةً مِنْ يَقَاسِي
 دَوَامًا بِكُرِّ حَزْنٍ أَوْ عَوَانَا
 وَمَنْ لَمْ يَصْفِ مِنْهُ الْبِالُ مَمَّا
 يُعَانِي مِنْ نَوَائِبِهِ وَعَانِي
 فَلَا تَعَجَبْ إِذَا نَظَمَ الْقَوَافِي
 عِجَافًا وَهُوَ يَحْسِبُهَا سِمَانَا
 فَفَهُمُ الْمَرْءُ لَا يَهْدِيهِ قَصْدًا
 إِذَا رَيْنُ الْهَمُومِ عَلَيْهِ رَانَا^(١)
 وَهَلْ جَلَّتِ الْمَرَايَا صَادئَاتٍ
 لِنَاطِرِهَا خِيَالًا فَاسْتَبَانَا
 مَتَى تُنْصَبُ وَعُورُ الدَّرْبِ طَرْفًا
 كَرِيمًا يَكْبُ أَوْ يُبْدِ الْحِرَانَا^(٢)

(١) الرين: الدنس، وران عليه: غلب عليه.

(٢) الطرف: الكريم، الأب والأم من غير الناس، كالخيل مثلاً.

لَقَدْ مَنَنْتُنِي الْأَدَابُ حَتَّى
أَضَعْتُ بِدَرَسِهَا الْعُمَرَ افْتِنَانَا
فَلَمَّا أَنْ بَلَغْتُ بِفَضْلِ جِدِّي
وَكِدِّي مِنْ سَمَائِهَا الْعَنَانَا^(١)
رَأَيْتُ الْوَعْدَ مَنْقَلَبًا وَعِيدًا
يُريكَ مِنْ الشَّجَاعِ فَتَى جَبَانَا
فَلَوْلَاهُنَّ مَا حَسَدُوا وَشَنَنُوا
عَلَيَّ مَغَارَهُمْ أَنَا فَنَانَا
وَلَا أَبْدَى لَهَيْبِ الْحَقْدِ مِنْهُمْ
عَلَى صِغَرِي بِنَاصِيَتِي دُخَانَا
فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ سَلَخْتُ نَفْسِي
مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي مَنَى فَمَانَا^(٢)
وَلَمْ أَعْجِبْ لَلَّذِي حُمِقَ مُدَبِّ
إِلَيَّ مِنَ الْمَكَائِدِ عُقْرِبَانَا^(٣)
فَإِنِّي أَعْرِفُ الْخُفَّاشَ يَهْوَى
بِجَدْعِ الْأَنْفِ لِلشَّمْسِ اكْتِنَانَا
وَلَكِنَّ اللَّبِيبَ غَدَا ضَلَالًا
يُجَامِلُ فِي مَسَائَتِي الْهَدَانَا^(٤)
فَمَنْ لِي بِأَنْسِلَاخِي الْيَوْمَ مَمَّا
أَثَارَ عَلَيَّ حَقْدًا وَاضْطِغَانَا
إِذَا فَسَدَ الْمَحِيطُ فَكُلُّ حُرٍّ
تَوَطَّنَهُ إِذَا لَمْ يَنْنَأَ حَانَا

(١) عنان السماء: ما بدا لك منها إذا نظرتها.

(٢) مناه بالشيء: جعله يتمناه. وما ن: كذب.

(٣) العقربان: ذكر العقارب.

(٤) الهدان: الأحمق.

عَدِمْتُكَ مِنْ مَحِيْطِ كُلِّ شَيْءٍ
رَجَوْتُ وَفَاءَهُ لِي فَيْكَ خَانَا
أَحْتَى السَّيْرُ عَنْكَ إِلَى بِلَادٍ
سَوَاكَ بِكَوْنِهِ عَجْزِي تَوَانِي
وَلَوْ أَنِّي رَحَلْتُ وَجَدْتُ قَوْمًا
بِمِثْلِي مِثْلُهُمْ غَالِي وَصَانَا
فَمَا تَخَلُّوْا بِلَادَ الْخِيَادِ مَمَّنْ
يَشْقُ عَلَيْهِمْ كَوْنِي مُهَانَا
وَيُبَدِّلُ عَطْفَهُمْ ظَمَائِي بِرِي
وَيَتْرُكُ بِرَهُمْ جَدْبِي جِنَانَا
وَيَضْمَنُ رَاحَتِي الْإِنْصَافُ مِنْهُمْ
فَأَبْقَى حَامِدًا ذَاكَ الْخُضْمَانَا
وَأَنْسَى كُلَّ حَيْفٍ كُنْتُ أَشْكُو
فَلَانْنَا مِنْ ذَوِيهِ أَوْ فُلَانْنَا
إِذَا الْإِنْصَافُ أَعْوَزَ بَيْنَ قَوْمٍ
فَمَاذَا بَعْدَهُ لِقَوْمِ زَانَا

اقتراحات بلا جدوى

يَظُنُّونَ أَنَّ الشُّعْرَ مَهْمَا دَعَوْتُهُ
تُلَبِّي قَوَافِيهِ وَتَأْتِي كَمَا أَهْوَى
وَمَا كَانَ لِي طَوْعًا فَيَحْضُرَ كَأَمَّا
أَهَبْتُ بَدُنِيَا مِنْ قَوَافِيهِ أَوْ قُصْوَى
لِذَاكَ اقْتِرَاحُ الصَّحْبِ فِي إِثْرٍ مِثْلِهِ
عَلِيٌّ مَقَالَ الشُّعْرِ يَمْضِي بِلَا جَدْوَى
وَلَوْ كَانَ طَوْعِي الشُّعْرَ لَمْ أَكْ عَادِمًا
عَلَى مَا يَسُوءُ الدَّهْرُ قَلْبِي بِهِ سَلْوَى
فَنَنْظُمُ قَوَافِي الشُّعْرِ أَحْسَنُ مَا سَلَا
فَوَادِي بِهِ فَيَمَّا أَلَمَّ مِنَ الْبِلْوَى
مِذَاهِبُ أَهْلِ اللُّهُوشَتَى كَثِيرَةٌ
وَمَا غَيْرُ نَظْمِ الشُّعْرِ أَعْرِفُ لِي لَهْوَا
وَلَوْلَا تَابٌ فِيهِ أَصْبَحْتُ لَا أَرَى
مِنَ الْعَيْشِ مُرًّا بَلْ غَدَا كُلَّهُ حُلْوَا
وَوَظَنِّي أَنَّ الشُّعْرَ لَوْ كَانَ دَائِمًا
مَطْيَعِي لِأَبْدَتُ فِي طَاعَتِهِ زَهْوَا
أَخَشِيَةَ أَنْ أَزْهَى بِهِ أُمَّ لَغَيْرِذَا
مِنَ الْأَمْرِ أُغْرَى مِنْ تَأْبِيهِ بِي الشَّجْوَا
فَهَلْ مِنْ جَوَابٍ عَنِ يَقِينِ لَدَيْكُمْ
فَسَهْمٌ تَظَنِّي غَيْرِكُمْ طَالَمَا أَشْوَى^(١)

(١) أشوى، أصاب للشوا: وهي الأظراف.

أرى الشعرَ نجوى النفسِ والنفسُ حرَّةٌ
تَخَيَّرُ ما تهوى من الوقتِ للنَّجوى
أناديه أحياناً فيأبى إجابتي
وما لي من مُعدِّ عليه ولا عدوى^(١)
ولا غَرَوَ إن لم يُبصِرِ المرءُ مُعدِّياً
على ما زَوَّتهُ نفسُهُ عنه لا غَرُوا
وحيثُنا يُواتينني ولم أدعُه لِكَيِّ
يزيدَ سروراً أو يخفُّ لي شكوى
فيا أيها الشعرُ الذي هو سلَّوتي
إذا رحتُ عمَّا شاقَّ من حُظوةِ أُرَوى^(٢)
وإن اغتبطَ يوماً فيشْهدُ فغِبطتي
تَضاعفُ، لا حَلَّتْ بِساحَتِكَ الأَسوا
فحُبُّكَ في حالِّكَ صدِّكَ واللُّقا
عليه ستبقى أضلعي أبداً تطوى

(١) أعداء: نصره وأعانه. والمعدى: الناصر المعين.

(٢) زواه: يزويه: نجاه.

قرعة الجابي

يا رئيسَ البلديَّةِ
لا أصابَتْكَ بَلِيَّةٌ
انظُرِ اليَوْمَ فِدَتَكَ النِّفْ
سُ لِي فِي ذِي القَضِيَّةِ
طَلِبُوا مِنِّي مَا تَسُدُّ
لِي يَمُّهُ شَقَّ عَالِيَّةِ
خَفِيَّتْ حَالِي عَلَيْهِم
وَهِيَ بِالْفَقْرِ جَالِيَّةِ
مَا دَرَّوْا أَنِّي لِرَامِي الـ
فَقَرٍ مَا زَلْتُ رَمِيَّةً^(١)
فَأَتَّوْا يَبْغُونَ عِنْدِي
مَا يَدِي مِنْهُ خَالِيَّةِ
مَا رَأَى الفِلسَ مَقْرَأً
مَسْتَطَاباً فِي يَدِيَّةِ
فَهُوَ يَأْتِينِي وَلَكِنْ
رِيثَمَا يَمْضِي لِطِيَّةِ^(٢)
لَو تَرَى حَالِي لَكَرَقْتُ
مِنْكَ لِي النِّفْسُ السَّرِيَّةِ^(٣)

(١) الرمية: الصيد الذي يرمى.

(٢) الطية: الحاجة والوطن.

(٣) السرية: الكريمة ذات المروعة.

ولَهَزَّتْكَ لِإِسْمَاعَا
دِي وَعَوْنِي الْأَرِيحِيَّة
فَلَا قَد رَكَّبَ فَيْكَ الـ
جُودَ بَارِيكَ سَجِيَّة
أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ لِيهِمْ فِي الـ
بِذَلِ أَيْدٍ حَاتِمِيَّة
وَنَفْسٍ بِنُذُورِ الْإِقْدَا
لَالِ أَمْثَالِي حَافِيَّة
تَرَكْتَ عَيْشَةَ مِنْ يَرُ
عَوْنَهُ مِنْ نَاهِنِيَّة
وَقُلُوبٌ مَلُوهَا لِي
نُورُفُقُ بِالرَّعِيَّة
وَهِيَ فِي الْحَرْبِ إِذَا الْحَرُ
بُتَلَطَّتْ حَاجِرِيَّة
وَحَلَالٌ مَزِيَّاتُ
بِالْعَقُودِ الْوَلُؤِيَّة
فَهُمْ مُنْيِيَّةُ عَافِيَّة
هُمْ وَلِابَاغِي مَنِيَّة
قَرَعَةُ الْجَابِي لِبَابِي
غَادَرَتْ نَفْسِي شَجِيَّة
وَأَثَقَّا أَنْ أَعْتَذَارِي
مِنْهُ لَا يَثْنِي أَبِيَّة
فَتَمَلَّتْ كَمَا تَفُ
عَلَّ فِي الرَّمْضَاءِ حَيَّة

ولزمتُ الصِّمْتَ لَوْ قَلًّا
صَ عَنْ بَابِي فَفِيهِ^(١)
وَإِذَا بِالصِّمْتَ قَدِ زَا
دَ مِنْ السَّقَرِ دَوِيَّه
فَأَثَارَ السَّقَرِ مِنْ نَفِ
سِي وَكَانَتْ أَشْعَبِيَّه
طَمَعًا خَبِيلَ لِي الْجَا
بِي رَسُولًا بِهِ هَدِيَّه
وَلَقَدْ يَحْسَبُ فِي الْآ
لِ الْفَتَى الظَّمَانُ رِيَّه
فَاسْتَبَقْتُ الْبَابَ لَلْفَتَى
حِ وَهَيَّأْتُ التَّحِيَّه
فَإِذَا الْجَابِي فَفَتَّتْ
خَيْفَتِي فِي عَضُدِيَّه
قَائِلًا دُونَ سَلَامِ
ادْفَعِ السَّرْسَمَ إِلَيَّ
فَتَنَنْتَنِي رِعْدَةَ الدُّعَى
رِ كَلْدُنِ السَّمْهَرِيَّه
نَفَخَتْهُ فِي الْوَعَى لِي
طَعَنَ كَفَّ عُنْتَرِيَّه
فَرَمَى بِالضَّعْفِ عَنْ حَمِ
لِي حِذَارِي قَدَمِيَّه
فَوَقَّانِي مِنْ سَقْوَطِي
قَبْضُ يَمْنَايَ الْعُصَايَّه

(١) الفِيَء: الظل، والفِيَء: الرجوع، وهنا الكلمة مخففة الهمز.

ويدي اليسرى بؤيبي
خائرَ الجسم عييه
وتماسكتُ مجيبًا
ليس من شيءٍ لئديه
فانصرف عني إلى أن
يملأ الماء البركيه
فمضى عني وخوفي
منه لم يمض مضيه
لاعتقادي أن رجعا
ه وشيكا لي حريه
فإذا عاد ويمننا
ي من المال نقييه
لم تكن مني دعوى
مرة أخرى رضييه
فتحيرت وظلت
حيلتي عني قريه
وكذا ظلت نهاري
كله حتى العشييه
حائر الفكر نجاتي
سبأها عني خفيه
ثم أطرقت وأعمد
ت لتخليصي الرويه
وسألت النفس أي ال
ناس أدعوفي البريه
فأجابتنني عبد الل
ه ذا الكف النديه

مَن غدا فينا مثالاً
 صادقاً لوطنيه
 ورأى كل أخيه
 من به كل مزيه
 فطنة رأي سداد
 وتناهي المعية^(١)
 أدب علم دهاء
 كرم صدق طوية^(٢)
 رقة ظرف إباء
 جرة حزم حميه
 راكباً في كل مجد
 قماً شماً عليه
 يعمر المجلس منه
 بالبحوث الأدبية
 طالما ألقى ارتجالاً
 خطباً غراً طليه
 باعثات في نفوس الـ
 قوم هزات قويه
 كهربت إلا قلوبا
 خالقت غير زكيه
 فهو سيف تبصر الأ
 داب لا التبر حليه
 تتقي منه الأعادي
 أسد القلب جريه

(١) الألفية: الفطنة والذكاء.

(٢) الطوية: النية والضمير.

فاسأل «الرقعي» عنه
فهو لا ينسى كَمِيَّه^(١)
والمُوالي بعدَ وسمِ
يُّ الندى يَرجو وليَّه^(٢)
فمُواليه سعيْدُ
وأَعاديهِ شَقِيْبُهُ
جَابِرُ كاسمِ أبيهِ
كسِرَ مَكسورِ الرزِيَّه
نظرةً منه تُخَالِي
مِيْتَةَ الأَمالِ حَْيُهُ
كاسِرًا جبرَ نفوسِ
من ذوي الظلمِ عَصِيْبُهُ
فهو مأمولُ العطايا
وهو مـرهبُ الأذِيَّه
حاز لفظِيَّ المَعاني
والمَعالي المعنويَّه
تُعجِزُ الأشعارَ أوصا
فُ معانِيكَ السَّنِيَّه
ومزاياكَ على الحَصَدِ
رر بتعدادِ أبيَّه
فأُخذِ الميسورَ واسمِج
لي في تَرْكِ البَقِيَّه

(١) الكمي: الشجاع.

(٢) الوسمي: أول مطر الربيع، والولي: المطر يسقط بعد المطر.

القسم الثاني

إضافات جمعها

البتيل^(١)

شَبَّ هَذَا الْفُلُكُ مِنْ بَعْدِ الْمَشِيْبِ
وَصِيْبَاهُ بَعْدَ مَا شَابَ عَجِيْبُ
عَادَ بَعْدَ الشَّيْبِ فِي عَهْدِ الصَّبَا
إِذْ كَسَاهُ رَاشِدٌ صَنَعًا غَرِيْبَ
فَارْفُلِ الْيَوْمِ (سَعِيدُ) فِي الْهِنَا
وَاسْحَبِ السُّفْنَ إِلَى الدَّرِّ الرَّطِيْبِ
مِثْلَمَا كُنْتَ بِأَعْوَامِ خَلْتَ
تُرْشِدُ السُّفْنَ إِلَى (الْهَيْرِ) الْخَصِيْبِ

(١) هذه أربعة أبيات نشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في «تاريخ الكويت» وقد نظمها الشاعر ووجهها إلى السيد راشد بن أحمد الرومي أمير الغوص بعد أن جدد البتيل الذي يستعمل لهذه الغاية، والبتيل نوع من السفن.

في ذكر محمد بن شمالان^(١)

أَذَابَ فَوَّادِي مَنْكَ هَذَا التَّجَنُّبُ
فَبَاتَ دَمًّا مِنْ مَقْلَتِي يَتَصَبَّبُ
فَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَنِيئُهُ
عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ فَاغْفِرِي الذَّنْبَ (زَيْنَبُ)
وَالْأَفْأَبْدِي مَا جَنَيْتُ فَإِنِّي
أَتُوبُ وَقَدْ يُرْضِيكَ إِنْ تَابَ مَذْنَبُ
إِلَى كَمْ أَقَاسِي مِنْ جَفَائِكَ حَسْرَةً
لَهَا بَيْنَ أَحْشَائِي وَقَلْبِي تَلَهَّبُ
أُظُنُّ وَشَاتِي عِنْدَكُمْ قَدْ تَقَوَّلُوا
عَلَيَّ بِمَا لَمْ أَقْتَرِفْ وَتَكَذَّبُوا
فَإِنْ كَانَ يَرْضِيكَ الْيَمِينُ فَو الَّذِي
حَبَّابُ جَمَالاً عَنْهُ مَا لِي مَذْهَبُ
وَصَاغِكَ مِنْ حَسَنِ وَسَوَاكِ فِتْنَةً
لِنَفْسِي إِنْ مِنْ ذُنُوبِي مُجَدِّبُ
بِمَقْدَارِ مَا أَنِي مِنَ الْحَبِّ وَالْهَوَى
وَشَوْقِي وَوَجْدِي وَالصَّبَابَةِ مَخْصِبُ
وَأَيُّ فَوَّادٍ يُنْبِتُ الذَّنْبَ شَائِكًا
إِذَا كَانَ مِنْ أَمْوَاهِ حُبِّكَ يَشْرَبُ
فَقَالَتْ أَلَمْ أُخْبِرْ بِأَنَّكَ لَمْ تَزَلْ
بِحَسْنِي مَا بَيْنَ الْأَنْامِ تُشَابِبُ

(١) عن كتاب الأستاذ سيف مرزوق الشمالان «من تاريخ الكويت» والقصيدة في مدح محمد بن شمالان صديق الشاعر.

وَأَنْكَ لِلأَشْعَارِ مَا زِلْتَ نَاطِظًا
 بِوَصْفِي وَهَذَا مَا أَخَافُ وَأَرْهَبُ
 أَلَمْ تَدْرُ أَنْ الوَصْفَ لِاسْمِي كَاشِفٌ
 فَمَا لِي عِنْدَهُ لَا أَرَاكَ تَنْكَبُ
 فَقُلْتُ لَهَا لِي فِي التَّغَزُّلِ رَاحَةٌ
 إِذَا مَا حَوَى عَنِّي ذَكَا النَّفْسَ مَطْرِبُ
 فَإِنَّ أَنْتِ وَالسَّيْتِ الزِّيَارَةَ لَمْ أَكُنْ
 إِلَى غَزَلٍ مَا عَشْتُ أَدْنُو وَأَقْرَبُ
 فَقَالَتْ أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ زِيَارَتِي
 سَوَى مَرَّةٍ «يَا صَقْرُ» فِي الْعَامِ تَصْعَبُ
 فَخَلَفِي وَقَدَّامِي أَسْوَدُ رَوَابِضُ
 تَغَارُ إِذَا مَرَّ الصَّبَابُ بِي وَتَغَضِبُ
 وَإِنِّي بِهِمْ أَفْدِيكَ يَا خَيْرَ شَاعِرٍ
 لِحُزْنِي لِقِيَاهُ مُزِيلٌ وَمُذْهِبٌ^(١)
 فَمَنْ لِي بِأَنْ تَبْقَى وَيَفْنَى جَمِيعُهُمْ
 فَنَصَبِحُ فِي فُرْشِ الْهِنَا نَتَقَلَّبُ
 نَبِيتٌ وَنُضْحِي مِثْلَ مَا نَشْتَهِي مَعًا
 مِنَ النَّاسِ لَا نَخْشَى وَلَا نَتَرَقَّبُ
 فَمَا لِي سَوَى هَاتِيكَ (يَا صَقْرُ) مُنِيَّةٌ
 إِذَا أَصْبَحْتَ يَفْقُظِي بِقَلْبِي أَطْرَبُ
 وَإِلَّا فَإِنِّي مِنْ سَرُورِي سَوَى الَّذِي
 تُنِيلُ الْأَمَانِي عِنْدَكَ أَنْ كَدْتُ أُسْلَبُ
 فَعَوَّلُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَلَا تَكُنْ
 جَزُوعًا فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَنْسَبُ

(١) لِقَاؤُهُ مُزِيلٌ وَمُذْهِبٌ لِحُزْنِي.

وَشِمٌّ مِنْ مُنَاكَ الْبَرْقَ مِثْلِي مُشَاغِلًا
 بِهِ النَّفْسَ حَتَّى يَسْهُلَ الْمُتَّصِعِبُ
 فَشَيْمُكَ مِنْ بَرْقِ الْأَمَانِي لَمَوْعَهُ
 مَرِيحٌ وَمَا كُلُّ الْبَوَارِقِ خُلْبُ
 وَكُنْ فِي ضَمَانِ اللَّهِ أَنْتَ وَحَفِظِهِ
 فَقَدْ طَالَ بِي عَنْ أَهْلِ بَيْتِي التَّغْيِبُ
 وَإِنْ مَغِيْبِي عَنْهُمْ بَعْضَ سَاعَةٍ
 يُعَدُّ جُنَايَاتٍ عَلَيَّ وَيُحْسَبُ
 أَتَى بِي إِلَيْكَ الشُّوقُ وَالْقَلْبُ مُوجِسُ
 مَخَاوِفَ مَمَّنْ كَيْدَنَا يَتَطَلَّبُ
 وَخَذَ هَذِهِ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي خِصْلَةً
 فَعَهْدِي بِشَعْرِي أَنْسَ قَلْبِكَ يَجْلِبُ
 فَشِمٌّ يَرُدُّ الْحَزْنَ عَنْكَ انْتِشَاقُهُ
 وَيَنْفِي الْأَسَى إِنْ طَالَ بَعْدِي فَيُطْرِبُ
 وَأَخْرُ مَا فَاهَتْ بِهِ وَهِيَ تَنْتَنِي
 (أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَعْلَبُ)^(١)
 فَأَجْمَعْتُ أَمْرِي أَنْ أُجِيبَ فَلَمْ أُطِقْ
 جَوَابًا عَلَى أُنِّي الْقَوْلُ الْمُنْذَرُ
 غَلِبْتُ عَلَى نُطْقِي أَمَامَ وَدَاعِهَا
 وَمَنْ شَهِدَ الْهَوْلَ الْوَدَاعِيَّ يُغْلَبُ
 فَجَمَّجَمْتُ عَمَّا جَالَ فِي خَاطِرِي لَهَا
 بَرِغْمِي وَعِنَهُ مِقْوَلُ الدَّمْعِ يُعْرَبُ
 فَإِنْ كَانَ عِيِّي عِنْدَ (زَيْنَبٍ) مَعْجِبٌ
 فَإِنْ بَكَائِي عِنْدَ (زَيْنَبٍ) أَعْجَبُ

(١) هذا الشطر مضمن من بيت للمتنبى هو مطلع قصيدة له، وشطره الثاني: «وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب».

فوالله لم أعهدُ دموعي يُسِيلُها
 - سوى ساعةِ التَّوَدِيعِ - يومٌ عَصَبُصَبَ
 وأعجبُ من دمعي يُسَحِّسِحُهُ الأسي
 مخافةً أن ينأى الحبيبُ المُحَبَّبُ
 خيانهُ صبري في الهوى وهو عَصَمَةٌ
 إذا ما بها أعصمتُ أنجتُ ومهَرَّبُ
 فقبلَ هواها كان صبري مُشَبِّهاً
 نوال (ابن شمالان) به الخَطْبُ يُشَجَّبُ
 فصبري لأحداثِ سوى العسرِ مُعْطِبُ
 ورفدُ ابنِ شمالانٍ لعسريّ معطِبُ
 وأعني به جَمُّ المَزايا (محمداً)
 حليفَ العطايا اللاءِ تَهْمِي وتَسْكِبُ
 «أبو قاسمٍ» من لم أواجههُ شاكياً
 له العسرَ إلا وانتنى العسرُ يَهْرَبُ
 فإن تبصروا حمدي علاهُ مَهْدَبُ
 فما غيرُ جدواهُ لَحَمَدي مَهْدَبُ
 وإن تجدوني لم أزل أبسطُ التَّنُّنا
 عليه جميلاً فالنُّدى منه يوجبُ
 عليّ تتالت من نداءهِ سَحائبُ
 لها عُدرٌ عندي سِواهُنَّ يَنْضَبُ
 فشعري عن أمطارِ كَفِّيهِ مُنْبِتُ
 جميلُ التَّنُّنا والأرضُ بالغَيْثِ تُعْشِبُ
 فتى طوَّقتُ كفاهُ عُنُقِي بنعمة
 تَجَدَّدُ إن يَخْلُقُ سِواها وتَقْشِبُ
 فأعجبَني طوقِي فرحتُ مغنِّياً
 بشُكْرِيهِ والورقاءُ بالطَّوْقِ تُعْجَبُ

وهل شعراءُ الناسِ إلا حمائمٌ
 وأشعارُهُم سَجَعٌ يَطِيبُ وَيَعَذِّبُ
 وأيُّ حَمَامٍ أَيُّكَ يُبْصِرُ طَوْقَهُ
 كَطَوْقِي يَرُوقُ النَّاظِرِينَ وَيَحْلُبُ
 فلم تَرَهُ فوقَ الغصونِ بسجعه
 كما شاءَ منه عاشقُ السَّجَعِ يُطْرِبُ
 على أنني لو لم أُنَلْ من (محمدٍ)
 رغائبَ إنعاشي بها حين أنكَبُ
 ولم أحظْ من إنعامه بنفائسٍ
 بهنَّ لِنَفْسِي ما اشْتَهَتْ يَتَقَرَّبُ
 لأوليئته حَمَدِي لَغُرِّ خلائقِ
 حَوَاهِنٌ، للألبابِ تسبي وتسلِبِ
 خلائقُ غُرِّ لِعَقُولِ إذا رَنَّتْ
 إليها عيونُ العقلِ تلهو وتلعب
 خلائقُ يَحْلُبُنَّ النُّفُوسَ كأنما
 لها في سبيلِ السُّحْرِ فرعٌ ومنصبِ
 خلائقُ لو فينا يُوزَعُ بعضها
 لما كان فينا من يُعَابُ ويُتَلَبُ
 خلائقُ هُنَّ الرُّوضُ يُوحاهُ داعِبَتُ
 أزاهره من بعد ما بات يُهْضَبُ (١)
 ولذَّ لأنفاسِ النساءِ جرُّها
 عليه ذيولاً فانثنتُ تَتَسَحَّبُ
 فأضحى ومنه للعلا مُتَصَعَّدُ
 وأضحى ومنه للثرى متصوَّبُ
 وظلٌّ ومنه قَيْدٌ لِحَظٍ مُفَضُّضُ
 وظلٌّ ومنه قَيْدٌ لِحَظٍ مُدْهَبُ

(١) البوحى: من أسماء الشمس. ويهضب: يمطر.

وإلا فهنَّ الدرُّ في ثغر غادة
 به يطبِّيك الثُّغرُ والثُّغرُ أشنَّب
 بعيني أخي قلبٍ كقلبي يشوقه
 من الثُّغرِ معسولُ الثنِّيَّاتِ مُشْرَبٍ
 له في ثغورِ الغيدِ نَظْمٌ دَرَّهَا
 مَنْظُمُهَا لا في سِوَاهُنَّ مَأْرَبٍ
 [يحلوه] عنهنَّ ظمَّانٌ صَادِيًّا
 إذا رامَ منها الوردَ آسَادُ تُنْخَبِ (١)
 فيبقى ومنها الحسنُ يدعو فؤاده
 فإن همَّ أن يدنو ثناهُ التَّهْيِيبُ
 فيدفعه خوفٌ ويجذبه هَوَى
 فيمكثُ مُحْتَارًا يُذَادُ وَيُجَذَّبُ
 وإلا فهنَّ الحمدُ في سمعِ ماجدٍ
 كريمٍ جدودٍ حين يُعزى ويُنسبُ
 يغني به والبومُ يذعرُ صَوْتُهُ
 رهيباً من الزيرِ الفؤادِ فيصخبُ (٢)
 وإلا فهنَّ النُّورُ في عين تائه
 غَشَاهُ بقفرٍ موحشِ الأرضِ غِيهَبُ
 فبات تهاداهُ السَّبَّاسِبُ حائراً
 إذا ما نجا من سَبَسَبٍ عَن سَبَسَبٍ
 حكى كُرَّةً بين السَّبَّاسِبِ إذ حَكَّتْ
 سَبَّاسِبُهُ قَوْمًا عليه تَأَلَّبُوا
 وإلا فهنَّ البُرُّ في عين مُدَنَّفٍ
 على فُرْشِ الأَسْقَامِ بات يُعذَّبُ
 ألحَّ عليه السُّقْمُ حتى لأوشكتُ
 تنوحُ عليه النَّائِحَاتُ وتندبُ

(١) في موضع أول كلمة من هذا البيت فراغ، ووضعنا ما نتوقعه بين قوسين معقوفين. ويحلوه: يدفعه ويرده. وتنخب: تنزع.

(٢) الزير: الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر.

وإلا فهن اليسرُ في عين مُعسرٍ
 ألحَّ عليه نابُ عسرٍ ومِخلَبٍ
 فذاق من الإعسار ما ذقتُ فاغْتَدَى
 شبيهي ما بين الورى يتذبذب
 إذا ما بدا للقوم في ثوب عُسرهِ
 له عَبَسُوا خَوْفَ السُّؤَالِ وَقَطَّبُوا
 يُلَوِّونَ عنه إذا رَأَوْهُ رُؤُوسَهُمْ
 فيلمسُ منه الجلدَ هل هو أجرب
 وينأونَ عنه بالجَوَانِبِ إنْ أتى
 كأنَّ بطْمَرِيَّه أراقِمُ تَلْسِبِ (١)
 كأنهم من لؤلؤٍ قد تَكُونُوا
 وكُونُ من طينِ أخو الفقيرِ يَلْزَبُ
 فيرجعُ عنهم شاتمَ الفقيرِ لَاعِنًا
 بقلبِ كسيرٍ ملؤه ما يُشَيِّبُ
 ويغدو عليهم عاتبًا مُتَعَتِّبًا
 وليس بهم يُجدي الفقيرَ التَّعَتُّبُ
 ومن لم يُؤدِّبه نُهَاهُ وَدَهْرُهُ
 فليس له حتى المماتِ مؤدِّبُ
 لعلهم ظَنُّوا خلودَ افتقاره
 وخُلِدَ الغنى والدهرُ بالناسِ قُلُوبُ
 ألم يعلموا فعلَ الزمانِ وأنهُ
 إذا ما طفا يومًا بذى اليسرِ يَرْسُبُ
 وإن غاصَ يومًا بالفقيرِ فإنه
 سيطفو وللدهرِ المقاديرُ لوَلْبُ
 وإن دامَ عُسرٌ في الحياة لمُعسرٍ
 يدُ العسرِ تلحو العُودَ منه وتَنجُبُ (٢)

(١) تلسب: تلذغ.

(٢) تنجب: تقشر ساق الشجرة.

وَلَمْ يَتَّقَوْضُ فِي الْحَيَاةِ وَلَا هَوَى
 عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيثَارِ بَيْتٌ مُطَنَّبٌ
 فَبَيْنَ أَلْيِ الْإِعْسَارِ وَالْعَسْرِ مَوْتُهُمْ
 مَسَاوٍ وَمَأْسَاةُ الْمُحْتَمِّمْ أَقْرَبُ
 أَمَا شَاهَدُوا فَعَلَ الْحِمَامِ وَعَايَنُوا
 أَمَا خَبَرُوا فَعَلَ الْحِمَامِ وَجَرَّبُوا
 إِذَا مَا لَنَا مِنْهُمْ نَرَاهَا تَحَجَّرَتْ
 قُلُوبًا عَلَى ذِي الْفَقْرِ تَقْسُو وَتَصُوبُ
 غَلَطْتُ لِتَشْبِيهِ السَّجَايَا لِبَيْتِكُمْ
 فَعِذْرًا فَمِنْهَا هُنَّ أَبْهَى وَأَطْيَبُ
 سَجَايَا يَشْفُقُ الْمَاجِدِينَ مِنَ الْوَرَى
 وَيَسْمُقْنَ إِمَّا خَاطِبٌ جَاءَ يَخْطُبُ^(١)
 وَمَنْ يَخْطُبُ الشُّهْبَ اللَّوَامِعَ فِي السَّمَاءِ
 فَإِنَّ قُصَارَاهُ مَتَاعِبٌ تُتَعَبُ
 فَقُولُوا لَخُطَّابِ السَّجَايَا حَمِيدَةً
 رَوِيدًا فَمَا أَمْثَالُهَا يُتَكَسَّبُ
 فَتِلْكَ عَطَايَا خِصَّةٍ رَبُّهُ بِهَا
 وَرَكَّبَهَا فِيهِ فَجَلَّ الْمُرْكَبُ
 فَلَا تَطْلُبُوا مَا اللَّهُ إِيَّاهُ وَاهِبُ
 وَإِنْ شَاقَكُمْ مِنْهُ الْمَنَالُ فَتَنْصَبُوا
 فَكُلُّ أَمْرٍ يَغْدُو كَمَا شَاءَ رَبُّهُ
 مِنَ الْمَهْدِ حَتَّى فِي تَرَاهُ يُغَيَّبُ
 فَمَذُ يَنْبُتُ الرِّيحَانُ يَنْبُتُ [نَشْرُهُ]
 إِلَى أَنْ تَرَاهُ لِلْمَوَاقِدِ يُحَطَّبُ^(٢)

(١) يسمقن: يرتفعن.

(٢) الكلمة بين معكوفتين في الشطر الأول فراغ في الأصل، والكلمة المثبتة مقترحة منا.

ولا يُطلعُ الأشواكَ رِيحانُ جَنَّةٍ
 وكلُّ نَباتٍ حَسَبَ ما هُوَ يُعقِبُ
 لَكُمْ مِثْلاً هَذي ضَرِبتُ وإنَّهُ
 لعمري كافٍ لذي هُوَ يَأربُ
 فلا تَشْرَبُوا طامعِينَ بِمِثْلِ ما
 حوى من خِلالِ نَجْلِ (شِمالان) تَلْغَبُوا
 سَمِيَّ رِسولِ اللّهِ خُذْها جَميلَةً
 تَمَنِّي لَها شِيبَةً مَعَدُّ وَيَعْرُبُ
 أَتاكَ بِها (بِشَّارُ) وَقَتَكَ كاعِباً
 يُشَحُّ بِها إِلا عَليكَ وَيُرْغَبُ (١)
 أَتَكَ تَهادَى في حُلاها وَقُصِها
 حياءً لَها عَمَّنْ عَداكَ تَحَجِّبُ
 فَتاءُ لَها أُمُّ قَريحتي الّتي
 رَأَتْكَ لَها كَفَوْاً وفِكري لَها أَبُ
 وما أَبْتَغِي مَهراً لَها غَيرَ أنْ أرى
 عُلاكَ بِها عَندَ اللِّقاءِ تُرْحَبُ
 غَريبَةً حُسنِ شاقِها مَنكَ ما جَدُّ
 سَجاياها مَنها في البَريَّةِ أَغْرَبُ
 سَجايا إِذا ما سارَ مَنِّي لَها التُّنْنا
 رَأيتَ إِلَيها طُرُقَهُ تَتَشَعَّبُ
 فلا بَرِحَتْ طُرُقُ التُّنْنا (لِحَمْدِ)
 تُكَنِّئُها أَخلاقُهُ وتُرحَبُ
 أَمِنْتُ عَلى أَخلاقِهِ عادِيِ البِلي
 فليسَ إِلَيها لِلبِلي مُتَسَرَّبُ

(١) شَبِهَ نَفْسَهُ بِالشَّاعِرِ بِشَّارِ بْنِ بَرْدٍ.

لأنَّ قريضي في صميم خُلودها
كما أشتي منه لها راح يُوعب
فأخلاقه والشُّعرُ مني خالدٌ
إذا لم يغبْ لا غابَ للضَّادِ كوكب
سأنظّمُ من شعري له كلَّ مِدْحَةٍ
تسير لها الأمثال في الناس تُضرب
تداولها بين الأنام روائها
فهذا بها يسري وذاك يُؤوب
فليس سوى تخليد ذكرٍ (محمد)
لقلبي من أشعاره الغرِّ مطُلب

دعوا العواطف^(١)

دَعُوا العواطفَ لا تقفوا لها أثراً
واقفوا عقولكم سلباً وإيجاباً
أولاً فلا تحفلوا بالمجد منهدماً
ولا يوارف ظل العز منجيباً
أرجاء عزكم والمجد دائرة
إن اتخذتم لها الأبواب أقطاباً
ما سار قط حكيماً مع عواطفه
في الخطب إن يعرّه يوماً ولا انساباً
لكن يملك منه العقل مقوده
وعقل ذي العقل أولى ما له أبا
ومخصبين أصاروا من عواطفهم
رؤاهم أبدلوا بالخصب إجداباً
ومجدبين أصاروا العقل رائدهم
أعاد عقولهم الإجداب إخصاباً
ليسأل الكتب عن برهان صحة ما
أقول من كان للبرهان طلاباً
حَتَّامَ أهواؤنا فينا مُحَكِّمَةٌ
لهنَّ نناقداً أفراداً وأحزاباً

(١) عن مجلة الكويت.

إِنْ شِئْتُمْ يَا بَنِي الْأَوْطَانِ نَهَضَتْهَا
إِلَى الْعِلَالِيسَاتِ الْعِزِّ أَثْوَابَا
وَرُمْتُمْ الْخَيْرَ فِيهَا الْيَوْمَ فَاتَّخِذُوا
مِنَ الْعَقُولِ عَلَى الْأَهْوَاءِ أَرْبَابَا
خُذُوا لِمَا يَرْفَعُ الْأَوْطَانَ عُدَّتَهُ
مِنَ التَّأخِي وَعُدُّوْهَا لَكُمْ آيَا
خَلُّوا انْقِسَامَكُمْ فِيهِنَّ مَطْرَحًا
إِلَى انْضِمَامِكُمْ الْمَحْمُودِ أَعْقَابَا
إِنْ اجْتَمَاعَكُمْ فِيهِنَّ مُرَكَّبُهَا
ذُرَى الْمَعَالِي كَمَا تَهْوُونَ إِرْكَابَا
أَمَّا افْتِرَاقُكُمْ فِيهَا فَمُخْرِبُهَا
لَا قَدْرَ لِلَّهِ بِالتَّفْرِيقِ أَحْزَابَا
أَنْى لِأَسْمَعُ يَا لَلْقَوْمِ مِنْ كَثْبِ
مَنْنَا لِأَغْرِبَةَ التَّفْرِيقِ تَنْعَابَا
فَلْتَنْفِ وَحَدَّتْنَا الْمُثْلَى تَفَرُّقْنَا
وَلْنُؤْمِسِ فِي الْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ أَحْبَابَا

في شرقي الكويت^(١)

أظَلَّتْني بِشَرْقِي الكُوَيْتِ
خُطوبُ الزَمَتْنِي قَعْرَ بَيْتِي
وَمَا بَيْعِيكَ يَا بَيْتِي بِسَهْلٍ
وَلَكِنْ فِيكَ خِفْتُ اليَوْمَ مَوْتِي
أَيْسَهُلُ أَنْ أَبِيعَ اليَوْمَ بَيْتًا
وَفِيهِ أَنْتِ يَا نَفْسِي رَبَّيْتِ
فَذُوبِي مِنْ أَسَاكَ عَلَيْهِ ذُوبِي
وَالْأَيَّامُ لَكَاعُ فَمَا وَفَّيْتِ
أَتَلْزَمُنِي خُطوبُ الدَّهْرِ بَيْعًا
لَبَيْتِ فِيهِ يَا نَفْسِي نَشَأْتِ
وَمَا تَقْضِينَ مِنْ جَرَّاهُ حُزْنًا
إِذَا مَنِي عَلَيْكَ الدَّهْرُ مِيقَتِ
كَأَنَّكَ يَا جِياعَ الخَطْبِ مِئِي
وَقَدْ أَفْنَيْتِ لِحْمِي مَا اكْتَفَيْتِ
رُؤْيَدَكَ إِنْ لِلْعَالِيَاءِ حَاجًا
بِمَنْ ظَلَمًا عَلَيْهِ قَدْ أَنْخَتِ
سَتَثَارُ لِي المَعَالِي مِنْكَ أَنْ لَمْ
تَكُونِي عَنْ جِهَالَتِكَ ارْعَوَيْتِ

(١) عن مجلة الكويت.

في الغزل^(١)

تَلَوْتُ بَعَيْنِي مَسْمَعِي صُورَةَ الْبَهَا
بِالْفِظْلِ لَهُ مِنْهُ تَكُونُ عَاقِدُهُ
فَأَمَّنَ قَلْبِي أَنَّهُ أَوْحَدُ الطُّبَا
جَمَالًا وَإِنْ قَدْ عَزَّ فِيهِنَّ نِدُهُ
غَزَالٌ صَرِيمٌ فِي الْكُوَيْتِ كِنَاسُهُ
وَقِيصُومُهُ بَيْنَ الضَّلُوعِ وَرَنَدُهُ
تَوَاصَلَ مِنْهُ الْوَصْلُ لِي قَبْلَ عِلْمِهِ
بِأَنِّي عَلَى حَكْمِ الصَّبَابَةِ (عَبْدُهُ)^(٢)
فَلَمَّا دَرَى أَوْرَى الْقَطِيعَةَ وَاعْتَدَى
يُعَذِّبُنِي فِيهَا كَأَنِّي عَبْدُهُ

(١) نشرت في كتاب «تاريخ الكويت».

في رجل كريم^(١)

أغاثَ ولم أستسق مُزْنَ نَوالهِ
بما زَمناً عني به يَطْرُدُ العُسرَا
فماذا لو استمطرتُ سَحْبَ عطاءهِ
يُغيثُ (أبو عوفٍ) به نفسِي الحَرِي
فشكراً أبا عوفٍ وحمداً من امرئِ
كشفتُ له أو كِدْتُ عن صفحهِ السَّرِّ
مررتُ بسكَّانِ الكويتِ مُسَحَّسِحاً
نذاكَ على من منهم يشتكي الفُقرا
فاحييتَ مَوْتِي فاقاةً ونشَرْتَهُمْ
بها نَشَرَ وَسَمِيَّ الحيا الروضِ والزَّهرا
فاضحواً وكلُّ منهم لك شاكرٌ
كشُكْرِ الألى قد أمحلوا مُزْنَ عَرا
أظَلَّتْهُمُ والجَدْبُ غاشٍ فما انجَلَتْ
إلى أن جَلَتْ من جَدِيهِمُ عنهم الضُّرا
أبا عوفٍ المحبوبُ إن كنتَ لم تَكُنْ
بأكثرَ أهلِ المالِ في عصرنا وفُرا
فانك من أنداهاً اليومَ راحةً
وأقربِهِمُ للمُعْتَفِي نائلاً غَمراً
وإنك من أعلى بني المجدِ منزلاً
وأبعدهمُ صبيئاً وأرفعِهِمُ ذِكراً

(١) نشرت في مجلة الكويت، والشاعر يمدح بها عبدالرحمن بن حسن القصيبي.

وما ينفعُ المالُ الكثيرُ وربُّهُ
به لم يَنْلُ ذِكْرًا جَمِيلًا ولا أُجْرًا
وماذا بَجَزَلِ المالِ يصنَعُ باخِلُ
إذا ما أَجَدَّ الموتُ عنهُ به السَّيْرًا
أَظُنُّ الألى شَحَّوا بفضلِ ثرائهِمْ
ببِالهِمْ ذَكَرُ المنيَّةِ ما مَرًّا
ألا ليت من لم يُسْعِفوا بعطائِهِمْ
فَقِيرًا يكادُ الفَقْرُ يُدخِلُهُ القَبْرًا
فَقَفُوا من أبي عوفٍ إلى كُلِّ مَفْخَرٍ
وَمَكْرَمَةٍ عَرَاءٍ مَحْمُودَةٍ إِثْرًا
فلو كلُّ ذِي يُسِرُّ حِكاهُ بِجودِهِ
وفي حُبِّهِ لِلبائِسِ النِّفْعَ والخِيارِ
لما سَمِعَتْ أذُنُ الغَنِيِّ لِبائِسٍ
أَنِينًا ولكن تَسْمَعُ الحَمْدَ والشُّكْرًا
أكان أنينُ البائِسِينَ تَغْنِيًّا
فما يشتهي حَسَمًا له بعضُ من أَثْرِي
أم الجودُ طَبِيعُ في الأَنامِ ولم يَكُنْ
لِيُوهَبَ مِنْهُ كُلُّ من وَهَبَ اليُسْرًا
فدَاءُ أبي عوفٍ مِنَ النِّاسِ مُكْثِرُ
إذا زارَهُ العافونَ لاحتَظَّهُمُ شِزْرًا
يُقَطِّبُ مِنْهُ الوَجْهَ حينَ يَراهِمْ
وإن سألوه الرِّقْدَ أوسَعَهُمُ رَجْرًا
أتتُ من أبي عوفٍ إليَّ عَطِيَّةً
ولمَّا يُكَلِّفُنِي المَسِيرَ لها شِبرًا
على أنني يا رَبِّما سرتُ فَرَسَخًا
وكابدتُ في سيري الحُزُونََ والوَعْرًا

لَنَيْلِ نَوَالٍ مِّن فَتَى خِلْتُ أَنَنِي
إِذَا جِئْتُهُ أَمْرِي مَكَارِمُهُ دَرَا
فَلَمَّا رَأَنِي مَقْبَلًا شَاهَ وَجْهَهُ
كَأَنِّي إِلَيْهِ قَائِدٌ عَسْكَرًا مَجْرًا
وَلَجَلَجَجَ فِي رَدِّ التَّحِيَّةِ مِقْوَلٌ
لَهُ مُفْصِحٌ مَا شَاءَ أَنْ يَنْطِقَ الْهَجْرًا
فَرَحْتُ عَلَى طِرْسِ التَّلَجُّجِ قَارِنًا
سَطُورًا بِهَا نَظْمُ الرَّجَاءِ انْتَنَى نَتْرًا
وَعُدْتُ وَلَمْ أَنْطِقْ لَدَيْهِ بِحَاجَةٍ
نَظَمْتُ بِهِ مِنْ أَجْلِهَا مَادِحًا شِعْرًا
فَكَانَ حَدِيثٌ عَنْهُ سَاعَةٌ رَجَعْتِي
يُحَدِّثُنِيهِ قَائِدِي كُلُّهُ نُكْرًا
فَقَدْ وَصَفَ التَّقْطِيبَ مِنْهُ وَنَتَفَهُ
سَبَائِيهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يُفْنِي الشُّعْرًا^(١)
وَتَحْدِيقَهُ عَيْنِيهِ فِي بَحَيْرَةٍ
عَلَى وَجْهِهِ خَطَّتْ لِنَاظِرِهِ سَطْرًا
فَلَمَّا أَطَالَ الْقَوْلَ فِي الْوَصْفِ قَائِدِي
وَأَحْرَجَ مِنِّي وَصْفُ لَوْمِ الْفَتَى الصُّدْرَا
غَمَزْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ قَائِلًا لَهُ
حَدِيثُكَ هَذَا مُلْحَقٌ مَسْمَعِي وَقُرَا
فَدَعُهُ وَصِفَ مِثْلَ الْقُصَيْبِيِّ عُسْبَةً
مَسَامِيحَ أَحْرَارًا غَطَارِفَةً غُرَا
فَوَصَّفَكَ أَرْبَابَ الْمَكَارِمِ شَارِحُ
لِي الصِّدْرَ مُدْنِي الْأَنْسِ فَامْلَأْ بِهِ النَّغْرَا

(١) سبائيه: شاريه.

فَقَالَ وَلِمَ لَا قَلْتِ أَنْتَ قَصِيدَةً
تَخُصُّ أَبَا عَوْفٍ بِهَا الْمَاجِدَ الْحُرَّ
مِنَ اللَّائِ يَنْمِيهِنَّ فَكْرُكَ غَادَةً
مَهْفَهْفَةً حَسَنَاءَ مَعْشُوقَةً بِكْرًا
لَهَا مَبْسُومٌ يَفْتَرُّ عَنْ كُلِّ مَيِّزَةٍ
حَوَاهَا أَبُو عَوْفٍ وَمَيِّزَةٌ كُبْرَى
لَعَلَّ أَبَا عَوْفٍ يَمُنُّ بِنَظْرَةٍ
عَلَيْكَ بِهَا مَا بَيْنَنَا تَعْتَلِي قَدْرًا
فَقَلْتُ لَهُ إِنْ يَصْفُ بِالِي لَيْلَةً
نَظَمْتُ بِهِ الْأَشْعَارَ تَحْسِبُهَا دُرًّا

في شكر شاعر^(١)

تَفَضَّلَ بِنَاءُ الْقَوَافِي بِزُورَةٍ
عَلِيٍّ فَلَنْ أَنْسَى عَلَيْهَا لَهَ الشُّكْرَا
أَتَانِي وَصَدْرِي مِنْ سِرُورِي مَقْفِرٌ
فَعَادَ وَمِنْهُ الْأَنْسُ قَدْ مَلَأَ الصُّدْرَا

(١) عن مجلة الكويت، قالها عندما زاره الشاعر عبدالرحمن البناء في منزله.

في الرثاء^(١)

أبا زيدٍ عليكَ اليومَ أبكي
بدمعٍ ما لجاريهٍ وقوفُ
ومالي لا أبكي منك بدرًا
عراه من منيَّتهِ خسوفُ
وقد أحببتُ أن أرثيك لكنْ
لساني عاقه عسرٌ مخيفُ
فأنظرنِي ليومَ اليُسْرِ واعذرْ
فتنظيمُ الرثاءِ له ظروفُ
وأما اليومَ والأعسارُ تُدمي
فؤادي من بلاياه صُنوفُ
فما أسطيعُ تنظيمَ المراثي
لمثلك أيها البرُّ الرووفُ
لأنَّ رثاك محتاجٌ لطولِ
وذاك أبتهُ من دهري الصروفُ
وهل أسطيعُ تطويلي رثاءً
وحالي في الكويتِ كما (تشوف)
ولو أني استطعتُ رثيتُ نفسي
فبي للعسرِ أحذقتِ الحُتوفُ
فإن أيسرتُ بعدَ اليومِ تسمعُ
رثاءً لا فناءً به يَطوفُ
رثاءً ما (تماضِرُ) قبلُ قالتُ
بصخرٍ عنده نزرٌ طفيف^(٢)

(١) يرثي الشاعر في قصيدته هذه السيد خلف النقيب.

(٢) تماضر هي الشاعرة الخنساء اشتهرت برثاء أخيها صخر.

وعمّا قاله قبلُ (ابنُ أوسٍ)^(١)
 حبيبٌ في محمّده يُنيفةُ
 رثاءً لم تُرجِّعه بنوحٍ
 على ألف مطوِّقة هُتوف
 رثاءً لو على الأشجار يُتلى
 لكان لها بلا ريحٍ حفيف
 رثاءً ما تَمادى الدهرُ يبقَى
 لراويه وتالده طريف
 على جيدِ الدُّنا وبمسْمعيها
 قلائدُ منه تبقَى أو شُنوف
 لأنك للمراثي الغُرُّ أهلُ
 وأجودُ من رثاك بها (الكفيف)
 لأنك من رسولِ الله فرعُ
 زكيُّ طاهرٌ حُرٌّ شريف
 لأنك للجَميلِ كثيرُ صنعِ
 لأنك بالعلَّاء صَبُّ أَلوف
 لأنك للمعالي الزُّهرِ خِدنُ
 لأنك للندى المُرّوي حليف
 لأن بَنِيكَ أصْحابِي لأنِّي
 إلى ما يشتهي صَحبِي خفيف
 وإن لم ينكشف عُسْري فعُذْري
 جَلِيٍّ ليس تُخفيه سُجوف
 وأنِّي من قريضي اليومَ تدنو
 وعُسْري مُيسُّ عودي، قُطوف

(١) هو الشاعر أبوتمام.

ذكري الزواج^(١)

ذوى منها المٌحيًا فهو يحكي
مرقعةً من القربِ البوالي
وأما لفظها فدوي رعدٍ
صواعقُ فيه تُنذرُ بالوبال
فإن يقرعُ لها سمعي مقال
رأيتُ الموت في ذاك المَمقال
وما تفصيلُ وصفِ الجسم منها
ولا الإجمال منه لي بحال
عظامٌ نُحلُّ أودعنَ جِأداً
به شعراً كَأَشْوَكَ السَّيَالِ
ولستُ أظنُّ بالنَّسوانِ شِبُهًا
لها فلعلُّها إحدى السَّعالي
ولو لم أنج منها اليومَ نفسي
بتطابقٍ أزارتني زوالي
صبرتُ على أذاها نصفَ شَهْرٍ
فضاق بها اصطباري واحتمالي
ومن لي باحتمال أذى عَجوزٍ
تُغصُّ البَعْلُ بالماءِ الزلال

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق عبدالعزیز الرشید عليها بقوله إن البؤس قد لاحق الشاعر حتى في زواجه، وهو يعبر في القصيدة عن ذلك.

(سجاحاً) أشبهت كذباً وزوراً
ولم تُشبهه (مسيلاً) خِلالِي
فبَارِكْ يَا ابْنَ (١) شَمْلَانَ وَهَنْئُ
صديقك بالنجاة من الغزال
فقد قالت بآني فُفْتُ جيداً
وعيننا تُلَعُ غِزْلَانِ الرُّمَالِ
وإني ذاتُ حظٍّ لم تَنَنْلُهُ
جميعُ الغانيات من الجَمالِ
فقلتُ لها نصيبي منك خُصِّي
به رجلاً سِوَايَ من الرُّجَالِ
فإنك ما حَيَّيتِ عَلَيَّ بَسَلُ
وإني للمحاسنِ منك قال
ولو أصبحتِ (مِي) العَصْرُ نُطُقًا
و(بلقيساً) على عرش الجَمالِ (٢)
وكنْتِ (غزاةً) في الحربِ بَأْسًا
وَفُفْتُ (الخيزرانةً) في النُّوَالِ (٣)
وأوتيتِ الجَمالَ فكنْتِ فيه
له بين السورى أعلى مثال
ولو (غِيلَان) كنتُ وكنْتِ ظَهْرًا
ك (صيدح) ما ركبْتُ إلى (بلال) (٤)
فَوَلِّيَ غَيْرَ شَارِحَةٍ جَمَالًا
حَوَيْتِيهِ عَلَى سَمْعِي بِقَالَ
لَعَلَّ اللَّهَ يُدْرِكُ جُرْحَ قَلْبِي
على إئْرِ ارتحالكِ باندمال

(١) يشير إلى محمد بن شملان بن علي بن سيف.

(٢) مي هي الأديبة مي زيادة وبلقيس ملكة سبأ.

(٣) غزاة هي زوجة شبيب بن يزيد أمير الخوارج وكانت شجاعتها مضرب الأمثال. والخيزرانة هي الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد.

(٤) غيلان هو الشاعر ذو الرمة، وصيدح: ناقته، وبلال ابن أبي موسى ممدوحه.

فففي قلبي فضولك شرُّ وقعاً
 وفي أذني من زرق النُّبال
 وإن لم تذهبي عني سريعاً
 فخافي من عصاي ومن نعالِي
 وولَّيتُ العجوزَ ورحتُ أعدو
 مخافةً هذُرها المؤذي قذالي
 فَوَلَّتُ وهي تحسبُ أن سَأَبْقَى
 كـ (قيسٍ) بعد (البنى) في خَبال
 وإلا فـ (الفرزدقُ) حين شَطَطُ
 (نوارُ) عنه صاحبةُ الدَّلال
 وإلا فـ (البيزیدُ) لَدُنْ رماه
 ردى (حَبَّابَةَ) في شرِّ حال
 وإلا فـ (ابنُ زيَدونٍ) سَقَّتُهُ
 نوى (وَلادَةَ) سَمَّ الصَّلال
 ولم تعلم بآني في لقاها
 بنارٍ من أَسَى ذاتِ اشتعال
 وإني في أسايَ على اقتِراني
 بها أفنيتُ في نتفي سِبالي
 وإني مُذٌ وصلتُ لها حبَّالاً
 (مَلَّتُ من الحياةِ) إلى حِبالي
 وإن لولم تفارقني أجادتُ
 مُقْلِصَةً من المَحْيا ظلالِي
 وأودَعَ هيكلي الغالي أذاها
 ضريحاً فيه ما يحلو احتلالِي

تؤول به مفاصل كل حُرٌّ
وعبد في الأنام إلى انجلال
فصرت بفرقتيها في جنان
لقيتُ بهن أنسي في كمال
قضاء يا ابن شمالان وما لي
بأفضية المليك من احتيال
وهل للمرء فيما الله يقضي
عليه من يمين أو شمال
وقد أودى نصيبي منه عدلاً
فأصبح وهو في داء عُدْمال
وقد طال اعتلال الحظ حتى
حسبتُ شفاءه بعض المَحال
لسوء الحظ ما أوصلت خيراً
فخلاني وشأني في الوصال
ولم يُلح انفصالي عن مُمضٍ
لعينيهِ فأرخاه انفصالي
وما يغفون فأنعم قطُّ إلا
تنبّه مسرعاً لي بالنكال
فها أنا منه أصلى شرَّ نارٍ
من الدنيا ستُسرعُ بانتقالي
وأخوفُ ما أخافُ اليومَ ألا
يُغادرني الحِجاءُ بلا اختلال
فكن لي داعياً بالخير عَليَّ
أرى حظِّي العليلَ بلا اعتلال

فألقي ما تمنّاه فؤادي
من الغيد الكوامن في الجمال
فتاة أوتيت عقلاً ونُبلاً
وحسنًا في المَحَيَّا والخِصال
تلقّاني بوجه ليس فيه
عُبوسُ الباخلين لدى السُّؤال
وتُولجُ مَسْمَعِي أرقَّ لفظٍ
كأحسن صوت مهزوزِ اللّالي
متى أفضى به سمعي لقلبي
يَقُلُّ: هذا من السحرِ الحلال
فتملاً بهجة بيتي وأنساً
ويملاً قربها بالصَّفْوِ بالي
فليس إلى حقيقيِّ سواها
يميل القلبُ منِّي أو خيالي
وإن يصعبُ عليّ منالُ هذا
لما يشكّو من الإقلالِ مالي
وأقصتُ فاقتي عنِّي الأمانِي
فسوداءَ الجُلَيْدَةِ لا الفِعالِ
تساعدني على تنظيفِ بيتي
وتغسيلِ الثيابِ أو اغتسالي
وإن أمرضُ وأمراضِي كِثَارُ
أجدُ منها ممرضةً حيالي
وإن أحتجَّ إليها في فراشي
عنتُ لي غيرَ شاكيةِ الكلالِ

وإلا فالسَّلامُ على حياتي
فمالي بالحياةِ من اتِّصال
وكيف حياةٌ من فردٍ أساهُ
له في قلبه فعلُ النَّصال
فإن يكُ في جفونك لي دموعُ
فأسبِلُها فقد أزِفَ ارتحالي
ولا تبخلُ بدمعك بعد موتي
وشاركُ في بُكاهنَّ المَعالي

المتلبسون^(١)

أَنْنَعَمُ فِي الْكُوَيْتِ وَنَحْنُ فِيهِ
غِرَاقُ تَحْتِ سَكَّيْنِ الْجِهَالِهِ
تُفَرِّقُنَا الْجِهَالَةَ كَيْفَ شَاءَتْ
وَتَفْعَلُ مَا تَرِيدُ بِنَا الْبَطَالِهِ
يُزَنِّدِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا سَفَاهًا
مَطِيعِينَ الْعِمَامَ فِي الضَّلَالِهِ
أَدِينُ يَا أَلِي الْعِمَامَاتِ أَنْ لَا
يُلِينُ لِبَعْضِنَا بَعْضُ مَقَالِهِ

(١) نشرت هذه القصيدة في كتاب تاريخ الكويت لعبدالعزیز الرشید الذي علق عليها بقوله: إذا ما ندد شعراؤنا الأفاضل بالعلماء وبالعمائم فإنما يريدون علماء السوء الذين طواوا عمائمهم على الغش والخداع وكوروها على الخبث والنفاق، من كل متظاهر بغير ما انطوى عليه ضميره، لا العلماء المتفانين في خدمة الحق والبالين في إحياء الإسلام ما يستطيعون، وشتان بين الفريقين، وليس شعراؤنا ببذع فيما قالوه من الحط في الفريق الأول فإنه لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وفي أصحابه الكرام ومن بعدهم من الأئمة الأعلام فقد كثرت الأحاديث عن الرسول (ص) والآثار عن السلف في التحذير من أولئك المتلبسين، وما زال المصلحون يشكون من فسادهم ويتخوفون منهم على الإسلام، ولهم الحق في ذلك فإن من أعظم أسباب انحطاط الإسلام فساد علمائه.

وهل أفسسد السدين إلا الملبسون

وأحسب أن سوء ورهبانها

ولله در الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده حيث يقول:

ولست أبا لي إن يقال محمد

أبل أو اكتظت عليه الماتم

ولكن ديننا قد أردت صلاحه

أحاذر أن تقضي عليه العمائم

والقصيدة فيها مبالغة شديدة، وقد عمم الشاعر نقمته على العلماء، وهو لم يذكر في مكان آخر غير واحد منهم. ولا شك في أن نفسية الشيبب لها دور في صب نقمته على هؤلاء.

وَأَنْ تَجْفُوَ الرِّجَالَ مُوَاطِنِيهَا
وَتَشْهَرَ مَنْ تَخَالَفَهَا نِصَالَهُ
وَيَلْعَنَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِأَمْرِ
عَلَيْنَا مَكْرُكُمْ فَارْضَ امْتِثَالَهُ



عَلِمْتُمْ بِاتِّحَادِ الْقَوْمِ فَوْتًا
لِمَا فِيهِ لِمَطْمَعِكُمْ عَلَالَهُ
فَأَبْدَلْتُمْ وِئَامَ الْقَوْمِ خُلْفًا
لِتَحْظُوا بِالدَّقِيقِ وَبِالنُّخَالِهِ
وَأَلْبَسْتُمْ خِدَاعَكُمْ لثَامًا
مِنْ اسْمِ الدِّينِ مَسْبَلَةً عَلَالَهُ
أَعِنْدَ أَلِي الْعِمَامِ مِنْ كِتَابٍ
بِهِ قَدْ خَصَّصَهُمْ رَبُّ الْجَلَالِهِ
فَهُمْ يَتْلُونَ دُونَ النَّاسِ أَيًّا
إِلَى قَبْحِ الشُّقَاقِ بِهِ اسْتِمَالِهِ
لِتُوقِدَ مِنْ جَحِيمِ الْخُلْفِ مَا لَا
يَخَافُ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ اشْتِعَالِهِ
وَتُوهِمَ أَنْ فِي التَّفْرِيقِ رُشْدًا
إِذَا فَالرُّشْدُ هُكُّ لَا مَحَالِهِ
أَيُّودِي بِالشُّعُوبِ سِوَى اخْتِلَافٍ
يَصُولُ عَلَى تَجْمُعِهِمْ مَصَالِهِ
سَأَلُوا عَنْهُ أَلِي الْأَلْبَابِ تُرْفَعُ
لَكُمْ عَنْ سُوءِ عُقْبَاهُ حِجَالِهِ



فَفِرُّوا مِنْ تَفْرِقِكُمْ فَمِنْهُ
نَفِيسٌ نَهَوْضِكُمْ يَشْكُو اِعْتِلالَهُ
وَإِلَّا فَاحْفَرُوا لِلنَّهْضِ قَبْرًا
وَرُدُّوا فَوْقَهُ مَيْتًا رِمَالَهُ
وَخِرُّوا لِلْعِمَامَةِ إِنْ تَبَدَّى
أَخُوها خُضْعًا جَهْلًا حِيالَهُ
وَإِنْ يَمْنَعُ لِهَذَا الْعَصْرِ عِلْمًا
فَبُتُّوا سَامِعِينَ لَهُ حِبَالَهُ
وَنَامُوا مِنْ تَخَالُفِكُمْ بَلِيلِ
عِمَامَةٍ (بَعْضِنَا) تَخْشَى اِنْتِقَالَه
فَإِنْ يَكُ فِيهِ لِلْأَوْطَانِ مَوْتُ
وَفِيهِ لَانْتِباهِتِهَا إِزَالَهُ
فَمَطَّمَعُهَا الْخَسِيسُ إِذَا تَلَطَّى
لَهُ ظَمْمًا لَهُ فِيهِ بِلالَهُ
فَعُذْرُ عِمَائِمِ (الأَشْيَاخِ) بَادِ
إِذَا كَرِهَتْ لِمَنْهَجِنَا اِعْتِدَالَه
أَيْسَمُو بِالشُّعُوبِ سَوَى وَئَامِ
لَهُمْ يَجْلُو الرُّقِيُّ بِهِ هِلالَهُ
وَهَلْ شَعْبٌ يَنْتَالُ بِلَا اتِّحَادِ
لِئِدِيهِ مِنْ تَقْدُمِهِ كَمِمالَهُ
فَفِي حُسْنِ الوِئَامِ لِنَا رُقِيٌّ
لِنُورِ جَبِينِهِ تَعْنُو الْغِزَالَه
وَقد حَتَّ الإِلهُ عَلَيَّ اِتِّفَاقِ
تُضِيءُ دُجَى الخُطُوبِ لَهُ ذُبَالَهُ



أَحْذَرُكُمْ بَنِي وَطَنِي انشِعَابًا
لِهُلُكِ الشَّعْبِ فِيهِ شَرُّ آلِهِ
فَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَ ذَوْقِ سَلِيمٍ
وَكَانَ لِرَأْيِهِمْ بَعْضُ الْأَصَالَةِ
لَمَا مَدُّوا إِلَى أَحَدٍ أَكْفًا
لَأَخْذِهِمْ بِسَوْئِهِمْ نَوَالَهُ



إِلَى كَمِ فَوْقَنَا الْعِمَّاتُ تُلْقِي
مِنَ الْأَعْيَاءِ مَا نَخْشَى احْتِمَالَهُ
وَتَزْعُمُ أَنَّ دِينَ اللَّهِ عَسْرٌ
خِلَافًا لِلَّذِي الرَّحْمَنُ قَالَهُ
وَتَنْفُخُ رُوحَ شَوْمِ الْخُلْفِ فِيْنَا
وَتَوْسِعُ بَيْنَنَا ظُلْمًا مَجَالَهُ
لِتَسْلُبَ كُلَّ ذِي جِهَلٍ حِجَابَهُ
وَتَسْلُبَ مِنْ يَدَيْهِ بَعْدُ مَالَهُ
وَلَوْ قَنِعَتْ بِسَلْبِ فَضُولِ مُنْزَرٍ
لَقَلْنَا صَيْدًا مِنْ بَرٍّ غَزَالَهُ
وَلَكِنَّ الْعِمَّاتَ قَدْ أَسْفَتُ

إِلَى مَا لِلْأَجِيرِ مِنَ الْعِمَالَةِ



رَوِيدًا يَا أَوْلِيَ الْعِمَّاتِ فِيمَا
أَتَيْتُمْ عَامِدِينَ مِنَ السَّفَالَةِ
فَبِاسْمِ الدِّينِ حَقًّا قَدْ سَلَبْتُمْ
عَلَى طَمَعٍ يُشِينُكُمْ جَمَالَهُ

سَتُوجِزُ مِنْ خِداِعِكُمْ بِنُونَا
وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوَقُكُمْ الْإِطَالَه
وَتَطْوِي مِنْ لِحَاكُمُ مَا نَشَرْتُمْ
لَصَيْدِ ثِرَائِنَا مِنْهَا حِبَالَه
فَإِنْ لَمْ تَتَّقُوا فِينَا إِلَهًا
يَصُبُّ عَلَى عِمَائِكُمْ نَكَالَه
فَخَافُوا مِنْ سُلَّاتِنَا نَكَالًا
فَقَدْ عَلِمْتَ بَغْشُكُمْ السُّلَّالَه
سَتَنْسِفُ رِيحُ عَدْلِ اللَّهِ عَنْكُمْ
عِمَائَ لِنَفَاقِ بِهَا دِلَالَه

فتوى^(١)

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسٌ بشرقِي الكُوَيْتِ تُقِيمُ
وطاعتنا عبدَ العزيزِ بنَ صالحِ
سبيلُ إلى بابِ الجنانِ قويمِ
فقلتُ جزاهُ اللهُ خيراً فهجرُكُمْ
لنفسِي به لو تعلمون نعيمِ
على راحتِي قد حَتَّكُمْ ومُرَادُهُ
شَقَائِي وربِّي بالضعيفِ عليمِ

(١) عن كتاب تاريخ الكويت.

صرخة البائس^(١)

قد كسانني أبوك أمس كساءً
من نداءه فأبْتَزْنِيهِ الزُّمَانُ
فاكسُني يا ابنَ سالمِ اليومِ إنني
من نداءه كما ترى عُريان
واتخذني مكانَ عُرفِكَ تعلمُ
أنَّ صقراً للعُرفِ نِعَمَ المكانِ
كان لي من أبيكَ في الشهرِ عشرو
نَ فماتتْ إذ ماتَ ذاكَ الهِجَانِ
ورجائي على يمينك أن تحد
يا فأحيا بها ووجهي يُصان
أنت ذُخري ولارتدادني إليه
واعتمادي عليه أن الأوان
قد أخافتُ صروفُ دهري فؤادي
فعسى لي لديك منها أمان
إن تكن لي فذاك، أو لا فقل لي
من يُرجي الإغاثة اللهفان

(١) نشرت في مجلة الكويت، وعلق الرشيد عليها بقوله: «قصيدة غراء قدمها الشاعر البائس صقر بن سالم الأديب الكويتي إلى الشيخين الفاضلين الشيخ عبدالله بن سالم آل صباح والشيخ يوسف بن عيسى القناعي مذكراً فيها الأول بما كان رتبته له أبوه المرحوم الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح حاكم الكويت سابقاً في حياته ومؤملاً منه أن يصل تلك الصلة التي قطعت بعد وفاته ومستشفعاً لديه بصديقه الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ملجأ العلماء والأدباء والفضلاء أدر الله عليه رزقه ووقاه من كيد الدهر وحوادثه».

أنا بالفقر بعدَ والدك الطا
ردِ عني مَفاقِري حَيران
طالَ ذلِّي بـفـاقـتي بين قومِ
شمـتوا بي لـفـاقـتي وأهانوا
والمُحِبُّونَ منهمُ لي اعترتهمُ
لافتقارِ أدلني أشجان
فأحبُّوا إغاثتي وأرادوا
غيرَ أن لم يساعِدِ الوجدان
فَقُمَ اليومَ عن أبيك مُعِزًّا
لأديبِ عليه طالَ الهوان
أسهبَ الفقرُ حسرتي وعلى كفي
كَ يـرجو اختصارها الإخوان
حرَّضوني بأن أومَّ جواداً
منه تَندي لسائليه البنان
فأتى بي إليك تحريضُ قومِ
لهمُ بالثنا عليك لسان
ضَمِنوا لي المرجو منك فقالوا
عـنـك نـعم المـعـينُ والمُسْتَعان
سأله يُرَدُّ عليك خيرَ أبيه
وعليـنا أن لا تخيبَ الضَّمان
وابنُ عيسى لديه خيرُ شفيعِ
يوسفُ من به الكويتُ تُزان
مَنْ بإرشاده العميمُ تَرَقَّتْ
للمعالي وترتقي الأوطان
واستحثَّ الكويتَ للمجدِ حتى
صار للمجدِ في يديها عنان

وهو ما انفكَّ يستحثُّ بَنِيهَا
للتَّرَقِّي بالنَّصيحِ مِنْهُ الْبَيَانِ
قَدْ أُنَارَ الْعَقُولَ فِيهَا وَغَذَّى
كُلَّ رُوحٍ هُدَاهُ وَالْعِرْفَانِ
بَثَّ صِنْفِي عَالِومِهِ مِنْ قَدِيمٍ
كَأَدِ يَلْوِي بِذِكْرِهِ النَّسِيَانَ
فَتَنَّنَى الْدِينِ بِالْقَدِيمِ فَتِيًّا
مِنْهُ تَهْتَزُّ بِالْجَنَى الْأَغْصَانِ
وَجَدِيدًا بِهِ تَطْيِبُ حَيَاةً
هِيَ لَوْلَاهُ كَأَنَّهَا أَحْزَانِ
فَتَأَمَّسْ شَفَاعَةَ الشَّيْخِ وَاعْلَمْ
أَنْ سِيحْنُو عَلَيْكَ مِنْهُ الْجَنَانِ
لَيْسَ يَرْضَى بَأَنْ تَضِيْعَ ابْنُ عَيْسَى
فِي بِلَادٍ لَهُ بِهَا إِمْكَانِ
رَفَرَفَتْ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ أَدِيبٍ
مُذَقَّعِ الْفَقْرِ رَحْمَةً وَحَنَانِ
لَمْ يَفُتْ فِي الْكُوَيْتِ طَالِبَ عِلْمٍ
صِفَّرَ كَفًّا مِنْ يَوْسُفِ إِحْسَانِ
فَهُوَ بِالْمَالِ لِلْأَدِيبِ وَطَوْرًا
هُوَ بِالْجَاهِ مَسْعَفٌ مِعْوَانِ
فَكُنْ الْيَوْمَ عِنْدَ ظَنِّ صِحَابِي
فِيكَ لِي فَالظَّنُّونُ فِيكَ حِسَانِ

القسم الثالث

إضافات تكرم بتقديمها

ليس في الكويت مثلي^(١)

أفي أهلِ الكويتِ سِوَايَ أَعْمَى
بِهِ عَصَفْتُ أَعَاصِيرُ الشَّقَاءِ
تَهَادَاهُ الْبِلَايَا كُلَّ حِينٍ
وَيُسَلِّمُهُ الْعِنَاءُ إِلَى الْعِنَاءِ
لِعَلِّي أَنْ أُعْزِيَّ فِيهِ قَلْبًا
تَخَلَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْعَزَاءِ
وَهَلْ مِنْ أَسْوَةٍ فِيهَا لِأَعْمَى
رَمَاهُ الدَّهْرُ مِنْهُ بِالْعَدَاءِ
وَمَنْ عَادَاهُ صَرَفُ الدَّهْرِ أَمْسَى
وَأُسْوَتُهُ عَلَيْهِ فِي إِبَاءِ
وَلَوْ لَمْ تَرْمِينِي الْأَيَّامُ إِلَّا
بِبُعْدِكَ يَا (ابْنَ شَمْلَانَ) الْعَلَاءِ
لَأَصْبَحَ رَمِيهَا بِالْبُعْدِ يَكْفِي
لِتَعْزِيبِي وَإِهْلَاكِي بِدَائِي
وَلَكِنْ قَبْلَ بُعْدِكَ قَدْ رَمَتْنِي
بِنَارٍ مِنْ صَدُودِكَ وَالْجَفَاءِ
فَلَمَّا أَنْ خَبَّتْ نَارُ التَّجَافِي
وَكِدْتُ أذُوقُ لَذَاتِ الْهِنَاءِ
أَعَادَتْنِي فَأَلْقَتْنِي بِنَارٍ
تُجِيدُ وَقُودَهَا أَيَدِي التَّنَائِي

(١) موجهة إلى صديقه محمد بن شملان وفيها تعطف، وطلب استمرار العلاقة بينهما.

فها أنا من حجيم البين أصلى
 فوا عُمْرَاهُ إن طال اصطِلَانِي
 فأنقِذْ يَا (ابنَ شَمْلَانَ) مَحِبًّا
 تَرَبِّعَ مِنْهُ حُبُّكَ فِي الْحَشَاءِ
 وَأَخْمِدْ يَا (مَحْمَدُ) نَارَ بُعْدِ
 لَهَا فِي قَلْبِيهِ شَرُّ اصْطِلَاءِ
 وَهَلْ يَخْبُو حَجِيمُ الْبَيْنِ إِلَّا
 إِذَا جَادَتْهُ أَمْطَارُ الْأَقْيَاءِ
 فَإِنْ يَمْنَعُ لِقَاءَكَ سَوْءَ حَظِّي
 وَسَوْءَ الْحَظِّ مِنْ طُرُقِ السَّبَلَاءِ
 فَعَجِّلْ مِنْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا
 كِتَابًا فِيهِ مِنْ دَائِي شِفَائِي
 فَكُتِّبْ يَا (مَحْمَدُ) خَيْرُ شَافٍ
 وَمَا لِي غَيْرُ كُتِّبِكَ مِنْ دَوَاءِ
 وَأَنْعَمِ يَا حَبِيبُ وَلَوْ بَسْطَرٍ
 بِهِ أَحْيَا وَيَحْيَا لِي رَجَائِي
 وَإِنْ تُحْيِي الْوَفَاءَ فَلَيْسَ بِدَعَا
 فَقَدْ وُفِّيتَ حَظُّكَ فِي الْحِجَاءِ
 وَمَنْ يَكْبُرُ حِجَاهُ فِي الْبِرَايَا
 فَقَلْ مَا شِئْتَ فِيهِ مِنَ الثَّنَاءِ
 وَلَوْ مَا يُقَاسِيهِ فَوَادِي
 مِنَ الْأَحْزَانِ وَالنُّوَبِ الْوَلَاءِ^(١)
 لَجِئْتُ مِنَ الثَّنَاءِ بِكُلِّ بَيْتٍ
 تُصَيِّخُ لَهُ الْكَوَاكِبُ فِي السَّمَاءِ

(١) الولاء: المتابعة.

وجئتُ من القوافي بالُّواتي
تتيةُ على الخرائدِ في البهَاءِ
ولكنني ولستُ أفوهُ إلا
لمثلك يا (محمد) باشتيكائي
وقعتُ من النوائبِ في خِضمِّ
سواحلُهُ خُلِقْنَ من التَّنائي
وظنني العمرُ مني قد تَقَضَى
والأفهُو حَوْلَ الإنقضاءِ
وهل أرجو امتداداً من حياةٍ
تحفُّ بها جيوشُ من عناءِ
وحسبي مهلكاً أني وحيدٌ
وأنني صِفْرُ كَفِّ ذُو عَمَاءِ
فها أنا خادمي في كلِّ أمرٍ
تُراني منه في أمرٍ عَيَاءِ
بذا حَكَمَ الزمانُ عليَّ جَوْرًا
وما زال الزمانُ أخصا اعتداءِ

إلى كم يا محمد منك أشقى^(١)

لهجرك يا (ابنَ شملانَ) التهابُ
بقلبٍ ما لهُ عنكَ انقلبُ
وأنتى يا (محمدُ) عن هَواكُمُ
يكون لقلبٍ وامقكم نهاب
ومحضُ وداكُم فيه حياهُ
وعن مَحياهُ ليس له انسحاب
أيا لفظُ روحهُ طوعاً فؤادُ
به من نكرٍ فُرقتهَا اضطراب
مُحالٌ أن يَحيدَ القلبُ عنكم
ومَحياهُ هَواكُ المستطاب
هَواكُم قد تكون منه قلبُ
له ما بين أضلاعي انتصاب
فَمَحضُ وداكُم قلبي وقلبي
هَواكُ فعنك ليس له انجذاب
لأبي فتنى سِواكُ يميلُ قلبُ
لغيرك منه لم ينفكُ باب
ويحجبُ عن سَواكُ القلبُ حُبُ
له كَدَمي بأعضائي انسراب
يَحِنُّ إليكَ في صدري فؤادُ
بحببته إذا تجفو انشعاب

(١) كثرت قصائد الاستعطاف التي يرسلها الشاعر إلى صديقه محمد بن شملان وهذه إحداها.

إليك اليوم أشكوا حبيبي
جفاءً منه في صدري حِراب
جفاءً لا تطيقُ له احتمالاً
ولا لأقلُّه الصُّمُّ الصُّلاب
جفاءً خانني فيه اصطبارُ
وفيَّ في النوائبِ لا يُعاب
جفاءً منه راحاتي تلاشتُ
وأعقبَ فيه نومي الاجتناب
جفاءً منه في الأحشاء نارُ
تأكلُ ليس يُخفيها حِجاب
ولو أتى أطيقُ لها اكتتاماً
لخفَّ عليَّ بالكتم المصاب
وأنتى لي أكتتم نار حزنٍ
لها بيدِ الجفا منك احتطاب
وكيف أكتتم الأعداء ناراً
ينمُّ بها على الوجه اكتئاب
ووجه المرءِ للنتُّار يُفشي
سرائرَ في حشاهُ لها احتجاب
فمن وجهي على قلبي مِراةُ
بعكس ضميره فيها انسياب
أحملُ منك هجرًا فيه حتى
لِوجهي في أساءاتي انتداب
وأعظمُ ما أخاف شَماتِ قومٍ
يَجِدُّ بهم لكَروهي طلاب
وإن يَطلُّ التجافي منك يَظْهَرُ
على وجهي بأسراري كتاب

فتقرأ فيه ما تهوى أناسٌ
مُنَاهَا أَنْ يُغَيِّبَنِي التُّرَابُ
كَأَنِّي فِي جُسُومِهِمْ سَقَامٌ
كَأَنِّي فِي عَقُولِهِمْ خَرَابُ
كَأَنَّ مَسَبَّتِي فِيهِمْ قَذَاةٌ
وَهُمْ لِفِرَامِهِمْ فِيهَا ذُبَابُ
وَمَا لِي عَنْهُمْ خَرَسٌ وَلَكِنْ
عَنِ الْجُهَّالِ فِي الصَّفْحِ الصَّوَابُ
تَرْفَعُ عَنْ خَنَاهُمْ فِي طَبَعٍ
كَرِيمٍ لَيْسَ يُعْجِبُهُ السَّبَابُ
أَحَبُّوا كِبُوتِي حَسَدًا وَلَكِنْ
حَمَانِي اللَّهُ أَنْ أَكْبُو فِخَابُوا
وَمَا أَنَا يَا (ابْنَ شَمْلَانَ) مُبَالٍ
بِمَنْ نَظَرُوا إِلَيَّ وَهُمْ غِيضَابُ
أَأْرَهَبُهُمْ وَعَوْنُكَ لِي مَلَاذٌ؟
وَأَخْشَاهُمْ وَنَصْرُكَ لِي مَأَبُ
إِذَا مَا كَانَ لِي مِنْكَ انْتِصَارٌ
وَإِسْعَافٌ فَلِلْأَعْدَاءِ التُّبَابِ^(١)
تَخِذْتُكَ يَا (ابْنَ شَمْلَانَ) حَسَامًا
إِلَيْهِ فِي النِّوَابِ لِي إِيَابُ
وَنَعَمَ الْعَوْنُ أَنْتَ إِذَا الْبَلَايَا
عَلَى رَأْسِي هَمِي مِنْهَا سَحَابُ
فَكَمْ لَكَ يَا (مُحَمَّدٌ) مِنْ أَيَادٍ
يُقَصِّرُ أَنْ يُحِيطَ بِهَا الْحِسَابُ

(١) التُّبَابُ: الْخَسْرَانُ.

يُقِرُّ بِهَا وَيَشْكُرُهَا لِسَانِي
إِلَى مَوْتِي وَلِحَمِي وَإِهَابِ
وَجَحْدِي مَا غَدَا جَأْدِي مُقِرًّا
عَلَيَّ بِهِ لَكُمْ أَمْرٌ عَجَابِ
أُخْفِي مِنْ نَدَى يَمْنَاكَ شَمْسًا
إِذَا مَا ثَارَ مِنْ جَحْدِي ضَبَابِ
يُصَاحِبُ لِي نَدَى كَفَيْكَ بِشِرًّا
بِهِ تَحَلُّوْا أَيَادِيكَ الرَّغَابِ
فَمَا بَالُ الْبِشَاشَةِ مِنْكَ أَضْحَتْ
عَلَيْهَا مِنْ جَفَائِكَ لِي نِقَابِ
فَلَا تُشْمِتْ بِي الْيَوْمَ الْأَعَادِي
فإِنِّي مِنْ شَمَاتِهِمْ أَهَابِ
أَتَرْضَى يَا (مُحَمَّدُ) بِي شَمَاتًا
فَصَدِّكَ لِلشَّمَاتِ بِهِ انْتِيَابِ
إِلَى كَمْ يَا (مُحَمَّدُ) مِنْكَ أَشْقَى
بِصَدِّ لِعِزَائِ بِهِ اغْتِرَابِ
فإِنْ يَمْتَدُّ مِنْكَ عَلَيَّ هَذَا
يَكُنْ لِمَنْيَّتِي فِيهِ اقْتِرَابِ
عَهْدَتُكَ لَسْتَ تَرْضَى لِي بِأَمْرٍ
بِهِ لَسَحَابِ مَا أَرْضَى انْجِيَابِ
فَمَا لَغَمَامِ هَجْرِكَ وَهُوَ مَوْتُ
عَلَى رَأْسِي لَهُ الْيَوْمَ انْسِيَابِ
فإِنْ أَكُنْ اقْتَرَفْتُ إِلَيْكَ ذَنْبًا
فَمَحُوْا الذَّنْبِ يُحْسِنُهُ الْمَتَابِ
فَبَيِّنُهُ أَتُبُّ مِنْهُ فَصَبْرِي
لَهَجْرِكَ مِنْهُ قَدْ شَابَ الْغُرَابِ
وَعَاتِبُنِي إِذَا أذْنَبْتُ يَوْمًا
فإِنْ الْوُدَّ يَحْفَظُهُ الْعِتَابِ

بِرَبِّكَ يَا (مَحْمَدُ) أَيُّ ذَنْبٍ
إِلَيْكَ أَتَى بِهِ مِنِّي اِكْتِسَابِ
أَفَكَّرُ هَلْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَتَّى
يَقُومَ عَلَيَّ بِالْهَجْرِ الْعِقَابِ
فَمَا أَلْقَى سِوَى أَنِّي مُحِبٌّ
صَفَّتْ مِنْهُ الْمَحَبَّةُ لَا تُشَابِ
فَإِنْ يَكُ لِي سِوَى حُبِّكَ جُرْمٌ
فَصَبُّ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي الْعَذَابِ
وَإِنْ تَرْتَبُ بِصَافِي الْوَدِّ مِنِّي
وَمَا فِيهِ وَحَقُّكَ مُسْتَرَابِ
فَسَلِّ عَنْهُ ضَمِيرَكَ فَهُوَ يَدْرِي
وَلَيْسَ بِصَدَقٍ مَا يَرُوي اِرْتِيَابِ
فَبَيْنَ قَلُوبِنَا سُبُلٌ وَلَيْسَتْ
يَمُرُّ بِهَا مِنَ الْوَدِّ الْكِذَابِ
وَهَلْ مِنِّي يُرِيْبُكَ مَحْضٌ وَدٌّ
وَفِيْمَا بَيْنِنَا نِسْبٌ قِرَابِ^(١)
فَإِنْ يَكُ بَيْنِنَا فِي الْأَصْلِ بُعْدٌ
يَقْرَبُ بَيْنِنَا الْأَدَبُ الْأُبَابِ
وَلَا نَسْبٌ كَأَدَابِ سَوَامِ
إِلَى حَسَنِ الْوَدَادِ بِهَا شِعَابِ
فَكَمْ مِنْ صَاحِبِيْ أَدَبٍ شَرِيفِ
نَمَا لِلْوَدِّ بَيْنَهُمَا شَبَابِ
وَكَمْ مِنْ رَاضِعِي لِبَنِّ رَأَيْنَا
وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْبَغْضَا ضِرَابِ

(١) قراب: قريب.

لي من الصبر ما هو أرحب^(١)

نسيمُ الصَّبَا أشهى إليّ واعذبُ
نسيمُ الصَّبَا عندي ألدُّ وأطيبُ
نسيمُ الصَّبَا يشفي العليلَ من الضَّنَى
نسيمُ الصَّبَا يُنني الهمومَ ويذهبُ
فَلِلنَّفْسِ فِي أَنْفَاسِهَا كُلِّ رَاحَةٍ
ولِلنَّفْسِ فِيهَا مَا يَسُرُّ وَيُطْرِبُ
بها تنجلي عني هُمومٌ كثيرةٌ
ويُطفأ بها ما بالحشا يتلَهَّبُ
فليت الصَّبَا ما زال يجري نسيماً
لعلَّ بها يُشفى الكئيبُ المعذبُ
يَهْبُ هَبوبَ الأَنْسِ عِنْدَ هُبُوبِهَا
وإن لم تجئ فالأَنْسُ عِنَّا مُغْرَبُ
أبا (قاسم) هل أنت تهوى نسيماً
وترغبُ فيه مثلَ ما أنا أرغبُ؟
أظنُّ جميعَ الناسِ تصبو إلى الصَّبَا
ويشغفُهم منها النسيمُ ويُعجبُ
فقد وصفوا الأنفاسَ منها بكلِّ ما
يَرِقُّ من الأوصافِ مذ كان يَعرُبُ
ألم ترَ أهلَ الشُّعرِ ممن تقدّموا
ومَن عاصرونا بالصَّبَا قد تشبَّبوا

(١) من قصائد الشاعر الشيبب الموجهة إلى محمد بن شمالان.

فلا بدع أن قلدتهم إذ وجدتها
كما وجدوها للمسررات تجلب
وحقك إني بالصبا لمتيم
وما أنا فيما قلت والله أكذب
أتعدلُ يا ابنَ (الشهم شمالان) إن أهُمُ
بأنفاسِها حُبًّا بها وتؤبب
فهل تدرُ أنفاسُ الصبا أنني الذي
(يغالب فيها الشوق والشوق أغلب)^(١)
وأني إذا فكّرتُ فيها تفكّري
وعنها إذا حدثتُ من كنتُ أصحب
أميلُ إلى كتمِ المحبة طاقتي
وهيهات والأجفانُ تهمني وتسكّب
وهل يستطيع المرءُ كتمان سِرِّه
وأدمعُهُ في خدّه تتصبّب
أتعجب أن أبكي اشتياقًا إلى الصبا
وصبري عنها يا (محمد) أعجب
وهل في الوري من ليس يصبو إلى الصبا
ويجزع أن عنه الصبا تتنكب
وقد كان قلبي في المحبة قُلبًا
فما باله عن حُبِّها ليس يُقلب
على أنني عاتبتُ قلبي ولمتته
على الحبِّ لو يُجدي الحبُّ التّعتب
مذاهب أهل الحب شتّى كثيرة
وأحرَجُها منها لقلبي مذهب

(١) الشطر الثاني من البيت مضمن من قول المتنبي:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

تَمَذَّهَبَ قَلْبِي مَذْهَبًا فِي غِرَامِهِ
إِلَى الْخَلْقِ يَدْعُو مِنْ بِهِ يَتَمَذَّهَبُ
فَمَذْهَبُهُ أَنْ لَيْسَ يُصْغِي لِعَاذِلٍ
عَلَى حَبِّهِ حَتَّى الْغُرَابُ يُشَيِّبُ
تَجَنَّبَ قَلْبِي اللَّائِمِينَ كَأَنَّمَا
مَلَامُ الْأَلَى لَامُوا أَرَاقِمُ تَأْسِبُ
تَوَهَّمْتُ أَنْ الصَّبْرُ يُسْعِدُ وَالْعَزَا
إِذَا الْبُعْدُ أَضْحَى لِلْحَبِيبِ يَحْجَبُ
وَهَلْ يُسْعِدُ الْإِنْسَانَ يَوْمًا عَزَاؤُهُ
وَمَحَبُّوبُهُ بِالْبُعْدِ عَنْهُ مُغَيَّبُ
وَهَلْ تَحُلُّ لِلصَّبِّ الْكُئِيبُ مَعِيشَةٌ
إِذَا لَمْ يَجِئْ ذَاكَ النَّسِيمُ الْمُحَبَّبُ
نَسِيمٌ إِذَا مَا فَاحَ مِنْهُ عَبِيرُهُ
عَلِمْنَا بِأَنَّ الْوَرْدَ لَا شَيْءَ يُحْسَبُ
فَسَجَّسَجَ أَنْفَاسِ الصَّبَا إِنْ نَشَقَّتْهُ
تَوَهَّمْتُهُ مَسْكًَا بِهِ تَتَطَيَّبُ
وَإِلَّا كَأَنَّ شِعَارَ تَضَمَّنْتَ التُّنَّا
عَلَيْكَ فَأَضْحَى الْعَقْلُ مِنْهُنَّ يُخَلَّبُ
أَلَسْتَ الَّذِي تَحَلُّو الْقَوَافِي بِمَدْحِهِ
وَأَضْحَى إِلَيْهِ الْفَضْلُ يُعْزَى وَيُنْسَبُ؟
أَلَسْتَ الَّذِي تُثْنِي عَلَيْهِ خِصَالُهُ
فَتَوَجَّزُهُ طَوْرًا وَأَخْرَ تَطْنِبُ؟
أَلَسْتَ بِذَلِكَ الْفَاضِلِ الْمَاجِدِ الَّذِي
تُكَلِّمُ مَزَايَاهُ الْحُصَاةَ وَتُتَعَبُ؟
أَلَسْتَ الَّذِي تَفْتَرُّ زُهْرًا خِلَالَهُ
كَمَا افْتَرَّ عَنْ رَطْبِ الْوَالِي أَشْنَبُ؟

أَلَسْتَ الَّذِي لَوْ كَانَ يَرْقَى بِمَجْدِهِ
إِلَى النُّجْمِ رَاقٍ كُنْتَ لِلنُّجْمِ تَرْكِبُ؟
أَلَسْتَ الَّذِي تَحْكِي سَجَايَاهُ رَوْضَةً
تُفَضُّضُهَا أَيْدِي الْحَيَا وَتُذَهَّبُ؟
أَلَسْتَ ابْنَ (شَمْلَانَ) أَلَسْتَ (مُحَمَّدًا)
أَلَسْتَ الَّذِي عَنِ وُدِّهِ لَسْتَ أَرْغَبُ؟
وَهَلْ يَرِغَبُ الْإِنْسَانُ عَنِ وُدِّ مَنْ غَدَا
وَأَخْلَاقُهُ مِنْ زَاهِرِ الرُّوَضِ أَخْصَبُ؟
بِرَبِّكَ سَامِحَنِي إِذَا أَنَا لَمْ أَكُنْ
أَطِيلُ بِحَسَنِ الْمَدْحِ فَيْكَ وَأُسَهِّبُ
فَقَدْ قَيَّدَتْ أَحْزَانُ قَلْبِي مَقُولِي
وَفَكَ قَيُودِ الْحَزَنِ وَاللَّهِ يَصْنَعُ
أَبَا قَاسِمٍ مَا زَلْتَ فِي مَظْلَمِ الْأَسَى
إِذَا انْجَابَ عَنِّي غِيهَبٌ جَاءَ غِيهَبُ
وَمَا زَلْتَ الْأَيَّامُ تَرْمِي صُرُوفُهَا
فَوَادِي بِمَا مِنْهُ أَخَافُ وَأَرْهَبُ
إِلَى كَمِ وَقَلْبِي لِلشُّوَابِ مَسْرُوحُ؟
إِلَى كَمِ وَقَلْبِي لِلنُّوَابِ مَلْعَبُ
إِلَى كَمِ سُرُورِي وَجْهُهُ مَتَجَّهٌ؟
إِلَى كَمِ مُحَيَّا رَاحَتِي مَتَقَطَّبُ؟
إِلَى كَمِ جِهَامٍ مِنْ رَجَائِي سَحَابُهُ
وَحَتَّى مَتَى بَرَقُ الْأَمَانِي خُلَّبُ؟
أَقَاسِي مِنَ الْأَحْزَانِ مَا لَوْ أَقْلُهُ
يَمَسُّ نَجُومَ الْأَفْقِ مَا لَاحَ كَوَكَبُ

ولو بعضُ ما ألقى يَمَسُّ رواسيًّا
لَدَكَ الَّذِي مِنْهُنَّ أَقْسَى وَأَصْلَبُ
لماذا يعاديني الزَّمانُ ويعتدي
عليَّ بما منه التَّصَبُّرُ يُسَلِّبُ؟
كأنَّ زَمَانِي عَاشِقٌ وكَأَنَّني
له عاذِلٌ والعِذْلُ لِلصَّبِّ مُغْضِبُ
أَبِيْتُ إِذَا مَا بَتُّ مِمَّا أُجِنُّهُ
على مِثْلِ مَشْبُوبِ الغَضَا أَتَقَلَّبُ
وَتُصْبِحُ إِنْ أَصْبَحْتُ نَشْوَى مَحَاجِرِي
وليس لها إِلا من السُّهْدِ مَشْرَبُ
أما لِلَّيَالِي المُحْرِباتِ بِهَدْنَةٍ؟
فقد أَوْشَكَتْ نَفْسِي النَفِيسَةَ تَعْطَبُ
تَحَارِبُنِي حَتَّى كَأَنَّيَ مَجْرَمُ
إِلَيْهِنَّ جَرَمًا أَوْ كَأَنَّيَ مَذْنِبُ
ولم أَجْتَرِمُ جَرَمًا سِوَى أَنَّنِي امْرُؤُ
أُرِيدُ الَّذِي تَزْوِيهِ عَنِّي وَأَطْلُبُ
تَرِيدُ اللَّيَالِي الجَرِيَّ مَنِي كَمَا جَرَتْ
وذلك ما عنه أَحْيِدُ وَأَهْرَبُ
تَجَنَّبْتُ ما تَرْضَى اللَّيَالِي وتشتهي
ومثلي لما تَرْضَاهُ قد يَتَجَنَّبُ
ظَمِنْتُ فحَاوَلْتُ الوردَ فلم أَجِدُ
من الوردِ ما يَصْفُو بِهِنَّ فَأَشْرَبُ
فيا لَيْتَ صدرَ الغَيْبِ ما زال كاتمي
كما يَكْتُمُ الاسرارَ حُرًّا مَهْدَبُ

فَمَا لِي إِلاَّ اللُّهُ فِي الدَّهْرِ مَطْمَعٌ
وَمَا لِي إِلاَّ اللُّهُ فِي الدَّهْرِ مَأْرَبٌ
هُوَ الدَّهْرُ أَمَّا يَوْمُهُ فَهُوَ أَرْقَمٌ
يَصُولُ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَهُوَ عَقْرَبٌ
وَإِنِّي وَإِنْ ضَاقَ الزَّمَانُ بِوَسْعِهِ
عَلِيٌّ فَلِي فِي الصَّبْرِ مَا هُوَ أَرْحَبُ

في تقریظ كتاب^(١)

لئن قلت صحائف ذا الكتاب
أيا (عيسى القطامي) في الحساب
فما قلت فوائده اللواتي
أبن مناهج اللجج الصعاب
فأنجز طبعه يشكرنا
عليه كل ملتبس الصواب
أبنت لكل ربان فهم
مناهج كن عنه في حجاب
فعادت طرقت مركبه بواد
جاليات الغوائر والهضاب
فلا عجب إذا ما راح يشدو
بشكر كتابك السهل الخطاب
كتاب لم يدع في نفس حر
تلا أبوابه بعض ارتياب
أتيت به كما يهواه منا
أولو الأسفار مرفوع النقب
فلم يستر عويص اللفظ معني
عليهم من معانيه العذاب

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شمالان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

سِيُجْنِيكَ الثَّنَاءَ الْحُرَّ مِنْهُمْ
عَلَيْهِ كُلُّ مُحَمَّدٍ النَّصَابِ
وَأَحْسَنُ مَنْ ثَنَاءَهُمْ عَلَيْهِ
ثَوَابُ إِلَهِكَ الْجَمُّ الثَّنَائِي
فَإِنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُضَيِّعٍ أَجْرٍ
لِمَيَّالٍ لِنَفْعِ النَّاسِ صَابِي
وَإِنْ أَجَلْنَا فِي الْحُبِّ حَظًّا
لَسَدَى مَوْلَاهُ مَنَّا فِي الْمَابِ
مُطِيلٌ سَعِيَّهُ فِي كُلِّ نَفْعٍ
يَعْمُ أَلِي النَّوَى وَالْإِقْتِرَابِ
وَقَدْ أَلْفَتَ يَا (عَيْسَى) كِتَابًا
سَحَائِبُهُ عَمِيمَاتُ الْمَصَابِ
فَثِقْ وَقَطِّعْ مَتَى تَقْدُمُ عَلَيْهِ
بِنَيْلٍ مِثْلِ ثَوَابٍ مِنْهُ رِغَابِ

(١) هذه القصيدة قالها الشاعر في تقرُّبِ الكتاب الذي ألفه عيسى القطامي تحت اسم: «المختصر الخاص للمسافر والطواش والغواص»، وطبعه في سنة ١٩٢٤.

أخوك أخو الأفضال^(١)

أ(خالد) ما هذا اقتِرافُ قِرفتهُ
وإن (عدها) غيري من القِرفاتِ
ولكنها يا (خالد) الشهمُ روضةُ
بها اكتظت الأشجارُ من كبتات
وأشجارها كُتِبَ تفوح فوائداً
وتُبصرُ فيها ناضِرَ الزَهَرَاتِ
وهل كُتِمَارِ العلمِ عند ألي النهي
إذا ما جَناها الفكرُ من تَمَرَاتِ
فلا زال للكُتِبِ النفيسةِ جالباً
أخوك أخو الأفضالِ والحَسَنَاتِ
ففي قِنِيَةِ الكُتِبِ المفيدةِ شاهدُ
على أنه في الخيرِ نورَ غَيبَاتِ

(١) يخاطب بهذه الأبيات خالد بن شملان، ويذكره بما كان أخوه الشهيد علي يقدمه له من كتب.

عليك سلام الله

(أبا قاسم) والله ما زلتُ طاوياً
على حُبِّكم بين الضلوعِ فؤادي
ولكنها الأيامُ أشعلنَ فكرتي
وباعدنَ ما بيني وبين مُرادي
وأبدلنَ بالحُزنِ الشديدِ مسرتي
وقربنَ من جفني أليمَ سُهادي
ومن يكُ ذا حالٍ كحالي فعذرهُ
ولا ريبَ كالشمسِ المنيرةِ باد
فإن تكُ من عينيكِ والرأسِ تشتكي
فقد مَلكتُ أيديَ الهمومِ قيادي
كأنَّ على دهري يميناً بأنهُ
لمثلي من بين الأنامِ يُعادي
إذا ما نجوتُ اليومَ من بأسِ شِدَّةِ
رمانِي بِشِدَاتِ عَلِيٍّ شِدَادِ
عليك سلامُ الله ما ناحَ طائرُ
على إلفهِ في الساجعاتِ يُنادي

وخير المجد في الدنيا المخلد^(١)

سأشكرُ (صالح الملاً) حياتي
على إسعافه الحُرَّ (ابن أحمد)
وأولى الناس بالشكرانِ شهمُ
حميدُ السَّعيِّ مثلُ (أبي محمد)
سأشكره وأحمدُه وأثني
بأشعاري عليه بكلِّ مشهد
مكارمِ (صالح) تآبى علينا
لكثرتها بشعرٍ أن تُعدَّ
فإيجازُ التَّنَّا عنهنَّ عَجَزُ
على أن لا شبيهه لهنَّ يُشهد
مكارمُ لا تبيدُ وليس تَفْنَى
وخيرُ المجدِ في الدنيا المَخْلَدُ
فَدَمٌ في أهنا العِيشاتِ واسلمُ
وطرفُ عُداتِكَ البُعْداءِ يُسْهَدُ
فإنك في الكويِّتِ اليومَ شمسُ
أشعَّتْها فضائلُ ليس تُجحدُ

(١) في شكر الملا صالح بن محمد الملا المتوفى في سنة ١٩٥٨م وكان سكرتيراً للشيخ أحمد الجابر الصباح.

ومن ذا يستطيعُ جُودَ فضلٍ
له منه عليه الدهرُ يشهد
سأنظّمَ واصفًا فيك المزايا
قصائد دونها الدرُّ المنخد

الدسمة^(١)

سَقَى (الدسمة) الغراءَ منهمراً القَطْرَ
ومَدَّ بها أَطْنابَهُ مُذْهَبُ الزَّهْرِ
وجادتُ أخاها (الشُّعْبُ) كلُّ غمامةٍ
إلى أن يكون (الشُّعْبُ) أُنْدَى من البَحْرِ
ولا زال يسقي (البِدْعَ) منهمراً الحَيَا
وصافَحَ (رَأْسَ الأَرْضِ) بالأَنْمَلِ العَشْرِ
مَوَاضِعُ فيها للسُّرورِ مَوَاضِعُ
فلم أُلْفَ فيها ساعةً غيرَ مُسْتَرٍّ

(١) ذكر الشاعر في هذه الأبيات الأربعة بعض الأماكن التي كان الكويتيون يرتادونها في أوقات الربيع.

كجدكم شمالان كونوا أماجدا^(١)

بَنِيَّ بِكُمْ رُوحِي تُحِسُّ وَتَشْعُرُ
وَتُبْصِرُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتَنْظُرُ
فَلَا تَتْرَكُوا مَا كُنْتُ أُوصِي بِفَعْلِهِ
فِرُوحِي - إِمَّا تَتْرَكُوا ذَاكَ - تَضْجَرُ
وَلَا تَحْسَبُوا مِنْ مَاتَ مَاتَ شُعُورُهُ
وَأَحْسَاسُهُ وَالْمَيْتَ لَا يَتَّصِرُ
فَمَا مَوْتُنَا إِلَّا حَيَاةٌ خَفِيَّةٌ
وَنَحْنُ بِمَا تَأْتُونَ نَدْرِي وَنَخْبِرُ
فِيَا (خَمْسَتِي) أَفَلَاذُ كَبِدِي أَنْتُمْ
وَأَنْتُمْ لِعَمْرِي خَيْرٌ مَا كُنْتُ أَنْخَرُ
فَلَا تَفْعَلُوا غَيْرَ الْجَمِيلِ فَإِنِّي
بِفَعْلِكُمُ السَّامِي أُسْرُ وَأُجَبَّرُ
كَجَدِّكُمْ (شِمْلَان) كُونُوا أَمَاجِدًا
وَسِيرَتُهُ سِيرُوا إِلَى الْمَجْدِ تُكْبَرُوا
وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا وَجْهَ وَالِدِ
لَكُمْ لَمْ يَزَلْ يُبْدِي الْحَنَانَ وَيُضْمِرُ
فَفِي صُورَتِي وَجْهِي تَمَثَّلَ بَارِزًا
فَهَا هِيَ عَنِ وَجْهِي كَمَا كَانَ تُسْفِرُ

(١) أبيات قالها عندما مرض صديقه محمد بن شمالان.

وما غاب عنكم من يُطِلُّ عليكم
من الغيبِ عنكم روحهُ المتَسَتِّرُ
ففي رَسْمِهِ الزاكي ملامحُ وجهه
تلوح لكم في كلِّ وقتٍ وتظَهَرُ

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى أولاد الشهيد علي الشمالان وهم خمسة أولاد: يوسف وأحمد وإبراهيم
وعبدالله وجاسم. وقد قالها على لسان والدهم.

رثاء عزيز^(١)

هو الدهرُ بالإنسان لا بد يَغْدِرُ
ومهما صَفَتْ منه المواردُ تَكْدُرُ
فليس امرؤُ يبقى على الدهرِ سألماً
ولو كان ذاك المرءُ كِسرَى وقيصرَ
أما كَسَرَتْ كِسرَى يدُ الدهرِ بعدما
تَصَدَّرَ صَدْرَ الدُّسْتِ ينهى ويأمر
وقيصرُ قد نالتهُ إبانَ ملكه
ولم يُجِدْهُ شيءٌ من النفعِ عسْكَر
وعادي الردى لم تَنْجُ منه بغايبها
لُيوثُ الشَّرَى هَبُّها تصولُ وتزأر
مألُ الورى للثُّرْبِ والثُّرْبُ أصلُهم
وليس مألُ الفِرْعِ للأصلِ يُنْكَر
فَخَفَّفُ رعاك الله وطأكَ في الثرى
فليس تراباً ما به تَتَخَطَّرُ
فإن لم يكن هذا الترابِ جميعه
أناساً فإن الناسَ بالثُّرْبِ أَكْثَرُ

(١) قالها في رثاء الشهيد علي بن شمالان، وأكملها الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ببيتين فيهما تاريخ الاستشهاد وهما:

وسَحَّتْ على النجْلِ الكريمِ سَحَابٌ
من العفوَ والرضوانِ تَهْمِي وتُمَطِّرُ
وَحَقَّقَ مَمَّيًّا قَدِ أتى من مـؤرِّخِ
لِعَمَلِي بجَناتِ النعميمِ مُبَشِّرُ

وأقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ نُهَيِّنَ جُودَنَا
فَنَمْشِي اخْتِيالاً فَوْقَهُمْ نَتَبَخَّرُ
فإنَّ جِزَاءَ المَرءِ مِثْلُ صَنِيعِهِ
وعمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ نَورِي فَتُنْقَبِرُ
صَبَاحَ مَسَا يَعدُو بِنَا الدَّهْرُ جَهدَهُ
لِيُلْحِقَنَا مَنَ بِالقُبُورِ تَسْتَرُوا
فليست ليالي الدَّهْرِ إِلَّا سَفَائِنًا
بِهِنٍ إِلَى دارِ الإِقامَةِ نَعْبُرُ
فما بِأَلنا نَبكي لَدَى فَقدِ بَعْضِنا
وَنَجزَعُ مَنَ هَذا المَماتِ وَنَضجِرُ
إِذا لَم يَكُن بُدٌّ مَنَ المَوتِ لَلِفتى
فأَحسَنُ شَيْءٍ أَننا نَتَصَبَّرُ
وَهيهاتَ أَنِّي بِالتَّصَبُّرِ بَعْدَما
تَوَلَّى (عَلِيٌّ) طاهِرُ الرُّدْنِ أَظْفَرُ
عِزائِي وَعَقلي وَالتَّجَلُّدُ بَعْدَهُ
مَحا هُنَّ دَمعي وَالأسى وَالتَّحايُّرُ
فَعَقلي مَحْتارٌ، وَدَمعي مَطْلُقٌ
وَقَلبِي مَنَ أَحزانِهِ يَتَفَطَّرُ
وَقَلَّ لَذاكَ الشَّهْمُ دَمعي أَدبِلُهُ
وَلو أَنَّهُ مِثْلُ اليِواقِيتِ أَحْمَرُ
فَتَيَّ لا أَرى أَنِّي أَقومُ بِحَقِّهِ
وَلو أَنني إِياهُ ما عَشْتُ أَشْكُرُ
وَلو أَنني نَظَّمْتُ فِيهِ مَراثِيًّا
كَواكِبَ هَذا الأَفقِ تَزهُو وَتُزهِرُ
فَتَيَّ كانَ أَفْقُ المَجدِ لَكنْ نَجومُهُ
شَمائِلٌ تَلهُو بِالعَقولِ وَتُبْهَرُ

فَتَى كَفُّهُ بِحَرِّ يَمْدٍ رَغَائِبًا
 فِيَا لَيْتَ ذَاكَ الْبَحْرَ مَا كَانَ يَجْزُرُ
 فَتَى كَانَ لِلْعَافِينَ فِي لَيْلِ عُسْرِهِمْ
 إِذَا مَا دَجَا بَدْرٌ يَضِيءُ وَيُسْفِرُ
 فِيَا لَيْتَ ذَاكَ الْبَدْرَ لَمْ تَنْشَ دُونَهُ
 سَحَابٌ مَوْتٍ بِالصَّائِبِ تَقْطُرُ
 (أَبَا يَوْسُفٍ)^(١) شَوْقِي إِلَيْكَ يَشْبَهُ
 وَيُسْعِرُهُ بَيْنَ الضَّلُوعِ التَّنْذِرُ
 وَهِيَهَاتَ أَنْ أَنْسَاكَ يَوْمًا وَلَمْ يَزَلْ
 يُمَثِّلُ لِي ذَاكَ الْجَنَابَ التَّفَكُّرُ
 أَيَا (يَوْسُفٍ) نَفْسِي فِدَاكَ لَوْ افْتُدِي
 مِنْ الْمَوْتِ إِنْ سَانَ يَجِلُّ وَيَكْبُرُ
 وَلَكِنْ هَذَا الْمَوْتُ شَيْءٌ مَقْدَرٌ
 وَمَا حِيلَةُ الْإِنْسَانِ فِيمَا يُقَدَّرُ
 وَمَا ذَاكَ مَوْتٌ بَلْ حَيَاةٌ نَفِيسَةٌ
 يَوَدُّ وَيَهْوَى مِثْلَهَا الْمُتَبَصِّرُ
 وَقَتَلَى سَبِيلِ اللَّهِ أَحْيَا بِلَا مِرَا
 وَذَلِكَ شَيْءٌ فِي الْكِتَابِ مُسَطَّرُ
 لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ رِزْقٌ وَفَرَحَةٌ
 وَهُمْ عِنْدَهُ فِي جَنَّةِ الْخَالِدِ خُطَّرُ
 أَبَا (يَوْسُفٍ) تَهْنِيكَ دَارٌ دَخَلْتَهَا
 وَيَهْنِيكَ فِيهَا سَلْسَبِيلٌ وَكُوْثَرُ
 تَحْفُكُ حَوْرُ الْعَيْنِ فِيهَا مَنْعَمًا
 تُسَرُّ بِهَا كُلُّ السُّرُورِ وَتُحْبَرُ

(١) أبويوسف: كنية علي بن شمالان، ويوسف هو اسم أكبر أولاده.

أبا (يوسف) تا الله أفتاً دائباً
أنظّم فيك الشعْرَ مَدْحًا وأنثُر
فإني أرى نظمَ القوافي ونثرها
بمدحك يحلو يا (علي) ويجدُر
ألسْتَ سليلَ الشُّهْمِ (شملان) مَنْ غدا
به يزدهى ربُّ المعالي ويفخر
ربيعُ اليتامى والأراملِ غيئُهم
إذا تارَ للأمحالِ في الجدبِ عئير
ألم ترَ أَنَّ الكُلَّ يذكُرُ فضلَهُ
وذو الفضلِ بينَ الناسِ بالخيرِ يُذكُر
فيا سيِّدي (شملان) صبراً فإنَّهُ
يُثابُّ الفتى بالصِّبرِ خيراً ويؤجر
وفي فضلِ حسنِ الصبرِ كمِ آيةٍ أتتْ
فتوصي الذي تلقاهُ منا وتأمُر
فلا زلتَ توصينا بما فيه نفعُنا
ولا زلتَ بدرّاً للعُفاةِ يُنورُ

كما يزهو لصقر فيك شعر^(١)

يُدِيمُ لَكَ الْهِنَاءَ فَيَسْتَمِرُّ
إِلَهِي إِنَّكَ الشَّهْمُ الْأَبْرُ
بِتَزْوِيجِ الَّذِي قَدْ كُنْتَ جَدًّا
لَهُ وَلَهُ بِذَلِكَ مِنْكَ فَخْرُ
فِيَا (شَمْلَانُ) لَا زَالَ التَّمَشِّي
إِلَيْكَ مَسْرَّةً وَعَدَاكَ شَرُّ
مَلَكَتُمْ بِالنَّوَالِ الْجَزْلِ قَلْبِي
فَجَسَمِي لَا فَوَادِي الْيَوْمِ حُرُّ
لَكُمْ مَنِّي الْفَوَادُ الْيَوْمَ (عَبْدُ)
وَحَدَمْتُهُ لَكُمْ حَمْدٌ وَشُكْرُ
يَصَوِّغُ لَكُمْ قَوَافٍ بَاهِرَاتٍ
فَتُحْسَبُ أَنَهَا فِي الطُّرْسِ دُرُّ
أَضْمَنْهَا مَعَانٍ رَائِعَاتٍ
عَلَى الْأَيَّامِ تَخْلُدُ وَهِيَ غُرُّ
فَلَا بَرِحَتْ بِكَ الْأَيَّامُ تَزْهَوُ
كَمَا يَزْهَوُ (لِصْقَرٍ) فِيكَ شِعْرُ
لِشَرْقِيٍّ الْكُوَيْتِ إِذَا نَزَحْتُمْ
مُحَايَا مُدْلِهِمْ مَكْفَهْرُ

(١) تهنئة أرسلها الشاعر للمرحوم شملان بمناسبة زواج أحد أحفاده.

فإِنَّكَ فِيهِ يَا (شَمْلَانُ) شَمْسُ
وَإِنَّكَ فِيهِ يَا (شَمْلَانُ) بَدْرُ
وَإِنَّكَ فِيهِ لِأَفْقَرَاءِ غَيْثُ
مُحَوَّلُهُمْ بِهِ عَنْهُمْ تَفِيرُ
فَكَمْ نَفْسٌ كَرَبَةٌ مِنْ تَوَالِي
عَلَيْهِ مِنْ جِيُوشِ الْعُسْرِ كَرُ
وَكَمْ يَوْمٌ جَبَّرَتْ أَخَا انْكَسَارِ
فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْكُسْرِ جَبْرُ
فَكَانَ جِزَاؤُكُمْ مِنْهُ ثَنَاءُ
وَعِنْدَ اللَّهِ يَا (شَمْلَانُ) أَجْرُ

فمن لي كالقصيبي المرجى^(١)

أبا عوفٍ لقاؤك خيرٌ ما قد
تَمُرُّ به على مثلي الدهورُ
ففي لقياك لي درسٌ مفيدٌ
وفي لقياك لي نفعٌ كبير
أحبُّ علا أبي عوفٍ فـوادي
فأنعَشه وكان به فتور
وحبُّ الحرِّ أحسنُ كلِّ شيءٍ
عليه ينطوي مني الضمير
بِمَقْدَمِهِ (الكويت) قد استنارت
وربُّ المجد مَقْدَمُهُ يُنير
فليت مقامه فينا سنيناً
يَمْتَعُنَا فما تكفي الشهور
فمن لي ك(القُصَيَّبِيِّ) المُرْجَى
به ينجاب عتي ما يُضير
عجبتُ لعبدِ رحمنِ البرايا
وتُعجبُ من غرابتها الأمور
تَعَنَى لاشتراءِ الدرِّ مِنَّا
وفي فمه لجوهرنا نظير

(١) عبد الرحمن القصيبي أحد تجار اللؤلؤ البارزين وقد زار الكويت في سنة ١٩٢٤، حيث حل ضيفاً على الحاج شمالان بن علي، وفي ديوانية هذا الأخير قدم الشاعر قصيدته للضيف.

أَمَا يَكْفِيكَ أَنْ السُّدْرَ قَوْلُ
تَفْوَهُ بِهِ فَتَلْقُطُهُ الحُضُورُ
وَقَوْلُكَ لَوْ تَجَسَّمَ مَا أَرَادَتْ
عَقُودًا غَيْرَ لَوْلَوْهُ البِحُورُ
سَمَّتْ لَكَ يَا أَبَا عَوْفٍ خِلَالُ
فَهَامَ بِحُسْنِهَا حَتَّى الغَرِيرُ
وَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا السُّيُومَ أَضْحَى
يُنَازِعُ حَبَّهَا الأَعْمَى البَصِيرُ
فَطِيبُ خِلَالِ ذِي العَلِيَاءِ أَمْرُ
لَهُ تَهْفُو بِأَجْمَعِهَا الصُّدُورُ

مداعبة

هذه مداعبة تمت بين الشاعر صقر الشبيب والشيخ يوسف بن عيسى القناعي
يقول صقر موجهاً أبياته إلى الشيخ:

إليك (ابن عيسى) الشهم (يوسف) أشتكي
شقيقك (سلطاناً) فهل أنت زاجرُه؟
يُريقُ على مَسْكوكِنَا حولَ بيتهِ
من الماءِ ما الأعمى شبيهي يُحاذِرُه
ولكن حِذارُ العُمى ليس يُفيدهمُ
على الدربِ إن أضحت كثيراً مَخاطرُه
ولو لم يُريقُ إلا صريحَ مياهُه
لكنَّا وإن أذى وشقَّ نصابِرُه
ولكنه قد أتبعَ الماءَ بالذي
به اتَّسختُ أثوابُ من هو عابِرُه
ولو لم أخفُ تقذيرَ شعري بوصفه
ذكرتُ بشعري منه ما أنا ذاكرُه
عفا الله عنه أين كان حنؤه
على كلِّ من تغلوا عليه ماأزرُه
أخاف عليه من دعاءِ ذوي العَمى
إذا وقَعوا يوماً بما هو ناثِرُه
أما يَزَعُ الحُرَّ الكَرِيمَ من الأذى
- إذا لم تَزَعُهُ المالكونَ - ضمائرُه

وقد ردَّ عليه الشيخ يوسف بقوله:

سمعتُ لك الشكوى وكلُّ شكَايةٍ
تكون على حَقٍّ يُؤَيِّدُ ناصِرُهُ
ولا خَيْرَ في من لا يساعِدُ مسلماً
لِدفْعِ أذىٍ أو ظالمٍ هو قاهرُهُ
وتَبَّأ لمن لا يرحمُ الناسَ بالورى
ولا سيِّما الأعمى الذي قلَّ ذاكِرُهُ
فيا (صقر) ذي شكواك سهلُ زوالها
فهل من فتى أشكوله وأخابره
تُصدِّعُنِي في كلِّ يومٍ مظلماً
تُخالفُ ديناً عادلاً وتُكابِرُهُ
وقومٍ إذا ما قلتُ حَقًّا تَقُولُوا
عليَّ بزورٍ كالسيوفِ بواتِرُهُ
وإن قلتُ قوموا أيِّدوا الحَقَّ حَقُّوا
وإن غبتُ قالوا أحمقُ لا نوأزرُهُ
قد اتَّخذوا هذا النفاقَ شعارَهُم
وليس لهم من طيبِ الذِّكْرِ عاطِرُهُ
يقيني بأن الله ليس بغافلٍ
وما ظالمٌ إلا سيُقطعُ دابرُهُ

هذا الجفاء^(١)

بي من جفائك ما لو كان بالحجر
لفاه فوه بشكواه من الضجر
وكان لي ملجأ صدري إذا دهمت
نفسي حوادث هذا الدهر بالغير
لكن قواعد صبري هدها فهوت
منك الجفاء فما للصبر من أثر
وبعدما انهد صبري من جفائك
أصبحت أخشى الجفا منكم على عمري
ولم أزل يا ابن (شملان) وحقكم
مما يثير تجافيكم على حذر
فكيف داهمني الصد المخوف ولم
أعلم بموجبه منكم على غرر
فما رأته موجبات الصد جاهدة
في البحث عنهن مذ قاطعتني فكري
لكن أظن ويعض الظن يصدقني
أن العداة الألى أخشى من البشر
أثار غيظهم منا تنازعنا
من المودة أصفاهها من الكدر
فأنشأوا يقبلون القول إن سمعوا
أو لا فيأتون محض الكذب في الخبر

(١) قالها مستعطفاً صديقه محمد بن شملان، وراداً على الافتراء الذي نقل إليه عن الشاعر.

وأنت تعرف ما يأتون من كذبٍ
عني لإيقاعهم إياي بالضرر
فكيف صدقتهم يا ابن الألى ارتفعت
أقدارهم بيننا من صادق النظر
إن بلأغتك أعاديننا مزخرفة
من الأقاويل من كذبٍ ومن أشر
فأسأل ضميرك عن قول أتوك به
إن الضمائر تجلو كل مستتر
واسأله عن كاشحي ذاك الذي انطمست
منه البصيرة فوق الطمس للبصر
يُخبرك أن الفتى هاذك أكذب من
يمشي على الأرض من بدو ومن حضر
وسأله عني وعن صافي مودتكم
عندي لتبصيرها من أجمل الصور
وبعد ذا كله فالرأي مرجعه
إلى حجاج الموفى الحظ في الكبر
فإن تجدني محبباً مخلصاً لكم
فاعطف عليّ وخلاصني من الخطر
فصدك الممر أدى بي إلى خطر
قد التقى منه في الظفر بالظفر
واخلع عليّ الرضا السامي فخلعته
فيها وحقك بين الناس مفتخري
أدرك (محمد) محروفاً بجفوتكم
بباردٍ من رضاك العذب منتظر

فليس يطفئُ ما في القلبِ من لَهَبٍ
 سوى نميرِ رضاك المشتهى الخَصِرِ^(١)
 ولا تُطلُ يا (ابنَ شمالان) الجَفَاءَ على
 قلبِ امرئٍ من جفاك المُرِّ منكسِرِ
 إن ترضَ عني فكسُرُ القلبِ منجبرٌ
 أو لا فكسُرُ فؤادي غيرُ منجبرِ
 عاقبُ بما شئتَه غيرَ الصدودِ ولو
 رميتَ بي من ذرى رَضوى على إِبْرِ^(٢)
 ففي سوى الصَّدِّ حسنُ الصبرِ يُسعدُنِي
 حتى ولو أنني أُلقيتُ في سَقَرِ
 أما صدودُك يا ابنَ الاكرمين فقد
 ولَّى إلى حيثُ لا أدري بمصطَبِري
 فأين عفوُكم عن ذنبِ وامقِكم
 ولم يكن جاء ذنبًا غيرَ مغتَفَرِ
 إني عهدتُ من الغفرانِ عندكم
 ما لستُ أحسبُه عَدًّا بمنحَصِرِ
 أني أعودُ بما أوتيتُ من فِطْنِ
 ألا تُقيل امرءًا إن يَهْدِي يَعْتَذِرِ
 لا يا (محمد) ما أصبحتُ مقترفًا
 ذنبًا ولو لم يَبْنِ للعين من صِغَرِ
 لكنَّ سَيِّئَ بَخْتِي اليومَ أبرزني
 لديك في ثوبِ ذنبِ غيرِ ذي قِصَرِ^(٣)

(١) النمير: الصافي العذب والخصر البارد.

(٢) رضى: اسم جبل قرب مدينة ينبع.

(٣) بختي: حظي.

وسوءُ حظِ الفتى للناسِ يعكسُ ما
يقولُ من حُكمٍ مسعاهُ إلى هَدَرٍ
تلقاهُ عن قُوتهِ الأقدارُ تُبعدهُ
لنحسِ طالعهُ إبعادَ مقتَدِرٍ
يبيتُ منطويَ الأحشاءِ مَخْمَصَةً
وقد حشأ مسمعي دنياهُ بالغُررِ
تَعَزُّهُ لقمَةٌ في فيه يمضغُها
وجُرعةٌ عذبةٌ تخلو من العَكْرِ (١)
لم تقتنع منه دنياهُ بمنطقه
ومنه أحشاؤها فاضت من العِبْرِ
حتى أقامته بالتضييق معتبراً
يُحَيِّرُ الأمرُ منه كلَّ مُعْتَبِرٍ
أمَّا وسوءُ نصيبي اليوم ألبَسَنِي
ثوباً من الذنبِ حاكته يدُ القَدَرِ
فإنني أرتجي عفواً ومغفرةً
وحسنُ عفوك لم يترك ولم يَذَرِ
متى يضيءُ صباحُ الوصلِ منك فتى
في ليلِ حزنٍ من الإيعادِ معتكِرِ
متى انتظامُ مسرّاتي فما تركتُ
نواكٍ منهنَّ عقداً غيرَ مُنتَثِرِ
متى عَلَيَّ غمامُ الوصلِ هاميةً
فإنَّ قلبي إليها جِدُّ مفتقرِ
فما سوى ممطرِ الإدناء يطفئ ما
أذكته فيه يدُ الإقصاءِ من سُعرِ

(١) تعزّه: تصعب عليه.

أشبهتُ تسميةً ليثَ الطيور وقد
أحكىه في سعيه بُعداً عن الخور
لكنْ أكْفُ القضا أودتْ بأجنحتي
ودونهنَّ صقورُ الطيرِ لم تطر
وأنتَ أنتَ الذي أفياءُ نعمتهِ
عليَّ لم تنتقل عني وتنحسر
فما لشمس جفاك اليومَ قد لعبتْ
فوقي بظلِّ نعيمٍ منك منتشر
لمِ يا (محمدُ) لم تزجرُ محبِّكمُ
عن الخطاءِ وإن تزجره ينزجر
ألم أقل لك فيما مرَّ من كلامي
إن تترك العتْبَ زاكي الودِّ يندثر
فهل رضيتَ - وحاشاك - اندثارَ هوى
كالماءِ بين السما والأرض في الطُّهر
يا مَنْ ودادي إليه غيرُ متَّبِدٍ
في سَيْرِهِ مُذْ رَأَهُ فاضلَ السَّيْرِ
مفصلاتٍ بشكرٍ من غيومِ ندَى
منكم إذا استمطرتْها الناسُ تنهمر
فاحرص على ما يضمُّ القلبُ من (درر)
تبقى أنيساتها إلا بمنفطر
وليس يَفْطُرُ قلبي غيرُ صدِّكمُ
وقد أطالته كفُّ الدهرِ فاخصر

صقركان صقرا^(١)

أَتَخْشَى أَنْ يُذِيعَ الشَّعْرُ يَوْمًا
- إِذَا مَا جِئْتُكَ - الْهَفْوَاتِ جَهْرًا
إِنْ فَتَخَلَّ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ
وإِلَّا قَلْتُ فِيكَ الشَّعْرَ حُرًّا
وَتَنْدَمُ حَيْثُ لَا نَدَمٌ مَفِيدٌ
وَتَعْلَمُ أَنَّ صَقْرًا كَانَ صَقْرًا
وَأَنْ مَخَالِبِي كَانَتْ حِدَادًا
وَأَنِّي مِنْكَ بِالصَّدْمَاتِ أُدْرِي
فَإِنْ يَحْلَوْلِ طَعْمِي لِلْمُوَالِي
فَطَعْمِي لِلْمُعَادِي كَانَ مُرًّا
أَلْبِينُ لِمَنْ يُلَايِنُنِي وَأَعْدُو
كَأَصْلَابِ نَبْعَةٍ إِنْ رُمْتَ كَسْرًا
لَقَدْ أَسْمَعْتَنِي قَوْلًا غَلِيظًا
وَمَا أَسْأَلُكَ قَطُّ إِلَيْكَ شَرًّا
وَلَيْسَ جِزَاءُ شَرِّكَ غَيْرُ شَرٍّ
كَمَا يَأْتِي جِزَاءُ الْخَيْرِ خَيْرًا
أَتَأْبَى غَيْرَ ذُلِّي أَوْ سَكْوَتِي
وَتُبْدِي أَنْتَ عَجْرَفَةً وَكِبْرًا
وَإِنِّي صَنَنْتُ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسٌ
تَعْدُ خُضُوعَهَا لِلنَّاسِ كُفْرًا

(١) قصيدة في هجاء شخص غير معلوم لدينا.

رأيتَ تواضعي فظننتَ أني
لحمقك لم أكن أعلموك قَدرا
أهنتَ بشخصي الآدابَ طوعاً
لأحقار أضاعت منك صدرا
فلا تعجب إذا ما قمتُ ذباً
وذوداً عن كرامتها ونصرا
ولستُ بذائدٍ عنهنَّ وحدي
إذا ما عدتُ تلحقهنَّ ضراً
ولكن في الكويت رجالٌ صدق
أبوا أن تشكوا الآدابُ جوراً

إلى النادي الأدبي^(١)

لكم مني ألي الإصلاح شُكْرُ
فإن الشُّكْرَ فرضٌ في مثالي
وجهدُ المملِقين من البرايا
تَشَكُّرُهُمْ لَطْلَابِ المَعَالِي
وأهوى أن أعاونكم فيأبى
قيامي بالمعونة نَزْرُ مالي
أقمتم (نادياً) فخببتُ بصدري
مراراتي وزارَ الصَّفوفُ بالي
لعلمي أن في أمثالِ هذا
حياةُ السفاضلاتِ من الخلال
ليَسْلَمَ من يَجُودُ اليومَ منكم
لإيجادِ النوادي بالنُّوال
وما إنفاقكم يا قومُ فيما
يؤولُ بكم إلى خيرِ المالِ
سوى سُبُلٍ بها قد سارَ قَدَمًا
ألوا الأبوابِ من صيدِ الأوالي
فسيروا راشدين مسيرَ قومٍ
يُجَدِّدُ ذِكْرَهُمْ مَرُّ الليالي
لقد بادتْ عظامُهُم وأمَّا
محامدُهُم فليست بالَبوالي

(١) قالها الشاعر بمناسبة افتتاح النادي الأدبي في سنة ١٩٢٣.

ومن أحياءُ حُسْنُ الذِّكْرِ أَمْسَتْ
مَسَاعِيهِ وَأَضَحَتْ فِي تَوَالٍ
وَحُسْنُ الذِّكْرِ لِلْعُقَلَاءِ كَنْزٌ
يَرُدُّ الدَّهْرَ عَنْهُ يَدَ الزَّوَالِ
يُوَوِّلُ إِلَى الزَّوَالِ سِوَاهُ مِمَّا
تَهَيَّمُ بِهِ الْعَيُونَ مِنَ الْجَمَالِ
فَمَرَحَى لِلَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ
بِعِزْمٍ حَادَّةٍ حَادُ النَّصَالِ
لِعَمْرُكُمْ شَبَابَ الْقَوْمِ إِنِّي
لِمَسْرُورٌ بِهَذَا الْإِحْتِفَالِ
فَهَذَا الْإِحْتِفَالُ أَرَاهُ بَابًا
إِلَى مَجْدٍ يُوَدِّي الْقَوْمَ عَالِ
أَكَادُ أَطِيرُ مِنْ فَرَحِي بِمَا قَدْ
أَتَيْتُمْ يَا بَنِي وَطَنِي الْأَعَالِي
فَقَدْ جِئْتُمْ شَبَابَ الْقَوْمِ أَمْرًا
بِهِ تَنْجُو الشُّعُوبُ مِنَ الضَّلَالِ
لِتَحْيُوا يَا بَنِي وَطَنِي فَمِنْكُمْ
يَيْتَمٌ بِأُفُقِ أَمْوَالِي هِلَالِي
بَدَا فِيهِ صَغِيرًا غَيْرَ أَنِّي
وَثِقْتُ بِأَنْ أَرَاهُ بَاكِتِمَالِ
وَلَكِنْ ذَاكَ لِي إِنْ لَمْ تَكُفُّوا
عَنِ الْمَسْعَى (لِعَاقِبَةِ) الْكَلَالِ
فَسَيِّرُوا لِلْأَمَامِ وَلَا تُبَالُوا
وَلَوْ دُسَّتُمْ عَلَى شَوْكِ السَّيَالِ
فَعُشَّاقُ الْأَمَامِ كَمَا عَلِمْتُمْ
تَخْوِضُ لَهُ الْخَطُوبَ وَلَا تُبَالِي

أرى أوطانَ كلِّ ألي نهوضٍ
تَصِحُّ وما سِواها في اعتلال
فلا تدعوا النهوضَ الدهرَ تسلمُ
بلادكم من السداء العُضال
شبابَ القوم مبدؤكم أراه
سيوغلُ في السمو وفي الجلال
وذلك إن يكن منكم عليه
ثباتُ الراسيات من الجبال
وظنني فيكم حسنُ أستم
سُلالمة أثبتت الأمم الخوالي
بلى أنتم بنو من لم تُزعزع
ثباتهم مخيفات النزال

دليل المحتار^(١)

دليلك للمُحتار خير دليل
وأحسن ما يهدي بكل سبيل
بأنوار إرشاد حواها سيهتدي
جميع فتى يغشى البحار نبيل
فشكرُك يا (عيسى القطامي) واجب
على كل ذي عقلٍ رآه جليل
ولم لا وقد سهلت فيه مطالباً
تبُّلُّ من المحتار كل غليل
وأوضحت للرببان منّا سبيلاً
بالطف أبواب به وفصول
سيجزيك أرباب العقول إذا رنوا
إليه بشكر لا يببىد جزيل
وعند لقاء الله يُرضيك جازياً
وربّي بما يرضيك خير كفيل
فليس يُضيعُ الله من أجرٍ مُحسِنٍ
شبيهِك يا (عيسى) أقلّ قليل
ومن نال سُكران الألباء محسناً
ونال لدى مولاه كل جميل

(١) وهذه القصيدة قالها الشاعر بعد صدور كتاب عيسى القطامي «دليل المحتار في علم البحار» الذي صدر في سنة ١٩٢٣، وأعيد طبعه مراراً.

فذاك جديرٌ أن يَجُرَّ ذِوْلُهُ
على كلِّ سامٍ في الفَخَّارِ طَوِيلِ
وما أَوْلُّ الإِحْسَانِ مِنْكَ دَلِيلُ مَنْ
عَراهُ لَهْوُلِ البَحْرِ كُلُّ نُهْوُلِ
ولكن أياديكَ اللواتي بياضُها
يضيءُ لِعَيْنِي مَبْغُضِ وَخَلِيلِ
إذا شئتُ أُحْصِيها بِقِيْلِي فَإِنَّه
يَبِيدُ ولم يَبْلُغِ مُرَادِي قِيْلِي
فكن عاذِرِي يا خَيْرَ مَنْ قَدْ تَرَكَنَهُ
فَضائِلُهُ فِينا بِغَيْرِ مَثِيلِ
ومثلكَ مَنْ يَلْقَى اعْتِذارَ مُقَصِّرٍ
شَبِيهِ يَيا (عيسى) بِكُلِّ قَبُولِ

معاذير^(١)

(أبا قاسم) والحُرُّ يعفو إذا جَنَى
عليه أمرٌ ثم انثنى يتَنَصَّلُ
وأنت لعمري خيرُ حُرٍّ صَحِبْتُهُ
وهذي معاذيري فهل أنت تقبل؟
أتاني بأسبابِ الصدودِ (ابنُ أحمد)
وبينَ لي ما كنتُ منهنَّ أجهل^(٢)
فأقسمتُ لا عاودتُ منهنَّ واحداً
وكننتُ إذ أقسمتُ لا أتأولُ
ولست أريدُ اليوم منك سوى الرضا
فإن الرضا عندي أجلُّ وأفضلُ

(١) هذه أبيات يسترضي بها الشاعر المرحوم محمد بن شمالان بعد عتاب.
(٢) ابن أحمد هو المرحوم راشد بن أحمد الرومي صديق الطرفين.

خليل في منام^(١)

أُنْسَاكَ يَا رَبَّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
إِذَا لَا حَوَانِي لِلْفَضِيلَةِ مَنزِلُ
أُنْسَاكَ يَا أُنْدَى الْبَرِيَّةِ رَاحَةً
إِذَا لَا حَلَا لِي فِي الْبَرِيَّةِ مَنهَلُ
وَلَا طَابَ لِي عَيْشٌ إِذَا أَنَا لَمْ أُنْحُ
عَلَيْكَ بِأَشْعَارٍ تَرِقُّ وَتَجْزُلُ
أَلَسْتَ (عَلِيًّا نَجَلْ شَمْلَانَ) مَنْ بِهِ
وَجْوهُ الْمَعَالِي وَالْعُلَا تَتَهَلَّلُ
أَلَسْتَ ابْنَ (شَمْلَانَ) الَّذِي بِخِلَالِهِ
يُفَاخِرُ شَرْقِيٌّ (الْكُوَيْتِ) وَيَجْمَلُ
فَإِنْ كُنْتَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ مَنَعَمًا
عَلَى كُلِّ مَا تَهَوَّاهُ فِيهِنَّ تَحْصُلُ
فَبَيْنَ ضَلُوعِي مِنْ نَوَاكٍ جَهَنَّمُ
وَذِكْرُكَ يُذَكِّيهَا دَوَامًا وَيُشْعِلُ
فَمَا مَنبَتُ الرُّوضِ الْأَنْيَقِ مِنَ الرُّبَا
عَلَيْهِ أَتَى مُزْنٌ يَسُحُّ وَيَهْطُلُ
فَأَصْبَحَ فِيهِ النَّبْتُ يُثْنِي بِأَلْسُنِ
تُصَاغُ مِنَ الزَّهْرِ الْبَهِيِّ وَتُعْمَلُ

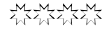
(١) رأى صقر الشبيب في المنام صديقه الشهيد علي بن شملان بعد استشهاده، وكان يقول له: أنسيتني يا

بأحسنَ من حمدي وشكري على الندى
وكفُّك أندي كلُّ كفٍّ وأسبَل
ولكن أكفُّ الحُزنِ والعسرِ أصبحت
تصدُّ قوافي الشعرِ عني وتعضلُ
فإن ينكشف عني دجى الهم والأسى
ويصبحُ إيساري بيسرٍ يُبدلُ
أتيتُ بما عنه يُقصرُ راثياً
(حبيبُ بن أوس) و(الوليدُ) و(جرول)^(١)

(١) حبيب بن أوس هو أبو تمام، والوليد هو البحتري، وجرول هو الحطيئة، وهم من خيرة الشعراء.

آية الإخلاص^(١)

أَمَلِي فِي الْعَيْشِ قَدْ كَانَ قَلِيلُ
فَشَفَاهُ نَجْلُ (شَمْلَانِ) النَّبِيلِ
ذُو الْحِجَا أَعْنِي (أَبَا الْقَاسِمِ) مَنْ
قَلْتُ فِيهِ صَادِقًا نَعَمِ الْخَلِيلِ
اسْمُهُ وَفَقَّ مَسْمَاهُ أَتَى
وَتَوَافِي ذَيْنِ فِي النَّاسِ قَلِيلِ
أَنَا لَوْ قَلْتُ بِصَحْبِي لَمْ أَجِدْ
لَهُ فِي أَخْلَاقِهِ الزُّهُرِ مَثِيلِ
لَمْ أَخْفُ تَكْذِيبَ مَا قَلْتُ وَمَنْ
سَعِيهِ الْمَشْكُورِ لِي أَلْفُ دَلِيلِ
وَجَمَالُ السَّعْيِ لَا يُنْتَجُهُ
غَيْرُ حُسْنِ الْخُلُقِ السَّامِيِّ الْجَلِيلِ



بِزَوْاجِ (ابْنِ عَلِيٍّ يُوْسُفِ)
لَكَ رَبِّي بِالْهَنَا خَيْرٌ كَفِيلِ
زَادَكَ اللَّهُ سُرُورًا وَهَنَا
وَالْتَقَاكَ الْأَنْسُ فِي كُلِّ سَبِيلِ
أَنَا مَسْرُورٌ كَثِيرًا بِالَّذِي
سُرَّ مِنْهُ مَجْدُكَ الْعَالِي الْأَتِيلِ

(١) تهنئة بزواج يوسف بن علي بن شملان.

وسروري أن أرى مجدك في
نعمة تنمو وفي خير جزيل
فابق في ظلّ نعيم وارف
تحت ظلّ من مزاياك ظليل

وقتك عناية الله^(١)

وَقَتُّكَ عَنَّا يَهُ الْمَلِكِ السَّلَامِ
(محمد) مَا اشْتَكَيْتَ مِنَ السَّقَامِ
وَجَازَكَ كُلُّ سُقْمٍ مِنْهُ نَخَشِي
عَلَيْكَ إِلَى عِدَاكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ
فَمَا إِلَّا نَجَاتُكَ لِمَعَالِي
نَجَاةً يَا (ابنَ شَمْلَانَ) الْهُمَامِ
وَمَا إِلَّا بِصِحَّتِكَ الْمَزَايَا
لَهَا مَنُجَى مِنَ النَّوْبِ الْجِسَامِ
فَان تَسَلَّمَ مِنَ الْأَسْقَامِ تَظْفَرُ
يَمِينُ أَثِيلِ مَجْدِكَ بِالْمَرَامِ
وَتَبْتَسِمُ الْعُلَا فَرَحًا وَيُبَدَلُ
قُطُوبٌ وَجُوهِ نَاسٍ يَابِتَسَامِ
فَمَذْ حُبُّرْتُ سُقْمَكَ وَجَهْ أَنْسِي
غَدَا لِي بِالتَّجَهُمِ ذَا التَّنَائِمِ
فِدَى لَكَ يَا (ابنَ شَمْلَانَ) ضَرِيرُ
تَغْلَغَلَ مِنْهُ حُبُّكَ فِي الْعِظَامِ
أَحْبَبُكَ لَا لِأَنَّكَ ذُو تَأْرَاءِ
وَمَثَلِي لَا يُحِبُّ عَلَى الْحُطَامِ

(١) قصيدة أخرى قالها عندما مرض صديقه محمد بن شملان.

ولكن للسَّجَايَا اللَّاءُ تَصِيبُو
إِلَيْهَا أَنْفُسُ الْقَوْمِ الْكِرَامِ
فَلَا زَارْتِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حُمَّى
وَلَا أَبَقَّتْ عِدَاكَ يَدُ الْحِمَامِ

وشملان لي منه أياد^(١)

يقولون لي يا (صقر) مالك نادم
كأنك طفل قد دهاه فِطام
تجنبت ما قد كان مني من الخطا
وبين ضلوعي للهوم ضيرام
أسأت إلى (شملان) بالقول غرة
و(شملان) لي منه أيادي عظام
وإني لأرجو فيه غفران زلتي
وقد تغفر الذنب الكبير كرام
فهل لك في غفران ذنبي سيدي
لينجاب عني من أساي ظلام
ولا ريب من يعفو ويصلح أجره
على ربه يوم الجزاء يُقام
ولو كان مني الذنب مع غير والدي
لهان، ولكن معه فهو جسام
ونصحك مثل الشمس لكن جهالتي
غمام وقد يخفي الشمس غمام

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم شملان بن علي يعتذر عن هفوة لسانية صدرت منه في مجلس شملان.

حال محزن

سَهَرْتُ أَرَاعِي النُّجْمَ وَالنَّاسَ نَوْمٌ
وَبِتُّ أَعَانِي الِهْمَ وَالْهَمُّ مَوْلِمٌ
وَمَا هَمَّنِي شَوْقٌ وَمَا بِي صَبَابَةٌ
وَمَا كُنْتُ ذَا وَجِدٍ وَمَا أَنَا مُغْرَمٌ
وَكَيْفَ وَذَاتُ الدَّلِّ وَالْحَسَنِ غَادَةٌ
تَغَاذِلُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُنَادِمُ
فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ عِنْدَ جَمَالِهَا
فَلَا يَنْتَنِي عَنْهَا وَلَا يَتَقَدَّمُ
وَقَدْ رَاعَهَا مَا بِي مِنَ الِهْمِ فَاثْنَتُ
إِلَيَّ تَجْرُ الدَّيْلَ وَاللَّيْلُ مَظْلِمٌ
فَصَارَتْ تُوَاسِينِي وَتَمْسَحُ مَفْرَقِي
كَأَنِّي طِفْلٌ بِالدَّلَالِ يُنْعَمُ
تَقُولُ وَقَدْ مَالَتْ إِلَيَّ مِنَ الْأَسَى
حَنَانِيكَ مَا هَذَا الَّذِي تَتَأَلَّمُ
فَقُلْتُ دَعِينِي إِنْ فِي الْقَلْبِ لَوْعَةٌ
وَإِنَّ مُصَابِي فَوْقَ مَا أَتَوَّهُمُ
أَوْلَيْكَ قَوْمِي خَيْمَ الْجَهْلِ فَوْقَهُمْ
وَأَيُّ مُصَابٍ بَعْدَهُ أَتَعَاظُمُ
أَوْلَيْكَ قَوْمِي فَرَّقَ الْجَهْلُ شِمْلَهُمْ
وَمَا فِيهِمْ فَرْدٌ يُحْسِبُ وَيَأْلَمُ

وما فيهم إلا الكلام مُرددٌ
وما منهم شهمٌ يقولُ ويُقدمِ
فهمٌ بعدَ ما كانوا ذواتًا أعزَّةً
واسمًاؤهم بين الأنام تُعظَّمُ
هوى فيهمُ دَرَكُ الشقاءِ فحطَّهمُ
وأعقَبَهمُ ذُلًّا وعيبًا يُلازمُ
أرى كلما سارتُ إلى المجدِ أمةً
يكونُ سراةُ القومِ فيها القوادِمِ
فهل يا تُرى قومي إلى أين قصدنا
إلى المجدِ يومًا أم إلى الخِزي نَقُدُمُ
هوى معهدٌ للخيرِ وانهدَّ ركنُهُ
فخابت أمانينا وما نتوسمُ
وها معهدٌ للعلمِ بات خرائبًا
فيا ويلنا إن الشقاءِ يلازمُ
بنوه وشادوه بفضلِ ذوي العطا
وسعي كرامٍ للفضيلةِ سُلَّمِ
فصار من الإهمالِ بالجهلِ عامرًا
وأنتى يدومُ الفضلُ والجهلُ هادِمِ
فيا أيها النُومُ باللهِ يقظَةٌ
أما فيكمُ حُرٌّ يُفِيقُ ويندَمُ
أيجملُ أن نبقى على الجهلِ والأذى
وبين يدينا من سَنا الفوزِ صارمِ
كتابٌ من الرحمنِ حاز فضائلًا
وعَمَّ البرايا نورُهُ فتقدّموا
فما بالنا يا قومُ والنورُ بيننا
نخوضُ ظلامًا والأذى متراكمِ

أَعْمُّ عَلَيْنَا أَمْ بِصَائِرُنَا عَمَتْ
أَمْ الْعَقْلَ مِنَّا أَذْهَبَتْهُ الْمَاتِمِ
فَمَا هَذِهِ حَالٌ تُكَوِّنُ لِأُمَّةٍ
يَكُونُ لَهَا هَذَا الْكِتَابُ الْمَعْظَمُ
فَدُونَكُمْ يَا قَوْمٌ حَالًا حَزِينَةً
إِلَى الْحُرِّ مِنْكُمْ نَشْتَكِي نَتَظَلَّمُ
إِلَى كُلِّ ذِي فَضْلٍ إِلَى كُلِّ ذِي نُهْيٍ
إِلَى كُلِّ ذِي سَعْيٍ مَجْدٍ وَحَازِمِ

البرد والشاعر^(١)

أما والله لولا البردُ بيني
يحولُ وبين تنظيمي الكلاما
لجئتُك يا (ابن شمالان) بنظمٍ
يُريك بأحرفِ السطرِ ابتساما
ولكن جورُ حكمِ الطقسِ وافى
ببردٍ لا أطيعُ له لِماما
ظاللتُ بزمهريرٍ منه أشكو
كما يشكو المحبُّون الغراما
فلو أضحى بصدرِ الطقسِ قلبُ
ولو حاكت صلابتُهُ الرُّخاما
لأوجدتِ الشُّكَاةُ به انعطافًا
على من عنه لم يجدِ انهزاما

(١) وجه هذه القصيدة إلى المرحوم محمد بن شمالان وقد سقطت الأبيات الستة الأولى من الديوان الذي طبعه الأستاذ أحمد بشر الرومي، هذا والمنبت من مجموعة الأستاذ سيف الشمالان.

فيا ابن شمالان كم أتحتفتني كرمًا

أني أعود ببُردٍ منك يدفيني
من سَوْرَةٍ عَظُمْتَ فِي البَرْدِ تَوْدِينِي
فإن تُعِدَّنِي بِبُردٍ مِنْكَ يَدْفَعُ مَا
أَمَسَى مِنَ البَرْدِ مَرهُوبًا يُعَنِّي
فيا (ابنَ شَمَلان) كم أتحتفتني كرمًا
قَدَمًا بِبُردٍ لَطِيفِ الصُّنْعِ يُرْضِينِي

ديوان شمالان^(١)

محلُّ الشَّهْمِ شَمْلانَ المَفْدَى
به لَدَوِي المَفَاخِرِ أَيُّ حُظْوَه
به كَانُونُهُ يُدْفِي فَيَكْفِي
فَتَّى لَمْ يَلِقْ فِي مَشْتَاهُ فَرُوَه
يُوجِّجُ نَارَهُ فَيَهْ إِلَى أَنْ
يُغَادِرَ فِي حَسَامِ القُرِّ نَبُوَه
وَحَوْلَ النِّارِ قَدْ صُفَّتْ دِلَالُ
بِهَنْ لَشَارِبِيهَا خَيْرُ قَهْوَه
وَهَلْ كَالنِّارِ فِي المَشْتَى إِذَا مَا
بِهَا صُفَّتْ دِلَالُ البُنِّ شَهْوَه
بِشَرْقِيِّ الكَوَيْتِ اليَوْمَ أَمْسَى
لَشَمْلانِ مِنَ العَلِيَاءِ نَدُوَه
حَذَا بِالمَجْدِ حَذُوَ أَبِيهِ قَدَمًا
وَخَيْرُ بَنِيهِ يَحْذُو اليَوْمَ حَذُوَه
فَلَا انْقَطَعَتْ لَشَمْلانِ حَيَاةُ
وَلَا انْتَقَضَتْ بِهِ لِالعَمْرِ عُرُوَه

.....

وَمَا شُكْرانُ أَهْلِ المَالِ دَأْبِي
وَلَكِنْ شُكْرُ نَبِيِّ كَرَمٍ وَنَخْوَه

(١) هذه الأبيات في وصف ديوان الحاج شمالان بن علي.

إِذَا لَمْ يَرَفُودِ الْبُؤْسَاءِ مُنْزِرٍ
فَلَا أَبْقَى لِسِيهِ السُّلَّةُ تَرْوَهُ
فَإِيقَاءُ النَّرَاءِ لِدَى الْأَشِحَّا
بِأَفْنَدَةِ الْكَارِمِ شَرُّ جُدُوهُ

واشينا كذوب(*)

هل أتى زينبَ ما بي قد نزلُ
لِنَواها من سَقامٍ وعِلالُ
ما بأدناها لجسمي من قبلُ
واقفات بي على سُبُلِ الأجلِ
فحِمامي عاثرُ بي عن قريبُ
خبُّروا زينبَ أفدي زينبا
أن موتي حلُّ بي أو كَرِبا^(١)
وطبيبي كاد أن ينقلبا
يائساً مني، عسى أن تَقْرُبا
قبلما كوكبُ محياي يَغيبُ
ليس لي إلا تدانيها دوا
مُبرئاً قَتَّالَ أدواءِ النوى
مخمداً نارَ تباريحِ الجوى
عائداً حلواً به مُرُّ الهوى
فلِقاها - لا سواها - لي طبيبُ
أخبِّروا زينبَ أني مُدْنَفُ
لِحِمامي نأْيها بي يَدْلِفُ^(٢)

(*) في هذه القصيدة (١٩) خماسية زيادة عن نفس القصيدة التي حذفناها من القسم الأول تجنباً للتكرار.

(١) كرب: دنا وقرب.

(٢) يدلّف: يمشي ويقارب الخطو متقدماً.

وإذا ما استحلَفْتُكُمْ فاحلِفوا
 ربما ترحمُني أو يعطفُ
 قلبُها مني على صبِّ كئيبٍ
 لم تحمِّلني نواها زينبُ
 وهي تدري أنه لي مَعْطَبُ
 قبلما الواشي لديها يَقلبُ
 كاذبًا أمرَ غرامي فاذهبوا
 خبِّروها أن واشينا كذوبُ
 قد أتاني أن واشينا روى
 عاكسًا أخبارَ ما جرَّ الهوى
 لفؤادي من مبيداتِ القُوى
 ضلَّ واشٍ عندها بي وغوى
 ما له عن زوره ليس يُنيبُ
 صدقت زينب من واشٍ غرورُ
 قوله وهو أعمُرُ الله زورُ
 أزرِ اللهم واشينا الغدورُ
 حفرةً يشقى بها حتى النُشورُ
 ما له فيها سوى نارٍ تُذيبُ
 قد أتاهما قائلًا صقرُ سلا
 عنك يا زينب يبغي بَدلاً
 منك غيداءَ له منها حلاً
 منطقُ شبيبته لي بالطلا
 عصرتها الفرسُ من عهدٍ غريبُ
 بعد ما شُبَّهَ منها برحيقُ
 خبَّأته الفرسُ من عهدٍ سحيق

مِنْطَقًا يَزَعُمُهُ جِدًّا رَقِيقٌ
 قَالَ مِنْهُ لَسْتُ أَصْحَوُ أَوْ أَفِيقُ
 بَعْدَمَا أُوغَلَّ بِي مِنْهُ دَبِيبُ
 أَتْرَعَتْ مِنْهُ يَمِينُ السَّمْعِ كَاسُ
 فَعَدَا قَلْبِي لِتِيكَ الْكَاسِ حَاسُ
 فَانْتَنَى يَرْقِصُ نَشْوَانًا وَمَاسُ
 نَاسِيًّا زَيْنَبَ فَهُوَ الْيَوْمَ نَاسٌ^(١)
 مِنْ هَوَاهَا كُلِّ مَا كَانَ يَطِيبُ
 فَانْبِرَى صَقْرٌ يَصُوعُ الْغَزْلَا
 بِالَّتِي عِنكَ هَوَاهَا شَعْلَا
 مِنْهُ قَلْبًا لَمْ نَخَلُّهُ أَوْلَا
 مِنْكَ يَا زَيْنَبُ يَرْضَى بَدَلَا
 رَشَاءَ خَمْرِي أَلْفَاظِ رَبِيبُ
 قَلْتُ إِذْ قَالَ لِسُعْدَى انْقَلَبَا
 وَانْتَنَى قَلْبِي لَهَا عَنْ زَيْنَبَا
 وَأَطَابَ الْقَوْلَ فِيهَا مُسْهَبَا
 وَاصْفًا أَطْيَبَهَا فَالْأَطْيَبَا
 إِنْ هَذَا مِنْكَ يَا «صَقْر» عَجِيبُ
 كَيْفَ عَنْ زَيْنَبَ هَاتِيكَ الَّتِي
 طَالَمَا بِالْوَصْلِ مِنْهَا أَحْيَتْ
 لَكَ نَفْسًا مِنْ سُرُورِ مَيِّتِ
 مِقْقُودَ الْحُبِّ إِلَيْهَا تَكُنْتِ
 مِنْكَ سُعْدَى فَانْبِرَى «صَقْرٌ يُجِيبُ»
 مَلَكَتْ زَيْنَبُ مِنْ حَبِي الْعِنَانُ
 قَبْلَ أَنْ تَقْرَعَ حَوْرَاءُ الْجِنَانُ

(١) من النسيان.

مسمعي منها بلفظ كالجمان
 فلسعدى لا سوى سعادى الجنان
 والنهى مني وروحي والنسيب
 فإلساني ليس والله يقول
 بسواها غزلاً يسبي العقول
 رقة حتى منايي تحول
 بين نطقي وقريض لي ذلول
 هكذا قال لها الواشي الدبوب
 قطع الله لساناً كذباً
 فتنتني بالكذب غضبي زينبا
 فرمت قلبي بسهم ما نبا
 من نواها رد قلبي شعبا
 ونوى زينب لي شر شعوب
 أبلغوا زينب عني أنني
 لست عن حبي لها بالمنتني
 قبل أن ألبس مئيتاً كفني
 بل وحتى يوم يحوي مدفني
 أعظم ما مني بها الحب رسوب
 فهوى زينب مني في العظام
 راسخ ما لم تبد تحت الرغام
 أعظم مني تروى بالهيام
 في هوى ملبستي ثوب الغرام
 ضافياً زينب مولاة القلوب
 ريماً أذكر سعادى أو سعاد
 في نسيبي وهي والله المراد
 خوف واش لم يزل صب الفؤاد
 بشتات الشمل أو نقض الوداد
 لا تخطت قلب واشينا الكروب

فَآتَتْ زَيْنَبَ رُسُلِي مُبْطِلِينَ
 مَا رَوَى عَنِي لَهَا الْوَاشِي اللَّعِينُ
 فَلَأَنوَهَا وَمَا كَادَتْ تَلِينُ
 بِيَمِينٍ أَتَبَعُوهَا بِيَمِينُ
 أَنَّهُ مَا لِي سِوَاهَا مِنْ حَبِيبُ
 فَانْتَنَتْ زَيْنَبُ عَنِي سَائِلُهُ
 فَاجَابُوا بِدَمُوعِ سَائِلُهُ
 حَالُهُ مِنْذِ التَّنَائِي حَائِلُهُ
 وَمَنْ يَا هُ لَدِيهِ مَا ثَلَهُ
 يَتَهَيَّأُنَ عَلَيْهِ لِلْوُثُوبُ
 لَوْ رَأَيْتِيهِ عَلَى فُرْشِ السَّقَامِ
 يَشْتَكِي دَاءَ تَنَائِيكَ الْعُقَامِ^(١)
 لِحَسَبْتِ أَنَّهُ نَجَلُ حِزَامِ
 عَرُوةٌ أَوْ قَيْسُ لَبْنَى حِينَ هَامِ
 قَلْبُهُ فِي حُبِّ لُبْنَاهُ الْعَرُوبِ^(٢)
 فَاتَّقَتْ زَيْنَبُ أَنْ يَغْشَى الْمَنُونُ
 عَاشِقًا صَبَّأَ لَهَا وَافٍ أَمِينُ
 فَاذَلَّتْ غَالِيَ الدَّمْعِ الْمَصُونِ^(٣)
 وَانْبَرَّتْ تَلْعَنُ وَاشْتَيْنَا الْخَوُونُ
 ثَائِرًا مِنْهَا عَلَى الْوَاشِي عَكُوبِ^(٤)

(١) الداء العقام: الذي لا يبرأ.

(٢) عروة بن حزام: من عشاق العرب عشق عفراء وكذلك قيس بن ذريح عشق لبنى والمرأة العروبة العاشقة لزوجها المتحبة له.

(٣) اذالت الدمع: اهانتته بأن أرسلته.

(٤) العكوب: الغبار.

ثم أعطتهم قميصاً مُعَلماً
مَسَّ من زينبَ جَسَماً نَعُماً
وأعادتهم به لي مفعَماً
من شذا زينبِ يجلو السَّقَماً
وأنت زينبُ إذ نام الرقيبُ
فتعاتبنا عتاباً لو خَطَرُ
بفؤاد النذلِ واشيننا انْفَطَرُ
وتعاهدنا على أن لا نَكْذُرُ
لوشاياهُ بِسَمْعِينَا مَمَرُ
فهِيَ لِحَبِّ هِيَ المَوْتُ الرَّهيبُ
وتنازَعْنَا كما نهوى مقالُ
يُشْبِهُ الدُّرُّ أَوِ السُّحْرَ الحَالُ
أو قديمِ الرّاحِ بالماءِ الزُّلالُ
بل حكى في الحسنِ منه والجمالُ
شكرَ (صقر) لابنِ (شملان) النجيبُ
فأبو (قاسم) النَّدْبُ المَجدُ
فيه يحلو من قوافي النَّشيدِ
مودعاتٍ فيه شكرًا لا يَبِيدُ
خالدًا ما دام للخُبادِ خلودُ
في شَعوبٍ من شَعوبٍ عن شَعوبٍ
طاب فيه الحمدُ مِنِّي حينَ طابُ
منه نيلُ عَزْني فيه الحِسابُ
رَدَّ محطومًا به عَنِّي نابُ
فَمَ دهرٍ عن عِضاضي ما أنابُ
قبل أن تُدرَكني منه السُّيوبُ

يا لها مني سُيُوبًا لم تَزَلْ
تُشْبِهُ الغَيْثَ إِذَا الغَيْثُ انْهَمَلَ
زارني منها سروري وارتحل
كلُّ همٍّ في فِوادي لو نَزَلَ
بالصِّفَا فَتَّتَهُ وهو صَليِبُ
قد كساني من عطاياهِ زَرْدُ
قَدَّرَ السَّرْدَ بها حين سَرَدُ
فَأَتَتْ يَعشُقُهَا كلُّ أَحَدُ
بَدَدَتْ عَنِّي ما كان حَشَدُ
من همومٍ حولي العُسرُ تُشيبُ
لم تشبُ منه عطاياهُ الأَوَاتُ
عَلِّمْتَنِي كيف تحلوي الحَيَاةُ
بين أقوامي بِمَنْ أو أذَاةُ
فات منها صَفْوُها كلُّ قَذاةُ
والعطايا من أهاليها عُيوبُ
فَفداهُ مُتَّبِعُو المَنْ بِمَنْ
إنما المَنْ مُعَيِّدُ كلِّ مَنْ
هَبَّه سَلَوَى ما به مَنْ وَمَنْ
مِحْنَةٌ كَبِرَى بعيني كلِّ مَنْ
يَدُهُ تحويه إن كان لَبِيبُ
وَفداهُ كلُّ ذي يسرٍ ثَنِي
مِقْوَدَ الإحسان عن مثلي أنا
شاكياً من عسره كلُّ عَنَا
لَاعِنًا مما يقاسي الزمنا
زاهداً فيه من العيشِ النَّصِيبُ

قائلاً يا ربُّ ما الحكمةُ في
عيشِ ذي العسرِ المُضيقِ المقتفي
في زمانٍ مكثرٍ لهُ لا تُفِي
لِقائِهِ بشيءٍ يَنْتَفِي
عن مقلِّيه به الجوعُ المَهيبُ
أرني يا ربُّ وجهَ الحكمةِ
إنني في حيرةٍ قد أعمتِ
مقلَّتِي عيني وعيني فكرتي
منذ أَلقت فوق رأسي عسرتي
كلَّ كالأوسعِ أحشائي ندوبُ
ربما حين أرى تلكَ الحكمةَ
في ليالي عيشي الدَّاجي الأحمُ
ينثني لي من عزائي ما انهزمُ
نافياً عني ولو بعض الألمِ
ماسحاً من أدمعي كلَّ صبيبُ
وأتح يا ربُّ لي اليومَ جوادُ
متبِعاً منه الأيادي بالأيدِ
مغرماً منه بإنعاشِ الفؤادِ
مغدقاً إغداقَ مُنهلِ العِهادِ
ساكباً حلَّتْ عزاليه جَنوبُ
مثلما قد كنتَ يا ربُّ مُتِيحُ
لأخي (صقر) وقد كاد يروحُ
عسرُهُ يحدو به نحو الضَّرِيحِ
نجلَ (شملان) أخوا البذلِ السَّموحِ
واسعِ الفضلِ بموهوبِ رَغيبُ

فانثنى (صقر) وقد كان الحمام
مُنْيَةً كبرى له بين الأنام
قبل أن يسعده هذا الهمام
إذ رأى العيش هو الموت الزوام
لمُقلِّ أقفرت منه الجيوب
يتمنى أن مَحياه يطول
إذ ثناه نجل (شملان) الجليل
بالذي أدى من النئيل الجزيل
رائقاً عذباً خفيفاً وجميل
صافياً خلواً من الرثق المعيب
فإذا ما رد لي منه الندى
من سروري كل ما قد فُقد
فأعدني مثل (صقر) إذ غدا
منشداً من شكره ما أنشدا
لأبي (قاسم) المعطي الوهب
فعسى أنني إذا ما سَكبا
من نداءه في جيوبي سُحبا
هُمَّعاً أوفيه شكراً وجباً
تالياً منه عليه كُتبا
كلُّها ليس إلى محويؤوب
قلت إذ قال كذا ذاك الفقير
أوجز القول فذا ما لا يصير
فمحال لابن شملان نظير
في نداءه المخجل الغيث الغزير
ومحال لي في الشكر ضرب

ثم أني بعد ذِيَّكَ المَقَالُ
قلتُ لا بأسَ فَالْحِفِّ بالسُّؤالِ
أنه ليس على الله مُحالُ
ربما يعطيك ما كان استِحَالُ
منك قلباً عَبَّئْتُ فيه الخُطوبُ

خاتمة

هكذا انتهى بنا المطاف مع شعر شاعر الكويت صقر الشبيب، الذي ترك لنا ذخيرة من شعره صورت حاله، وعرفتنا بأوضاع البلاد في وقته، كما وجدنا ذكر عدد من رجال الكويت وقد ذكرهم في قصائد تدل على صلته بهم وتقديره لهم.

بقي أن نقول إننا أخذنا على الشاعر بعض الملاحظات التي تعتبر طفيفة بالنسبة لشاعر مثله، وبالنظر إلى المقدار الكبير من الإنتاج الشعري الذي جاد به طوال حياته. ولعل أهم ما كان القارئ يتوقف عنده ذلك التقديم والتأخير الذي يربك الصياغة ويؤخر فهم الشعر، أضف إلى ذلك صعوبة سبكه لبعض الأبيات وبخاصة تلك التي لها جانب فكري يستعصي على الشاعر التعبير عنه بالسهولة المطلوبة في أشعار الشعراء.

ولئن كان ذلك كذلك فهو معذور معذرة تامة لأنه لا يكتب شعره بيده، ولا يقرؤه بعينه، ولكنه يحفظ ما يكتب ثم يملئه، ولذلك فإنه يصعب عليه القيام بتنقيح ما يكتب كما يفعل غيره من الشعراء، ومنها برزت بعض الملاحظات التي يجدها قارئ شعره في بعض الأبيات. صحيح أننا نجد في الديوان بعض الأبيات وقد جاءت في الهامش برواية مختلفة تدل على المراجعة إلا أن هذه الحالات قليلة جداً، وكانت بقدر ما سمحت به ظروف الشاعر.

لكل ذلك فإننا نجد له كل العذر في الأبيات التي سقنا بعضاً منها على سبيل المثال وذكرنا أن فيها بعض تقديم وتأخير أو جملاً معترضة تؤثر على فهم القارئ للقصيدة.

ويبقى صقر بن سالم الشبيب شاعراً كبيراً لا يشق له غبار. ويبقى ديوانه سجلاً لزمناه. ففي شعره تتجلى ثقته بخالقه الرحيم، وتساميه على نوازع الشر، والدعوة إلى

التألف بين الناس واليقين بأن الله وحده هو واهب النعم في الدنيا والآخرة ولا فضل لأحد من خلقه في توزيع الرحمات على العباد، وفيه إيمان بالرسول الأعظم، وتقدير لدوره في هداية البشر، وشكوى إليه من كل مدع مغرور أو ضال مضل لغيره، وأمل في زوال الجهل والفساد.

كما تتجلى في شعره يقظة الضمير، ويتبين الإحساس بمعاناة الناس والاهم، وهذه لا يستشعرها إلا من عانى مثلهم آلام الفقر والمرض، وشدة الحاجة إلى المساعدة، إنها الإنسانية في أعلى معانيها بل هي الحساسية المفرطة تجاه ما تفرزه الحياة يومياً من آلام. نراه أحياناً زاهداً في الحياة، آملاً في الراحة الكبرى، يفضلها على أيام حياته الطويلة العامرة بالقسوة، وقد يكون ذلك مخالفاً لما نهى عند الإسلام من تمنُّ للموت، ووجوب طلب الاستغفار.

ونراه يتحدث عن أثر الإيمان في التربية الإنسانية القادرة على مواجهة الشدائد، وعن دورها في البناء المتتابع لسلوك الإنسان.

وهو مؤمن بالأجل، وأن لكل أجل كتاباً، وهو غير مؤمن بالأفكار المستوردة المبنية على الحلول أو تناسخ الأرواح مما يتناقض مع صريح الدين الإسلامي.

والشاعر وهو يواجه عدداً من المهاجمين، الذين لم يتورعوا عن إلقاء التهم عليه يؤمن بأن الشر لا بد وأن يلقى بمثله، وأن البادي أظلم. ولكنه يؤكد أن ما قاله من شعر تجاه أولئك المناوئين لم يكن هجوماً عليهم ولكنه دفاع عن نفسه، ودفعه إليه يقينه بصحة مواقفه. ومع إقراره بذلك فإنه يرى أن الهجاء خطيئة فادحة مشتركة يكتوي بناها الطرفان، لأنهما في الحقيقة طرف واحد ينتمي إلى أرومة واحدة وأصل واحد.

وصقر الشبيب يدرك ببصيرته أن الدنيا سراب يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يدرك منه شيئاً، ولذا فهي لا تستحق اختلاف الناس على امتلاك ما فيها من ماديات.

ومن أجل ذلك فهو يعيب على قومه الأخذ بالمظاهر البراقة، وتماديهم في إلقاء التهم على بعضهم. لأنه يؤمن بأن من الواجب معايشة متغيرات الحياة، وتحديها، مع الاستمسك بحبل العلم، لأنه وسيلة التقدم المضمونة، وهو بذلك ينظر إلى الحياة نظرة متقدمة وكأنه يعيش في يومنا هذا، وهو يرى أن العاقل هو من اتعظ بأحداث الأيام والليالي وما صاحبها من خطوب، لأن ما يعرض للإنسان من أمور في حياته ومعاشه يُحيي في قلبه قيمة العدل الإلهي، ويدعوه إلى أعمال عقله في كل ما يفعل من أمور.

وإذا استكملنا آراءه التي بثها في قصائده، وهي آراء تؤكّد قيمة الإنسان وضرورة استقامته وحسن معاملته لغيره. كما تحث على الصدق وحسن المعاملة، وتدعو إلى الرقي في أساليب التعامل مع الغير، فإننا سوف نجد كنزاً من الأفكار التي تنير الطريق أمام السالكين، وهي في الوقت نفسه تثبت ما لهذا الشاعر من قيمة، وتؤكد أنه وإن كان معتزلاً، لا يخرج من بيته ولا يختلط مع أحد وبخاصة في سنواته الأخيرة، إلا أنه شديد الإحساس بقضايا الناس وبحاجات البلاد التي أكد أنه لا يمكن أن يقضيها إلا المتنورون.

فهرس القوافي

ص	قافية الهمزة
٦٩	عطفت عليّ البصرة الفيحاءُ
٧٤	ما بعد فقدك للكويت عزاءُ
٨٥	أتحب أن تلقى الإهانة مرةً
٨٦	أكذا يكون تواضع الكبراءِ
٨٩	الجهلُ داءُ الشعْرِ عندي وحده
٩٠	ليأمن لذع هجوي كلُّ قاصٍ
٩٥	حسدت بك الزوراءَ غيرَ ملومةٍ
٩٧	يجدُ خصامُهم فيها سفاهاً
١٠٤	أبا عيسى أراك أجلّ من أن
١٠٧	غلاءُ أهلك الفقراءَ جوعاً
٦٤٣	أفي أهلِ الكويتِ سوايَ أعمى
	قافية الألف المقصورة
١١١	كسوتُ أخاك ثيابَ التُّنا
	قافية الباء
١١٣	يقولون لي يا «صقر» مالك عاطلاً
١١٧	أراك لحبل الوصل أصبحت قاطعاً
١١٩	قالوا سقامك كاد يذهبُ أو ذهبُ
١٢١	ربُّ بيئتٍ وحده في أمّةٍ
١٢٢	أسبّته أعوامٍ تدومين يا حربُ
١٢٨	لقد طال مني المكثُ في مظلم الأسي
١٣١	ما دمت في أبناءِ يعربٍ سالماً
١٣٦	لقد كان الحليبُ لنا إليه
١٤٠	يعاني الغربُ ما تنبو الجنوبُ
	والساكنون ربوعها الكرماءُ
	أنّي وأنت بجسمها الحوياءُ
	أخرى كما حقدُ المدير يشاءُ
	وتلطّفُ العلماءُ بالشعراءِ
	والعلم في رأيي أجلُّ دوائه
	ودان في السورى مهما أساءُ
	أرضُ بثثت العلم في أبنائها
	وتسمع كالذئاب لهم عواءُ
	يسوقُ إليك أمثالي العزاءُ
	وعرّياً، أهلك الله الغلاءُ
	به عصفت أعاصيرُ الشقاءِ
	فجاز فخاراً بهنّ السّما
	وقد وظّفوا من لم يقاربك في الأدبُ
	بلا موجبٍ يدعو إلى القطع أو سببُ
	فشعرتُ باستخذاء ما بي من وصبُ
	قلبَ الحالة رأساً لعقبُ
	وأكلك أجسادُ البريّة والشربُ
	إذا انجاب عني غيهبُ جاء غيهبُ
	مما عليك من الحوادث نرهبُ
	طريقُ واضحٌ سهلٌ رحيبُ
	به ووليدة منه يشيبُ

١٤٥	خيالاً على رغم المنى وحدهُ العُربِ	ستبقى على الأحقاب حُقباً إلى حُقبِ
١٥٠	فأثنتى عليها منهم كلُّ ذي لُبِّ	لقد أنعشتُ مصرُ رجاءَ بني العُربِ
١٥٧	أزور من الصَّيِّدِ الألى ودَهْمَ قلبي	يُخَيِّلُ لي أني ثقيلُ على الألى
١٥٩	يا من نمأه لخيرِ الرُّسلِ خيرُ أبِ	أثنتى عليك مُحقِّقاً مقولُ الأدبِ
١٦٣	ما يَسْتَجِدُّ من الأيامِ والحِقَبِ	نَشءُ الكويتِ صلوا بالجدِّ والدَّابِ
١٦٦	إصلاحَكُم ونسيتمُ خادمِ الأدبِ	ذكرتمُ كلَّ شيءٍ كان مقتضياً
١٦٧	خيرُ حِلْفٍ موصلٍ للأربِ	بين (شكري) و(جمال) العُربِ
١٧٢	وفصلٍ في القضيَّةِ والخِطابِ	أَعَبَدَ المحسنِ القاضي بعدلِ
١٧٧	تحملُ ما تُطيق من العِتابِ	لعبدِ المحسنِ الحُرِّ اللُّبابِ
١٨٧	لتمري منك أخلافَ السُّحابِ	عليك أثرتُ ريحاً من عتابي
١٨٩	من المنثورِ مُشبيهُه جوابي	أحاولُ أن يكون على الكتابِ
١٩٠	إليه حين أخلو بالحبيبِ	أبوحُ بعيبِ محبوبي ولكن
١٩١	حساماً به عن قومه يُحسنُ الذِّبا	بني يعربٍ من فاتتهُ أمسِ سلُّه
١٩٥	جميعاً ولكن الذي في السَّما يأبى	يريد الذي في الغربِ أن يفني العُربا
١٩٦	وتُحدِثُ أمراً ثانياً يُسخِطُ الصَّحبا	كُلُّوا عَنزَكُم من قبلِ أن تُفني الكُتبا
٢٠٩	ثم ادَّعوا أنكم ما زلتُم عَربا	دَعُوا الجزائرَ تلقى الويلَ والحَربا
٢١٦	تُغادرِ الطفلِ الرضيعَ أشيَبا	ما زلتُ أشكو من زماني نُوبا
٢٢٤	للارتزاقِ من العمِّاتِ أسبابا	وشرُّ أعرَبةِ التفريقِ من جعلوا
٢٢٦	تقضي الصراحةُ إرضاءً وإغضابا	أرضى وأغضَبَ تصریحُ المقالِ كما
٦٠٣	وصِباهُ بعد ما شاب عَجيبُ	شَبَّ هذا الفُلكُ من بعد المشيبِ
٦٠٤	فبات دماً من مقلتي يتصَبَّبُ	أذابَ فؤادي منك هذا التجنُّبُ
٦١٤	واقفوا عقولَكُم سَلَباً وإيجابا	دَعُوا العواطفَ لا تقفوا لها أثراً
٦٤٦	بقلبٍ ما لهُ عنك أنقلابُ	لهجركِ يا (ابنِ شملان) التهابُ
٦٥١	نسيمُ الصِّبا عندي الذُّ وأطيبُ	نسيمُ الصِّبا أشهى إليَّ وأعذبُ
٦٥٧	أيا (عيسى القُطامي) في الحسابِ	لئن قَلَّتْ صحائفُ ذا الكتابِ

قافية التاء

٢٢٩	وطوعَ سوى أمره ما جرّيتُ	على غيرِ صافي الهوى ما انطويتُ
٢٣٤	وعبد في البرية فانفردتُ	عرتني وحشة من كلِّ حرّ
٢٣٥	إلا امرؤ مثلك ذو جنّة	إن كان لا يظفر بالجنّة
٢٣٦	وتجارت لذكره عباتي	ما تذكرت سالمًا قطُّ إلا
٢٣٨	ثياب الفخر موطنه الكويتا	كسا عبد العزيز الشهم أصفى
٦١٦	خطوب أزممتني قعر بيّتي	أظلّنتني بشرقيّ الكويت
٦٥٩	وإن عدّها) غيري من القرفات	أ(خالد) ما هذا اقتراف قرفته

قافية التاء

٢٤١	يكون بها حولي صديق أحادته	أرى خير ساعات المسرة ساعة
٢٤٥	أراه في الكويت غدا نحيثا	لكلّ سهام موجعة فؤادي

قافية الحاء

٢٤٧	فجئت إليهم طوع حاجي أمدح	دعّنتني حاجاتي إلى مدح معشر
-----	--------------------------	-----------------------------

قافية الدال

٢٤٨	ما كان قطُّ ولن يكون مدى الأبد	ما كنت أغبط مذ أربت سوى الذي
٢٥٣	لحسدت دون الناس شاعرنا فهذ	لو كنت ممن في طبيعته الحسد
٢٥٦	ومن أحد الضدّين عندك لي بد	أتركني ما بين يأسّي والرجا
٢٥٧	مثلي أمور تحمّد	ما في الصفاة لذي عمى
٢٥٨	فإن جزاءه منهم نأد	إذا نجم الصريح بأرض قومي
٢٥٩	إذا امتلكت فلسطين اليهود	أيرفع رأسه العربيّ يومًا
٢٦٧	فعدابي بالفقر جدًّا شديد	إن شجاكم منّي الأئين المديد
٢٧٦	غيبت منهم الجسم اللهود	كنت لولم أعلل النفس ممن
٢٨١	إذا لم يرع منه فؤادي بعهده	يروع فؤادي بالجفا من أوده
٢٨٣	وذويها منه بخير عمار	رفع الله مجد بيت الضار
٢٩١	مثله يقتضي مزيد الوداد	كلّما زرتكم أمرتم بشيء

٢٩٤	تُذَكِّرُ بي صِحَابِي والأَعَادِي	خِيَال حَقِيقَتِي بَعْدِي سَتَبْقَى
٢٩٦	بِمَجْتَمَعِ الْوَرَى أَوْ بِنَفْرَادِ	إِذَا وَجَدَ الْفَتَى يَوْمًا سُرُورًا
٢٩٨	فَمَلَّتْ بِجَمَلَتِي لِلْإِنْفِرَادِ	وَجَدْتُ الْإِنْفِرَادَ يُرِيحُ نَفْسِي
٢٩٩	فَعَلِيَّ مِنْهُ الْيَوْمَ فَضْلُ بَادِ	شُكْرِي أَكْرَرُهُ لِعَبْدِ الْهَادِي
٣٠١	إِلَيْكَ مَسْأَلًا لَوْلَا قَيْوَدِي	أَحَافِظُ وَهَيْبَةً قَدْ كِدْتُ أَتِي
٣٠٦	سَالِكِيهِ أَوْ بَعْضَهُمْ لِلْسَعَادَةِ	لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْ طَرِيقٍ يُؤَدِّي
٦١٧	بِلَفْظٍ لَهُ مِنْهُ تَكُونُ عَقْدُهُ	تَلُوتُ بَعِينِي مَسْمَعِي صُورَةَ الْبَهَا
٦٦٠	عَلَى حُبِّكُمْ بَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادِي	(أَبَا قَاسِمٍ) وَاللَّهِ مَا زَلْتُ طَاوِيَا
٦٦١	عَلَى إِسْعَافِهِ الْحُرِّ (ابن أَحْمَد)	سَأَشْكُرُ (صَالِحِ الْمُلَا) حَيَاتِي

قافية المراء

٣١٠	مِنِ الْمَدْهَشَاتِ الْحَائِرَاتِ بِهَا الْفِكْرُ	أَمَنْ كَوْنُ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ بِمَا بِهِ
٣١٢	إِلَى الصَّبْرِ تَدْعُو كُلٌّ مِنْ أَحْزَنِ الدَّهْرِ	يَقُولُونَ لِي إِنَّا عَهْدْنَاكَ يَا صَقْرُ
٣١٦	وَمَا زَالَ فِي أَحْبَابِهِ هَكَذَا صَقْرُ	أَتَيْتُكَ مِمَّا أَنْتَ جَانِيهِ تَائِبًا
٣١٩	وَفِيهِ لَنَا لَاحَ التَّضَجُّرِ يَا «صَقْرُ»	يَقُولُونَ لِي فِي وَجْهِكَ الْحَزْنَ قَدْ بَدَا
٣٢٠	وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْسَبَتْ مِنْهُ بِهِ الْعُمُرُ	أَلْمَأَ عَصَى «صَقْرًا» عَلَى الظَّمِ الصَّبْرُ
٣٢٢	لَهُ ظَمًا يَوْمًا فَلَا مَرَّ بِي الْقَطْرُ	لَنْ زَادَ عَنِي صَاحِبِي مُعْدِمًا شَكِي
٣٢٦	أَنْنَى وَقَدْ سَمَقَتْ تُنْبِيرُ فَتَبْهَرُ	مَا فِي الْعِرَاقِ لَشَمْسِ فَضْلِكَ مُنْكَرُ
٣٢٩	أَثْنَى عَلَيْهَا النُّثْرُ وَالْأَشْعَارُ	يَا نَجْلَ سَالِمِ السُّذِيِّ أَخْلَاقُهُ
٣٣١	فَقُرْبَ مِنْكُمْ سَعَادَةٌ وَافْتِخَارُ	أَنَا مِنْ لَا يَزَالُ يَعْلَمُ أَنَّ الـ
٣٣٤	وَمَا ضَاقَتْ بِأَمْثَالِي الدِّيَارُ	فَإِنْ تَضَيَّقَ الْكُوَيْتُ الْيَوْمَ عَنِّي
٣٣٥	وَلَيْسَ بِهِ عَلَيَّ عَيْنِيهِ خَيْرُ	أَصِيحُ بِمَنْ لَهُ عَيْنٌ وَعَيْنٌ
٣٣٨	مَنْ أَذَاهَا يَكَادُ فِيهَا يَبُورُ	كُلُّ طِفْلِ بِكَفِّهِ عَصْفُورُ
٣٤٧	وَهَلْ يَا صَقْرُ فِيهِ لَهُ حُبُورُ	أَلِلْأَعْمَى بِمَحْيَاهُ سُورُورُ
٣٥١	وَمَا لَكَ وَافِرُ جَمِّ كَثِيرُ	أَيْشُكُو حَوْلَكَ الْفَقْرَ الْفَقِيرُ
٣٥٥	عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ	لَنْ لَمْ أُرْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلَّ مَنْ

٣٦٣	من الكَفِّ عن طَيْرِ الْقَرِيضِ عَلَى وَكْرٍ	يقولون لي يا صقرُ ما لك واقِعًا
٣٦٤	فلسطينِ مَسْتَهَا يَدُ الْعَسْفِ وَالْجَوْرِ	بني يعربٍ من كُلِّ ذِي نَجْدَةٍ حُرٍّ
٣٦٨	لكيما يَعُمَّ الْعَطْفُ مِنَّا ذَوِي الْفَقْرِ	ألا ليت سلطانًا سلاطينَ بيننا
٣٧٤	مِصْرًا عَلَى هَذَا السُّكُوتِ الْمُنْكَرِ	لُومي فلسطينَ العزِيزَةَ أو ذري
٣٨١	رغم الأوتاي من الأحداثِ والغِيرِ	يا خالدَ الفضلِ في أشعارهِ الغُرِّ
٣٨٧	يا صقرُ ما قلتَ من نثرٍ وأشعارِ	عابوا كما الحسدُ المذمومُ شاءَ لهم
٣٨٩	لتعديلِ الرُّويِّتِ في اضطرارِ	لَعَمري أو لَعَمْرُكُمْ أراني
٣٩٣	عقولاً حينَ تنظُرُ في الأمورِ	أرى عقلي يخالفُ من رفاقي
٣٩٥	بلا ذنبٍ صغِيرٍ أو كبيرِ	وكم لي في الكويتِ أولو عداٍ
٣٩٦	فأمَدَحُها بنظمٍ أو نَثِيرِ	وما للعمي في العَرْضاتِ أنسُ
٣٩٧	مَفَاخِرِ شَعْبِ الضَّادِ يَوْمَ فَخَارِهِ	قد انتصرتُ مصرُ فزادَ انتصارُها
٣٩٨	وإيداعنا جثمانه الطاهرَ القَبْرَا	يعزُّ علينا فقدنا ذلكَ الحَبْرَا
٤٠٤	يُعَلِّبُ من تاريخِ تعلِيبهِ صِفْرَا	عجبتُ لصمتِ الصيامتينِ عن الغِذا
٤٠٩	حَبِّ كَأَنِّي اندفعتُ مَعَهُ اختيارَا	عدَلوني على اندفاعي مع الحُ
٤١٣	رَدِّ مَنْظُومِ شَمْلَانَا مِنْثُورَا	كلما زارنا معممٌ سوءٍ
٦٧	هديةً من لم يَقَنْ شيئًا سوى الشُّعْرِ	نماذجُ هذي من قريضي أزفُّها
٦١٨	بما زمنًا عني به يَطْرُدُ العُسْرَا	أغاثٌ ولم أستسقِ مُزْنَ نِوالِهِ
٦٦٢	عليّ فلن أنسى عليها له الشُّكْرَا	تَفَضَّلْ بِنِّاءِ القِوافي بِرِزْوَرَةٍ
٦٦٣	ومدَّ بها أطنابهَ مُذْهَبِ الرُّزْهَرِ	سَقَى (الدسمة) الغراءَ منهُمُ القَطْرِ
٦٦٤	وتُبصِرُ ما أنتم عليه وتنظُرُ	بَنِي بكم رُوحِي تُحسُّ وتشعُرُ
٦٦٦	ومهما صَفَّتْ منه المواردُ تَكْدُرُ	هو الدَّهْرُ بالإنسانِ لا بد يَغْدِرُ
٦٧٠	إلهي إِنَّكَ الشَّهْمُ الْأَبْرُ	يُديمُ لكَ الهِناءَ فيسْتَمِرُّ
٦٧٢	تَمُرُّ به على مثلي الدُّهورُ	أبا عوفٍ لقاؤك خيرٌ ما قَدُ
٦٧٤	شقيقَكَ (سلطانًا) فهل أنتَ زاجرُهُ؟	إليك (ابن عيسى) الشَّهْمُ (يوسفُ) أَشْتكي
٦٧٦	لفاهَ فوهُ بشكواهُ من الضَّجْرِ	بي من جفائكُ ما لو كان بالْحَجْرِ

- أَتَخْشَى أَنْ يُذِيعَ الشَّعْرُ يَوْمًا
قافية الزاي
- ٦٨١ - إذا ما - جئتك الهفوات جَهرا
- يا من له جِدَّةٌ عَنْ حَاجَةٍ فَضَلَّتْ
قافية السين
- ٤١٦ أَلَا تُغَيِّثُ بِشَيْءٍ شَاكِيَ الْعَوَزِ؟
- أَمَعَنْتَ فِي النَّفْرِ عَنِّي ظَبِيَّةٌ
لحى الله دنيا لا أراها وفيَّةٌ
- ٤١٨ كان بالأمس لها حجري كناسُ
- تَأَمَّلْتَ أَدْيَانَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
بالرغم مني كنتُ أمسٍ مُقَصِّراً
- ٤٢٢ لنوع من الأحياء فيها ولا جنسُ
- إِنِّي هَمَمْتُ بِأَنْ أَقْبَلَ أَنْمُلًا
هذا وبين جوانحي ما بيئُهُ
- ٤٢٤ فما ركنتُ إلا لإسلامِها نفسي
- ما في «أوال» ولا في الساكنين بها
- ٤٢٨ في واجبي نحو الزعيم التونسي
- ما كنتُ أحسبُ قريةً بجمالها
- ٤٢٢ رُكِّينَ فِي يَمَنِى الزَّعِيمِ التُّونِسِيِّ
- وظنَّني أن الله عنك مفرجٌ
- ٤٣٢ إِيَّاكَ عَنِّي الْآنَ خَيْرٌ مُنْفَسٍ
- أَقْطَعُ بِرَهْمَةٍ خِلا، ودادي
- ٤٣٣ من موضعٍ لهجا الهاجي ولا باسٍ
- يا بائعَ الغازِ رُبَّعَ الرَّبُّوعِ مِنْ مِئَةِ
- ٤٣٤ تُنْسِي الْحَبِيبَ مُحِبَّهُ فِي النَّاسِ
- قافية الشين
- ٤٣٨ وشيكا فلا تُنزلُ جوانحك اليأسا
- رَمَوْا عَنْ قَوْسِ كِذْبِهِمْ سَهَامًا
- ٤٤٠ عليه قبلُ كادَ يَكُونُ حَبْسًا
- قافية الصاد
- ٤٤٢ مما تَقُومُ بِهِ مِنْ دَقِّكَ الْجَرَسَا
- حَبِيبِي قَدْ وَاَعَدَّتْني بِزِيَارَةٍ
- ٤٤٦ بَرِيشِ سَفَاهِهِمْ كَانَتْ تُرَاشُ
- ولو علموا أن القنوع هو الغنى
- قافية الضاد
- ٤٥٢ فهل لك حتى الآن لم تَسنحِ القُرصُ
- نَهَارِي وَلَيْلِي لَمْ أَزَلْ لَكَ ذَاكِرًا
- ٤٥٣ وَأُنِّي مِنْهُ مَالِكٌ أَوْفَرَ الْحِصَصُ
- قافية العين
- ٤٥٥ وَلَكِنْ جَرِيضِي حَالٌ دُونَ قَرِيضِي
- طُبِعْتُ عَلَى غَيْرِ الَّذِي قَدْ طُبِعْتُمْ
- ٤٥٧ عَلَيْهِ فَمَا طَوَّلُ اعْتِزَالِيكُمْ بِدُعُ
- هَذَا خِيَالِ أَمْرِي مَذْ شَبَّ مَا اشْتَمَلَتْ
- ٤٥٨ عَلَى الْمَسْرَةِ حَتَّى شَابَ أَضْلَعُهُ
- يَوْمَ الْخَمِيسِ لِبَسْتِ ثَوْبِ خَدُوعِ
- ٤٥٩ حَتَّى حَسِبْتُكَ غُرَّةَ الْأَسْبُوعِ

لا يدفعُ الجوعَ والعُرْيَ اللَّذَيْنِ هُما
رَأَيْتُ قُصُورَ شِعْرِي عن مَقَامِ
٤٦٤ شَرُّ النَوَائِبِ إِيلامًا وإِيجاعًا
٤٦٧ تَقِيمُ بِهِ جَلالًا وارْتِفاعًا

قافية الفاء

ولم يَبْرَحْ بِمَحْضِ النُّصْحِ شِعْرِي
تَهَلَّلْ مِنْ مُهْلِهِ الْمُحَيَّا
٤٧٠ على أَسْماعِهِمْ حُبًّا يَطُوفُ
٤٧١ وَرَحَبًا إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ضَيْفًا
٤٧٢ جَرُّوا عَلَيَّ المَحْرِناتِ صُنُوفًا
٦٢٣ بدمعٍ ما لَجارِيهِ وَقُوفُ

قافية القاف

أَجْمَلِي يا جُمْلُ أَوْ لا تُجْمَلِي
إِلَى ذاكِ المَغْنَى أَحِنُّ ولم تَعُدْ
٤٧٣ وَاَعْدَلِي فِي الحَبِّ أَوْ لا تَعْدَلِي
٤٧٨ بِهِ مِنْذُ غابَتْ شَمْسُ زَيْنَبَ تَشْرِقُ
٤٨٢ صرِيحًا وَوَجْهِي ما تَرَوْنَ فَحَدِّقُوا
٤٨٣ قَدْ تَرَبَّى بَيْنَ الجِيادِ العِتاقِ

قافية اللام

ما ضَرَّ قَوْمِي غَيْرُ الجَهْلِ لِيَتَهُمُ
عَلَيْكَ لِشَرْقِي الكُوَيْتِ يَطُولُ
٤٨٥ عَنْهُ إِلى العِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ قَدْ مالُوا
٤٨٨ بِكِفاءٍ وَإِنْ لَمْ يُجِدْهُ وَعَويلُ
٤٩٣ حَكِيْتُ بِصِيراً سارِيًّا فِي دُجَى لَيْلِ
٤٩٦ يَلِيهِ عَنِ اللُّقْيَا مِنَ الحَرِّ فِي شُغْلِ
٤٩٨ طَبالِ تِيبِيهِ وَضَلالِي
٥٠٨ أَبْدى الكِفاءَةَ لَمْ أَكُنْ بِالْعاطِلِ
٥١٤ ما لَمْ يَكُنْ وَفَقَّهُ مِنْ كَلِّ مَنْقُولِ
٥١٦ وَكادَ إِليكِ يَسْعَى بِي خِيالًا
٥٢٢ فَالزَّمَنِي لَكَ الشُّكْرَ الجَزِيلًا
٦٢٥ مَرَقَّةً مِنَ القَرَبِ البَوالي
٦٣١ غِرارُ قُتَحْتِ سَكِينِ الجِهادِ
٦٨٣ فَإِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ فِي مِثالِي

٦٨٦	وأحسنُ ما يَهْدِي بِكُلِّ سَبِيلِ	دليلُكَ للمُحْتارِ خَيْرُ دَلِيلِ
٦٨٨	عَلَيْهِ أَمْرٌ ثُمَّ انْتَنَى يَتَنَصَّلُ	(أبا قاسمٍ) وَالْحُرُّ يَعْفُو إِذَا جَنَى
٦٨٩	إِذَا لَا حَوَانِي لِلْفَضِيلَةِ مَنَزَلُ	أَنْسَاكَ يَا رَبَّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
٦٩١	فَشَفَاهُ نَجْلُ (شَمْلَانِ) النَّبِيلِ	أَمَلِي فِي الْعَيْشِ قَدْ كَانَ قَلِيلِ
٧٠٣	لِنَوَاهَا مِنْ سَقَامٍ وَعِلَلِ	هَلْ أَتَى زَيْنَبَ مَا بِي قَدْ نَزَلُ
قافية الميم		
٥٢٦	وَرَدَكَ كَاسْمِكَ الْمَحْبُوبِ سَالِمٌ	وَقَاكَ الْوَالِدُ رَبِّي كُلَّ شَرٍّ
٥٢٧	فَلَيْسَ لَكُمْ بِأَرْضِكُمْ مَقَامٌ	تَنَحَّوْا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ
٥٣١	تَكُ لِلْعُورِ وَحِدَةٌ وَوَنَامٌ	لَيْسَ لِلْعُورِ مِنْ فَلَاحٍ إِذَا لَمْ
٥٣٤	لَكِنَّهُ سَائِرَ الْأَوْقَاتِ مَغْمُومٌ	قَالُوا فَلَنْ كَثِيرُ الْمَالِ طَائِلُهُ
٥٣٧	بِيْمْنَاهُ مِنْ هَذَا الْبِلَادِ زَمَامُهَا	إِلَى ذِي الْمَعَالِي نَجْلِ جَابِرِ الَّذِي
٥٣٨	وَإِنْ لَمْ يَجِشْ لَازِمَتْ صِمْتِي عَنِ النَّظْمِ	إِذَا جَاشَ صَدْرِي بِالْقَوَافِي نَظْمَتُهَا
٥٤١	وَمَا تَشْرِي سِوَى جَشِبِ الطَّعَامِ	يَرُوقُ كُلُّ مَأْكُولٍ لِذِيذِ
٥٤٢	أَصْدُ عَنْ اجْتِمَاعَاتِ الْأَنْبَامِ	يَلُومُنِي الصَّحَابُ وَقَدْ رَأَوْنِي
٥٤٤	عَلَى قُرْنَائِهِ بَيْنَ الْأَنْبَامِ	إِذَا مَا كَاتَبُ أَضْنَاهُ حِقْدُ
٥٤٦	بُنَاةُ شَوَاهِدِ الْمَجْدِ الضُّخَامِ	لَعَمْرُ فَخَامَةِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ
٥٤٨	لَصَيْدِ الْمَالِ مِنْ طُرُقِ الْحَرَامِ	أَقْلُوا مِنْ عَمَائِمِهِمْ شِبَاكًا
٥٥٠	لِذِكْرِي الْحُرِّ سَالِمِ الْكَرِيمِ	أَقُولُ لِمَنْ رَأَوْا دَمْعِي أَخْيِرًا
٥٥٨	مِنَافِعُهُ تَعُودُ عَلَى الْعُمُومِ	شَغِفْتُ بِكُلِّ إِصْلَاحٍ جَلِيلِ
٥٥٩	بِحِكْمَتِهِ وَكَاتَمَهَا الْأَنَامُ	تَبَارَكَ مَنْ أَدَارَ الْخَلْقَ طُورًا
٥٦١	إِلَى رَاحَاتِهِ، وَإِلَى السَّلَامَةِ	لِزُومِ السَّبِيْتِ لِلْأَعْمَى سَبِيلُ
٥٦٣	جَدِيرًا مُسْتَحِقًّا لِلْكَرَامَةِ	أَوَالُ لَمْ تُكْرِمْ مَنْكَ إِلَّا
٦٣٦	أُنَاسٌ بِشَرْقِيَّ الْكُوَيْتِ تُقِيمُ	تَقُولُ لَقَدْ أَفْتَى بِهَجْرِكَ شَيْخُنَا
٦٩٣	(مُحَمَّدُ) مَا اشْتَكَيْتَ مِنَ السَّقَامِ	وَقَتُّكَ عَنَّا الْمَلِكِ السَّلَامِ
٦٩٥	كَأَنَّكَ طِفْلٌ قَدْ دَهَاهُ فِطَامُ	يَقُولُونَ لِي يَا (صَقْرُ) مَا لَكَ نَادِمُ

سهرت أراعي النجم والناس نُومٌ أما والله لولا البردُ بيّني
ويتُ أعاني الهمَّ والهمُّ مؤلِّمٌ يحولُ وبين تنظيمي الكلاما

قافية النون

أراك عليّ بالملقى بخيلاً وشيمتك السماحة للمواطن
يخضر النصح في هذا الزمان فيا ليّتي خلقت بلا لسان
ما زلت أسمع لحن ذا اللحن حتى لكبت أدوب من أشجاني
أعلمت ما قاسى من الأشجان مذ غبت يا عبدالعزیز جناني
أودُّ بآئي لا أفارق مجلساً أراه لسيف المجد منك اغتدى جفنا
نبتت من الإخوان كلُّ مُداهن لعيبی عني بالتجمُّل دافن
كانهم منحوا خلد الحياة فما تنتاب منهم عوادي الموت حُسانا
أقدم لابن أحمَد كاس شاي ووُدِّي أن أمُدَّ له خوانا
قد كساني أبوك أمس كساءً من نداء فابترتني الزمان
أني أعوذ ببردٍ منك يدفيني من سورة عظمت في البرد تؤذيني

قافية الواو

يظنون أن الشَّعرَ مهما دعوته تُلجِّي قوافيه وتأتي كما أهوى
محلُّ الشَّهمِ شمالان المفضي به لذوي المفاخر أي حُظوة

قافية الياء

يا رئيس البلاديه لا أصاببتك بآيئه

المحتوى

- ٣ - التصدير/ الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين
- ٧ - التقديم/ الدكتور يعقوب يوسف الغنيم
- ١١ - المدخل - الفرع الأول/ كتبه الأستاذ أحمد البشر الرومي
- ٣٩ - المدخل - الفرع الثاني/ كتبه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الديوان

- ٦٥ ■ القسم الأول: ما ورد في الديوان الذي أصدره الأستاذ أحمد البشر الرومي
- ٦٧ - الإهداء إلى روح الشيخ سالم المبارك الصباح
- ٦٩ - الإيمان عون لتخفيف الأعباء
- ٧٤ - دموع على عبدالله الخلف الدحيان
- ٨٥ - الحر من يأبى الهوان
- ٨٦ - إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي
- ٨٩ - العلم أصل الخير
- ٩٠ - ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً
- ٩٥ - الكويت وبغداد
- ٩٧ - دنيانا سراب
- ١٠٤ - إنها الدنيا
- ١٠٧ - غلاء وعلاجه
- ١١١ - صنّ قوافي القريض

- ١١٣ - لا راحة بلا تعب
- ١١٧ - لحظّي لا لحظّك
- ١١٩ - شفاؤك يشفيني
- ١٢١ - قيمة الكلام
- ١٢٢ - على العلم عولوا
- ١٢٨ - فلي في الصبر ما هو أرحب
- ١٣١ - للحقّ عاقبة الأمور
- ١٣٦ - مصيبة الحرمان وعظ
- ١٤٠ - الخطب هو الخطيب
- ١٤٥ - بلا وحدة ضياع
- ١٥٠ - حققوا بثورتهم الآمال
- ١٥٧ - حبي يجذبني
- ١٥٩ - المرء حسب السجايا
- ١٦٣ - العلم العلم
- ١٦٦ - بين العري والسغب
- ١٦٧ - اتحاد مصر وسوريا
- ١٧٢ - شهر آب
- ١٧٧ - نب يا شعر عني
- ١٨٧ - ريح من عتاب
- ١٨٩ - عذرك يكفيني

- ١٩٠ - كن لي هكذا
- ١٩١ - صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب
- ١٩٥ - الله ياأبى
- ١٩٦ - بين الجد والهزل - عنز تأكل الكتب
- ٢٠٩ - يا أشقائي العرب
- ٢١٦ - لن يراني القوم إلا مذنباً
- ٢٢٤ - لنمس في الوطن أحباباً
- ٢٢٦ - السباب سلاح العاجزين
- ٢٢٩ - خير من تخيرت
- ٢٣٤ - العزلة
- ٢٣٥ - إلى محتكر الجنة
- ٢٣٦ - ذكرى كريم
- ٢٣٨ - الحُرُّ يثني على تاريخ الكويت
- ٢٤١ - من عاداتي وشيمي
- ٢٤٥ - لن يعيث
- ٢٤٧ - حالهم أدهى وأبرح
- ٢٤٨ - أمتع الحياة سعادة
- ٢٥٣ - يا فهد القوافي
- ٢٥٦ - عليك بإحدى الحسينيين
- ٢٥٧ - زحام

- ٢٥٨ لا تؤذوا الصريح -
- ٢٥٩ الأعمال لا الأقوال -
- ٢٦٧ أفي الصحيفة دُر -
- ٢٧٦ تَسَلِّي يَا نَفْسُ -
- ٢٨١ أوحد الأطباء -
- ٢٨٣ ذكرى مولد الرسول (ﷺ) -
- ٢٩١ كلاهما في ازدياد -
- ٢٩٤ يا خيالي -
- ٢٩٦ إلى لوأمي في العزلة -
- ٢٩٨ العزلة -
- ٢٩٩ الفضل فضل البادي -
- ٣٠١ قيوده عماء -
- ٣٠٦ لحكمة أتينا الدنيا -
- ٣١٠ أَدِمَّ بكَ إيماني -
- ٣١٢ يقولون -
- ٣١٦ هكذا صقر -
- ٣١٩ أندر شيء الحر -
- ٣٢٠ متى تنجز الوعد -
- ٣٢٢ كلمة البركة -
- ٣٢٦ إلى السيد طالب باشا النقيب -

- ٣٢٩ - فهد الكريم فرع خير
- ٣٣١ - جنة لا دار
- ٣٣٤ - قومي العرب
- ٣٣٥ - أصيح
- ٣٣٨ - أنقذوا الحيوان من أذى الصبيان
- ٣٤٧ - من أعمى إلى عميان
- ٣٥١ - فرق كبير
- ٣٥٥ - إلى سمو الأمير الشيخ عبدالله بن الشيخ سالم الصباح
- ٣٦٣ - في اسمه
- ٣٦٤ - صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين
- ٣٦٨ - سلطان بن إبراهيم الكليب
- ٣٧٤ - مصر وقضية فلسطين
- ٣٨١ - بين الأفس والحزن
- ٣٨٧ - السكوت جواب
- ٣٨٩ - رُدوا بي منهل الإنصاف
- ٣٩٣ - حكمة الله في كل شيء
- ٣٩٥ - هل أبصرت ذلاً في الصقور
- ٣٩٦ - العرضات
- ٣٩٧ - عبرة
- ٣٩٨ - رثاء عبدالله بن خلف الدحيان

- ٤٠٤ معليات الأغذية -
- ٤٠٩ نشوة الحب -
- ٤١٣ الدين من دعواهم بريء -
- ٤١٦ دعوة إلى الإحسان -
- ٤١٨ جنون الحب -
- ٤٢٢ دنيا -
- ٤٢٤ ولو قطعوا رأسي -
- ٤٢٨ عفواً وصفحاً -
- ٤٣٢ لِمَ لا أفعل -
- ٤٣٣ إن بحت أخلب -
- ٤٣٤ الأحدث ينسي الأقدم -
- ٤٣٨ بروك يصرف همي -
- ٤٤٠ ظنَّ جميلاً بالله -
- ٤٤٢ إلى صديق أمس -
- ٤٤٦ شكوى على باعة الغان -
- ٤٤٩ لماذا يجسدونني -
- ٤٥٢ حقق ما وعدت -
- ٤٥٣ القنوع هو الغنى -
- ٤٥٥ حق بغير غموض -
- ٤٥٧ إلى لُوأمي في العُزلة -

- ٤٥٨ هذا خيال -
- ٤٥٩ يوم الخميس -
- ٤٦٤ حق شيخوختي على وطني -
- ٤٦٧ العلياء منهاها فيه -
- ٤٧٠ من الجور -
- ٤٧١ تهلل -
- ٤٧٢ في العزلة -
- ٤٧٣ حكاية غرام -
- ٤٧٨ الآثار لا تشفي -
- ٤٨٢ ليسلم ذا الضرير -
- ٤٨٣ الظواهر الخداعة -
- ٤٨٥ العلم أنجع ما يشفى به وطن -
- ٤٨٨ عليك لشرقي الكويت -
- ٤٩٣ في بيتي الراحة -
- ٤٩٦ فصل الصيف -
- ٤٩٨ ماذا أعتقد -
- ٥٠٨ عتاب مرير -
- ٥١٤ يا عقل -
- ٥١٦ حدث عن شمائله -
- ٥٢٢ قرأت -

- ٥٢٦ - وفاق الله
- ٥٢٧ - فلسطين
- ٥٣١ - أو يشفي من الكلوم الكلام
- ٥٣٤ - ويل للبخلاء
- ٥٣٧ - سمو الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح
- ٥٣٨ - لا تقترحوا عليّ
- ٥٤١ - إليكم عني
- ٥٤٢ - العزلة
- ٥٤٤ - التمويه جين
- ٥٤٦ - عجل فإني عجول
- ٥٤٨ - باسم الدين يتصيدون
- ٥٥٠ - بكاء على المرحوم سالم المبارك
- ٥٥٨ - خير ناد
- ٥٥٩ - نظرة في السر الأزلي
- ٥٦١ - لزوم البيت
- ٥٦٣ - لا تنس صقراً
- ٥٦٦ - نفسي تحن إلى لقاءك
- ٥٦٧ - يضر النصيح
- ٥٦٩ - لهفي على الفصحى
- ٥٧٧ - موجعات البعد

- ٥٨١ - لست له خليلا
- ٥٨٢ - اعتذار
- ٥٨٤ - البخلاء
- ٥٨٧ - على مآذبة شاي
- ٥٩٢ - اقتراحات بلا جدوى
- ٥٩٤ - قرعة الجابي
- ٦٠١ ■ القسم الثاني: إضافات جمعها الدكتور يعقوب يوسف الغنيم
- ٦٠٣ - البتيل
- ٦٠٤ - في ذكرى محمد بن شمالان
- ٦١٤ - دعوا العواطف
- ٦١٦ - في شرقي الكويت
- ٦١٧ - في الغزل
- ٦١٨ - في رجل كريم
- ٦٢٢ - في شكر شاعر
- ٦٢٣ - في الرثاء
- ٦٢٥ - ذكرى الزواج
- ٦٣١ - المتلبسون
- ٦٣٦ - فتوى
- ٦٣٧ - صرخة البائس

- القسم الثالث: إضافات تكرم بتقديمها الأستاذ سيف مرزوق الشملان
- ٦٤١ ليس في الكويت مثلي
- ٦٤٣ إلى كم يا محمد منك أشقى
- ٦٤٦ لي من الصبر ما هو أرحب
- ٦٥١ في تقريلظ كتاب
- ٦٥٧ أخوك أخو الأفضال
- ٦٥٩ عليك سلام الله
- ٦٦٠ وخير المجد في الدنيا المخلد
- ٦٦١ الدسمة
- ٦٦٣ كجدكم شملان كونوا أماجداً
- ٦٦٤ رثاء عزيز
- ٦٦٦ كما يزهو لصقر فيك شعر
- ٦٧٠ فمن لي كالقصيبي المرجى
- ٦٧٢ مداعبة
- ٦٧٤ هذا الجفاء
- ٦٧٦ صقر كان صقراً
- ٦٨١ إلى النادي الأدبي
- ٦٨٣ دليل المحتار
- ٦٨٦ معاذير
- ٦٨٨ خليل في منام
- ٦٨٩

٦٩١	- آية الإخلاص
٦٩٣	- وقتك عناية الله
٦٩٥	- وشملان لي منه أياد
٦٩٦	- حال محزن
٦٩٩	- البرد والشاعر
٧٠٠	- فيا ابن شملان كم أتحتني كرمًا
٧٠١	- ديوان شملان
٧٠٣	- واشينا كذوب
٧١٣	- خاتمة
٧١٦	- فهرس القوافي
٧٢٥	- المحتوى
